جامعة الموصل
كلية الآداب

بحوث
ندوة أبناء الاثير



المنعقدة بين ٢٧/٣ - ١/٤/١٩٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

تميزت الامة العربية عن غيرها، في عمق حبها للعلم، وتسجيلها ما دق مما خلفته. ويسرت سبل نشره وطلبه. فكانت تفرضه فرضا على ابنائها: رجالا ونساء. وكانوا يستمرون على تعلمه وتعليمه، لهذا خلفت من الكتب مايعجز الباحثون عن احصائه. ومعرفة مواضع حفظه. والقدرة على نشره.

ونظرة في اخبار المنشور من تلك الكتب يظهر لنا سعة: ماتتناوله في اللغة والتاريخ والعلوم الصرفة. ويظهر لنا تدقيق علماء تلك الامة في كل شأن من شؤون الحياة وكثرة ماخلفوا.

ولو تظافرت جهود كل العلماء اليوم مااستطاعت ان تحيي الا جزءاً يسيرا منه. لان كثيرا من تلك الكتب كانت واسعة فقد وضعها مؤلفوها بعدد كبير من المجلدات. قد تصل عند عدد منهم الى مئات. وقد تتجاوز صفحات المجلدات الالاف. وليس هذا مقتصرا على واحد او اثنين بل تتميز به اسر معروفة. يتوارثه الابناء عن الاباء، والصغار عن الكبار.

فهذه اسرة «ابناء الاثير»: الاب عالم. والابناء الثلاثة مجد الدين وعز الدين وضياء الدين علماء معروفون وابناؤهم علماء ايضا. وكل قد تقدم في علمه وصار مبرزا يرجع اليه في تخصصه: ففي الفقه والعربية يعد مجدالدين. واذا ذكر كتابه جامع الأصول او كتابه النهاية في الحديث اكتفى القارىء بهما عن غيرهما. وفي التاريخ عزالدين وكتابه الكامل في التاريخ يغني عن غيره من الكتب: صحة رواية . واحاطة وصف. وفي العربية ضياءالدين وكتابه المثل السائر درة الكتب في تخصصه.

ومن هنا فقد اندفعت كلية الاداب انطلاقا من رسالتها في حفظ التراث وصونه ونشره الى اقامة ندوة علمية عالمية عن ابناء الاثير من ١٩٨٢/٣/٢٧ ـ ١٩٨٢/٣/٣١ شارك فيها علماء اعلام وباحثون مشهورون في رفد

المسيرة العلمية في قطرنا بما خلصوا اليه من نتائج ومانشروا من كتب، وبما اوصت به الندوة في استمرار المسيرة لخدمة هذا التراث.

ايها القارىء الكريم :

نضع امامك هذا الكتاب الذي يضم البحوث التي شاركت في الندوة نقصد من ذلك ان نحفظ ماتوصلت اليه تلك العقول من كشف عن تلك الاسرة العالمة. ونحفظ لجامعة الموصل بشخص رئيسها الدكتور محمد مجيد السعيد ومنتسبيها: تدريسيين وموظفين. مابذلته من جهود. وما يسرته من سبل لاقامة الندوة. انطلاقا مما تيسره قيادتنا لاحياء التراث ونشره، ليكون دافعا لاسترجاع هذه الامة مجدها التليد وعزها المنيع وليندفع ابناؤها للتدقيق في الكشف عن مآثر الاجداد، وعن نصاعة تلك الحضارة التي حملوها للناس كافة فعم نورها الافاق، فعمرت ما لم تعمره حضارة،. والله من وراء القصد.

اللجنة التحضيرية لندوة ابناء الاثير
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

الامام مجد الدين بن الاثير وجهوده في الحديث الشريف

اعـــداد
الدكتور حارث سليمان الضـاري
أُستاذ الحديث وعلومـــه المساعـد
بكلية الشريعة جامعة بغداد

ـ الفصل الأول ـ

« حياته »
ويشتمل على خمسة مباحث

« المبحث الأول »

اسمه، ونسبه، واسرته

أولاً : اسمـــه

هو الامام : المبارك بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الشافعي — يكنى أبا السعادات ويلقب بمجد الدين ويعرف بابن الاثير الجزرى (١) والاثير لقب أبيه : محمد بن محمد بن عبد الكريم (٢) والجزرى . نسبة الى جزيرة ابن عمر التي ولد فيها وهي بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام تحيط بها دجلة الا من ناحية واحدة شبه الهلال. قال ياقوت : واحسب أن أول من عمرها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي (٣) وقيل أنها منسوبة الى رجل يقال له عبد العزيز بن عمر من أهل برقعيد الى أبني عمروهما :

أوس وكامل أبنا عمر بن أوس التغلبي . وقيل غير ذلك (٤) واما الشافعي، فمذهبه نسبة الى الامام : محمد بن أدريس الشافعي الامام المشهور.

(١) انظر ابن الاثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣ وابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤/٤ ، والسيوطي : بغية الوعاة ٢٧٤/٢-٢٧٥، والزركلي الاعلام ١٥٢/٦.

(٢) ياقوت : معجم الادباء ١٧)٧١

(٣) ياقوت : معجم البلدان ١٣٨/٢

(٤) انظر ابن كثير: البداية والنهاية ١٣٩/١٣، والذهبي: تذكرة الحفاظ ١٣٩٩/٢ — ١٤٠٠ .

ثانياً : نسبه

ينتسب الامام مجد الدين بن الاثير الى قبيلة: بني شيبان العربية المعروفة (١) التي تنتسب الى : شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة أبن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن جديلة أبن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (٢) والتي ينسب اليها كثير من الصحابة والتابعين والامراء والفرسان والعلماء في كل فن (٣) ولعل من أشهر من ينسب اليها الصحابي الجليل والبطل الشهير : المثنى بن حارثة الشيباني (٤) .

ثالثاً : اسرته

كان الامام مجد الدين من أسرة علمية كريمة اذ كان ثالث ثلاثة أخوة أشتهروا بالعلم والفضل والتاليف في كثير من العلوم النافعة فكان أخوه أبو الحسن : علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المللقب بعز الدين أمام في الحديث وعلومه والتاريخ والانساب . له كتاب الكامل في التاريخ ، وكتاب أخبار الصحابة المعروف بأسد الغابة في أسماء الصحابة واختصر كتاب الانساب للسمعاني واضاف اليه اضافات حسنة وكان مكملا بالفضائل مع الامانة والكرم والتواضع ، توفي سنة / ٦٣٠هـ (٥) .

كما كان أخوه أبو الفتح : نصر الله بن أبي الكرم الشيباني الملقب بضياء الدين ، حافظا للقرآن الكريم ولكثير من الاحاديث النبوية وماهراً في النحو واللغة والبيان وحفظ الشعر ، له كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر وكتاب : الوشي المرقوم في حل المنظوم ،وكتاب المعاني المخترعة في صناعة الانشاء وكتاب : ديوان رسائل في عدة أجزاء وكان ذا لسان وفصاحة وبيان توفي سنة / ٦٣٧هـ (٦) .

---

(١) انظر الغلامي :الانساب والاسر ٢٣٦

(٢) انظر ابن حزم : جمهرة انساب العرب ٢٩٨ وما بعدها ،وعز الدين بن الاثير : اللباب في تهذيب الانساب ٢١٩/٢ .

(٣) انظر عز الدين : اللباب ٢١٩/٢.

(٤) انظر ابن حزم : جمهرة انساب العرب ٣٠٥ ،وعز الدين : اسد الغابة ٢٩٩/٤.

(٥) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ١٣٩/١٣، وابن خلكان : وفيات ٣٤٨/٣ وما بعدها والذهبي تذكرة الحفاظ : ١٣٩٩/٢-١٤٠٠ .

(٦) انظر ابن خلكان : وفيات ٣٨٩/٥ وما بعدها ، والسيوطي : بغية الوعاة ٣١٥/٢.

المبحث الثاني

نشأته ، وطلبه العلم ، ومناصبه

اولاً — ولادته ونشأته

أجمع المؤرخون على ان الامام مجد الدين : كان قد ولد بجزيرة آبن عمر في أحد الربيعين سنة / ٥٤٤هـ (١) ولم يخالف هذا الاجماع الا: ابن تغرى بردى ، الذي ذكر أنه ولد سنة ٥٤٠هـ (٢) وهو خلاف لايعتد به لمخالفته جمهور المورخين في ذلك، كما اجمعوا على أنه نشأ بها حتى استوى عوده واشتد ساعده ، فطلب فيها العلم وتلقى دروسه الاولى ومكث فيها الى ان شب وبلغ مبلغ الرجال فانتقل الى الموصل واقام بها الى ان توفي فيها سنة / ٦٠٦هـ (٣) .

ثانياً — طلبه العلم

بدأ الامام مجد الدين طلب العلم في سن مبكرة كعادة أقرانه اذ جالس أهله وتردد على كثير من مشاهيرهم من أهل الجزيرة والموصل وبغداد ، متنقلا من استاذ لاستاذ ومن مدينة لاخرى ولم يزل كذلك حتى ألم باطراف أهم العلوم التي كانت شائعة في عصره وبرز في كثير منها ، كاللغة والنحو والادب والفقه والاصول وعلوم القرآن والحديث وعلومه وغيرها (٤) .

---

(١) انظر عز الدين : الكامل ٢٨٨/١٢ وابن كثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣ وابن خلكان وفيات ١٤١/٤-١٤٢، وياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧ والسيوطي : بغية الوعاة ٢٧٤/٢ وابن العماد/شذرات الذهب ٢٢/٥.

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١٩٨/٦

(٣) انظر ابن خلكان : وفيات ١٤٣/٤ وابن كثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣ والقفطي : انباه الرواة ٢٥٧/٣ وياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧ .

(٤) انظر عز الدين : الكامل ٢٨٨/١٢ ، وياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧.

وقد حدثنا بنفسه عن بداية طلبة للعلم ونشاطه فيه ودأبه على طلبه في مقدمة كتابه «جامع الاصول» فقال : مازلت منذ ريعان الشباب مشغوفاً بطلب العلم ومجالسة أهله والتشبه بهم حسب الامكان وذلك من فضل الله علي ولطفه بي : أن حببه الي فبذلت الوسع في تحصيل ماوفقت له من أنواعه حيث صارت في قوة الاطلاع على خفاياه وادراك خباياه ولم آل جهداً . والله الموفق في أكمال الطلب وابتغاء الارب الى ان تشبثت من كل بطرف تشبهت فيه باضرابي ولا أقول تميزت به على أترابي (١) .

ثالثاً : مناصبه واحترام ملوك وامراء عصره له

حظي الامام مجد الدين باحترام ملوك الموصل وامرائها ، وتقديرهم له وثقتهم به لما كان يتحلى به من الفضل والامانة والعلم (٢) اذ ولاه جماعة منهم مهام تصريف الكثير من أمور ولاياتهم .

قال ياقوت : ولاه الامير سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل الخزانة ثم ولاه ديوان الجزيرة واعمالها (٣) وقال ثم عاد الى الموصل ، فناب في الديوان عن الوزير جلال الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين محمد بن منصور الاصبهاني (٤) وزير سيف الدين غازي (٥) ثم اتصل بمجاهد الدين قايماز بالموصل أيضاً فنال عنده درجة رفيعة (٦) وكان مجاهد الدين قايماز نائب سيف الدين غازي على الموصل وكان رحمه الله من صالحي الامراء وارباب المعروف بنى عدة جوامع ومدارس وخانات

---

(١) مجد الدين : جامع الاصول

(٢) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣ وابن تغرى : النجوم الزاهرة ١٩٨/٦ .

(٣) كان سيف الدين هذا : صاحب الموصل وديار الجزيرة على عهد الخليفة العباسي المستضيئ بأمر الله توفي سنة ٥٧٦هـ انظر الكامل ٤٦٢/١١ والجزيرة تشمل حران والرها والرقة وغيرها .

(٤) ياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧

(٥) انظر عز الدين : الكامل ٤٣٤/١١

(٦) انظر ياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧

ووقف املاكا وله صدقات كثيرة (١) ، ثم أتصل بعد ذلك بخدمة أتابك عز الدين مسعود بن مودود الى ان توفي عز الدين فاتصل بولده : نور الدين ارسلان شاه فصار كما قال ياقوت : واحد دولته حقيقية بحيث ان السلطان كان يقصد منزله في مهام نفسه لانه أقعد في أخر زمانه (٢)

وقد طلب منه نور الدين أن يلي الوزارة والح عليه في ذلك فابى وأعتذر له بكبر السن وخدمة العلم والشهرة فيه وخوف الوقوع في الظلم فاعفاه قال أخوه عز الدين : حدثني أخي أبو السعادات قال : لقد الزمني نور الدين بالوزارة غير مرة وأنا استعفيه حتى غضب مني وأمر بالتوكيل بي وقال : فجعلت أبكي فبلغه ذلك فجاءني وأنا على تلك الحال فقال لي : أبلغ الامر إلى هذا ؟ ماعلمت أن رجلا ممن خلق الله يكره ماكرهت فقلت : أنا يامولانا رجل كبير وقد خدمت العلم عمري وأشتهرت ذلك عني في البلاد بأسرها وأعلم أنني لو أجتهدت في أقامة العدل بغاية جهدي ماقدرت أن أؤدى حقه ولو ظلم اكار في ضيعه من أقصى أعمال السلطان لنسب ظلمه الي ... فأعفاه (٣) .

وكان نور الدين شاه شهماً شجاعاً ميالا الى فعل الخير وعمل المعروف قال عز الدين سمعت أخي أبا السعادات رحمه الله وكان من أكثر الناس أختصاصاً به ، يقول : ماقلت له يوماً في فعل خير فامتنع منه ، بل بادر اليه بفرح واستبشار (٤) .

---

(١) انظر عز الدين : الكامل ٤٣٤/١١ وابن كثير : البداية واللهاية ٢١/١٣ وابن خلكان : وفيات ٨٢/١٤-٨٣

(٢) انظر ياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧

(٣) انظر ياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧ وابن كثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣ وابن العماد : شذرات ٢٢/٥ والآكار : هو الحراث .

(٤) عز الدين : الكامل ٢٩١/٢١-٢٩

المبحث الثالث

علومه ، ومؤلفاته ، ومكانته العلمية

اولا : علومه

جمع الأمام مجدالدين الكثير من العلوم التي كانت معروفة في زمانه وتبحر في كثير منها كالنحو واللغة والتفسير والحديث وعلومه والفقه والاصول وكان (١) إلى جانب ذلك كاتباً مُغْلقاً يضرب به المثل (٢) كما كان اديبا بارعاً وشاعراً ماهراً ، أخذ الأدب من شيخه ابن الوهاب الذي كان يحثه كثيراً على قول الشعر .

قال ياقوت : حدثني عزالدين أبو الحسن قال : حدثني أخي أبو السعادات رحمه الله قال : كنت اشتغل بعلم الأدب على الشيخ ابي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي البغدادي بالموصل وكان كثيراً ما يأمرني بقول الشعر وانا امتنع من ذلك قال : فبينما أنا ذات ليلة نائم رأيت الشيخ في النوم وهو يأمرني بقول الشعر ، فقلت له : ضع لي مثالا اعمل عليه ، فقال :

جب الفلا مدمنا ان فاتك الظفر
وخد خد الثرى والليل معتكر

فقلت أنا :

فالعز في صهوات الخيل مركبه
والمجد ينتجه الأسراء والسهر

---

(١) انظر ياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧ وابن كثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣

(٢) انظر عز الدين : الكامل ٢٨٨/١٢

فقال لي : أحسنت هكذا فقل فاستيقظت فاتممت عليها نحو العشرين بيتا(١)

ومن شعره ما كتبه إلى صديق له في صدر كتاب حيث قال

وانــي لـمـمـهـد عــن حـنـين مـبرح
اليك على الأقصى من الدار والأدنى
وإن كـانـت الأشـواق تـزداد كلمـا
تناقص بعد الدار واقترب المغنى
سلاماً كنشـر الروض بـاكـره الحـيـا
وهبت عليه نسمـة السحر الأعلى
فجاء بمسكـي الـنهـوا متـحـليـاً
ببعض سجايا ذلك المجلس الأسمى

ومن شعـره ايضـاً :

عليك سـلامٌ فـاح مـن نشـر طيبـة
نسيم تـولى بثـه الرنـد والبـان
وجـاز عـلى اطـلال مـي عـشية
وجـاد عـليه مغـدق الوبـل هتان
فحمـلتـه شـوقاً حـوتـه ضـمـائـرى
تميد لـه اعـلام رضوى ولبنـان (٢)

ومع ما عرف عنه من قول الشعر ومهارته فيه فانه كان مقلا فيه قال أخوه أبو الحسن : كان أخي قليل الشعر لم يكن له به تلك العناية وما أعرف الان له غير هذا (٣) .

---

(١) انظر ياقوت : معجم الادباء ١٧/٧٣-٧٤ وابن كثير : البداية والنهاية ١٣/٥٤ .

(٢) انظر ياقوت : معجم الادباء ١٧/٧٤-٧٥

(٣) انظر ياقوت : معجم الادباء ١٧/٧٥-٧٦

ثانياً : مؤلفاته

الف الامام مجد الدين في اغلب ما عرف عنه من علوم ومعارف قال: ياقوت بعد عده لاهم علومه ومعارفه : وصنف في كل ذلك تصانيف هي مشهورة في الموصل وغيره (١)

وقال ابن كثير: وقد جمع في سائر العلوم كتبا مفيدة (٢) واليك ماذكره المؤرخون من كتبه :

١ ــ كتاب البديع ، في النحو ويتألف من نحو أربعين كراسة قال ياقوت : وقفني عليه اخوه، فوجدته بديعا كاسمه سلك فيه مسلكا غريبا وبوبه تبويبا عجيبا.

٢ ــ كتاب الباهر في الفروق، في النحو

٣ ــ كتاب تهذيب فصول ابن الدهان ، في النحو ايضا

٤ ــ كتاب الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف ، الكشف للثعلبي، والكشاف للزمخشري في التفسير اربع مجلدات.

٥ ــ كتاب الشافي شرح مسند الشافعي في الحديث ، نحو مائة كراسة توجد منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٣٠٦ حديث) في أربع مجلدات ونسخة اخرى في مجلد واحد برقم (٢٢١١٨٤ ب) (٣).

٦ ــ كتاب غريب الحديث ، على حروف المعجم وهو المعروف بالنهاية في غريب الحديث والأثر .

٧ ــ كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول ، جمع فيه ابن الأثير بين البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داؤد وسنن النسائي وجامع الترمذي ،

---

(١) ياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣

(٣) انظر النهاية : مقدمة التحقيق ١٧

ورتبه على حروف المعجم أيضاً وسيأتي مزيد تفصيل عن مؤلفاته في الحديث وعلومه عند الكلام على جهوده في الحديث في الفصل الثاني .

٨ — له كتاب : رسائل في الحساب .

٩ — كتاب ديوان رسائل

١٠ — كتاب البنين والبنات والاباء والأمهات والاذواء والذوات ومنهم من يسميه : المرصع في الاباء والأمهات والابناء والبنات والاذواء والذوات وهو مجلد واحد ومطبوع كما ذكر محققا (١) النهاية في مدينة (ويماز) سنة ١٨٩٦ بعناية « سيولد » الألماني في ٢٦٧ صفحة من القطع الصغيرة (٢) . كما قام بتحقيقه وطبعه الدكتور ابراهيم السامرائي ١٣٩١ هـ ١٩٧١ ديوان الأوقاف .

١١ — كتاب المختار في مناقب الأخيار ، اربع مجلدات توجد منه (٣) نسخة « بايدن » برقم (١٠٩٠) كما يوجد النصف الثاني منه بمكتبة فيض الله « باستانبول » برقم (١٥١٦) وهو مصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (٤) .

١٢ — كتاب شرح غريب الطوال (٥) سماه منال الطالب في شرح طوال الغرائب في مجلد (٦) . وقد حققه الدكتور محمود محمد الطناحي ونشره المركز العلمي بمكة المكرمة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م

١٣ — كتاب في شرح غريب كتابه «جامع الاصول» في مجلد أيضاً (٧)

---

(١) انظر النهاية : مقدمة التحقيق ١٨

(٢) نفس المصدر ١٨

(٣) انظر فيما تقدم من كتب : ياقوت : معجم الادباء ١٧/٧٦—٧٧ وعز الدين : الكامل ١٢/ ٢٨٨ والسيوطي : بغية الوعاة ٢/٢٧٤—٢٧٥ .

(٤) انظر النهاية مقدمة التحقيق ١/١٧

(٥) انظر ابن السبكي : طبقات الشافعية ٨/٣٦٧

(٦) انظر السخاوي : فتح المغيث ٣/٤٩

(٧) انظر السخاوي : فتح المغيث ٣/٤٩

١٤ ـ كتاب المصطفى والمختار في الادعية والاذكار (١)

١٥ ـ كتاب لطيف في صنعه الكتابة (٢)

١٦ ـ كتاب تجريد أسماء الصحابة : مخطوط (٣)

١٧ ـ كتاب : في علم الحديث أشار اليه القفطي (٤) ولعل المراد به مقدمته في مصطلح الحديث التي صدر بها كتابه (جامع الاصول) ويذكر أنه كان قد ألف هذه الكتب أيام تعطله وجلوسه في منزلة بسبب المرض الذي الم به.

قال ابن خلكان: ويلغني أنه صنف هذه الكتب كلها في مدة العطلة فانه تفرغ لها وكان عنده جماعة يعينونهُ عليها في الاختيار والكتابة (٥)

وقال ابن العماد : وحكي ان تصنيفه كله في حال تعطله لانه كان عنده طلبة يعينونه على ذلك (٦)

ثالثاً : مكانته العلمية:

ولما كان الامام مجدالدين قد جمع بين أشتات هذه العلوم وبرز في الكثير منها وصنف في فنونها المختلفة تصانيفه المشهورة المفيدة كما رأينا كان حريا في ان يهرع اليه الامراء ويغشاه أكابر العلماء ويتوافد عليه أماجد الطلبة تقديراً لفضله واعترافاً بمكانته العلمية السامية وان ينال ثناء العلماء وتقديرهم.

---

(١) انظر ابن خلكان : وفيات ١٤١/٤ وابن السبكي/طبقات ٣٦٧/٨ وابن العماد/شذرات ٢٣/٥ .

(٢) انظر ابن خلكان/وفيات ١٤١/٤ وابن تغري : النجوم الزاهرة ١٩٨/٦

(٣) انظر الزركلي/الاعلام ١٥٢/٦

(٤) القفطي : انباء الرواة ٢٦٠/٣

(٥) ابن خلكان : وفيات ١٤٢/٤

(٦) ابن العماد : شذرات ٢٣/٥

قال ياقوت في ترجمته له : وكان عالما فاضلاً وسيداً كاملاً (١) وقال أبو البركات ابن المستوفي اشهر العلماء ذكراً وانبل النبلاء قدراً واحد الافاضل المشار اليهم وفرد الاماثل المعتمد في الامور عليهم (٢).

وقال ابن السبكي : وكان فاضلاً رئيسا مشاراً اليه (٣)

وقال ابن العماد : ذكره ابن المستوفي والمنذري واثنى كل واحد منهما عليه وبقي مدة يغشاه الاكابر من العلماء (٤).

وقال السيوطي : من مشاهير العلماء واكابر النبلاء وأوحد الفضلاء(٥)

وقال أخوه عزالدين بعد ذكره لعلومه ومؤلفاته : فلقد كان من محاسن الزمان وكل من يقف على ماذكرته يتهمني في قولي ومن عرفه من أهل عصرنا يعلم اني مقصر (٦) .

---

(١) ياقوت : معجم الأباء ١٧ / ٧١

(٢) انظر ابن خلكان : وفيات ١٤١/٤

(٣) ابن السبكي : طبقات ٣٦٧/٨

(٤) ابن العماد : شذرات ٢٣/٥ وابن المستوفي : هو مبارك بن احمد بن مبارك العلامة شرف الدين ابو البركات اللخمي الاربلي كان اماماً في علوم كثيرة وله مصنفات وفضائل غزيرة توفي سنة /٦٣٠هـ/ انظر ابن كثير/البداية والنهاية ١٣٩/١٣ واما المنذري : فهو الحافظ الكبير والامام الثبت : عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله ابن سلامة المنذري الشامي توفي سنة /٦٥٦هـ/ انظر الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٤٣٦/٢-١٤٣٩

(٥) السيوطي : بغية الوعاة ٢٧٤/٣

(٦) عز الدين : الكامل ٢٨٨/١٢

المبحث الرابع

شيوخه ، وتلاميذه ، ومعاصروه

اولاً شيوخه :

تتلمذ الامام مجد الدين واخذ العلم عن كثير من فضلاء عصره وتتلمذ عليه الكثير كما عاصر عدداً من المشاهير والاعلام الذين كان لهم دور بارز في الحفاظ على العلوم العربية والاسلامية وتنميتها ونشرها على اوسع نطاق وسنعرف فيما يلي بايجاز باشهر من تسنت لنا معرفتهم من شيوخه وتلاميذه ومعاصريه .

اولا : شيوخه :

قلنا انه قد تتلمذ على كثير من الفضلاء وكان من بينهم جماعة اشتهروا بالعلم والفضل والافادة وهم :

١ ـ ابن الدهان

هو الامام : سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله ، ناصح الدين ابن الدهان النحوي اخذ عنه النحو ، وكان ابن الدهان من اعيان النحاة المشهورين بالفضل ومعرفة العربية ، وقد صنف شرح الايضاح في اربعين مجلداً وشرح اللمع لابن جني في عدة مجلدات والدروس في النحو وغيرها من المصنفات المفيدة في اللغة والتفسير والشعر توفي في الموصل سنة / ٥٩٩هـ(١).

٢ ـ ابن سعدون

هو الامام : يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الازدي القرطبي ابو بكر النحوي اللغوي المقرىء الاديب الملقب بسابق الدين ، كان شيخاً

---

(١) انظر ياقوت : معجم الادباء ١٥/٢ وما بعدها ، والقفطي : انباه الرواة ٣٧/٢ وما بعدها والسيوطي : بغية الوعاة ٥٨٧/١

فاضلا عارفاً بالنحو ووجوه القراءات ولـد بقرطبة ورحـل إلى مصـر والاسكندرية واخذ عن علمائهما ثم رحل إلى بغداد وسمع بها الحديث وغيره ثم سكن دمشق مدة وانتفع به خلق كثير لحسن خلقه وتواضعه وكان ثقة صدوقاً ثبتاً ديناً كثير الخير توفي بالموصل يوم عيد الفطر سنة/ ٥٦٧هـ (١)

٣ ــ الماكسيني

هو الامام : مكي بن ريان بن شبة بن صالح الماكسيني الضرير أبو الحرم الملقب بصائن الدين وكان جامعاً لفنون الادب وحجة في كلام العرب.

وكان غاية في الفضل والذكاء والفطنة كما كان واسع الرواية شائع الدراية صالحاً كريم الاخلاق يغلب عليه العلم بالنحو والقراءات ، مات يوم السبت سادس شوال سنة ٦٠٣هـ /(٢)

٤ ــ ابن سكينـة

هو الامام : عبد الوهاب بن علي بن عبيد الله ابو احمد الامين ابن سكينة مسند العراق ومحدثه وسكينة جدته ام ابيه ولد في شعبان سنة / ٥١٩هـ / وسمع الكثير من ابيه وابي القاسم ابن الحصين وغيرهما وروى عنه خلائق وقصد من الارجاء كان صاحباً لابي الفرج ابن الجوزي ملازماً لمجالسه .

وكان شيخ وقته في علو الاسناد وفي المعرفة والاتقان والزهد والعبادة وحسن السمت وموافقة السنة توفي سنة ٦٠٧هـ / (٣) .

---

(١) انظر ياقوت : معجم الادباء ٢٠/١٤-١٥ والسيوطي : بغية الوعاة ٢/٣٣٤ .

(٢) انظر السيوطي : بغية الوعاة ٢/٢٩٨ والماكسيني بكسر الكاف والسين وسكون الياء نسبة إلى ماكسين مدينة بالجزيرة على الخابور انظر ؛ اللباب ٣/١٥٠.

(٣) انظر ابن السبكي : طبقات ٨/٣٢٤-٣٢٥ وابن كثير : البداية والنهاية ١٣/٦١ وابن العماد شذرات ٥/٢٥ .

٥ ـ الخطيب أبو الفضـل

هو الامام : ابو الفضل عبد الله بن احمد بن محمد بن عبد القادر الطوسي ثم البغدادي خطيب الموصل ولي خطابتها زمانا وكان ثقة، قصده الرحالون ، توفي سنة ٥٧٨هـ (١) .

٦. ابن كليب (٢)

هو الامام : ابو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد الحراني ثم البغدادي الحنبلي التاجر ، الملقب بشمس الدين له سماعات عالية في الحديث وقد انتهت اليه الرحلة من الاقطار، توفي ببغداد ودفن في مقبرة الامام احمد بن حنبل سنة ٥٩٦هـ (٣) .

٧. ابو القاسم صاحب ابن الخل

ابو القاسم هذا لم نقف له على ترجمة فيما رجعنا اليه من مصادر اما ابن الخل : فهو ابو الحسن محمد بن المبارك بن محمد عبد الله الفقيه الشافعي البغدادي ، توفي سنة / ٥٥٢هـ (٤)

ثانيـاً : تـلاميـذه

تتلمذ على الامام مجد الدين وروى عنه جماعة من الفضلاء غير ان الملاحظ ان المؤرخين لم يهتموا بذكرهم اهتمامهم بذكر شيوخه ، فنرى الكثير منهم قد اقتصروا في تراجمهم له على من ذكروا من اساتذتـه.

دون ذكر لاى من تلاميذه بينما ذكر اخرون بعضهم باقتضاب وكان من بين من عرف بالاخذ منه والرواية عنه

١ ـ ولـده

كان ممن تتلمذوا عليه ولده كما اشار الى ذلك ابن السبكي الذي

---

(١) انظر ابن تغري : النجوم الزاهرة ٩٤/٦ وابن العماد/شذرات ٢٦٢/٤

(٢) ذكره ابن السبكي : طبقات ١٦٦/٨

(٣) انظر ابن خلكان / وفيات ٣٩٤/٣ وابن العماد : شذرات ٣٢٧/٤

(٤) انظر ابن خلكان : وفيات ٣٦٢/٣

ذكره ولم يذكر لنا اسمه ولاماكان من شأنه (١) كما اننا لم نقف له على شيء من ذلك عند غيره من المؤرخين .

٢ ـ الشهاب الطوسي

هو الامام ابو الفتح : محمد بن محمود بن محمد بن شهاب نزيل مصر وشيخ الشافعية ، درس وافتى ووعظ وانتفع به جماعة كثيرة وكان جامعا لفنون كثيرة معظما للعلم واهله،توفي سنة ٥٩٦هـ (٧)

٣ ـ ابن البخاري

هو فخر الدين بن البخاري ذكره ابن السبكي ، فقال : وآخر من روى عنه بالاجازة : فخر الدين ابن البخاري (٣) ولم نقف له على ترجمة وقال محققا النهاية : لعله قاضي القضاة : ابو طالب علي ابن علي بن هبة الله بن محمد بن علي بن البخاري الشافعي المتوفى ببغداد سنة ٥٩٣هـ (٤).

٤ ـ القفطي

وكان ممن رووا عنه ايضا : القفطي ، اذ قال : رويت عنه رحمه الله ، وكتب الي الاجازة بجميع مصنفاته ومسموعاته ومروياته (٥) .

والقفطي هو الوزير جمال الدين ابو الحسن: علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بالقاضي الأكرم احد الكتاب المشهورين المبرزين في النظم والنثر جمع من العلم مالم يجمعه غيره توفى سنة ٦٤٦هـ(٦).

---

(١) ابن السبكي : طبقات ٣٦٦/٨

(٢) انظر ابن العماد : شذرات ٣٢٧/٤-٣٢٨

(٣) ابن السبكي : طبقات ٣٦٦/٨

(٤) انظر النهاية : المقدمة ١٥/ هامش

(٥) القفطي : انباه الرواة ٢٥٨/٣ والقفطي ، نسبة إلى قفط ، مدينة بصعيد مصر ، والاجازة نوع من انواع التحمل الثمانية والكتابة بالاجازة هي ان يقول : اجزتك ما كتبت لك او ماكتب به اليك او نحو ذلك من عبارات الاجازات ، انظر السخاوي : فتح المغيث ١٢٢/٢ والسيوطي : تدريب الراوي ٥٥/٢

(٦) انظر ياقوت / معجم الادباء ١٧٥/١٥-٢٠٤ وابن العماد : شذرات ٢٣٦/٥

ثالثاً : معاصروه :

عاصر الامام مجد الدين بن الاثير الكثير من الائمة المبرزين في شتى العلوم التي كانت شائعة في عصره ولاسيما في الحديث وعلومه واليك ثلاثة من اعلام محدثي عصره.

١ ــ ابن الجوزى

هو الامام الحافظ، عالم العراق وواعظ الافاق جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيدالله البغدادي الحنبلي الواعظ المفسر صاحب التصانيف السائرة في فنون العلم المختلفة ككتاب المغن في علوم القرآن وكتاب زاد المسير وجامع المسانيد وغيرها كان من الاعيان في التفسير ومن الحفاظ في الحديث ومن المتوسعين في التاريخ، توفي سنة ٥٩٧هـ (١).

٢ ــ ابن نقطة

هو الامام الحافظ المتقن محدث العراق معين الدين ابو بكر محمد ابن عبد الغني بن ابي بكر بن شجاع البغدادي الحنبلي مصنف كتاب التقييد في رواة الكتب والمسانيد، وكتاب المستدرك على اكمال ابي نصر بن ماكولا كان متقنا محققا، له سمت ووقار وفيه دين وقناعه، مات في الثاني والعشرين من شهر صفر سنة ٦٢٩هـ (٢) .

٣ ــ ابن الصلاح

هو الامام الحافظ شيخ الاسلام، تقي الدين ابو عمرو: عثمان بن صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكروي الشهرزوري المعروف بابن الصلاح صاحب كتاب علوم الحديث وشرح مسلم، تفقه على والده بشهرزور ثم اشتغل بالموصل مدة وارتحل إلى بغداد وهمدان ونيسابور

(١) انظر الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢/١٣٤٢-١٣٤٧ والسيوطي/طبقات الحفاظ ٤٧٧

(٢) انظر الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢/١٤١٢-١٤١٣ وابن كثير : البداية والنهاية ١٣/١٣٣.

ومرو ودمشق وحران وبيت المقدس واقام اخيرا بدمشق وولي فيها مشيخة دار الحديث الاشرفية وصنف وافتى وكان من فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، توفى في الخامس والعشرين من ربيع الاول سنة ٤٦٣هـ(١).

(١) انظر ابن خلكان : وفيات ٢٤٣/٣-٢٤٥ والذهبي : تذكرة الحفاظ ١٤٣/٢-١٤٣٣.

المبحث الخامس

عبادته ، واخلاقه ، ومرضه

اولاً – عبادته

عرف عن الامام مجد الدين : انه كان ذا دين رصين وعقيدة سليمة تقياً ورعاً زاهداً في الكثير من مظاهر الحياة ومغرياتها .

قال اخوه : كان ذا دين مكين ولزوم طريق مستقيم رحمه الله ورضي عنه (١) وقال ابن خلكان : كان ورعاً عاقلا مهيباً ذا بر واحسان (٢)

ومما روى عن ورعه وتقواه أنّ نور الدين ارسلان شاه كلفه يوماً بالوزارة والح عليه في ذلك فابى خوفاً من الوقوع في الظلم واقتراف الاثام فقد روى عن اخيه عز الدين انه قال : حدثني اخي ابو السعادات قال : الزمني نور الدين بالوزارة وانا استعفيه حتى غضب مني وامر بالتوكيل بي قال فجعلت ابكي فبلغه ذلك فجاءني على تلك الحال فقال لي : ابلغ بك الامر إلى هذا ؟ ماعلمت ان رجلا ممن خلق الله يكره ماكرهت فقلت: انا يامولانا رجل كبير وقد خدمت العلم عمري واشتهر ذلك عني في البلاد باسرها واعلم انني لو اجتهدت في اقامة العدل بغاية جهدي ماقدرت اؤدي حقه ولو ظلم اكار في ضيعة من اقصى اعمال السلطان لنسب ظلمه الي ، ورجعت انت وغيرك باللائمة علي ، والملك لايستقيم الا بالتسمح بالعسف واخذ الخلق بالشدة وانا لااقدر على ذلك فاعفاه،وجاءنا إلى دارنا فخبرنا بالحال فاما والده واخوه فلاماه على الامتناع فلم يؤثر اللوم عنده أسفاً (٣)

(١) عيزن الد : الكامل ٢٨٨/١٢

(٢) انظر ابن العماد : شذرات ٢٢/٥

(٣) انظر ياقوت : معجم الادباء ٧٢/١٧

ومن ذلك قصة مرضه وقطعه العلاج بعد أنْ قارب الشفاء الاتية قريباً.

ثانياً : اخلاقه

ومع ماعرف عن الامام مجد الدين من العبادة والتقوى فأنه كان كريم الاخلاق متواضعاً جواداً محسناً انفق الكثير مما افاء الله تعالى عليه من مال على الفقراء والمحتاجين من طلبة العلم وغيرهم قال القفطي : وكان له بر ومعروف وقنى من صحبة الناس ملكاً قريب الحال فوقفه على مصالح اهله وبنى رباطاً فيه من يستريح بما وقفه عليه (١) .

وقال ابن السبكي : وأنشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل ووقف املاكه عليه (٢) .

وقال ابن خلكان وأنشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل تسمى «قصر حرب» ووقف املاكه عليه وعلى داره التي يسكنها بالموصل (٣) .

ثالثاً : مرضه ووفاته

يروى ان الامام مجد الدين كان قد اصيب بمرض اقعده (٤) في اخر زمانه فكانت الحركة تصعب عليه واخذ بعلاجه فأشرف على الشفاء لكنه قطع العلاج ايثاراً للانقطاع والدعة ورغبة كما قال : في العيش بحرية وكرامة .

قال ابن خلكان : وحكى اخوه عز الدين أبو الحسن علي أنّهُ لما اقعد جاءهم رجل مغربي والتزم أنه يداويه ويبرئه مما هو فيه ، وأنه لايأخذ اجراً الا بعد برئه ، فلمناه إلى قوله ، وأخذ في معالجته بدهن صنعه فظهرت ثمرة صنعه ولانت رجلاه ، وصار يتمكن من مدها واشرف على كمال

---

(١) القفطي : انباه الرواة ٢٥٨/٣

(٢) ابن السبكي : طبقات ٣٦٧/٨

(٣) ابن خلكان : وفيات ١٤٢/٤

(٤) اصيب بمرض النقرس الذي ابطل حركة يديه ورجليه ، وصار يحمل في محفة ، انظر ابن العماد شذرات ٢٢/٥

البرء فقال لي ، اعط هذا المغربي شيئاً يرضيه واصرفه فقلت له : لماذا وقد ظهر نجح معاناته ؟ فقال : الأمر كما تقول ولكني في راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء القوم والالتزام باخطارهم (١) وقد سكنت روحي إلى الأنقطاع والدعة ، وقد كنت بالأمس وأنا معافى أذل نفسي بالسعي اليهم وها انا اليوم قاعداً في منزلي فاذا طرأت لهم امور ضرورية جاؤني بانفسهم لاخذ رأيي وبين هذا وذلك كثير ولم يكن سبب هذا الا هذا المرض ، فما ارى زواله ولامعالجته ولم يبق من العمر الا القليل فدعني أعيشُ باقيه عُمْراً سليماً من الذل وقد أخذت منه باوفر حظ قال عز الدين : فقبلت قوله وصرفت الرجل باحسان (٢)

وبقي بقية حياته مريضاً إلى ان توفي رحمه الله يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ٦٠٦هـ ودفن برباطة بدرب دراج داخل البلد (٣) وكان له من العمر اثنتان وستون سنة وتسعة اشهر (٤) .

(١) والالزام ، باحضارهم

(٢) ابن خلكان : وفيات ١٣٢/٤-١٤٣ واوردها باختصار ، ابن العماد : شذرات ٢٣/٥.

(٣) انظر ابن خلكان : وفيات ١٤٣/٤ وابن كثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣ وياقوت ؛ معجم الادباء ٧١/١٧ والقفطي : انباه الرواة ٢٥٧/٣ وما بعدها

(٤) انظر الذهبي : دول الاسلام ١١٣/٢.

الفصل الثانـــي

«جهوده في الحديث الشـــريـف»

ويشتمل على اربعة مباحث

المبحث الاول:

علمه بالحديث وتاليفه فيه

كان الامام مجد الدين : عالما بالحديث (١) عارفا باحواله بصيراً بمعانيه حافظا للكثير منه ، وقد دعاه علمه بالحديث واهتمامه به الى ان يؤلف فيه تاليفا نافعا ، فألف كتابه الشهير المسمى جامع الاصول في احاديث الرسول الذي سنتحدث عنه وعن الغرض من تاليفه وعن مزاياه وثناء العلماء عليه واهتمامهم به .

اولاً : التعريف بجامع الاصول، وبيان الغرض من تأليفه.

جامع الاصول: كتاب : جمع فيه الامام مجد الدين ابن الاثير بين الاصول الستة وهي : صحيح البخاري وصحيح مسلم وموطا الامام مالك وسنن ابي داود وسنن النسائي وجامع الترمذي ورتبه على الكتب ، ورتب الكتب على حروف المعجم ، وقسم الكتب الى ابواب والابواب الى فصول احيانا ، والفصول الى فروع ، واهتم فيه بايراد . ماروي عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما روى عن الصحابة

(١) الحديث : هو ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير وما روي عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم .

رضي الله عنهم ولم يورد فيه ماروى عن التابعين رضي الله عنهم الانادرا وحذف الاسانيد واقتصر منها على ذكر الصحابي الذي روى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان كان خبرا ، وعلى ذكـر مايرويه عن الصحابي ان كان أثرا (١) ويذكر فيه رموز الكتب التي خرجت الحديث في اوله كالخاء للبخاري والميم لمسلم وهكذا ، كما يـذكر في اخـر الحديث اسماء المخرجين له من الائمة الستة المتقدمين ، وكان غرضه من تاليفه لجامعه ، هو انه لما راى جماعة من الفضلاء المتقدمين عليه (٢) قد جمعوا بين الاصول الستة او بين بعضها كالجمع بين الصحيحين مثلا وانهم لم يوفوا وان كان لهم فضل الريادة والسبق في هذا المجال ، بكل ماكانت الامال تتطلع اليه من مثل هذا الجمع بين هذه الامهات من كتب الاصول ، قرر ان يؤلف جامعا يحقق فيه تلك التطلعات ، فألف هذا الجامع ووضعه على طريقة وضع جامع «رزين» (٣) الذي جمع بين هذه الاصول ورتبها على ترتيب ابواب البخاري ، وتلافى فيه بعض جوانب الجمال ومظان الكمال التي أغفلها رزين في جامعه ، فقال : لما وقفت على هـذه الكتب ورأيتها في غاية من الوضع الحسن والترتيب الجميل ورأيت كتاب رزين هو اكبرها واعمها حيث حوى هذه الكتب الستة التي هي ام كتب الحديث واشهرها في ايدي الناس ، وبأحاديثها اخذ العلماء واستدل الفقهاء واثبتوا الاحكام ، وشادوا مباني الاسلام ، الى ان قال : فناجتني نفسي أن اهذب كتابه ، وارتب ابوابه واوطىء مقصده واسهل مطلبه واضيف

(١) يريد بالخبر : ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالاثر : ماروي عن الصحابة رضي الله عنهم .

(٢) كالحميدي والبغوي وابن الفرات والبرقاني وغيرهم ممن جمعوا بين صحيحي البخاري ومسلم ورزين الذي جمع بين الاصول الستة .

(٣) رزين : هو ابو الحسن رزين بن معاوية بن عمار العبدري السرقطي الاندلسي ، امام الحرمين ، نسبة إلى سرقسطة من بلاد الاندلس . جاور بمكة زماناً طويلا . توفي سنة ٥٣٥/ انظر ابن العماد : شذرات ١٠٦/٤ والزركلي الاعلام ٤٦/٣

اليه ماسقطه من الاصول واتبعه شرح مافي الاحاديث من الغريب والاعراب والمعنى وغير ذلك مما يزيده ايضاحا وبيانا (١) .

ثانيا : مزايا جامعه

امتاز جامع ابن الاثير على جامع رزين بمزايا عديدة جعلته موضع ثقة العلماء واهتمامهم، ومن هذه المزايا :

١ — لم يعتمد الامام مجد الدين في تبويبه لجامعه على تبويب كتاب معين من الكتب الستة، كما اعتمد رزين على تبويب البخاري وذلك لاختلافها في الوضع كما قال، بل بنى الابواب على المعاني التي دلت عليها الاحاديث، فكانت هذه ميزة لم يسبق اليها (٢) .

٢ — أضاف إلى جامعه الاحاديث التي اسقطها رزين من الاصول اما اختصاراً ، او لغرض اخر وقع له .

٣ — اعاد فيه الاحاديث التي وضعها رزين في ابواب غيرها اولى بها إلى ابوابها الاولى بها .

٤ — شرح ما في الاحاديث من الغريب والاعراب والمعاني والاحكام وغير ذلك مما يزيد الكتاب ايضاحاً وبياناً (٣) .

ثالثاً : ثناء العلماء على الجامع واعجابهم به

حاز كتاب جامع الاصول ثناء العلماء واعجابهم به لما اشتمل عليه من النخبة المختارة من كتب الحديث الشريف التي اعتمدتها الامة وتلقتها بالقبول، ولما امتاز به من حسن الترتيب ودقة التبويب . وجودة الاخراج. وغير ذلك من المزايا التي فاق بها جوامع من سبقوه .

(١) مجد الدين : جامع الاصول ٢٠/١

(٢) انظر مجد الدين : جامع الاصول ٢٤/١

(٣) انظر مجد الدين : جامع الاصول ٢٠/١ ، وياقوت : معجم الادباء ٧٦/١٧

قال ياقوت : اقطع قطعاً انه لم يصنف مثله قط ولا يصنف (١)
وقال حاجي خليفة، في معرض كلامه عن جامع الاصول : ولهذا الكتاب العظيم مختصرات (٢)
وقال ابن الأهدل : له مصنفات بديعة وسيعة ، منها جامع الاصول الستة امهات الحديث (٣)

رابعاً : اهتمام العلماء بجامعه

كان من نتائج اهتمام العلماء بجامعه ان عكف جماعة من اعيانهم على اختصاره وتقريبه لطلاب الحديث والمهتمين به،ومن مختصراتهم له:

١ - مختصر ابي جعفر محمد المروزى الاسترباذى الذي وضعه على نسق وضع الكتاب واتمه في ذي القعدة سنة /٦٨٢هـ

٢ - مختصر : شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن البارزى الحموى الشافعي المتوفى سنة ٧٣٨هـ الذي جرده عما زاد على الاصول من شرح الغريب والاعراب والتكرار ، وسماه تجريد الاصول .

٣ - مختصر : الشيخ صلاح الدين خليل بن كيكلوى العلائي الدمشقي ثم القدسي المتوفى سنة ٧٦١هـ المشهور بتهذيب الأصول .

٤ - مختصر الشيخ عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الربيع الشيباني اليمني المتوفى سنة ٩٤٤هـ تقريباً وهو كما قال حاجي خليفة : احسن المختصرات، سماه : تيسير الوصول إلى جامع الاصول .

٥ - مختصر : الشيخ احمد بن رزق الله الانصاري الحنفي (٤)

وبالاضافة إلى اختصار العلماء لجامعه فان منهم من الف في غريبه ايضاً كمحب الدين احمد بن عبد الله الطبري المتوفى سنة ٦٩٤هـ (٥)

---

(١) ياقوت : معجم الادباء ٧٦/١٧
(٢) حاجي خليفة : كشف الظنوف ٥٣٦/١
(٣) انظر ابن قعماد : شذرات ٢٣/٥
(٤) انظر في ذلك : كشف الظنون ٥٣٥/١-٥٣٧
(٥) انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ٥٣٧/١

خامساً : امثلة مما جاء في جامعه من أحاديث

نسوق اليك فيما يلي ثلاثة أحاديث مما جاء في جامعه لترى من خلالها كيفية جمعه لها وترتيبه اياها :

الحديث الاول : (خ م ت س عبد الله بن عمر) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بني الاسلام على خمس : شهادة الا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة . وحج البيت وصوم رمضان»

وفي رواية «ان رجلا قال له : ألا تغزو ؟ فقال له إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الاسلامَ بني على خمس» وذكر الحديث

وفي اخرى «بني الاسلام على خمسة : على ان يوحد الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وصيام رمضان والحج ، فقال رجل : الحج وصيام رمضان؟ قال لا : صيام رمضان والحج» هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي اخرى «بني الاسلام على خمس : على ان يعبد الله ويكفر بما دونه واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »

اخرج طرقه جميعها مسلم ، ووافقه على الاولى : الترمذي ، وعلى الثانية البخاري والنسائي (١)

فاشار لذلك إلى رموز كتبهم في صدر الحديث ، فاشار بالخاء إلى صحيح البخارى ، وبالميم إلى صحيح مسلم ، وبالتاء إلى جامع الترمذي وبالسين إلى سنن النسائي .

الحديث الثاني : (د — ابو الدرداء رضي الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء ابائكم فحسنوا اسماءكم» اخرجه ابو داود (٢) .

---

(١) انظر مجد الدين : جامع الاصول ١/١٢٧-١٢٨

(٢) انظر مجد الدين : جامع الاصول ١/٢٥٨

الحديث الثالث : (م ت د ـ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) قــال : «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله» قال مغيرة : قلت لابراهيم «وشاهديه وكاتبه ؟ فقال : انما نحدث بما سمعنا هذه رواية مسلم .

وفي رواية الترمذي وابي داود : «لعن آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه » (١)

هذا وقد طبع كتاب جامع الاصول طبعته الاولى بمطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م باشراف الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصريــة سابقا ، وتصحيح الشيخ حامد الفقي ، وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها في التعريف بجامع الاصول والنقل منه وله طبعة ثانيـــة بتحقيق عبد القادر الارناؤوط سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

---

(١) انظر مجد الدين : جامع الاصول ٤٥١/١ .

المبحث الثانـــي :

علمه بمصطلح الحديث وتأليفه فيه

اولا: علمه بمصطلح الحديث :

وكما كان الامام مجد الدين بن الاثير عالماً بالحديث رواية . فأنه كان عالماً دراية (١) اذ كان على جانب كبير من المعرفة بمصطلح الحديث وسائر علومه ، وخير شاهد على ذلك ماجاء في صدر كتابه جامع الاصول ،سالف الذكر ، من الابحاث العديدة المتنوعة في مصطلح الحديث التي أجاد فيها وابدع ، وما ألفه في أنواع أخرى من علوم الحديث ، مما يدل على سعة علمه بعلوم الحديث وتقدمه فيها .

وقد عزى اليه تأليف كتاب في «علم الحديث (٢) ولم نقف عليه ولعل المراد به الابحاث التي أشرنا اليها أنفا ، فانها تشكل بمجموعها كتاباً في علوم الحديث ، لسعة مادتها ، وتعدد موضوعاتها ، وسنعطيك فيمايلي فكرة سريعة عن تأليفه في مصطلح الحديث

ثانيا: تأليفه في مصطلح الحديث

وضع الامام محد الدين في صدر جامعه ، مقدمة اشتملت على عدة أنواع من مصطلح الحديث ، وهي تمثل أغلب أنواعه المعروفة لدى أهل هذا الفن ، وقد جمعها من كتب من سبقه من أئمة الحديث ككتاب «معرفة

---

(١) علم الحديث رواية : علم يشتمل على اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وروايتها وضبطها وعلم الحديث دراية : علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وانواعها واحكامها وما يتعلق بها .
انظر السيوطي : تدريب الراوي ١/٤٠

(٢) انظر القفطي : انباه الرواة ٣/٢٦٠

علوم الحديث)للحاكم أبي عبد الله النيسابورى وكتب الخطيب البغدادى ، وكتاب العلل للامام الترمذى وغير ذلك من كتب العلماء الذين جمع بين أقوالهم واختصرها (١) ورتبها وقسمها الى أربعة فصول : تحدث في الفصل الاول منها عن صفة الراوى وشروط الرواية ، وطرق التحمل وصيغ الاداء . ورواية الحديث بالمعنى ، ورواية بعض الحديث وزيادة الثقة واضافة ماليس من الحديث اليه ، ومعنى المسند والاسناد ، وبيان المرسل وغير ذلك من الانواع الاخرى التي تسير على هذا المنوال ،

وتحدث في الفصل الثاني : عن الجرح والتعديل وكل مايتعلق بهما من أمور وتحدث في الفصل الثالث : عن النسخ وحده واركانه وشروطه واحكامه ، وفي الفصل الرابع : عن أقسام الصحيح ، من الحديث والكذب واقسام الخبر وأقسام الصحيح من الاخبار وعن الغريب والحسن وما يجرى مجراهما ، ثم ختم هذه الابحاث .

بالترجمة لاصحاب الكتب الستة الذين جمع بين أحاديثهم في جامعه (٢). وهم البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والنسائي والترمذي .

---

(١) انظر مجد الدين : جامع الاصول ٣٢/١

(٢) انظر مجد الدين : جامع الاصول ٢٣٢/١-١١٦

المبحث الثالث

«علمه بغريب الحديث وتأليفه فيه»

غريب الحديث : هوعبارة عما وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة البعيدة عن الفهم لقلة استعمالها (١) .

وهو نوع من انواع علوم الحديث كما هو معلوم ، وقد اهتم به العلماء في وقت مبكر من تاريخ هذا العلم ، فألفوا فيه مؤلفات كثيرة وكان أول من الف فيه على ما قيل : ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى سنة (٢١٠ هـ) أو قبلها بسنتين (٢) وقيل : ان أول من الف فيه : النضر ابن شميل المازني ، المتوفى (سنة ٢٠٣ هـ) وقيل بعدها بسنة (٣) ثم توالى التأليف فيه من معاصريهما وغيرهم ممن جاؤوا بعدهم كابي عبيد القاسم ابن سلام ، المتوفى سنة (٢٢٤ هـ) الذي الف كتابه المشهور في غريب الحديث الذي استقصى فيه وأجاد ، ثم الف فيه ابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة (٢٧٦ هـ) كتابا جمع فيه ما فات ابا عبيدة ثم الف بعدهما : أبو سليمان الخطابي ، المتوفى سنة (٤٠١ هـ) كتابا تتبع فيه ما فات ابا عبيدة وابن قتيبة في كتابيهما (٤) وقد استمر التأليف فيه على مر الأيام إلى أن الف فيه الامام مجد الدين ابن الأثير كتابه الشهير المعروف بالنهاية في غريب الحديث ، الذي سنحدثك عنه بعد قليل ، وقد افردنا لعلمه بغريب الحديث مبحثا خاصا ، مع أنه نوع من انواع علوم الحديث ومصطلحه لشديد

---

(١) انظر ابن الصلاح : علوم الحديث بشرح تقييد الايضاح ٢٧٤

(٢) انظر مجد الدين : النهاية ٥/١ والخطيب : تاريخ بغداد ٤٠٥/١٢

(٣) انظر الحاكم : معرفة علوم الحديث ١٨، والسيوطي : تدريب الراوي ١٨٤/٢

(٤) انظر السيوطي : تدريب الراوي ١٨٤/٢-١٨٥ ، والسخاوي : فتح المغيث ٣٢/٣- ٣٦ .

عنايته بهذا العلم ، واشتهاره به ، واهمية مؤلفه فيه واليك ما وعدنا به قبل قليل ، من الحديث عن النهاية ، الذي سنتناول فيه : التعريف بها ، وبيان مزاياها وأهميتها وغير ذلك مما يتصل بها ، ويجدر ذكره هنا .

اولا: التعريف بانهاية في غريب الحديث:

النهاية في غريب الحديث « كتاب » جمع فيه الأمام مجد الدين ابن الأثير بين كتاب ابي عبيد أحمد بن محمد الهروي في غريبي القرآن والحديث وكتاب الحافظ ابي موسى محمد بن ابي بكر بن أبي عيسى المديني الأصفهاني ، الذي جمع فيه ما فات الهروى من غريب القرآن . والحديث ، واقتصر فيه على غريب الحديث مجردا من غريب القرآن واضاف اليه ما عثر عليه في كتب الحديث من الكلمات الغريبة ، التي فاتتهما ، ورتبه على حروف المعجم ، كترتيب الكتابين فبدأ بذكر كل كلمة تبدأ بالهمزة ، ثم التي تبدأ بالباء وهكذا إلى آخر حروف المعجم، ورمز إلى ما نقله من كتاب الهروى بالها ء وإلى ما نقله من كتاب ابي موسى الاصفهاني بالسين وترك ما اضافه من غيرهما مهملا بغير علامة ليتميز كما، قال : ما فيهما عما ليس فيهما (١)

ثانيا: مزايــا النهايــة

امتازت النهاية على غيرها من كتب غريب الحديث بعدة مزايا منها:

١ ـ جمعها بين كتابين كبيرين مشهورين في غريب الحديث يكمل احدهما الاخر في كتاب واحد .

٢ ـ اضافة كل كلمة فيها لدى الجمع إلى اختها في بابها تسهيلا للطالبين، وتيسيرا عليهم عند الرجوع إلى ما يحتاجونه منها .

٣ ـ اشتمالها على مازاد على ما في الكتابين ، مما اضافه من الكلمات الغريبة التي فاتت الكتابين ، والتي زادت لكثرتها من سعة مادتها وكبر حجمها .

---

(١) انظر مجد الدين : النهاية ١١/١

٤ ــ حسن ترتيبها وعرضها .

٥ ــ سهولة تناولها والرجوع اليها عند الحاجة من غير كلفة او مشقة .

ثالثا: ثناء العلماء عليها واعجابهم بها

اثنى العلماء على النهاية ، لما اشتملت عليه من المزايا التي اشرنا اليها وغيرها ، واليك طرفا مما نقل من ثنائهم عليها واشادتهم بها

قال : ابن كثير : واجل كتاب يوجد فيه مجامع ذلك كتاب الصحاح للجوهري وكتاب النهاية لابن الاثير رحمهما الله (١)

وقال السخاوى : ثم جمع بينهما اعني كتاب الهروى والذيل عليه لابي موسى مقتصرا على الحديث خاصة : المجد أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير مع زيادات جمة ، فكان كتابه النهاية كاسمة ، وعول عليه كل من جاء بعده ، لجمعه وسهولة التناول منه (٢) .

وقال السيوطي في معرض حديثه عن كتب غريب الحديث ، ثم النهاية لابن الأثير ، وهي احسن كتب الغريب واجمعها واشهرها الان واكثرها تداولا (٣) .

رابعا: امثلة مما جاء في النهاية من غريب

سنقدم لك فيما يلي : ثلاثة امثلة مما جاء في النهاية من الغريب لتكون على علم بمضمونها وادراك لماهية مكنونها .

المثال الاول من حرف الهمزة :

« أبب» في حديث انس : أن عمر بن الخطاب قرأ قول الله تعالى « وفاكهة وابا » وقال : « فما الأب ؟ ثم قال : ما كلفنا وما امرنا بهذا » الاب المرعى المتهيء للرعي والقطع ، وقيل : الأب من المرعى للدواب

---

(١) ابن كثير : اختصار علوم الحديث ١٨٨

(٢) السخاوي : فتح المغيث ٤٩/٣

(٣) السيوطي : تدريب الراوي ١٨٥/٢

كالفاكهة للانسان ، ومنه حديث قس بن ساعدة ، فجعل يرتع ابا وأصيد ضباً (١) .

المثال الثالث :من حرف الباء

« بأر » (هـ) فيه « أن رجلا آتاه الله مالا فلم خيرا » اى لم يقـدم لنفسه خبيئة خير ولم يدخر (٢) والهاء التي بين القوسين هي علامة النقل من كتاب الهروى كما اسلفنا .

المثال الثاني: من حرف التاء

«تأم» (س» في حديث عمير بن افصى «متئم او منفرد» يقال أتأمت المرأة فهي متئم ، اذا وضعت اثنين في بطن فاذا كان ذلك عادتها فهي متآم ، والولدان توأمان ، والجميع تؤام ، وتوائم والمفرد التي تلد واحدا(٤) هذا والسين التي بين القوسين علامة النقل من كتاب ابي موسى الاصفهاني ، ولم يضع للكلمة الغريبة في المثال الاول علامة كما ترى ، لانها من زياداته على مافي كتابي الهروي والاصفهاني .

وقد طبعت النهاية طبعتها الاولى سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه في القاهرة بمصر وبتحقيق الفاضلين : طاهر احمد الزاوى ، ومحمود محمد الطناحي وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها في التعريف بالنهاية والنقل منها وتقع النهاية في هذه الطبعة في خمس مجلدات ولها طبعة ثانية اقدم من هذه سنة ١٣١١ هـ بالمطبعة العثمانية بمصر على نفقة الفاضل صاحبها ومدير ادارتها : الشيخ عثمان عبد الرزاق وبهامشها كتاب (الدّر النثير وتلخيص نهاية ابن الاثير) للجلال السيوطي وتقع في اربع مجلدات.

---

(١) انظر مجد الدين : النهاية ١٣/١

(٢) انظر مجد الدين : النهاية ٨٩/١

(٣) انظر مجد الدين : اللهاية ١٧٨/١

«المبحث الرابع»

« «تأليفه في غير ماتقدم من علوم الحديث »

وبالاضافة الى ماتقدم من تأليفه في مصطلح الحديث وغريبه فانه قد نسب اليه التأليف في انواع اخرى من علوم الحديث

واليك ما نسب اليه في هذا المجال :

اولا : تأليفه في شرح الحديث

الف الامام مجد الدين كتاباً في شرح الحديث ، شرح فيه مسند الامام محمد بن ادريس الشافعي ، وسماه «الشافي» في شرح مسند الشافعي ، قال ياقوت : ابدع في تصنيفه ، فذكر احكامه ولغته ونحوه ، ومعانيه نحو مائة كراسة (١)

ثانياً : تأليفه في الاباء والامهات وغيرها :

والف الامام مجد الدين كتاباً : في الاباء والامهات والبنين والبنات والاذواء والذوات ، ومنهم من يسميه كما تقدم ، المرصع في الابـاء والامهات والابناء والبنات والاذواء والذوات ، وهو مجلد واحد .

قال السيوطي : وقفت عليه ولخصت منه الكنى في كراسة (٢)

ثالثا : تأليفه في الرجال

وألف كتاباً في الرجال ، سماه «المختار في مناقب الاخيار» اربعة مجلدات ، كما ألف كتاباً في تجريد اسماء الصحابة وبهذا نأتي الى نهاية بحثنا املين ان يسهم في ابراز جوانب شخصية الامام : مجد الدين ابن الاثير ، وجهوده المشكوره في خدمة الحديث النبوي الشريف .

---

(١) ياقوت : معجم الادباء ٧٦/١٧

(٢) السيوطي : بغية الوعاة ٢٧٥/٢

« مراجع البحث »

١ ـ اختصار علوم الحديث
للامام ابن كثير ، طبعة ثانية ، مطبعة محمد علي صبيح واولاده القاهرة ، تحقيق أحمد شاكر

٢ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة
للامام عزالدين ابن الأثير ، المكتبة الأسلامية / طهران

٣ ـ الأعلام
للزركلي ، طبعة ثانية

٤ ـ الأنساب والأسر
لعبد المنعم الفلامي ، طبعة اولى ، مطبعة شفيق بغداد ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م

٥ ـ انباه الرواة على انباه النحاة
لابي الحسن علي بن يوسف القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥

٦ ـ البداية والنهاية
للامام ابن كثير ، مطبعة السعادة بمصر

٧ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة
للأمام جلال الدين السيوطي ، طبعة اولى ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

٨ ـ تاريخ بغداد
للخطيب البغدادي ، طبعة اولى ، مطبعة الخانجي ، بالقاهرة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م

تذكـــرة الحـفــاظ
للأمام شمس الدين الذهبي ، طبعـة رابعـة ، دار احيـاء التـراث العربي ، بيـروت
١٠- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ،
للامام جلال الدين السيوطي طبعة ثانية ، مطبعة دار الكتب الحديثة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف.
١١ – التقريب
للامام محي الدين النووى ، بهامش التدريب، الطبعة السابقة
١٢ – جامع الاصول في احاديث الرسول
للامام مجد الدين بن الاثير طبعة اولى ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م .
١٣ – جمهرة انساب العرب
للامام ابن حزم، دار المعارف بمصر
١٤ – دول الاسلام
للامام شمس الدين الذهبي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م تحقيق فهيم محمد شلتوت ، ولحمد مصطفى ابراهيم
١٥ – شذرات الذهب في اخبار من ذهب
للمؤرخ ابي الفلاح عبد الحي بن العماد بن الحنبلي ،المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت/ لبنان
١٦ – طبقات الحفاظ
للامام السيوطي
١٧ – طبقات الشافعية الكبرى
للامام تاج الدين السبكي ،تحقيق عبد الفتاح الحلو ، ومحمود الطناحي ، طبعة اولى ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه
١٨ – علوم الحديث
للامام ابن الصلاح، وشرحها، التقييد والايضاح ، للحافظ العراقي

تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، طبعة اولى مكتبة القاهرة بمصر
سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٩م

١٩ ــ فتح المغيث
للامام شمس الدين السخاوي ، مطبعة القاهرة

٢٠ ــ كشف الظنون
لحاجي خليفة ، طبعة بالاوفست، مكتبة المثنى / بغداد

٢١ ــ اللباب في تهذيب الانساب
للامام عز الدين ابن الاثير ، مكتبة المثنى / بغداد

٢٢ ــ معجم الادباء
لياقوت الحموى ، الطبعة الاخيرة ، مكتبة عيسى البابي الحلبي
وشركاه بمصر

٢٣ ــ معجم البلدان
لياقوت ايضاً ، دار صادر للطباعة والنشر

٢٤ ــ معرفة علوم الحديث
للحاكم ابي عبد الله النيسابوري ، مطبعة دار الكتب المصرية
القاهرة ١٩٣٧

٢٥ ــ النجوم الزاهرة
لابن تغرى بردى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
والنشر .

٢٦ ــ النهاية في غريب الحديث والاثر
للامام مجد الدين ابن الاثير ، تحقيق الزاوى والطناحي ،مطبعة
عيسى البابي الحلبي وشركاه

٢٧ ــ وفيات الاعيان
للامام ابن خلكان ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار
دار الثقافة بيروت / لبنان .

آثار ضياء الدين بن الاثـير
وصدى عصره وحياته فيهـا

الدكتور احمد مطلوب
أستاذ في كلية الاداب/ جامعة بغداد



في جزيرة ابن عمر شمالي الموصل كان ثلاثة أخوة يقال لهم «أبناء الاثير» وقد قاموا بدور عظيم في الفكر العربي الاسلامي خلال القرن السادس للهجرة . أكبرهم مجد الدين أبو السعادات المبارك الذي ولد في أحد الربيعين سنة أربع واربعين وخمسمائة ومات في الموصل سنة ستت وستمائة للهجرة ، وترك عدة كتب منها : «النهاية في غريب الحديث والاثر» و«جامع الاصول في أحاديث الرسول» و« الشافي في شرح مسند الشافعي »و« شرح غريب الطوال «و» المرصع في الاباء والامهات والابناء والبنات والاذواء والذوات »و« ديوان رسائل . »

والتاني أبو الحسن علي الملقب بعز الدين الذي ولد سنة خمس وخمسين وخمسمائة ومات في الموصل سنة ثلاثين وستمائة للهجرة ، والف عدة كتب منها : «الكامل في التاريخ» و« أسد الغابة في معرفة الصحابة» «و» اللباب في مختصر الانساب «و» تاريخ الدولة الاتابكية في الموصل».

والثالث أبو الفتح نصر الله ضياء الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري .ولد ضياء الدين يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة للهجرة في جزيرة ابن عمر ، ونشأ بها وقضى شطراً من طفولته فيها ، ورحل مع عائلته الى الموصل وتلقى فيها دراسته الأولى وحصل العلوم وحفظ القرآن الكريم وكثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة وطرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلوم البيان وشيئاً كثيراً من الاشعار . وكان للقرآن الكريم أثر عظيم في ثقافته تجلى في كتبه التي زينها بشواهد من آياته ، وكان يختم كتاب الله مرة في كل اسبوع ليبلغ به ، ثم نظر فيه فجعل يقرؤه مرة في شهر ، ثم أبعد في النظر فكان يختمه في سنة ، ثم امعن فقال إنه قطع سبع سنين ولما يفرغ منه ولا أتى على الغاية من تدبر مافيه من أنواع البلاغة المستكنة في كلمه وحروفه . والقرآن عند ابن الاثير اساس البلاغة وقد استخرج منه ثلاثين ضربا من علم البيان لم يأت بها أحد من العلماء الاعيان (١) .

أما الشعر فقد قرأ منه كثيراً ، قال: «وكنت حفظت من الاشعار القديمة والمحدثة مالا آحصيه كثرة ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين حبيب ابن أوس وابي عبادة البحتري وشعر ابي الطيب المتنبي ، فحفظت هذه الدواوين الثلاثة وكنت اكرر عليها بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني و صار الادمان لي خلقاً وطبعاً (١) . وقال : » ولقد تصفحت الأشعار قديمها وحديثها وحفظت ماحفظت منها، وكنت اذا مررت بنظري في ديوان من الدواوين ويلوح لي فيه مثل هذه الالفاظ أجد لها نشوة كنشوة الخمر وطربا كطرب الالحان ، وكثير من الناظمين والناثرين يمر على ذلك ولايتفطن له سوى أنه يستحسنه من غير نظر فيما نظرت أنا فيه ، ويظنه كغيره من الالفاظ المستحسنة » (٢) .

كانت ثقافة ابن الاثير واسعة ، وكان يدعو الى التشبث بكل فن والنظر في كل علم،وارصاد السمع لمحاورات الناس وتتبع اقوالهم . وقد استفاد من ذلك « فوائد كثيرة حتى من اكار وفلاح اعجمي من الاعجام الاغتام ومن يجري مجراهم »(٣)، واطلع على« ماتقوله النادبة في المآتم، وما تقوله الماشطة عند جلوة العروس ، ومايقوله المنادي في السوق على السلعة »(٤). وقرأ كتب البيان كلها ، فما من تأليف فيه الا وقد تصفح شينه وسينه وعلم غثه وسمينه (٥). وكان الى جانب ذلك ملما ببعض اللغات الاعجمية كاالفارسية والسريانية والرومية (٦) ، ولاعجب في ذلك فقد كان مثقفاً ثقافة رفيعة ، وكان عصره ملتقى للحضارات والامم ، وكان وزيرا يفرض عليه منصبه معرفة غير العربية ليدير الامور .

---

(١) الجامع الكبير هص٣

(٢) الوشي المرقوم ص١٠

(٣) المثل السائر ج١ ص٥٠

(٤) الوشي المرقوم ص٤

(٥) الوشي المرقوم ص٣

(٦) المثل السائر ج١ ص٣

(٧) المثل السائر ج١ ص٣٦، ٣٨، وج٢ص ٢١٥، ٢٨١

وقد هيأت هذه الثقافة الواسعة السبل لابن الأثير فتسنم أعلى المناصب والرتب واصبح كاتباً لأنشاء صلاح الدين الأيوبي ووزيرا لابنه الملك الأفضل . وكان كاتب الأنشاء أو الوزير في ذلك العهد يحتاج إلى ان « «يكون ملماً بعلوم الأدب وهي : اللغة والنحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي ، آخذا من كل فن من فنون عصره بطرف حتى اذا وردت مسألة دينية او سياسية كان مستطيعا ان يخوض فيها وان يتحدث عنها » (١).

ولما كملت لضياء الدين « الادوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين — تغمده الله برحمته — في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين . وخمسمائة فوصله القاضي الفاضل بخدمة صلاح الدين في جمادي الآخرة من السنة » (٢) ولم يطل بقاؤه عند الملك صلاح الدين الأيوبي ، فقد طلبه ابنه الملك الأفضل نورالدين منه ، فخيّره السلطان بين الأقامة في خدمته أو الانتقال إلى ولده ، فاختار ضياء الدين الملك الأفضل وكان في ذلك العهد شابا فاستوزره وحسنت حاله عنده . ولما ذهب الأفضل إلى مصر دعاه ، ولم يطل مقام الملك هناك فقد استولى الملك العادل عمه على القاهرة وخرج الأفضل منها ثم لحق به وزيره ابن الأثير في سميساط ، واقام عنده مدة ثم فارقه في ذي القعدة من سنة سبع وستمائة للهجرة ، واتصل بخدمة الملك الظاهر غازي صاحب حلب ، وسافر إلى سنجار ثم عاد إلى الموصل واتخذها مقامه وتولى دار الأنشاء لصاحبها ناصر الدين محمود بن الملك القاهر عزالدين مسعود بن نور الدين ارسلان شاه وذلك في سنة ثماني عشرة وستمائة . وفي هذه الاثناء حاول ابن خلكان ان يجتمع به ولكنه لم يستطع ، قال : « ولقد ترددت إلى الموصل من اربل اكثر من عشر مرات وهو مقيم بها ، وكنت اودّ الاجتماع به لآخذ عنه شيئا ولما كان بينه وبين الوالد — رحمه الله تعالى — من المودة الأكيدة، فلم يتفق ذلك . ثم فارقت بلاد

---

(١) الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية ص٣٣٩

(٢) وفيات الاعيان جـ٥ ص٢٥

المشرق وانتقلت إلى الشام واقمت بها مقدار عشر سنين ، ثم انتقلت إلى الديار المصرية وهو في قيد الحياة ، ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وانا بالقاهرة » (١)

وظل ضياء الدين في ديوان انشاء صاحب الموصل وكان يرسله إلى بغداد ليمثله في دار الخلافة العباسية ، وفي احدى الجماديين سنة سبع وثلاثين وستمائة مات ببغداد وقد توجه اليها رسولا من ناصر الدين وصلي عليه بجامع القصر ودفن بمقابر قريش في الجانب الغربي بمشهد موسى بن جعفر — رضي الله عنهما — (٢) . وقيل انه توفي في شهر ربيع الآخر من السنة نفسها ، قال الأتابكي : « وتوفي الصاحب ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد المعروف بابن الأثير الشيباني الجزري مؤلف كتاب « المثل السائر » في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة وله نحو من ثمانين سنة (٣) . ويؤيد ذلك ما جاء في تاريخ بغداد لأبي عبدالله محمد بن النجار البغدادي ، وقد علق ابن خلكان على ذلك بقوله: «وهو أخبر لأنه صاحب هذا الفن ، وقد مات عندهم » (٤) .

مات ضياء الدين بعد أن خلف ثروة أدبية كبيرة عكف على تأليفها في المرحلة الأخيرة من حياته أي بعد أن القى عصاه واستقر به النوى في الموصل، فهو في أول حياته كان طالب علم ، وفي المرحلة الثانية كان وزيراً ومطارداً، ولم يركن إلى الراحة الا بعد أن عاد إلى مرتع صباه ووجد الدعة والأطمئنان.

ومعظم كتب ضياء الدين في البلاغة وفن الكتابة ، ولا غرابة في ذلك فقد كانت الكتابة السبيل المفضية إلى ديوان الأنشاء والوزارة ، وقد وصل إلى ذلك بفضل ثقافته واسلوبه وتحدّى الأعلام بكتبه وآرائه ، مما دفع بعضهم إلى الرّد عليه ووصفه بالغرور . وقد قسم الدكتور محمد زغلول سلام كتب ضياء الدين ثلاثة أقسام : المختارات ، والبلاغة وصناعة الأنشاء،

---

(١) وفيات الاعيان ج٥ ص٢٦

(٢) وفيات الاعيان ج٥ ص٣٢

(٣) النجوم الزاهرة ج٦ ص٣١٨

(٤) وفيات الاعيان ج٥ ص٣٢

والمعارف العامة (١) . وهو تقسيم جيد ، ولكن معظم كتب ابن الأثير غير مطبوعة او مفقودة ولذلك فالكلام عليها في إطار هذا التصنيف لايكون دقيقاً كدقة الحديث عنها مطبوعة ومخطوطة ومنسوبة ، ولعل في تقديم الأهم منها ما يحقق الهدف ويخدم الغاية التي من اجلها كان البحث عن كتب ضياء الدين وصدى عصره وحياته فيها .

ألفّ ضياء الدين بن الاثير كتباً كثيرة في البلاغة والادب وصناعة الانشاء وكأنه اراد ان يكمل جهود ابناء الاثير في التأليف وان يكون لعلوم الدين والدنيا نصيب كبير من تلك الجهود .

ومعظم آثاره مخطوطة ولم يطبع منها الا القليل ، وسيكون الكلام على المطبوع اولا ثم يتبع ذلك المخطوط والمنسوب اليه .

١ ــ المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر :

هذا الكتاب اهم كتب ضياء الدين وأنفعها ، وقد قال عنه ابن خلكان: « ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله كتابه الذي سماه: « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» وهو في مجلدين جمع فيه فأوعى ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلاّ ذكره»(٢)، وقال القفطي: « كتاب جميل في صناعة البيان وغير ذلك» (٣)، وقال السيوطي: «وقد اشتهر وكتب الناس عليه» (٤) .

يبدأ الكتاب بقول ابن الاثير : «نسأل الله ربنا ان يبلغ بنا من الحمد ماهو اهله ، وأن يعلمنا من البيان مايقصر عنه مزية الفضل واصله ، وحكمة الخطاب وفصله ، ونرغب اليه أن يوفقنا للصلاة على نبينا ومولانا محمد رسوله الذي هو أفصح من نطق بالضاد ونسخ هديه شريعة كل هاد ، وعلى آله وصحبه الذين منهم من سبق وبدر ، ومنهم من صابر وصبر ، ومنهم

(١) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص٦٥، وضياء الدين بن الاثير ص٣٩
(٢) وفيات الاعيان جـ٥ ص٢٧
(٣) إنباه الرواة جـ٣ ص٢٦٠
(٤) بغية الوعاة جـ٢ ص٣١٥

من آوى ونصر» (١) . وقد بناه صاحبه على مقدمة ومقالتين ، فالمقدمة تشتمل على اصول علم البيان ، والمقالتان تشتملان على فروعه . والاولى هي الصناعة اللفظية وفيها تحدث عن اللفظة المفردة ، والالفاظ المركبة ، والسجع ، والتصريع ، ولزوم مالا يلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها ، والمعاظلة اللفظية ، والمنافرة بين الالفاظ في السبك . والمقالة الثانية في الصناعة المعنوية وفيها بحث أهم موضوعات البلاغة كالاستعارة والتشبيه ، والالتفات والتقديم والتأخير ، والايجاز والاطناب ، والكناية والتعريض ، والتضمين ، والتوشيح ، والسرقات .

وكان الدافع إلى تأليفه «المثل السائر» مارآه من خبط القدماء في فنون البيان واهمالهم الكثير منها ورغبته في ان يضيف اليهم مافاتهم ويستدرك مانـدّ عنهم في مؤلفاتهم . وقد اوضح بعض ذلك في قوله : «وبعد فان علم البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة اصول الفقه للاحكام وأدلة الاحكام ، وقد الف الناس فيه كتباً وجلبوا ذهباً وحطباً وما من تأليف الا وقد تصفحت شينه وسينه وعلمت غثه وسمينه فلم اجد ماينتفع به في ذلك الا كتاب «الموازنة» لابي القاسم الحسن بن بشر الآمدي وكتاب «سر الفصاحة» لابي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي ، غير ان كتاب «الموازنة» اجمع اصولاً وأجدى محصولاً ، وكتاب «سر الفصاحة» وان نبّه فيه على نكت منيرة — فإنه قد أكثر مما قلل به مقدار كتابه من ذكر الاصوات والحروف والكلام عليها ، ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها مما لاحاجة إلى اكثره ، ومن الكلام في مواضع شذّ عنه الصواب فيها ، وسيرد بيان ذلك كله في مواضع من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . على أن كلا الكتابين قد اهملا من هذا العلم أبواباً ، ولربما ذكرا في بعض المواضع قشوراً وتركا لباباً . وكنت عثرت على ضروب كثيرة منه في غضون القرآن الكريم ، ولم أجد احداً ممن تقدمني تعرض لذكر شئ منها ، وهي اذا عدّت كانت في هذا العلم

---

(٤) المثل السائر جا ص٣

بمقدار شطره ، واذا نظر إلى فوائدها وجدت محتوية عليه بأسره . وقد اوردتها ههنا وشفعتها بضروب أخر مدوّنة في الكتب المتقدمة بعد ان حذفت منها ماحذفته واضفت اليها مااضفته ، وهداني الله لابتداع اشياء لم تكن من قبلي مبتدعة ، ومنحني درجة الاجتهاد التي لاتكون اقوالها تابعة وانما هي متبعة ،وكل ذلك يظهر عند الوقوف على كتابي هذا وعلى غيره من الكتب»(١).

وقد ألفه بعد عام ٦١٨هـ وانتهى منه عام ٦٢٢هـ ، ودليل ذلك ماجاء فيه من رسالة كتبها لناصر الدين صاحب الموصل ، الذي اتصل به سنة ٦١٨هـ ، يضاف إلى ذلك ان الجزء الاول منه المحفوظ بدار الكتب المصرية قد انتهى من كتابته يوم السبت سنة ٦٢٢هـ وفي اوله اجازة بخط المؤلف كتبها بالموصل في شهر شعبان من العام نفسه ، أجاز بها الشيخ عضد الدين أبا محمد مظفر بن محمد بن علي بن جعفر بن زهير .

وقد احدث « المثل السائر» دوياً في عصره والعصور التالية ، فما ان انتهى مؤلفه منه حتى انتشر ووصلت نسخ منه إلى بغداد وتصدى له ابن أبي الحديد وألف كتاباً في الرد عليه سنة ٦٣٣هـ سماه «الفلك الدائر على المثل السائر» ، وانتقده في كتابه «شرح نهج البلاغة» أيضاً (٢) .

وصنف ابو القاسم محمود بن الحسين الركن السنجاري المتوفى سنة ٦٤٠هـ كتاباً ردّ فيه على ابن أبي الحديد وسماه «نشر المثل السائر وطي الفلك الدائر» ، وألف عبد العزيز بن عيسى كتاباً سماه «قطع الدابر على الفلك الدائر» (٣). وصنف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ كتاباً سماه « نصرة الثائر على المثل السائر».

واختصر «المثل السائر» بعض الافاضل ، وفي دار الكتب المصرية نسخة من ذلك المختصر برقم(٣٢٠)أدب، واختصره ابن العسال أيضاً (٤)

---

(١) المثل السائر ج١ ص٣ - ٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج١ ص٤٤١

(٣) كشف الظنون ج٢ ص١٥٨٦

(٤) (٣) عروس الافراح ج١ ص٣٠

وطبع «المثل السائر» عدة طبعات هي :

١. طبعة بولاق سنة ١٢٨٢هـ بتصحيح الشيخ محمد الصباغ

٢.طبعة بيروت عام ١٢٩٨هـ.

٣.طبعة القاهرة عام ١٣٢١هـ.

٤.طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد بالقاهرة سنة ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م.

٥–طبعة الدكتورين احمد الحوفي وبدوي طبانة بالقاهرة سنة ١٢٧٩هـ– ١٩٥٩م

وقد ضم الجزء الرابع من هذه الطبعة كتاب «الفلك الدائر على المثل السائر» لابن ابي الحديد. وللكتاب نسخ كثيرة منها:

١ – نسخة دار الكتب المصرية (الجزء الأول) وهي مخطوطة بقلم معتاد بخط ابي المكارم ابن منصور الباوشناي الموصلي وقد فرغ منها في يوم السبت الحادي والعشرين من شهر جمادي الأولى سنة ٦٢٢ هـ ، وفي أول الجزء اجازة بخط المؤلف كتبها بالموصل في شهر شعبان سنة ٦٢٢ هـ ، اجازبها الشيخ عضد الدين ابا محمد مظفر بن محمد ابن جعفر بن زهير الدمشقي . وهذه النسخة برقم (٥٤٤) أدب .

٢ – نسخة اخرى بدار الكتب المصرية وهي بخط معتاد ، ورقمها في الدار (٢٩) مجاميع .

٣ – نسخة الشيخ أحمد محمد شاكر وقد كتبت في نهار الأربعاء الموافق اليوم الخامس والعشرين من شهر جمادي الثانية عام ١٠٩٣ هـ ، وكاتبها محيي الدين بن ناصر الدين الصفوري ، وقد نقلها عن نسخة كتبها أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد ابن علي بن مهران القويسني وفرغ من كتابتها في مستهل جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين وستمائة .قال الصفوري عنها : « وهي نسخة صحيحة – رحم الله مؤلفها وكاتبها رحمة واسعة – وهي على هذا التاريخ مكتوبة قبل موت المؤلف بعشر سنين او مايقرب منها » ثم كتب على حاشية آخر ورقة : « بلغ مقابلة على اصله الذي كتب منه والله الموفق » . وفي دار الكتب المصرية نسخة منها .

٤ – وهناك نسخ اخرى في فينا و المتحف البريطاني وباريس والاسكوربال

وكوبرلي وآيا صوفيا وباتنة وبني جامع أحمد خان وبنكيبور ونور عثمانية وطوبة بوسراي ولاله لي ودمشق والموصل (١) .

٢ – الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور :

ومن كتب ضياء الدين المتصلة بالبلاغة والنقد وفن الكتابة والأنشاء كتاب « الجامع الكبير » وقد سماه الحاج خليفة « الجامع الكبير في علم البيان» ونسبه إلى ابن الأثير علي بن محمد صاحب « الكامل في التاريخ » (٢) . وليس الأمر كذلك ، وقد نبه جرجي زيدان إلى ذلك فقال : « نسبة صاحب كشف الظنون إلى ابن الأثير صاحب الكامل أخي ضياء الدين خطأ » (٣) وهذه النسبة قديمة فالسبكي نسبه إلى أخي ضياء الدين ، قال : « والمثل السائر للصاحب ضياء الدين نصر الله بن الأثير والجامع الكبير لاخيه » (٤) ، وقال : « وذكره ابن الأثير في المثل السائر واخوه في الجامع (٥) ، وقال القلقشندي : « والجامع الكبير لابن الأثير الجزري » (٦). وهذه الأشارات القديمة تبعث الشك في نسبة الكتاب إلى ضياء الدين ، فالسبكي نسبه إلى أخيه ولم يعينه ، والقلقشندي نسبه إلى أحد ابناء الأثير ، ولكن ذلك كله لايسلب ضياء الدين حقه في كتابه فكل مافيه يشير إلى أنه من آثاره لاشتهاره في فن البيان ولقرب « الجامع الكبير» من « المثل السائر» في منهجه وموضوعاته . يضاء إلى ذلك ان الثقة ابن قيم الجوزية نقل عنه كثيرا ونسبه إلى ضياء الدين فقال وهو يتحدث عن مصادره : « وكتاب المثل السائر لابن الأثير وكتاب الجامع الكبير لابن الأثير ايضا » (٧) . وهذا تأكيد لنسبته وإن لم يذكر في الكتب التي ترجمت لضياء الدين قديما . وكلمة « ايضا» في عبارة ابن

(١) تاريخ الادب العربي ج٥ ص٢٧٣
(٢) كشف العظنون ج١ ص٥٧١
(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ج٣ ص٥١
(٤) عروس الافراح ج١ ص٣٠
(٥) عروش الافرح ح١ ص٩١
(٦) صبح الاعشى ج١ ص٤٦٩
(٧) الفوائد ص ٨

قيم الجوزية لا تدع مجالا للشك في ان الكتابين اللذين ذكرهما لمؤلف واحد سماه « ابن الأثير » وهو ضياء الدين . وقد نسبه بروكلمان اليه وذكر مخطوطاته (١) ، ونسبه اليه الزركلي ايضا (٢) ولكن كلام ابن قيم يقطع الشك ويرجع الكتاب إلى صاحبه الذي اشتهر بالادب والبلاغة والنقد .

بدأ ابن الاثير كتابه بقوله : « « الحمد لله مبدىء النعم أولا وآخرا ، مسدي الولاء باطنا وظاهراً ، الذي فطر الأنسان بحكمته ولطفه وركب فيه آلة النطق فبلغ به كمال وصفه» (٣) ثم تحدث عن علم البيان وما الّف فيه ، وهو كلام قريب مما ذكره في مقدمة « المثل السائر » وجعله على قطبين : الأول في الأشياء العامة ، والثاني في الأشياء الخاصة . وقسم القطب الاول إلى فنين : الأول فيما يجب على مؤلف الكلام الابتداء به ، والثاني في الكلام على الألفاظ والمعاني وتفضيل الكلام المنثور على المنظوم . والقطب الثاني في الفصاحة والبلاغة واصناف علم البيان وأقسامها ، وقد تحدث عن الصناعة المعنوية قبل الصناعة اللفظية ، وفي ذلك اختلف عن منهج « المثل السائر » الذي كانت الصناعة اللفظية فيه قبل المعنوية .

والدافع إلى تأليف هذا الكتاب هو ان ابن الأثير تصفح آيات القرآن الكريم واستخرج منه بعد الكشف عن سره المكنون ثلاثين ضربا من علم البيان لم يأت بها أحد من العلماء الذين سبقوه . وكان ما ظفر به أصل فن البيان وعمدته وزبدته ، قال : « فحيث احرزت هذه الفضيلة وحصلت عندي هذه العقيلة ، أحببت ان افرد لها كتابا وافصلها فيه اقساما وأبوابا ليكون مقصورا على شوارد هذا العلم وغرائبه ورموزه الخفية وعجائبه ، وليجعله مؤلف الكلام رأس بضاعته ،ويعلم به مواقع الصواب في صناعته»(٤).

---

(١) تاريخ الادب العربي ج٥ ص٢٧٣
(٢) الاعلام ج٨ ص٣١
(٣) الجامع الكبير ص٣ .
(٤) الجامع الكبير ص٣

ونسخ الجامع الكبير هي

١ — نسخة دار الكتب المصرية وقد كتبت سنة ١٣١٤ ﻫ وهي برقم (٢٧٠) بلاغة و (٣٠٠٦٤) عمومية . وفي صدرها « كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنشور ، تأليف الشيخ الامام العالم العلامة لسان الأدب وترجمان العرب ابي الفتح نصر اللهّ بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الجزري الشهير بابن الأثير — رحمه الله تعالى — وعفا عنه » وعدد اوراقها (١٦٥) ورقة ، وخطها واضح . وقد جاء في آخرها : « تمّ الكتاب بمنّه تعالى . وكان الفراغ من تحريره نهار الثلاثاء عشرين من شهر شوال سنة الف وثلثمائة واربعة عشر هجرية . على نبينا افضل الصلاة والسلام وازكى التحية . ونقل هذا الكتاب على ذمة الكتبخانة الخديوية بخط الفقير الحقير محمود صالح — غفر الله له ولوالديه وللمسلمين والحمد لله رب العالمين آمين».

ومنها نسخة مصورة محفوظة في المجمع العلمي العراقي ونسخة أخرى في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب (جامعة بغداد).

٢ — نسخة ثانية بدار الكتب المصرية كتبت سنة ١٢٠٥ﻫ ، وهي برقم (١٦٦) مجاميع .

٣ — قطعة من نسخة في مكتبة المرحوم محمد محيي الدين عبد الحميد (١).

٤ — نسخ اخرى ذكرها بروكمان في برلين واسعد أفندي وينكيبور(٢).

وقد عهد المجمع العلمي العراقي الى الدكتورين جميل سعيد ومصطفى جواد بتحقيق الكتاب فأخرجاه عام ١٣٧٥ﻫ — ١٩٥٦م في مطبوعات المجمع .

٣ — الاستدراك :

ذكره اسماعيل البغدادي (٣) وسماه «الاستدراكات» وذكره بروكلمان وهو يتحدث عن المتنبي وقال : «والف ضياء الدين بن الاثير

(١) المثل السائر ج١ ص(ية)

(٢) تاريخ الادب العربي ج٥ ص٢٧٣

(٣) هدية العارفين ج٢ ص٤٩٣

المتوفى سنة ٦٣٧هـ — ١٢٣٩م» «الاستدراك» في الأخذ على المعاني الكندية من المعاني الطائية» وهو نقد لكتاب ألفه أبو محمد سعيد بن المبارك الدهان المتوفى سنة ٥٦٩هـ — ١١٧٣م في سرقات المتنبي من ابي تمام «(١). وذكره عند كلامه على ابن الدهان وكتابه قال : «وعليه كتاب الاستدراك في الأخذ على الآخذ الكندية لنصر الله بن محمد بن الاثير ابي الفتح »(٢)وذكره في كتب ضياء الدين أيضاً (٣) .

فالاستدراك صحيح النسبة وهو من كتب النقد المهمة وقد جمع فيه ابن الاثير بحثين :

الاول : مؤاخذاته لابن الدهان على مؤاخذاته للمتنبي .

الثاني : استدراكه على مافات ابن الدهان من مأخذ المتنبي .

ويبدو أن ضياء الدين بعد ان حقق في كتابيه «الجامع الكبير» و«المثل السائر» وجال جولات رائعة في علم البيان ، اراد ان يضع كتابا يطبق فيه نظرياته وآراءه ... التي بثها في كتابيه السابقين ، فألف «الاستدراك» الذي كان جديداً في منهجه وآرائه . واذا كان «المثل السائر» عمدة آرائه في النقد والبلاغة فان كتاب «الاستدراك» الصورة العلمية التي تكشف عن منهجه في النقد وتطبيق آرائه التي شرعها وأرسى اصولها .

ومقدمة هذا الكتاب هي أهم مافيه ، فقد تكلم فيها على الشعر ونقده والمفاضلة بين الشعراء ، والسرقات الادبية ، وموقف اللغويين والنحاة من الشعر ونقده ، ونقد شرح حماسة ابي تمام ، ووازن بين الامثلة الشعرية . والمقدمة بعد ذلك كله تعد دستورا للنقد أتى فيها ابن الاثير باشياء جدير بان تقيد وتحفظ وتتبع ،ولم يكن مقلدا فيما كتب وانما مجددا وناقدا ثائرا . الف ابن الاثير كتاب « الاستدراك «بعد» المثل السائر» وقد ذكر ذلك فقال

(١) تاريخ الادب العربي ج٢ ص٨٥
(٢) تاريخ الادب العربي ج٥ ص١٧٠
(٣) تاريخ الادب العربي ج٥ ص٢٧٤

وهو ينقد بعض الابيات : «والكلام في مثل هذا الموضع طويل عريض ، ولو اخذت في استقصائه لاتسع المجال ، لكنه يوجد في كتابي الموسوم بالمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، فانه موضوع لبيان اسرار الالفاظ والمعاني وتفصيل اقسامهما » (١) .

ونسخ الكتاب هي :

١ – نسخة خطية قديمة بالمكتبة الخالدية في دمشق في ١٤٠ ورقة

٢ – نسخة خطية منسوخة عن السابقة ، وهي محفوظة في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية وقد تمت كتابته في ١٣ مارس سنة ١٩١٨م الموافق الثالث من جمادي الاولى سنة ١٣٣٦هـ . وهي بخط محمد أمين الانصارى في ٢٠٧صفحة .

٣ – نسخة مصورة عن نسخة الشيخ عبد القادر المغربي ومحفوظة بدار الكتب المصرية (٢) .

٤ – نسخة محفوظة ،في مكتبة كوبرلي برقم (١٢٠٤) (٣)

والكتاب مطبوع سنة ١٩٥٨ بأسم «الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائفية » وقد حققه الدكتور حفني محمد شرف وصدّره بتقديم تحدث فيه عن الكتاب وعرض اهم مافيه من آراء نقدية .

٤ – الوشي المرقوم في حل المنظوم:

قال ابن خلكان وهو يتحدث عن ضياء الدين: «وله كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم ، وهو مع وجازته في غاية الحسن والافادة ». (٤)

---

(١) الاستدراك ص١٨

(٢) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص٧٠ ،ومقدمة الاستدراك ص٣٢

(٣) تاريخ الادب العربي جـ٢ ص٨٥ ، جـ٥ ص١٧٠ .

(٤) وفيات الاعيان جـ٥ ص٢٧، وينظر بغية الوعاة جـ٢ ص٣١٥ ،وكشف الظنون جـ٢ ص٢٠١٢ وهدية العارفين جـ٢ ص٤٨٣

بدأه مؤلفه بقوله: «احمد الله على فضيلة النطق وبيانه» وبناه على مقدمة وثلاثة فصول: الاول في حل الشعر، والثاني في حل آيات القرآن الكريم، والثالث في حل الاخبار النبوية.

وذكر في المقدمة ان الكاتب يحتاج الى التشبث بكل فن، والنظر في كل علم، وارصاد السمع لمحاورات الناس، وانتهى الى ان الكاتب يحتاج الى ثلاثة اشياء:

الأول: حفظ القرآن الكريم

الثاني: حفظ ماينبغي له حفظه من الاخبار النبوية

الثالث: حفظ الاشعار الكثيرة

وغرضه من الكتاب هدف تعليمي قال: «لانه كتاب تعليم وتمثيل لاكتاب تكثير وتطويل» . (١) وقد كان الكتاب في عصره يؤمنون بان القرآن الكريم والشعر البليغ هما الينبوعان اللذان يستقون منهما معانيهم، ولذلك عكفوا عليهما وعلى الحديث الشريف وافادوا من ذلك فائدة عظيمة تجلت في كتاباتهم ورسائلهم في الاغراض المختلفة.

وفي تاريخ تأليفه حيرة فمؤلفه يقول فيه: «ولما الفت كتاب المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، قصرت فصلا منه على ذكر هذه الطريق» (٢). وقال في موضع اخر: «وهذا المعنى قد ذكرته بلفظ آخر، واوردته في كتاب المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، وهو مأخوذ من الاخبار النبوية » (٣) . وقال في المثل السائر: «وقد بسطت القول في هذا الموضع وكشفت عن دفائنه في الكتاب الذي وسمته بالوشي المرقوم في حل المنظوم، وهو كتاب مفرد في هذا الفن خاصة» (٤). وقال: «وهذا المعنى المشار اليه في وصف القلم

(١) الوشي المرقوم ص٣١

(٢) الوشي المرقوم ص٤

(٣) الوشي المرقوم ص١٠٧

(٤) المثل السائر ج١ص ١٠٦ – ١٠٧

اوردته بعبارة اخرى ونبهت عليه في كتاب «الوشي المرقوم في حل المنظوم». وهذا كتاب الفته في صناعة حل الشعر وغيره» (١).

والتوفيق بين ذلك قد يكون ظنا، وهو ان ابن الاثير كان يؤلف الكتابين في وقت واحد، وكان يحيل في كل واحد منهما الى الاخر حينما يتعرض للمسائل المتشابهة ولاسيما حل المنظوم. ولكن مافي «المثل السائر» من نضج يدل على انه ألف بعد «الوشي المرقوم» ويغلب الظن انه كتب بعد سنة ٦٠٠هـ بدليل ماجاء فيه: «وكنت سافرت الى بلاد الروم في سنة ستمائة» (٢) وانه انتهى منه قبل سنة ٦٢٢هـ، وهي السنة التي يظن انها كانت زمن الانتهاء من «المثل السائر».

ونسخ الكتاب هي:

١ ـ نسخة دار الكتب المصرية، وهي بقلم معتاد تمت كتابة ومقابلة في اليوم الخامس عشر من شهر محرم سنة ١٠٠٦هـ، وهي برقم (١٣٢) أدب.

٢ ـ نسخة مصورة محفوظة بمكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب (جامعة بغداد) وقد جاء في آخرها: «نجز كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم، ووافق فراغه بكرة السبت ثالث ذي الحجة من سنة احدى وخمسين وستمائة هجرية والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين وسلم كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل» وفي هامش الورقة الاخيرة هذه العبارة: «بلغ مقابلته بنسخة عليها خط المصنف ـ رحمه الله ـ وصحح بقدر الامكان في ربيع الاول سنة تسع وخمسين وستمائة، والحمد لله وصلواته على محمد وآله الطاهرين». وهذه هي نسخة التيمورية (٤٦٣) أدب وفي معهد أحياء المخطوطات العربية وفي المجمع العلمي العراقي مصورة منها.

٣ ـ نسخة مكتبة نور عثمانية وهي في ٧٥ ورقة وقد كتبت سنة ٦٣٤هـ بخط نسخ نفيس مشكول نقلا عن نسخة قوبلت باصل المصنف. وفي معهد أحياء المخطوطات العربية مصورة منها.

---

(١) المثل السائر جـ١ ص٣٣٣

(٢) الوشي المرقوم ص٧٢

٤ ـ وذكر بروكلمان والاستاذ ميخائيل عواد نسخا كثيرة لهذا الكتاب منها في برلين وباريس والاسكندرية وعاشر افندي وحسين جلبي والموصل ودبلن والمكتبة الازهرية (١).

وطبع «الوشي المرقوم» في القاهرة سنة ١٢٩٨هـ (٢)، ولكن المعروف انه طبع في بيروت في ذلك العام بمطبعة ثمرات الفنون في ٢١٢ صفحة من الحجم المتوسط.

٥ ـ ديوان ترسله:

لضياء الدين ديوان ترسل، وهي مجموعة كتبه ورسائله التي كتبها حينما كان كاتبا لديوان الانشاء ووزيرا. قال ابن خلكان: «وله ايضا ديوان ترسل في عدة مجلدات، والمختار منه مجلد واحد» (٣). وسماه السيوطي: «ديوان رسائل» (٤).

وقد بقي كثير من هذه الرسائل والكتب مفرقاً في كتبه ولا سيما «المثل السائر» و« الوشي المرقوم» وفي مجموعة رسائله التي عثر عليها، وفي المصادر الاخرى.

ولهذه الرسائل اهمية كبرى، فهي تصور حياة ابن الاثير تصويراً صادقاً، وتصور البيئة والعصر في حياته. ومن هذه الرسائل ماصور الحروب الصليبية وحروب صلاح الدين معهم، ومنها ماصور الحياة السياسية والاجتماعية في ذلك العهد.

وعلى الرغم من ضياع كثير من تلك الرسائل والتقاليد فقد عثر على الجزء الثاني من ديوان ترسل ضياء الدين. وهذا الجزء في خزانة مخطوطات الجامعة الامريكية ببيروت وهو في ٢٣٠ صفحة، وفي ذيل خاتمته هذه

---

(١) تاريخ الادب العربي ج٥ص٢٧٢، ومخطوطات المجمع العلمي العراقي ج٢ص٢٤٨، وفهرس المخطوطات المصورة ج١ ص٥٤٦.

(٢) تاريخ الادب العربي ج٥ ص٢٧٢

(٣) وفيات الاعيان ج٥ ص٢٨، وينظر هدية العارفين ج٢ص٤٩٣

(٤) بغية الوعاة ج٢ص٣١٥

العبارة: «كتاب كتبه الى بعض غلمانه وقد ارسل على يده كتابا فغرق في الفرات. والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه».

قال الاستاذ حبيب زيات: «يظهر ان هذه الكتابة هي عنوان اولى رسائل الجزء الثالث فيكون الموجود من هذا الديوان الثاني فقط، ولا يعرف أيّ خزانة أم أي ارض اشتملت على الجزئين الاول والثالث» (١) وفي الورقة الاخيرة من الكتاب: «تم الجزء الثاني من ترسل المولى الصاحب ضياء الدين —رحمه الله— بتاريخ غرة صفر من سنة ست وخمسين وستمائة».

واطلع الاستاذ انيس المقدسي على هذا الجزء وفتش عن نسخة ثانية او عن مجموعة اخرى من رسائل ضياء الدين، ولما اعياه التفتيش اعلن عن مسعاه في مجلة المجمع العلمي العربي بمقال وصف فيه مخطوطة الجامعة الامريكية، ورجا ممن يعرف شيئاً عن رسائل ابن الاثير ان يتكرم عليه بما لديه. وسرعان ما اخبره الدكتور صلاح الدين المنجد ان في مكتبة احمد الثالث باستانبول نسخة من رسائل ابن الاثير، وان في معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة مصورة عنها في ١٧٢ ورقة وقد كتبت سنة ٦٥٥هـ بقلم نسخ حسن (٢). وفي عام ١٩٥٩ اخرج الاستاذ المقدسي كتاباً سماه «رسائل ابن الاثير» عن نسخة احمد الثالث وتحدث في مقدمتها عن هذه المخطوطة التي جاء في صدرها: «ترسل المولى الوزير الصدر الكبير الصاحب الامام العالم الفاضل الكامل يتيم دهره وفريد عصره ضياء الدين بن محمد بن عبد الكريم بن الاثير الجزرى. وفي ختامها «نجزت رسائل الوزير الاوحد العالم الفاضل ضياء الدين المعروف بابن الاثير. وتمت في سحر يوم السبت الخامس من رمضان المبارك سنة خمس وخمسين وستمائة» ورجح الاستاذ المقدسي ان تكون هذه المخطوطة هي المجلد المختار الذي ذكره ابن خلكان وليست الجزء الاول الذي يكمل مخطوطة الجامعة الاميركية لتكرر بعض الرسائل في النسختين واختلاف الخطين.

---

(١) الخزانة الشرقية ج٣ص١٥٧

(٢) فهرس المخطوطات المصورة ج١ ص٤٧٤

ويشمل الجزء الذي طبعه المقدسي رسائل من الملوك والامراء والاعيان ورسائل في التهاني والتعازي والتقاليد والاخوانيات، وكان ابن الاثير قد كتبها في هذه الاغراض وغيرها ، وهي مائة وتسع وستون رسالة ، وهو عدد قليل اذا ماقورن بما ذكر عن رسائل ابن الاثير في المصادر القديمةوما نقل منها اوأشير اليها .

وذكر بروكلمان كتاباً باسم «ترسل الوزير الصدر الكبير » وقال ان له مخطوطة في طوبقبو سراى برقم (٢٦٣٠) (١) . وكان المرحوم الدكتور مصطفى جواد قد أخبرني في آذار عام ١٩٥٦ حينما كنت اعد رسالة عن ابن الاثير ان جزءاًمن ديوان ترسل الصاحب ضياء الدين كان في بيت الزهاوي ثم انتقل الى غيره . ولم يعرف مصير الديوان بعد ذلك الانتقال وقد عثر الدكتور نوري القيسي والاستاذ هلال ناجي على مجموعة من رسائل ابن الاثير واعداها للطبع وظهرت في مطبوعات «ندوة أبناء الاثير» في هذه الايام . ولابي السعادات المبارك أخي ضياء الدين ديوان رسائل (٢) وفي دار الكتب المصرية نسخة منها كتبت سنة ٦٠١هـ وهي في ١٧٧ورقة وبرقم (٢٠٤٠) أدب وقد جمعها شقيقه عز الدين أبو الحسن علي محمدبن عبد الكريم ورتبها على قسمين : الاول في التقليد والمناشير ، والثاني في المكتبات ، وفي اولها خط جامعها . وفي معهد احياء المخطوطات العربية نسخة منها (٣) .

هذه هي كتب ضياء الدين التي رأيتها مطبوعة ، أما كتبه الاخرى او الكتب المنسوبة اليه فهي :

٦ ــ الاخبار النبوية :

لضياء الدين كتاب «الاخبار النبوية» جمع فيه أكثر من ثلاثة آلاف خبر من الاخبار النبوية ، وهو خلاصة مايحتاج اليه الكاتب . قال : «وقد

---

(١) تاريخ الادب العربي جـ٥ص٢٧٤

(٢) وفيات الاعيان جـ٣ ص٢٨٩

(٣) فهرس المخطوطات المصورة جـ١ ص٤٧٣

اتعبت نفسي زماناً في ذلك حتى جمعت فيه كتاباً يشتمل على أكثر من ثلاثة الاف خبر من الاخبار النبوية كلها يحتاج اليه في أسباب الكتابة ، وكنت الزم مطالعة ذلك الكتاب لزوم المحتفل ، ولا ازال في مطالعته كالخال المرتحل حتى صار لدى منضودا وبلسان قلمي معقودا . وكذلك ينبغي للمترشح لهذه الصناعة «(١) . وقال عنه أيضاً :» وكنت جردت من الاخبار النبوية كتاباً اشتمل على ثلاثة آلاف خبر كلها تدخل في الاستعمال وما زلت اواظب على مطالعته مدة تزيد على عشر سنين فكنت أنهي مطالعته في كل اسبوع مرة حتى دار على ناظري وخاطري مايزيد على خمسمائة مرة وصار محفوظاً لايشذ عني منه شيء » (٢) .

٧ ــ الأمثال :

قال ضياء الدين عنه : «وكنت جردت من كتاب الامثال للميداني أوراقاً خفيفة تشتمل على الحسن من الامثال الذي يدخل في باب الاستعمال» (٣). ويبدو انه جرده لينظر فيه كما كان ينظر في الاخبار النبوية ، لتتمثل في خاطره وتظهر امام ناظره .

٨ ــ البديع :

قال الدكتور محمد زغلول سلام : «وهناك كتاب ثالث يظن انه له ، واسمه «البديع» منسوب إلى أخيه أبي السعادات مجد الدين ولم يعرف منه تأليف في البلاغة إذ كان ميدانه الحديث واللغة . واذا صحّت نسبة الكتاب إلى احد ابناء الاثير الجزري الثلاثة فهو بضياء الدين الصق . والكتاب صغير الحجم ويتكلم على ابواب من البديع مجردة في غالب الظن من المثل السائر او الجامع الكبير ، ويرجح انها من عمل بعض المتأخرين» (٤) ومن الكتاب نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٦١٥) بلاغة بخط حديث .

---

(١) الوشي المرقوم ص٥

(٢) المثل السائر جـ١ ص١٢٨

(٣) المثل السائر جـ١ص٢٣

(٤) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص٧٠ ــ ٧١

ولأبي السعادات مجد الدين كتاب اسمه «البديع في شرح الفصول في النحو لابن الدهان» (١) ولعله غير البديع » السابق .

٩ ـ البرهان في علم البيان:

ذكره البغدادي وبروكلمان وجرجي زيدان والزركلي ، وله مخطوطة في مكتبة برلين (٢) .

١٠ ـ تحفة العجائب وطرفة الغرائب:

قال الدكتور محمد زغلول سلام: «وهناك كتاب آخر يشك في نسبته أيضاً هو «تحفة العجائب وطرفة الغرائب» لم يشر اليه احد ممن ترجم له . وهو مجموعة من الشعر والنثر في مشاهد الكون المختلفة من سماء ونجوم وشمس وقمر وماء ونهر وشجر .

ويقع في جزئين كبيرين وهو من المجموعات الطريفة في موضوعها وخاصة لأنه سبق نهاية الارب للنويري . ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية (٤٩٩ جغرافية) عن الاصل المحفوظ بمكتبة كوبريللي تحت رقم (١٠٥٨) وذيلت بأنها تمت كتابته في اليوم العاشر من شهر جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة . وهذه النسخة منسوبة لضياء الدين ، وكذلك فعل صاحب كشف الظنون في نسبتها لابن الاثير الجزري وصححها ناشر الكتاب بانها لعز الدين شقيقه . وذكر كوركيس عواد ان هناك نسخة من الكتاب بجامعة برنستن بالولايات المتحدة منسوبة إلى عماد الدين بن الاثير الحلبي صاحب كنز البراعة. وذكر جرجي زيدان ان نسخة منه موجودة بالمكتبة العثمانية بحلب» (٣) .

---

(١) وفيات الاعيان ج٣ص٢٨٩

(٢) هدية العارفين ج٢ص٤٩٢، وتاريخ الادب العربي ج٥ص٢٧٣، وتاريخ آداب اللغة العربية ج٣ص٥١، وا ص٣١ .

(٣) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٦٧ وضياء الدين بن الاثير ص٥٠

١١ ــ الحماســة:

قال ابن الاثير وهو يتحدث عن الاختيارات: «وههنا مواضع اخرى في كتاب الحماسة منفية عن الاختيار تبلغ خمسمائة بيت وكنت عزمت على افرادها وتأليف كتاب لجمعها وان اتكلم عليها وابين نزولها عن درجة الشعر الذي تضمنته الحماسة، فان بقي عزمي هذا حالة ولم يعترضه كسل فسأمضيه إن شاء الله تعالى» (١) ولم تشر المصادر الى هذا الاختيار.

١٢ ــ رسالة في الازهار:

أشار بروكلمان الى رسالة باسم « الازهار» وذكر ان منها نسخا في باريس ومكتبة دحداح واسعد افندي(٢)واشار اليها جرجي زيدان ايضا(٣).

١٣ ــ رسالة في الضاد والظاء :

ذكرها اسماعيل البغدادي (٤) والحاج خليفة (٥) .

١٤ ــ رسالة في وصف مصر :

ذكرها البغدادي باسم « رسالة في اوصاف مصر » (٦) ، وكان ابن خلكان قد قال : « وله رسالة يصف فيها الديار المصرية وهي طويلة ، ومن جملتها فصل في صفة نيلها وقت زيادته ، وهو معنى بديع غريب لم أقف لغيره على اسلوبه » (٧) .

١٥ ــ السرقات الشعرية :

تكلم ابن الأثير على السرقات الشعرية بالتفصيل في كتابة « المثل السائر» وفي « الجامع الكبير » و « الأستدراك » ، والف كتابا فيها ، وقال إنه قسمها

---

(١) الاستدراك ص ٢٠

(٢) تاريخ الادب العربي جـ٥ ص٢٧٣

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية جـ٣ ص٥١ .

(٤) هدية العارفين جـ٢ ص٤٩٢

(٥) كشف الظنون جـ٢ ص٨٧٦

(٦) هدية العارفين جـ٢ ص٤٩٢ .

(٧) وفيات الأعيان ٣١/٥

فيه ثلاثة أقسام : النسخ والسلخ والمسخ ثم قال : « وههنا قسمان آخران أخللت بذكرهما في الكتاب الذي ألفته ، فأحدهما : أخذ المعنى مع الزيادة عليه ، والآخر عكس المعنى إلى ضده . وهذان القسمان ليسا بنسخ ولا سلخ ولا مسخ ، وكل قسم من هذه الأقسام يتنوع ويتفرع وتتخرج به القسمة إلى مسالك دقيقة، وقد استأنفت ما فاتني من ذلك في هذا الكتاب» (١) .

١٦ ــ العقــد :

قال الدكتور محمد زغلول سلام : « ويذكر ضياء الدين نفسه كتابا له اسمه العقد ، لم يوضح موضوعه » (٢) .

١٧ ــ عمود المعاني :

قال ضياء الدين وهو يتحدث عن المعاني : «وقد ألفت في ذلك كتابا سميته «عمود المعاني» وجعلته مقصورا على ضروب المعاني الموجودة في النظم والنثر ومافيها من الاعمدة المطروقة ومايخرج عنها من الشعب وهذا كتاب تعبت في تأليفه زمنا طويلا وأنا ضنين به» (٣) .

١٨ ــ القول الفائق :

قال الدكتور محمد زغلول سلام: «وينسب اليه كتاب بعنوان «القول الفائق الاديب بعتبى وليد وذكرى حبيب». وهو كتاب يجمع بين فنون مختلفة من شعر ابي تمام والبحتري. ومقدمته تعرض بصورة عامة للمفاضلة بين الشاعرين في ضروب الشعر المختلفة، وقد قسمها الى ثلاثين فصلا يتناول كل فصل منها موضوعاً فالفصل الاول في ذكر ماقالاه في الوقوف على الديار والثاني في ذكر ماقالاه في السلام على الديار، والثالث في ذكر ماقالاه في الدهر والازمان، والمتصفح للكتاب يلمس بوضوح انه ليس لضياء الدين، ويأتيه الدليل فيمن ينقل عنهم المؤلف من رجال القرن الثالث واوائل الرابع

(١) المثل السائر جـ٢ ص٣٦٦

(٢) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص٧٢

(٣) الاستدراك ص١١ – ١٢

الهجري، كما انه يبدو قريب الشبه في منهجه واسلوبه من كتاب الموازنة للآمدي، الا انه ليس مما هو مطبوع، ولعله جزء متمم له (١).

ومن الكتاب نسخة بجامعة استانبول في ٩٥ ورقة، وقد كتبت سنة ١٠١٣هـ، وفي معهد احياء المخطوطات العربية مصورة منها وجاء فيها انها لضياء الدين ، وان الكتاب يتضمن ماقاله ابو تمام والبحتري في فنون مختلفة ومعان مؤتلفة، وجعل له مقدمة رائعة في محاسن اخبارهما وطرائف اشعارهما. ورتبه على ثلاثين فصلا (٢).

١٩ – كتاب في الادعية :

قال ابن الاثير عنه : «وكنت الفت كتاباً في ذكر ادعية مخصوصة ضمنته مائة دعاء مما توضح في الكتب السلطانيات والاخوانيات وضمنت على نفسي ان اودع كل دعاء منها معنى آية من القرآن الكريم او خبر من الاخبار النبوية او معنى بيت سائر» (٣). وقال: «إني أنشأت مائة دعاء واودعت كلا منها معنى آية من القرآن، او خبر من الاخبار، أو معنى بيت سائر، وأفردت لتلك الادعية كتابا يخصها» (٤) .

٢٠ – كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب:

لم يذكره ابن الاثير في كتبه التي وصلت الينا وكانت اول اشارة لفتت النظر اليه ماجاء في كتاب «انوار الربيع في أنواع البديع» لابن معصوم المدني، فقد نقل منه عدة مرات ، ومن ذلك قوله: «قال نصر الله بن الاثير في كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب: يكره للشاعر ان يكون معجبا بنفسه مثنيا على شعره وان كان مجيدا الا ان يريد ترغيب ممدوح او ترهيبه، وقد جوز ذلك مسامحة (٥) وقوله: «قال ابن الاثير في المثل

---

(١) ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد ص٧٢

(٢) فهرس المخطوطات المصورة جا ص٥١١

(٣) الوشي المرقوم ص٧٠

(٤) الوشي المرقوم ص٩٧، وتنظر ص٦٩، ١١٢

(٥) انوار الربيع جا ص٣٨٣

السائر: ولا أعلم من أي شيء اشتقوا هذا الاسم ولا وجه للمناسبة بينه وبين مسماه، ولعلهم قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن» (١).
ثم قال: وكأن ابن الاثير ظهر له وجه المناسبة فيما بعد فقال في كفاية الطالب المطابقة هي عند الجمهور: الجمع بين المعنى وضده. ومعناها ان يتألف في اللفظ مايضاد في المعنى وكأن كل واحد منهما وافق الكلام فسمي طباقا(٢).
وقوله: «وعدّ منه ابن الاثير في كفاية الطالب، قول زهير:

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا   أصبت حليما او اصابك جاهلُ

قال: فان الحلم ليس بضد الجهل والخنا، وانما ضده السفه والطيش وضد الجهل العلم او المعرفة وما شاكلهما» (٣).

ويبدو من كلام ابن معصوم ان ابن الأثير الفّ «كفاية الطالب» بعد المثل السائر، ولذلك لم يشر اليه، مع أنه ذكر بعض كتبه فيه. وقد يكون «كفاية الطالب» اسبق من «المثل السائر» لما فيه من سهولة المأخذ والابتعاد عن المنهج الدقيق الذي التزم به ضياء الدين في «الجامع الكبير» و «المثل السائر» فقد قسم البيان إلى صناعة لفظية وصناعة معنوية وصنف الموضوعات تصنيفاً دقيقاً وفصّل القول وعلل وأبدى الرأي. وليس في الكفاية شيء من ذلك فهو أقرب إلى كتاب «البديع» لابن المعتز و «البديع في نقد الشعر» لاسامة بن منقذ. وقد بدأه بالكلام على البديع، وأدب الشاعر، واغراض الشعر، وفنون البلاغة المعروفة، وختمه بانواع من عيوب الشعر، وهي معظم الموضوعات التي عالجها في كتبه الأخرى مع الأختلاف في المنهج والتقسيم واضافة بعض الفنون.

وذكر الحاج خليفة كتابا باسم «تمثال الطالب» وقال انه لابن الأثير «الجزري ولم يعينه ولذلك وضع نقاطا بين «ابن الأثير و «الجزري» (٤)

---

(١) انوار الربيع ج٢ ص٣١
(٢) انوار الربيع ج٢ ص٣١ – ٣٢
(٣) انوار الربيع ج٢ ص٤٤
(٤) كشف الظنون ج١ ص٤٨٣

وقال الزركلي عن كفاية الطالب إنه « في ٩٨ ورقة رأيته في خزانة محمد سرور الصبان بجدة » (١) وقد حصل الدكتور نوري القيسي والدكتور حاتم الضامن والأستاذ هلال ناجي على هذه النسخة وبدأوا بتحقيقها ، وأصدروا الكتاب في مطبوعات « ندوة أبناء الأثير » في هذه الأيام .

وفي الصفحة الأولى من هذه المخطوطة عنوان الكتاب وهو : « كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب . تأليف الصاحب الصدر الفاضل أبي الفتح نصر الله بن محمد ابن عبدالكريم بن الأثير الجزري — رحمه الله تعالى — ». وأولها بعد البسملة : « رب أعن . الحمد لله العزيز الجبار ، والصلاة على سيدنا محمد النبي المختار ، وعلى آله ، ورضي الله عن اصحابه الأبرار ».. وخط النسخة جميل واضح مضبوط بالشكل ، وقد جاء في الورقة الأخيرة بخط مغاير إنها مكتوبة بخط يرقى إلى القرن السابع أي إلى عصر المؤلف .

وللكتاب مخطوطة اخرى في تونس ، قال الأستاذ عبد المجيد الشرفي وهو يتحدث عن الرسالة العسجدية : « يوجد نص الرسالة العسجدية في المعاني المؤيدية ، في المجموع عدد (٤٣٧٢) قسم ادب من فهارس مخطوطات الجامعة التونسية ، ويحتوي هذا المجموع أيضا على كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب المنسوب لابن الأثير » (٢) . وقال الشرفي ان صديقه الأستاذ الطيب العشاش حقق « كفاية الطالب » وانه اطلع على الكتاب محققا وكان ذلك قبل عام ١٩٧٦ .

٢١ — كنز البلاغة :

ذكره عمر رضا كحالة ونسبة إلى ضياء الدين (٣) وذكره السبكي ونسبة إلى ابن الاثير (٤)، ونسبه الحاج خليفة إلى عماد الدين اسماعيل بن

---

(١) الاعلام جـ٨ ص٣١

(٢) الرسالة العسجدية ص٧

(٣) معجم المؤلفين جـ١٣ ص٩٨

(٤) عروس الافراح جـ١ ص٨٢

الاثير الحلبي (١) وهو الصحيح وقد طبع تلخيصه باسم «جوهر الكنز» لنجم الديون احمد بن اسماعيل ابن الاثير الحلبي وقال في مقدمته: «وبعد فاني لما وقفت على الكتاب الذي الفه والدي الفقير إلى الله تعالى عماد الدين اسماعيل بن الفقير إلى الله تعالى تاج الدين أحمد بن الاثير الشافعي الحلبي — رحمهم الله تعالى — في علم الادب وضمنه من انواعه مالم يسبقه اليه اديب ولانحا نحوه في فنه الا ذو لب أريب وسماه كنز البراعة. وهذا الاسم موافق للمسمى فانه قد اجتمع فيه البلاغة والفصاحة ، ولقد وجدت فيه اسهابا على من يروم حفظه او يقيد لفظه فقصدت اختصاره رغبة في سهولة تناوله وقصدا لنظم شتات نوعه لمبتغيه ومحاوله »(٢).

فكتاب «كنز البلاغة» او «كنز البراعة» لابن الاثير الحلبي وليس لابن الاثير الجزري.

٢٢ ـ مؤنس الوحدة :

جمع فيه ضياء الدين اشعارا رائقة واخبارا فائقة في المدائح والاوصاف . وقد ذكر بروكلمان له نسخة في كوبرلي (٣) وفي دار الكتب المصريه مصورة منها برقم (٥٠٧٠) ادب وهي في ١٤٤ ورقة وقد كتبت في القرن السابع ، وفي معهد احياء المخطوطات العربية مصورة منها ايضا (٤) وقال الدكتور محمد زغلول سلام عن هذا الكتاب « والكتاب الثاني يشك في نسبته اليه وهو مؤنس الوحدة» مجموع يحوي طائفة من جيد الشعر لجماعة من الشعراء كالبحتري وابن الرومي وابي تمام وآخرين من شعراء القرنين الخامس والسادس. وهو مرتب حسب الموضوعات فيبدأ بالمديح ثم الهجاء،وقد اورد فيه كثيرا من شعر ابن الرومي. ووجّه عنايته إلى ما في تلك المختارات من تشبيهات، وهي في طابعها العام تمتاز بذوق رفيع ،

(١) كشف الظنون ج٢ ص١٥١٤

(٢) جوهر الكنز ص٢٧

(٣) تاريخ الادب العربي ج٥ ص٢٧٤

(٤) فهرس المخطوطات المصورة ج١ ص٥٣٩

فاذا صحت نسبة الكتاب اليه كان ذلك دليلا جديدا على ذوقه وحسن درايته وتمكنه في اصول البيان العربي وحذق بدقائق آياته »(١).

٢٣ ـ مجموعة شعرية :

ولضياء الدين مجموع اختار فيه شعر ابي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي، قال ابن خلكان :« وهو في مجلد واحد كبير وحفظه مفيد. وقال ابو البركات بن المستوفي في تاريخ اربل: نقلت من خطه في آخر هذا الكتاب المختار ماامثاله:

تمتع به علقا نفيساً فانه اخـ تيار بصير بالامور حكيم
اطـاعتـه انواع البلاغـة فاهتدى إلى الشعر من نهج اليه قويم(٢).

٢٤ ـ المرصـع :

نسب إلى ضياء الدين كتاب «المرصع في الاباء والامهات والبنين والبنات والاذواء والذوات» .وكان الحاج خليفة قد قال عنه : «المرصع لابن الاثير» (٣) ولم يحدد واحداً من ابناء الاثير. والكتاب لمجد الدين المبارك بن محمد المتوفى سنة ٦٠٦هـ وليس لضياء الدين، وقد طبع في فايمر سنة ١٨٩٦م بعناية سيبولد الالماني في ٢٦٧ صفحة من القطع الصغير، واعاد تحقيقه الدكتور ابراهيم السامرائي وطبعته وزارة الاوقاف العراقية عام ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م في سلسلة «إحياء التراث الاسلامي».

٢٥ ـ المعاني المخترعـة:

ولضياء الدين كتاب «المعاني المخترعة في صناعة الانشاء »وقد قال عنه ابن خلكان: «وهو ايضا نهاية في بابه» (٤)، وذكره السيوطي والبغدادي بهذا الاسم (٥)، ونسبه الحاج خليفة إلى موفق الدين المدائني (٦).

(١) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص٦٦ ،وضياء الدين بن الاثير ص٤٩ ـ ٥٠
(٢) وفيات الاعيان جـ٥ ص٢٨
(٣) الحياة العقلية في عهد الحروب الصليبية ص٢٤٨
(٤) وفيات الاعيان جـ٥ ص٢٧
(٥) بغية الوعاة جـ٢ ص٣١٥، وهدية العارفين جـ٢ ص٤٩٣
(٦) كشف الظنون جـ٢ ص١٧٣٠

وسماه ابن الاثير نفسه «المعاني المبتدعة» وقال عنه: «وقد صنفت كتابا وسميته بالرسالة في المعاني المبتدعة واشرت فيه إلى المفاضلة بين الكلامين المختلفي المعنى، وحققت القول في ذلك فليؤخذ من هناك» (١).

٢٦ ـ المفتاح المنشا في حديقة الانشا:

وهو كتاب يرمي إلى تمرين كاتب الانشاء واعداده وامداده كما يظهر من وصفه في فهرس دار الكتب: وقد رتبه على بابين في مراتب الكتب والمخاطبات وكيفية وضع الاسماء واين يكون محلها وفي صور العنوانات والالقاب والرتب ووضع الاسماء.

وفي دار الكتب نسخة مصورة عن نسخة نور الدين مصطفى وهي برقم (٤٩٣٤) ادب، في ٢٣ ورقة بخط قديم. ومنها مصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية (٢) وذكر بروكلمان نسخة القاهرة (٣) وقال الزركلي ان من الكتاب نسخة في جستربيتي كتبت سنة ٧٤٨ (٤).

وقال الدكتور محمد زغلول سلام: «نسبه اليه بروكلمان بين كثير مما ليس له من كتب أخيه او عماد الدين بن الاثير. والصحيح ان الكتاب ليس له فهذا الكتاب يبحث في اوليات الكتابة وطريقة عمل الرسالة، واسلوب الكتاب مخالف إلى حدّ كبير لاسلوبه في المثل السائر والاستدراك ويغلب على الظن انه لعماد الدين صاحب كنز البلاغة او لابنه (٥)»

٢٧ ـ مقالة في الحكم بين المعنيين:

وهي مقالة ضمنها ضياء الدين الحكم بين المعنيين المختلفين، وقد قال عنها: «ولي مقالة مفردة ضمنتها الحكم بين المعنيين المختلفين، وتكلمت

---

(١) الاستدراك ص٦٠

(٢) فهرس المخطوطات المصورة ص٥٢٩

(٣) تاريخ الادب العربي ج٥ ص٢٧٤

(٤) الاعلام ج٨ ص٣١

(٥) ضياء الدين بن الاثير ص٥٥

عليه كلاماً طويلا عريضاً ... ومامنعني من ايرادها في كتابي هذا الا انها سنحت لي بعد تصنيفه وشياعه في ايدي الناس وتناقل النسخ به» (١) .

٢٨ ـ مناظرة بين الخريف والربيع :

ذكرها بروكلمان (٢) ، وهي ليست كتاباً وانما هي رسالة صغيرة ذكر النويري منها سطوراً (٣) .

هذه كتب ضياء الدين بن الاثير ، وقد ظهر ان منها المطبوع والمخطوط ، وان منها الثابت والمنسوب . ولعل الذي اوقع القدماء والمعاصرين في الاضطراب ان هناك ثلاثة اخوة باسم «ابن الاثير» وان هناك غيرهم كابن الاثير الحلبي ، ولكن العثور على كتبه المفقودة والاطلاع على مصنفاته المخطوطة ودراسة آثاره المطبوعة تكون اكثر إثباتاً أو نفياً، ولعل فيما تقدم بفتح السبيل للدارسين .

تلك كتب ضياء الدين الثابت منها والمنسوب ، وقد كانت صدى لعصره وثقافته وحياته ، ذلك العصر الذي اهتم الناس فيه بدراسة الادب واختيار النصوص وحفظها لتهذيب الاخلاق وتقويم اللسان . وماكان لابن الاثير الذي عاش في ذلك العهد الا ان يتأثر بالثقافة العامة وان ينحو منحى معاصريه في التأليف ، وقد الف« مؤنس الوحدة» وهو مختارات من الشعر ولعله وضعه ـ إن صحت نسبته ـ في ايام محنته التي تلت ذهابه إلى مصر وهروبه منها . وجاء «المفتاح المنشا في حديقة الانشا» تتمة لذلك الكتاب وتعميقاً للاتجاه السائد في القرن السادس للهجرة ومابعده .

واختار ضياء الدين مجموعة من شعر ابي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي بعد ان اطلع على كثير من الدواوين ، وابو تمام والبحتري والمتنبي عنده «لات الشعر وعزّاه ومناته» قال : «وقد وقفت من الشعر على كل

---

(١) المثل السائر جـ٢ ص٤٠٩

(٢) تاريخ الادب العربي جـ٥ ص٢٧٣

(٣) نهاية ادب جـ١ ص١٧٥ ـ ١٧٦

ديوان ومجموع وأنفدت شطراً من العمر في المحفوظ منه والمسموع فألفيته بحراً لايوقف على ساحله، وكيف ينتهي إلى احصاء قول لم تحص اسماء قائله ؟ فعند ذلك اقتصرت منه على ماتكثر فوائده وتتشعب مقاصده ، ولم اكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم في اتباع من قصر نظره على الشعر القديم اذ المراد من الشعر انما هو ايداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل واللطيف، فمتى وجد ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل . وقد اكتفيت في هذا بشعر ابي تمام حبيب بن اوس وأبي عبادة الوليد وابي المتنبي وهؤلاء الثلاثة: لات الشعر وعزاه ومناته الذين ظهرت على ايديهم حسناته ومستحسناته، وقد حوت اشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء، جمعت بين الامثال السائرة وحكمة الحكماء» (١) . ولم يهتم ابن الاثير بالشعر لو لم يكن حفظه ضرورياً لمن يتصدى للكتابة ، وقد جعل ذلك احد آلات البيان ، فقال: «النوع الرابع : الاطلاع على تأليفات من تقدمه من ارباب هذه الصناعة المنظومة منه والمنثورة والتحفظ للكثير منه» (٢) .

ولايكتفي ابن الاثير بحفظ الشعر او دراسته وانما يطلب ممن يرشح نفسه للخوض في الكتابة ان يحل الشعر مرة بعد مرة ، وقد ألف في ذلك كتاب «الوشي المرقوم في حل المنظوم» ، وان يحفظ كتاب الله العزيز وكثيراً من الاحاديث الشريفة ويتمرن على حلها ، وهذه هي الطريقة السليمة الموصلة الى صنعة الكتابة ، بل هي الوسيلة الاولى في ذلك العصر . قال : « حدثني عبد الرحيم بن علي البيساني -رحمه الله - بمدينة دمشق في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكان اذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية فقال : كان فن الكتابة بمصر في زمن الدولة العلوية غضا طريا ، وكان لايخلو ديوان المكاتبات من رئيس يرأس مكانا وبيانا،ويقيم لسلطانه بقلمه سلطانا،وكان من العادة ان كلا من ارباب الدواوين اذا أنشأ له ولد رشيد شيئا في علم الادب أحضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع

(١) المثل السائر ج٢ ص٣٦٨

(٢) المثل السائر ج١ ص١٠ ،والجامع الكبير ص٧

قال : فارسلني والدي وكان إذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان الى الديار المصرية في ايام الحافظ وهو احد خلفائها وامرني بالمصير الى ديوان المكاتبات وكان الذي يرأس به في تلك الايام رجل يقال له « ابن الخلال» فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته من انا وما طلبتي رّحب بي وسهل ، ثم قال : مااللذي اعددت لفن الكتابة من الآلات ؟ فقلت : ليس عندي شيء سوى اني احفظ القرآن وكتاب الحماسة ، فقال : في هذا بلاغ ، ثم امرني بملازمته . فلما ترددت اليه وتدبرت بين يديه امرني بعد ذلك ان احل شعر الحماسة فحللته من أوله الى آخره ، ثم امرني ان احله مرة ثانية فحللته ثم قال ابن الاثير : » ان هذه الحكاية تحقق عندك ماأشرت اليك به وكنت حفظت من الاشعار القديمة والمحدثة ما لاتحصيه كثرة ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين حبيب بن اوس وابي عبادة البحتري وشعر ابي الطيب المتنبي فحفظت هذه الدواوين الثلاثة . وكنت اكرر عليها بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني وصار الادمان لي خلقا وطبعا» (١) .

لقد كان حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الرفيع سبيلا الى تعلم الكتابة ، ولذلك اتجه ابن الاثير اليها واوضح سبلها في كتبه ولاسيما « الوشي المرقوم» وكان المنهج المتبع في ذلك العصر في تعليم البلاغة يقوم على التمرين والاقتداء والاكثار من النصوص الادبية الرفيعة ، ويتضح ذلك في كتب ابن الاثير ولاسيما «المثل السائر» و «الجامع الكبير» فقد ملأ المؤلف كتبه بالآيات الكريمة والاحاديث الشريفة والشعر البليغ والنثر البديع . وكان الهدف من ذلك اطلاع الناشئة على رفيع الكلام لتتهذب اذواقهم وتصقل مواهبهم وتسمو ثقافتهم . ولم يكن ابن الاثير بدعاً في ذلك ، فقد شهد عصره التأليف في الكتابة وايضاح طرقها ، ومن ذلك كتاب «معالم الكتابة ومغانم الاصابة» لعبد الرحيم بن شيت القرشي ، و «قانون ديوان الرسائل» لابي القاسم

---

(١) الوشي المرقوم ص٩ — ١٠

علي بن منجب المعروف بابن الصيرفي . ويمثل ذلك اتجاهاً أدبياً ظهر في مصر والشام في الوقت الذي ظهر فيه الاتجاه الفلسفي في دراسة البلاغة والادب علي يد السكاكي صاحب «مفتاح العلوم» .

ويتضح اثر عصر ابن الاثير في كتبه باهتمامه بالمحسنات البديعية، فقد كان الاسلوب الغالب على الكتابة السجع ، وكان المثل الاعلى في الكتابة مقامات الحريري التي يغلب عليها السجع . تكلم ابن الاثير في كتابيه «المثل السائر» و «الجامع الكبير » علىالسجع والتصريع والتجنيس الترصيع ولزوم مالا يلزم وغيرها من المحسنات البديعية ، ودافع عن السجع دفاعاً قوياً واتهم الذين لايسجعون بالعجز ، قال : «وقد ذمه بعض اصحابنا من ارباب هذه الصناعة ولا أرى لذلك وجهاً سوى عجزهم ان يأتوا به والا فلو كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم» (١) ولو رجع الدارس إلى ماكتب والف في ذلك العصر لوجد الاهتمام بالسجع عظيماً ، فما من رسالة او تقليد او كتاب يخلو من سجع او صنعة ، وما رسائل القاضي الفاضل والعماد الاصفهاني وابن الاثير الا دليل على ذلك الاتجاه . ولم يقف الامر عند الرسائل والتقاليد وانما تعدى ذلك إلى الكتب المؤلفة في العلوم والآداب والتاريخ ، ويتجلى ذلك في «الفتح القسي في الفتح القدسي» و «خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الاصفهاني . وقد استطاع ابن الاثير ان ينجو من هذا التأثير في كتبه وانساق مع كتاب عصره في رسائله وتقاليده وترسله . وكان الفرق كبيراً بين اسلوب مؤلفاته واسلوب انشائه، وبذلك كانت مصنفاته اقرب إلى الاذواق من كتب معاصريه . فالعماد الاصفهاني يقول عن الغزي : «مولده غزة الشام وانتقل الى العراق والى خراسان واصفهان وكرمان وفارس وخوزستان ، وطال عمره وراج سعر شعره ، وماج بحر فكره ، وأتى بكل معنى مخترع ، ونظم مبتدع ، وكلمة محكمة النسج ، وفقرة واضحة النهج،

(١) المثل السائر جـ١ ص١٩٣

وكلام احلى من منطق الحسناء،واعلى من منطقة الجوزاء . فكم له من قصائد كالفرائد وقلائد كنحور الخرائد ، وغرر حسان وددروجمان » (١) ويقول في النساء الصليبيات :« وفي الفرنج نساء فوارس لهن دروع وقوانس ، وكن في زي الرجال ويبرزن في حومة القتال ويعملن عمل أرباب الحجا وهنّ ربات حجال . وكل هذا يعتقدونه عبادة،ويخلن انهن يعقدن به سعادة، ويجعلنه لهن عادة» (٢) . فهذان نصان من كتابين الاول في الادب والثاني في التاريخ ، ولكن صاحبهما انساق مع اتجاه العصر واهتم بالسجع في تدوين الاخبار . ولايجد الدارس مثل ذلك في كتب ابن الاثير ولاسيما كتبه البلاغية والنقدية كالمثل السائر ، والجامع الكبير ، والاستدراك ، والوشي المرقوم ، وان وجد الصنعة واضحة في رسائله وتقليداته التي كان يكتبها للخلفاء والسلاطين والامراء والاعيان . قال في المثل السائر :« اعلم أنّ العرب كما كانت تعتني بالألفاظ فتصلحها وتهذبها فان المعاني أقوى عندها ، واكرم عليها ، واشرف قدراً في نفوسها ، فاول ذلك عنايتها بالفاظها ، لانها لما كانت عنوان معانيها وطريقها الى اظهار اغراضها اصلحوها وزينوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك اوقع لها في النفس واذهب بها في الدلالة على القصد « (٣) . وقال في الجامع الكبير :» وحسن التاليف ان توضع الالفاظ في مواضعها وتجعل في اماكنها، وسوء التأليف بخلاف ذلك. الا ترى انه اذا قدّم في التأليف مايجب تأخيره وأخر مايجب تقديمه تصير المعاني نافرة عن مواضعها محوّلة وجوهها . ومثال ذلك كالصورة التي تحوّل بعض اعضائها الى موضع بعض فتحول الرأس الى موضع اليد او الرجل أو غير ذلك ، فانه اذا فعل هذا قبحت الصورة وفسدت هيئتها الجميلة الحسنة » (٤) وقال في الوشي المرقوم : » اعلم ان الكاتب يحتاج

(١) خريدة القصر — قسم الشام ج١ ص٣

(٢) الفتح القسي ص٢٣٠

(٣) المثل السائر ج١ ص٣٥٢

(٤) الجامع الكبير ص٦٥

الى التشبث بكل فن والنظر في كل علم وارصاد السمع لمحاورات الناس فانه لايعدم من ذلك فائدة فان كلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها (١) وقال في الاستدراك : «واما صاحب علم الشعر فانه ينظر في دلالة بعض الالفاظ على بعض المعاني ، وتلك دلالة خاصة ، وهي ان تكون على هيئة مخصوصة من الحسن» (٢) . وقال في تقليد انشأه لمنصب الحسبة : «اما بعد فقد جعل الله جزاء التمكين في ارضه،ان يقام بحدود فرضه ، ونحن نسأله التوفيق لهذا الامر الذي ثقل حمله وعُدم اهله ، فقد جيء بنا في زمن اصبح الناس فيه سدى ، وعاد الاسلام فيه غريباً كما بدا ، وهو الزمان الذي كثرت فيه اشراط اليوم الاخير وغربلت فيه الامة حتى لم يبق الا التمر والشعير» (٣) . والفرق كبير بين اسلوبه في مؤلفاته، واسلوبه في رسائله وتقليداته .

واغرب مايلاحظ على كتب ابن الاثير البلاغية والنقدية ذكره شواهد نابية لايقبلها الذوق المعاصر ، ولم يسبق إلى ذلك في الاكثار منها ، ولعل لعصره أثراً في ذلك .و ليس من الذوق ايراد تلك الامثلة والشواهد ولكن الرجوع إلى شرح قوله تعالى : «ويوم يحشر اعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى اذا ماجاؤوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بماكانوا يعملون» ، وإلى باب الزيادة في الكلام لغير فائدة ، وباب الكناية والتعريض ، وابيات المرأة التي مجنت بابي نواس ، وقصة الفرزدق مع ليلى وغيرها (٤) ، يعطي صورة واضحة عن ذوق ذلك العصر وقيمه الاجتماعية .

أما اثر حياة ضياء الدين وثقافته في كتبه ورسائله فقد تجلى في الاهتمام بالتأليف والبحث في البلاغة والنقد ورسم الخطوات العملية لمن يريد ان

---

(١) الوشي المرقوم ص٤

(٢) الاستدراك ص٥

(٣) رسائل ابن الاثير ص١٣٩

(٤) ينظر المثل السائر ج١ص٣١، ٢٧٤، ٣٧٢، وج٢ص٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٣٧٢

يصبح كاتباً او يرقى إلى منصب الوزارة . وكان ابن الاثير كاتباً ووزيراً وذا ثقافة ادبية واسعة ، وقد اعتنى بدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الرفيع ، وقرأ معظم الكتب الادبية والبلاغية المؤلفة قبله ولذلك اهتم بالناحية الادبية واهمل اهمالا تاما النواحي الاخرى من فلسفة وفقه وتفسير ونحو ولغة ، وقصر تأليفه على البلاغة وفن الكتابة

فهو في « الوشي المرقوم» يبحث في طريق حلّ الآيات القرآنية والاحاديث والشعر ، ويرسم الطريق الذي ينبغي ان يسلكه المتأدب ، ويعيد ذلك في المثل السائر ، ويعقد فصلا في آلات علم البيان وادواته وفصلا في اركان الكتابة وفصلا في الطريق الى تعلم الكتابة . وقد اخذ ابن الاثير بالخطوات التي رسمها للناشئة والمتعلمين ، وعكف على القرآن الكريم والحديث والشعر بحفظه ويحلّه حتى استوت عنده الملكة وتقوم لسانه واستقام قلمه . وما قصة القاضي الفاضل التي رواها في « الوشي المرقوم» الإ شاهد على ماكان في ذلك العصر من طرق التعلم والانشاء .

ويتجلى أثر حياته الثقافية وذوقه في الاكثار من الامثلة والشواهد ، وهذا مالايجده الدارس في كتب البلاغة الاخرى كمفتاح العلوم والتلخيص والشروح ، وذلك لان اصحابها نظروا الى البلاغة نظرة عقلية فأحالوها قواعد واقساما تفتقر الى الامثلة الكثيرة والنصوص الرفيعة الا ماكان من ايات قرآنية قليلة في هذا القسم او ذاك . وتعد كتب ابن الاثير في ذلك العهد لونا متميزاً من التأليف البلاغي والنقدي لما فيها من آراء ناضجة وامثلة نادرة وتحليل عميق الى جانب مافيها من سبل لتعلم فن الكتابة وطرائف بديعة وقصص شائقة ونوادر فريدة . وهذا من أثر عقليته المتفتحة ،وثقافته الواسعة ، وذوقه الصافي الرفيع .

وكان لمنصب الوزارة اثر في كتبه ورسائله ، ويتجلى ذلك في أسلوبه وجدله واعتزازه وفخره بنفسه ، وفي تسخير البلاغة والافادة منها في الكتابة وتدبير امور السلطان . لقد مارس ضياء الدين الوزارة سنوات وعمل في

ديوان الانشاء كاتباً اعواماً ، وشعر بأن على من يتولى منصب الوزارة ان يكون كاتبا قادرا على الانشاء في أي غرض من اغراض الاحكام السلطانية كالتقليد والعزل والمراسلات وعقد المعاهدات ، وعرف بحكم منصبه مايحتاج اليه الوزير والكاتب من ثقافة ومعرفة ، ولذلك شرع بعد ان استقرت به الحال في تأليف كتب توضح الطريق لمن يريد ان يسلك دروب الكتابة وكان « المثل السائر » اهم كتبه فقد بدأه بما يحتاج اليه الكاتب ، وتحدث عن الحكم على المعاني والترجيح بينها ، لما في ذلك من قدرة على ادراك القضايا والتصرف في الكتابة والحذر مما تقود اليه الكلمات في المعاهدات والمواثيق او العزل والتقليد وتكلم على الاستدراج ، وهو فن او باب استخرجه من القرآن ، قال : « وهذا الباب انا استخرجته من كتاب الله تعالى وهو مخادعات الاقوال التي تقوم مقام مخادعات الافعال ، والكلام فيه وان تضمن بلاغة فليس الغرض منها ذكر بلاغته فقط ، بل الغرض ذكر ماتضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الاذعان والتسليم . واذا حقق النظر فيه علم ان مدار البلاغة كلها عليه ، لانه لاانتفاع بايراد الالفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون ان تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها . والكلام في مثل هذا ينبغي ان يكون قصيراً في خلابه لاقصيراً في خطابه ، فاذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم إلى إلقاء يده فليس بكاتب ولا شبيه به الا صاحب الجدل . فكما ان ذاك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخطابية » (١) . وهذا الباب ينفع في الاستجواب ويفيد في مواجهة الخصوم لما فيه من قدرة على استدراج الخصم وتسليمه. وكان من يتولى المناصب الرفيعة او الذي يحكم بين الناس احوج إلى مثل هذا الاسلوب في الجدل والاستدراج .

ويبدو اثر منصبه في اعتزازه بنفسه والاكثار من رسائله وتقليداته ، وكأنه يريد ان يفرض على الادباء رأيه كما فرضه على الناس الذي ضجوا

---

(١) المثل السائر ج٢ص٦٨ ، والجامع الكبير ص٢٣٥

من تصرفه حينما كان وزيراً . وهو في رسائله التي اودعها كتبه البلاغية والنقدية انما أراد ان يعطي صورة لكتابة الرسائل والتقليدات وان يضع قواعد يترسمها المنشئون . وقد وضع في ادوات الكتابة معرفة الاحكام السلطانية واوجب معرفتها والاحاطة بها فقال : «معرفة الاحكام السلطانية من الامامة والقضاء والحسبة وغير ذلك فانما اوجبنا معرفتها والاحاطة بها لما يحتاج اليه الكاتب في تقليدات الملوك والامراء والقضاة والمحتسبين ومن يجري مجراهم . وايضاً فانه قد يحدث في الامامة حادث في بعض الاوقات بان يموت الامام القائم بامر المسلمين ثم يتولى من بعده من لم تكمل فيه شرائط الامامة او يكون كامل الشرائط غير ان الامام الذي كان قبله عهد بها إلى آخر غيره وهو ناقص الشرائط ، او يكون قد تنازع الامامة اثنان او يكون ارباب الحل والعقد قد اختاروا إماماً وهم غير كاملي الشرائط التي توجب ان توجد فيهم ، او يكون امر غير ماذكرناه فتختلف الاطراف في ذلك وينتصب ملك من الملوك له عناية بالامام الذي قد قام للمسلمين فيأمر كاتبه او يكتب كتاباً في امره إلى الاطراف المخالفة له . واذا لم يكن الكاتب عند ذلك عارفاً بالحكم في هذه الحوادث واختلاف أقوال العلماء فيها وما هو رخصة في ذلك ، وما ليس برخصة ، لايكتب كتاباً ينتفع به . ولسنا نعني بهذا القول ان يكون الكاتب مقصوراً على فقه محض فقط ، لأنا لو أردنا ذلك لما كنا نحتاج فيه إلى كتاب بلاغي بل كنا نقتصر على ارسال مصنف من مصنفات الفقه عوضاً عن الكتاب وانما قصدنا ان يكون الكتاب الذي يكتب في هذا المعنى مشتملا على الترغيب والترهيب والمسامحة في موضع والمحاقة في موضع ، مشحوناً ذلك بالنكتة الشرعية المبرزة في قوالب البلاغة والفصاحة كما فعل الكاتب الصابي في الكتاب الذي كتبه عن عز الدولة بختيار ابن معز الدولة بن بويه إلى الامام الطائع لما خلع المطيع ، فانه من محاسن الكتب التي تكتب في هذا الفن » (١).

(١) المثل السائر جـ١ ص٢٩، والجامع الكبير ص١٧٥

وقد أكثر ضياء الدين من ذكر رسائله وتقاليده وغرضه من ذلك رسم طريقة ينتهجها الكاتب في إنشائه ، واشترط في الكتابة خمسة شروط لابد من إيداعها في كل كتاب بلاغي ذي شأن وهي :

١ ـ أنْ يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة فان الكاتب من أجادالمطلع والمقطع ، او يكون مبنياً على مقصد الكتاب .

٢ ـ أن يكون الدعاء المودع في صدر الكتاب مشتقاً من المعنى الذي بني عليه الكتاب .

٣ ـ ان يكون خروج الكاتب من معنى إلى معنى برابطة لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض ولاتكون مقتضبة .

٤ ـ ان تكون الفاظ الكتاب غير مخلولقة بكثرة الاستعمال .

٥ ـ ان لايخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن الكريم والاخبار النبوية فانها معدن الفصاحة والبلاغة (١) .

وطبق هذه الشروط في كتبه ورسائله وتقاليده ، وهي كثيرة جاء بعضها في كتبه وتضمن اكثرها ديوان ترسله .

تلك وقفة عند كتب ضياء الدين وصلتها بعصره وحياته ، وقد اتضح أثر عصره وثقافته ومنصبه فيها ، لانه حاول أن يجعل من تجاربه طريقا ممهدا للوصول الى الكتابة وتعلمها واجادتها ، واراد ان تكون رسائله وتقليداته صورا ينسج الكتاب على منوالها . وقد استطاع ابن الاثير ان يكون ذلك المؤلف العالم ، وذلك الاديب الصادق ، وذلك الرجل الذي قام بدور مهم في الحياة الثقافية والسياسية في القرن السادس للهجرة ، وأن يكون بعد ذلك كله علما من اعلام الفكر في عصر الحروب الصليبية .

وصفوة القول ان هذا البحث قدّم عرضا لكتب ضياء الدين بن الاثير وهو عرض كشف عن مادتها ، وأشار الى منهجها ، ودّل على اماكنها وربط بين العصر الذي عاش فيه المؤلف وكتبه ، وهو ربط لابّد منه في

---

(١) المثل السائر جـ١ ص٧٢ ـ ٧٥

الدراسات الادبية والتاريخية لتتضح أهم معالم الفكر وتتحدد الاتجاهات ولايقلل من اهمية الكتب التي تعرض لها البحث ان لاتكون لضياء الدين فقد اتضح ان صلتها بعصر الحروب الصليبية قوية ، وانها تمثل روح ذلك العصر وتعبر عن كثير من ملامحه ولذلك كان الاهتمام بها وطبع مالم يطبع ضرورة تقتضيها الحركة العلمية ، وتفرضها المناهج ، وتتطلبهـــا الدعوة الى اعادة كتابة تاريخ العرب. والمسلمين في ضوء العلم وطرائق البحث الحديثـــة .

المصادر:

١ ـ الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية . ضياء الدين بن الاثير . تحقيق الدكتور حفني محمد شرف. القاهرة ١٩٥٨م .

٢ ـ الاعلام. خير الدين الزركلي. الطبعة الرابعة بيروت ١٩٧٩م

٣ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة. علي بن يوسف القفطي . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .

٤ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع. علي صدر الدين بن معصوم المدني . تحقيق شاكر هادي شكر. النجف الاشرف ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م

٥ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة . جلاء الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م.

٦ ـ تاريخ آداب اللغة العربية. جرجي زيدان . القاهرة ١٩٣١م .

٧ ـ تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان (الطبعة العربية) القاهرة

٨ ـ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنشور . ضياء الدين بن الاثير تحقيق الدكتورين مصطفى جواد وجميل سعيد . بغداد ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م

٩ ـ جوهر الكنز. نجم الدين احمد بن اسماعيل بن الاثير الحلبي. تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام. الاسكندرية.

١٠ ـ الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية. الدكتور احمد احمد بدوي. القاهرة ١٩٥٤.

١١ ـ الحياة العقلية في عهد الحروب الصليبية. الدكتور احمد أحمد بدوي. القاهرة ١٩٥٢م.

١٢ ـ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم الشام) عماد الدين الاصبهاني الكاتب . تحقيق الدكتور شكري فيصل. دمشق ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

١٣ ـ الخزانة الشرقية. حبيب الزيات. بيروت ١٩٤٦م.

١٤ ـ رسائل ابن الاثير. تحقيق انيس المقدسي. بيروت ١٩٥٩م

١٥ ـ الرسالة العسجدية في المعاني المؤيدية. عباس بن علي بن ابي عمر الصنعاني تحقيق عبد المجيد الشرفي. ليبيا ـ تونس ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

١٦ ـ شرح نهج البلاغة. ابن ابي الحديد. الطبعة الاولى القاهرة

١٧ ـ صبح الاعشى في صناعة الانشا. احمد بن علي القلقشندي. طبعة دار الكتب بالقاهرة.

١٨ ـ ضياء الدين بن الاثير. الدكتور محمد زغلول سلام. القاهرة.

١٩ ـ ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد . الدكتور محمد زغلول سلام. القاهرة.

٢٠ ـ عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح. بهاء الدين السبكي. (في شروح التلخيص) القاهرة.

٢١ ـ الفتح القيسي في الفتح القدسي. عماد الدين الاصبهاني الكاتب. ليدن ١٨٨٨م

٢٢ ـ فهرس المخطوطات المصورة. فؤاد سيد. القاهرة ١٩٥٤م

٢٣ ـ الفوائد (المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان) . ابن قيم الجوزية القاهرة ١٣٢٧هـ

٢٤ ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون. الحاج خليفة. استانبول ١٣٦٢هـ ـ ١٩٤٣م

١٥ – المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر. ضياء الدين بن الاثير . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩ م
٢٦ – مخطوطات المجمع العلمي العراقي. ميخائيل عواد. بغداد ١٤٠١هـ – ١٩٨١م
٢٧ – معجم المؤلفين. عمر رضا كحالة. دمشق ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨م
٢٨ – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. يوسف بن تغري بردي الاتابكي . القاهرة ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦م .
٢٩ – نهاية الارب في فنون الادب. احمد بن عبد الوهاب النويري. طبعة دار الكتب – القاهرة
٣٠ – هدية العارفين. اسماعيل باشا البغدادي. استانبول ١٩٥٥م .
٣١ – الوشي المرقوم في حل المنظوم. ضياء الدين بن الاثير. بيروت ١٢٨٩هـ
٣٢ – وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان. احمد بن محمد بن خلكان. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – القاهرة ١٣٦٧هـ – ١٩٤٩م.

اثر عز الدين ابن الاثير في تطوير الكتابـة التاريخيـة العربيـة

الدكتور ابراهيم خليل أحمد
كلية التربية / جامعة الموصل

١ — مقدمــة :

١ — ١ قد لانكون مخطئين اذا قلنا: ان العرب من اكثر الامم في العالم اهتماما بدراسة التاريخ والكتابة فيه. لهذا اصبح التاريخ عندهم جزءا من تطورهم الثقافي العام. ان اسباب هذا الاهتمام ترجع الى عوامل تتعلق بتاريخية الاسلام اولاً، وتكوين الدولة العربية الاسلامية والاحتكاك بين الاراء والتيارات الفكرية ثانيا، وتطور الامة وتجارتها وخبراتها وحاجاتها ثالثا. (١)

٢ — ١ ولم تقف انجازات العرب الرائعة في حقل المعرفة التاريخية عند حدود التدوين التاريخي فحسب، بل ظهرت مدارس وتفسيرات تاريخية مختلفة دللت على استيعابهم لكثير من اهداف علم التاريخ وفلسفته. كما تنوعت اساليبهم الكتابية في التاريخ لذلك ظهر اهتمام كبير بتوطيد التاريخ (علما) له مناهجه وطرقه وقواعده ومكانته في منظومة الفكر العربي(٢).

٣ — ١ ولقد كان من ابرز ملامح هذا التميز، ان اعطت الامة العربية للتراث التاريخي العالمي نماذج قيمة من الكتابات التاريخية احتلت منزلة مرموقة في المكتبة التاريخية العالمية وعزالدين أبو الحسن علي بن محمد بن الاثير ٥٥٥هـ — ٦٣٠هـ (١١٦٠ — ١٢٣٢م)، هذا المؤرخ العظيم الذي نحتفل به اليوم وبأخوته مجدالدين وضياءالدين واحد من اولئك الذين جادت بهم هذه الامة المعطاة. فهو يتمتع — بحق — بشهرة بارزة بين كافة المؤرخين العرب، لم يصل اليها أحد، الا (٣) الطبري الذي توفي قبله بقرنين من الزمان تقريبا (٣١٠هـ/٩٢٣م) .

٤ — ١ وليس غرضنا في هذه الورقه متابعة حياة عزالدين بن الاثير واسرته ومؤلفاته وظروف حياته وماشاكل. فقد تصدى عدد من الكتاب العرب والاجانب لمعالجة ذلك. (٤) وانما يقتصر بحثنا على الاشارة الى بضع نقاط نراها اساسية في معرفة اثره في تطور الكتابة التاريخية العربية وهي مصادر ثقافية، ودواعي اهتمامه بالتاريخ ومفهومه للتاريخ وأسلوبه في معالجة

الحدث التاريخي ومن ثم حجم الاضافات التي قدمها في مجال الكتابة التاريخيـــة.

٢ . مصادر ثقافة ابن الاثير :

للثقافة العامة في حقول المعرفة البشرية أثر كبير في تطوير تقنية المؤرخ وفهمه للاحداث وتفسيره لها . كما ان هناك مؤهلات شخصية ينبغي توفرها عند من يريد التصدى للكتابة التاريخية ، ومنها مايتصل بالصفات والسجايا الشخصية التي تجعل منه المؤرخ القادر في البحث عن الحقيقة . وفوق هذا وذاك فأن للظروف الحياتية التي يعيش المؤرخ في ظلها دورا كبيراً في فهم التاريخ ومحركاته (٥) . وهذا يدعونا الى الوقوف عند مصادر ثقافة (ابن الاثير) علها تقربنا من فهم منهجه في الوصول الى الحقيقة . ومن أبرز هذه المصادر :

١ ــ ٢ يؤكد كثير من المفكرين ان عهود النكبات في التاريخ كانت دائماً حافزاً الى التفكير في الماضي وفي المصير ومثيرة للاهتمام في تفسير التاريخ وتعليله (٦) . ومن هنا فان العصر الذي عاش فيه أبن الاثير تميز بالتقلب والفوضى والاضطراب (٧) . وهذا لاشك كان مصدرا من مصادر اهتمامه بجمع الحقائق التاريخية في عصره وعصر من سبقوه .

٢ ــ ٢ ان ابن الاثير ينتمي الى اسرة اهتمت بالعلم وعرفت قيمته فوالده شغل مناصب حكومية عديدة اهلته لها ثقافته (٨) . فضلا عن كونه واحد من ثلاثة اخوة برزوا في مجالات الحديث النبوي والتفسير واللغة والادب والشعر (٩) .

٣ ــ ٢ تلقى ابن الاثير علومه الاولى على ايدي شيوخ وعلماء بارزين وخلال رحلاته العديدة الى بعض الاقطار العربية والاسلامية احتك بعلماء وشيوخ كثيرين وعقد صلات شخصية معهم (١٠) .

٤ ــ ٢ ابن الاثير من الذين تسلحوا بعلوم القرآن والحديث ورجاله وكان لاتقانه ذلك أثر كبير في تطوير ثقافته التاريخية (١١) . فقد كان «اماما

في حفظ الحديث ومعرفته ومايتعلق به» (١٢) وصلة علم التاريخ بعلم الحديث ، كما هو معروف ، وثيقة تستحق اهتماماً خاصا من حيث التركيز على الأسناد وماهميته ، علما بان الاستاذ في التاريخ لم يبلغ مابلغه في الحديث لما عرف به المؤرخون من تساهل في الاسانيد ورواتها (١٣). ومع هذا فقد كان ابن الاثير حريصاً على معرفة مايهمه ، بوصفه مؤرخا ، من قوانين (الجرح والتعديل) (١٤) .

٥ ــ ٢ كان ابن الاثير خبيرا في علم الانساب وادبياته. ولقد قيل عنه: إنه كان عارفا بالرجال خبيرا بالانساب وإنه كان (اماما نسابة) (١٦). وقد اعطاه هذا قابلية شديدة في تتبع مسار الادوار التاريخية التي تقوم بها الشخصيات البارزة.

٦ ــ ٢ لم يكن ابن الاثير من المؤرخين الذين كتبوا مؤلفاتهم في غرف مقفلة بل انغمس في الحياة السياسية العملية . وكانت صلته الشخصية بادارة الموصل في عهد الحكام الزنكيين قد جعلته في وضع سمح له بالاطلاع على المستندات والوثائق والاوامر الرسمية ومعرفة الوقائع الخارجية وماشاكل (١٧). وقد يسر له خروجه محاربا ومشاهدا مع صلاح‌الدين الايوبي القائد العربي المعروف في الشام لقتال الصليبيين في سنة ٥٨٤هـ وصف المعارك واوقفه على بعض الجوانب في خطط الايوبي واساليبه العسكرية ، وتوجيه النقد الى بعضها. تضاف الى هذا مشاركته في الدفاع عن الموصل كلما تعرضت لحصار (١٨). ولاشك في ان ماشاهده ابن الاثير شخصيا وماسمعه من معاصريه الذين شهدوا الاحداث بانفسهم او سمعوها يؤلف مصدرا ثرا من مصادره التاريخية كان له اثر كبير في تكوين ثقافته وتوسيع مدى ادراكه لكثير من وقائع التاريخ (١٩) .

٧ ــ ٢ أما قراءاته التاريخية واهتماماته بما وقع تحت يديه من كتب تاريخية فلها أثر كبير في جعل كتاباته لاتقتصر على لون واحد من الالوان التأريخية التي عرفها علم التأريخ العربي (٢٠). فلقد كان حافظا للتواريخ المتقدمة

والمتأخرة «ولم يزل، كما يقول، محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة مافيها مؤثرا للاطلاع على الجلي من حوادثها ومافيها» (٢١). وقد ساعده هذا على المشاركة في أربعة أنواع من الكتابة التأريخية والتبريز فيها جميعا. فكتابة (الكامل) في التاريخ العام، وكتابة (الباهر) في تاريخ الاسر الحاكمة، وكتابة (أسد الغابة) في التراجم وكتابه (اللباب) في علم الانساب (٢٢).

٨ ـ ٢ لقد شكلت كتب أيام العرب وسيرهم مصدرا مهما من مصادر ثقافة ابن الاثير. بل لقد عد من اوائل المؤرخين العرب الذين انتبهوا الى اهمية «الايام» مصدرا لتاريخ العرب قبل الاسلام. اذ حاول ان يورد أخبار أيام العرب ويضعها ضمن تسلسل تاريخي (٢٣). ومن هنا فقد وصف بانه كان (مؤرخا اخبارياً) (٢٤).

٩ ـ ٢ وبالنظر لامتزاج التاريخ بالتراجم في عهد متقدم عند العرب فان ابن الاثير كان من المؤرخين الذين عنوا بالتراجم ولاسيما تراجم الصحابة. ونحن اذا علمنا ان عدد الذين ترجم لهم ابن الاثير بلغ سبعة الاف وخمسمائه وخمسين صحابيا نعرف مدى سعة ثقافة هذا المؤرخ ومدى النشاط الذي يحتاج اليه جمع المعلومات عن هذه الالاف وتدوينها (٢٥). ناهيك عن كثرة قراءاته الادبية من شعر ونثر، وعمقها، بحيث جعلت منه أديباً ذواقة، لذوقه أثر في اجادته لعرض الحوادث التاريخية والرشاقة وبساطة الاسلوب في التعبير عنها (٢٦).

٣ ـ دواعي اهتمامه بالتاريخ والتأليف فيه :

١ ـ ٣ يتساءل الكثيرون عن جدوى الاهتمام التاريخي. وابن الاثير من أبرز المؤرخين الذين اجابوا على هذا التساؤل من خلال ادراكه هدف التاريخ وعنايته بدراسة تجارب الامة وخبراتها وتدوين الاحداث التي مرت بها وذلك لغرض «الاتعاظ» و «العبرة» وتوجيه الحكام وتعريف الحاضر بالماضي والتوسل الى تنظيم حياة الانسان (٢٧).

٢ – ٣ولقد كان لتعرض الامة العربية للتحديات الاجنبية (الغزو الصليبي من الغرب والغزو المغولي من الشرق) وتعاقب الاعداء عليها في تسلسل زمني مستهدفين وحدتها وتقدمها أثر كبير في اندفاع ابن الاثير في تتبع هذه التحديات والاخطار والكتابة عنها ، وكما هو معروف فالمؤرخ هو ابن عصره ، واضطراب الاوضاع سبب رئيس يدفعه الى الاهتمام بالتاريخ ووقائعه وعبره محاولا رسم الطريق امام ابناء امته وتجنبهم الكوارث والهزائم

ولم يغفل ابن الاثير ان يضع يده على العوامل الداخلية التي يسرت على الاجانب غزوهم وسهلته ومن ذلك الانقسامات والصراعات الاسرية وحالة التجزئة والتخلف التي كانت تعيشها الامة العربية انذاك (٢٨) .

٣ – ٣ ومن اهداف الكتابة التاريخية عند ابن الاثير كونها اداة ترويح عن النفس ومادة طيبة مؤنسة في المجالس تزين المتكلم وتجذب اليه الحاضرين. قال ابن الاثير في هذا الصدد:

«ومنها مايتجمل به الانسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها ، فترى الاسماع مصغية اليه. والوجوه مقبلة عليه، والقلوب متأملة مايورده وبصدره» . (٢٩)

٤ – مفهومه للتأريخ :

اما مفهوم التاريخ عند ابن الاثير فيمكن تلخيصه بما يلي:

١ – ٤ ان حال التاريخ عنده حال وضعه عند من سبقوه من المؤرخين العرب والاوائل وفي مقدمتهم الطبري فهو تعبير عن المشيئة الالهية المتمثلة في توالي الرسالات واخرها واكملها الاسلام واصبح بعد ذلك تاريخ امة هي الامة العربية . (٣٠)

٢ – ٤ الا ان هذا لايعني اهمال الدور الانساني وفعاليات البشر. ومن هنا فابن الاثير اهتم كذلك بتخليد الاعمال المهمة للانسان وتسجيل الاحداث البشرية المتميزة. ومع هذا وذاك فهو يتابع تعاقب الامم والدول: نشأتها وسقوطها اي يتابع ديناميكية التقدم في التاريخ. (٣١)

٣ ـ ٤ وكما ان الحديث دراية ورواية، فالتاريخ عند ابن الاثير دراية ورواية ايضا. ليس مهمته تعقب القشور وظواهر الاحداث وانما البحث والتدقيق في بواطن الامور. ومن هنا يمكن القول ان ابن الاثير سبق ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ/ ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م) في الاعلان بان التاريخ في ظاهره الرواية وفي باطنه النظر والتحقيق وبذلك يعد ابن الاثير من اوائل المؤرخين العرب الذين ارسوا قواعد واسس الميثودلوجيا التاريخية. (٣٢)

اسلوبه في اعادة تشكيل الحدث التأريخي وتفسيره :

١ ـ ٥ لقد لفت ابن الاثير الانظار اليه لمنهجيته التاريخية ولسلامة اسلوبه في معالجة الحدث التاريخي وتفسيره. اذ اتبع طريقة الحوليات كغيره من المؤرخين العرب الاوائل، وراعى ترتيب السنين ولقد تعرض لنقد من جراء هذه الطريقة التي لم تراع تسلسل الحوادث المماثلة واطرادها. ويتصدى احد المؤرخين مدافعا عن طريقة ابن الاثير قائلا: «وهذا مغتفر في تاريخ عام.. يدون كافة الحوادث ويتعرض لجميع الوقائع والحكومات مراعيا سلسلة ترتيبها، وتاريخ وقوعها فكأنه سجل او بحر وقائع نغرف منه مانشاء. فلا وجه للنقد الموجه اليه من هذه الجهة.. لان الوقائع غير محدودة، وتصنيفها مختلف تتباين فيه الاذواق وتتضارب الفهوم.. وتثبت الحوادث اصل، والامور الاخرى متفرعة عنه». (٣٣)

٢ ـ ٥ كان ابن الاثير يفقه اصول الكتابة التاريخية ويعرف تقنياتها وقد اتضح ذلك في خطوات البحث العلمي التي كان يسير عليها وهي جمع الاصول التاريخية وحسن اختيار الحقائق وعرضها للقارىء، فهو يقول: «لم انقل الا من التواريخ المذكورة والكتب المنشهورة. ولم اكن كالحاطب في ظلماء الليالي، ولاكمن يجمع بين الحصباء واللآلىء». (٣٤) فقد كان يربط بين الاحداث المتقاربة، ويوحد الاسباب ويحرص على تعليل الظواهر التاريخية ونقدها. ومعنى هذا انه لم يكن مجرد مسجل احداث واخبار وانما كان ناقدا ممتازا، نقد اصحاب مصادره وناقش كثيرا من اخبارهم (٣٥).

٣ ـ ٥ وكان يكثر من استخدام (لو) في التاريخ مما جعله هدفا لنقد بعض الكتاب الذين رأوا في ذلك ضعفاً في قيمة كتاباته التاريخية. (٣٦) وقد استندوا في ذلك على المثل الشائع الذي يقول ان (لو) زرعت وخضرت اى ان (لو) عقيمة عندما تزرع لاتخضر ولا تورق. ان استخدام (لو) امر قد يبدو غير صحيح بالنسبة للتاريخ (الفعل ـ الحدث) ولكن التاريخ (الفكر) شيء اخر وبامكان المؤرخ ان يزرع فيه (لو) ثم يراقبها لتخضر وتورق وتنمو. ومن هنا فان من حق المؤرخ، كما نرى، ان يتساءل ويستفسر بل ويستخدم (لو). (٣٧)

٦. حجم الاضافات التي قدمها ابن الاثير في مجال تطوير كتابة التاريخ:
١ ـ ٦ لقد كان ابن الاثير مؤرخا مفكرا. مدركا واعيا. ويتضح ذلك في قدرته على مراعاة التوازن المعقول بين الاحداث التاريخية وانصافه للاحداث والشخصيات دون اخلال. (٣٨)

٢ ـ ٦ وفوق هذا كله فهو يمتلك إحساساً تاريخيا حقيقيا لاسيما في التنبيه إلى خطر المغول واعتباره الغزو الصليبي للشام استمرارا لمضايقة عرب الاندلس. ولم يكتف بذلك بل كان يذكر المواطنين بدورهم في ردالعدوان الاجنبي والاحتفاظ بالارض والشرف. وهو في هذا يعد من المؤرخين الذين نظروا الى التاريخ بوصفه سلاحا نضاليا. (٣٩)

٣ ـ ٦ ولم يغفل ابن الاثير دور الابطال وأثرهم في ديناميكية الحدث التاريخي وانما حاول ان يبرز دورهم في صنع حركة التاريخ. ومن هنا جاء اهتمامه بتدوين سير عظماء الامة وفي مقدمتهم الصحابة لان سيرهم هي سنن الهداية والقدوة للعرب والمسلمين. (٤٠)

٤ ـ ٦ وعظمة ابن الاثير تكمن في اهتمامه بمساحة واسعة من التاريخ العربي الأسلامي (مكانا وزمانا). فهو لم يقتصر على تتبع العصور السالفة وإنما أهتم بعصره كذلك. ولم يقتصر أهتمامه على المشرق العربي وإنما اهتم بالمغرب العربي كذلك بل وانتقد من سبقوه من المؤرخين في عدم

العناية بهذا الجزء من العالم الاسلامي. (٤١) ولو لم يكتب لنا ابن الاثير ماكتب لضاعت علينا حقائق كثيرة على مدى سبعة قرون متصلة.

فهو المؤرخ الوحيد الذي ضمن كتابه اخبار الحروب الصليبية حتى الثلث الاول من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي). كما حوى كتابه اخبار الزحف المغولي منذ بدايته في سنة ٦١٦هـ وحتى سنة ٦٢٨هـ وهي السنة الي وقف عندها كتاب ابن الاثير (الكامل في التاريخ).

فبعد الطبري لم يظهر كتاب يغطي أخبار حقبة طولها اكثر من ثلاثة قرون اى مابين وفاة الطبري٣١٠هوظهور كتاب الكامل في سنة ٦٣٠هـ(٤٢).

٥ ـ ٦ لقد اعتقد ابن الاثير ان التاريخ ليس الاحوارا متصلا بين المؤرخ ووقائعه. لذلك فهو لم يقف عند حدود النظرة الرانكوية (نسبة الى ليوبولد رانكة المؤرخ الالماني المعروف ١٧٥٩ ـ ١٨٨٦) التي تذهب الى ان مهمة المؤرخ هي تسجيل ماحدث من وقائع بالضبط، بل وصل به الامر الى حد الانفعال مع الاحداث الخطيرة وابراز انفعالاته بالنقد والتعليق والابتهال والدعاء، فهو على اية حال ليس مؤرخا موضوعيا حياديا. (٤٣) ولقد تأكدت هذه المسألة من خلال موقفه السلبي من الايوبيين وصلته الشخصية بالزنكيين ومما يجدر ذكره ان للمواقف السياسية للمؤرخ ودرجة صلته بالمؤسسة الحاكمة اثرا كبيرا في تشكيل مفاهيمه التاريخية. لذلك فمن الحق وصف ابن الاثير بانه مؤرخ رسمي ارتبطت حياته وكتاباته ومواقفه بالاسرة الزنكية الموصلية التي عاش في كنفها سنوات عديدة هو ووالده وأخواه. (٤٤) فمادته التاريخية عكست فلسفة الدولة الزنكية ووجهة نظرها المخالفة للايوبيين وهذا الاختلاف الحاصل في ايراد الروايات، لاشك يحفز الباحث الى المزيد من التحرى عن الروايات المتناقضة للوصول الى الحقيقة عن طريق نقدها ومعارضة بعضها لبعض. (٤٥)

٦ ـ ٦ وابن الاثير وان كان ينقل عن غيره من المؤرخين السابقين له، الا انه يضيف معلومات جديدة غير موجودة فيتلك المصادر. فهو قد انفرد

بمعلومات قيمة لايشير الى مصدرها الاساسي. إذ كثيراً ماكان يستخدم الاسناد المجهول كأن يقول «بلغني من خبره وحدثني من اثق به وحكى بعض اصحابنا(مما يدل على انه نقلها من مصدر لم يصل الينا ولا شك انه في ذلك يساعدنا في استكمال الروايات التاريخية. (٤٦) واكمال النواقص التي وجدها في بعض المؤلفات التاريخية ولا سيما في ميل بعضها الى التطويل والاسهاب، وميل البعض الاخر الى الاختصار المخل بالاحداث، او ترك الاحداث المهمة والاهتمام بصغائر الامور او اختلال بعض الدراسات في ترتيب الاحداث التاريخية وعرضها ، ومن هنا فهو لم يمتنع عن توجيه النقد التاريخي الى من يستحقه مهما علت منزلة ذلك الذي ينقده. (٤٧) ان التزامه بمنهجيته التاريخية تتمثل في طرح الروايات المختلفة وذات المواقف المتقاطعة وبعد عرضها يوجه لها نقداً او يبرز موقفه تجاهها في ميله الى رواية منها وترجيحها. (٤٨)

٧ــ ٦ واخيراً فان ابن الاثير لم يهتم بالتاريخ السياسي وحده وانما تضمنت اهتماماته وكتبه ملاحقة للجوانب المتنوعة من العملية التاريخية. فثمة تفاصيل كثيرة في كتاباته من الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة في الوطن العربي والعالم الاسلامي انذاك. (٤٩)

٧. الهوامش والمصادر:

(١) للتفاصيل انظر: عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، (بيروت، ١٩٦٠) وكذلك شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، (بيروت، ١٩٧٩)، ص‌ص ٥٧ – ٦٢

(٢) للتفاصيل انظر: عبدالعزيز الدوري وآخرون، تفسير التاريخ (بغداد لا.ت) ص٩ وسنشير اليه بـ (الدوري وآخرون).

(٣) محسن محمد حسين، موضوعات في التاريخ الكردي، (بغداد، ١٩٧٦) ص٥

(٤) للتفاصيل انظر: عبدالقادر أحمد طليمات، ابن الاثير الجزري المؤرخ (القاهرة، ١٩٦٩).

(٥) حسن عثمان، منهج البحث التأريخي، ط٤ (القاهرة، ١٩٧٦) ص٢٢ – ٢٣.

(٦)

(٧) للتفاصيل انظر طليمات، المصدر السابق، ص ٧ – ١٢

(٨) المصدر نفسه، ص ١٣ – ١٧

(٩) أما الاخوان الاخران فهما مجدالدين أبو السعادات وكان مولده في سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨م) وضياءالدين نصرالله وولد في سنة ٥٥٨هـ (١١٦٢م). وقد اشتهر الاول محدثا ومفسراً ولغوياً. اما الثاني فقد عرف اديباً شاعراً. انظر طليمات، المصدر السابق، ص‌ص١٤ – ١٦ شاكر مصطفى، المصدر السابق، ج٢، ص ١١١.

(١٠) عباس العزاوي، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، (بغداد، ١٩٥٧)، ص ٢٧

(١١) المصدر نفسه، ص ٢٥

(١٢) أحمد ابن إبراهيم ابن خلكان: وفيات الاعيان وانباء الزمان، (القاهرة، ١٢٩٦) ج١، ص٤٩٤

(١٣) انظر: أسد رستم، مصطلح التاريخ، ط٣، (بيروت، ١٩٥٥) ص (ز)

(١٤) العزاوي، المصدر السابق، ص ٤٨

(١٥) ابن خلكان، المصدر السابق، ج١، ص ٤٩٤

(١٦) العزاوي، المصدر السابق، ص٣٠

(١٧) طليمات، المصدر السابق، ص٧٦ – ٧٩، ١١٣ وكذلك محسن محمد حسين، المصدر السابق، ص٥

(١٨) للتفاصيل انظر: عزالدين ابي الحسن ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المجلد الاول، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٥) ج١١، ص‌ص٥١٢، ٢١٥ – ٢١٦.

(١٩) دريد عبدالقادر نوري، سياسة صلاح الدين الايوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة، (بغداد، ١٩٧٦)، ص ٢٧،

(٢٠) طليمات، المصدر السابق، ص ٥٣، شاكر مصطفى ، المصدر السابق ج٢، ص ١١٢ ، العزاوى، المصدر السابق، ص ٢٦.
(٢١) ابن الاثير ، الكامل، ج١، ص٢
(٢٢) راجع مؤلفات ابن الاثير وهي :
(-) أسدالغابة في معرفة الصحابة(المطبعة الوهبية/القاهرة ١٢٨٠هـ)
(-) التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق عبدالقادر أحمد طليمات (القاهرة،١٩٦٣)
(-) الكامل في التاريخ ، (بيروت ، ١٩٦٥)
(-) اللباب في تهذيب الانساب، (القاهرة، ١٣٥٧هـ).
(٢٣) الدورى، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ١٣
(٢٤) العزاوى، المصدر السابق، ص ٣٠
(٢٥) أمين‌مدني ، التاريخ العربي ومصادره (القاهرة، ١٩٧١)، ص ٣٢٣
(٢٦) المصدر نفسه، ص ٣٢٣-٣٢٣
(٢٧) انظر: الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص ٤-٥ وكذلك العزاوى المصدر السابق ، ص ٤٣.
(٢٨) طليمات ، المصدر السابق، ص ٧-١٠
(٢٩) الكامل في التاريخ، ج١، ص٥
(٣٠) الدوري وآخرون، المصدر السابق، ص٩
(٣١و٣٢)قارن: الكامل في التاريخ ، ج١، ص١ مع عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المقدمة ، (بيروت ، لا.ت)، ص٣ وكذلك انظر: العزاوى المصدر السابق ، ص٣٣
(٣٣) العزاوى، المصدر السابق، ص ٣٠-٣١
(٣٤) الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٣
(٣٥) العزاوى، المصدر السابق، ص٣٣، طليمات، المصدر السابق ص ص ٤،٣٩
(٣٦) دريد عبدالقادر نورى، المصدر السابق، ص ٢٨ وللمقارنة انظر: الكامل في التاريخ ، ج١٢ ص٣٤ و٣٥، ٣٩، ٧٠.
(٣٧) انظر: خلدون ساطع الحصري، مقدمة مذكرات طه الهاشمي (بيروت ، ١٩٦٧) ص ٣٩-٣٠
(٣٨) طليمات، المصدر السابق ، ص٤٠
(٣٩) انظر : العزاوي ، المصدر السابق ، ص٤٧
(٤٠) للمقارنة انظر كتاب ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ،والمشار اليه آنفاً . راجع كذلك : شاكر مصطفى ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١١٥
(٤١) انظر : الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٢

(٤٢) طليمات ، المشدر السابق ، ص ٣-٥ ، دريد عبد القادر نوري ، المصدر السابق ، ص٢٨

(٤٣) المصدر نفسه ، ص٣ ، دريد عبد القادر نوري ، المصدر نفسه ، ص٢٣ طليمات ، المصدر السابق ، ص٤ ، محسن محمد حسين ، المصدر السابق ، ص١١.

(٤٣) انظر على سبيل المقارنة : نظير حسان سعداوي ، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، (القاهرة ، ١٩٦٢) ، ص٩

(٤٥) دريد عبد القادر نوري ، المصدر السابق ، ص٢٨

(٤٦) واجه ابن الاثير لذلك نقداً شديداً اعتمد اساساً على ان ابن الاثير تصد من ذلك تضليل قصد بعدم ذكر تلك المصادر ، انظر سعداوي ، المصدر السابق ، ص٩

(٤٧) انظر للتفاصيل : الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٢

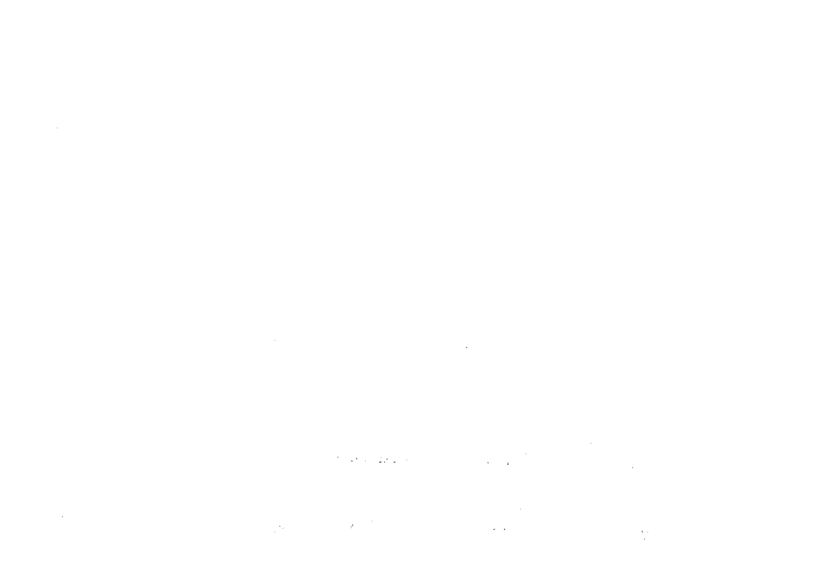
(٤٨) محمد جلوب فرحان ، منهجية ابن الاثير في كتابه الكامل التاريخ مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد ١٢ (ايار ، ١٩٨١) ص ١٥٣

(٤٩) يمكن للقارئ ملاحظة ذلك من خلال النظر في مؤلفات ابن الا ثير المشار اليها انفا. انظر كذلك شاكر مصطفى ، المصدر السابق، ج٢ ، ص ١١٤

ابنـــــــــاء الاثيـــر
في المراجع العربيـة والاجنبيـة



تأليف الدكتور حسين علي محفوظ
أستاذ الدراسات الشرقيـــة فـــي
كليـــة الاداب / جامعة بغداد



ثبت الموضوعات

تصدير

يعتبر ابناء الاثير — الاخوة الثلاثة النابغون المحدث مجد الدين المبارك، والمؤرخ عز الدين علي، والكاتب ضياء الدين نصر الله من اركان التراث في تاريخ الادب العربي.

ولد اولهم في اوائل العشر الخامس من القرن السادس ، ومات في أواسط العشر الاول من القرن السابع مشرفاً على الستين. وقد خلف مؤلفات كثيرة عددت المصادر ثمانية عشر كتاباً منها ، تشتمل على التفسير والنحو ، والرجال ، والحديث ، والحساب ، والكتابة ، والمناقب ، والادعية ، واللغة . ولعل اشهرها : (جامع الاصول) و (الموصع).

وولد الثاني في منتصف العشر السادس من القرن السادس ، وتوفى في نهاية العشر الثالث من القرن السابع من نيف وسبعين عاما. وقد ترك عدة مؤلفات في التاريخ، والانساب، والتراجم، أهمها: (الكامل)، و (أسد الغابة)، و(اللباب).

وولد الثالث في أواخر العشر السادس من القرن السادس، وتوفي في اواخر العشر الرابع من القرن السابع موشكا ان يبلغ الثمانين. وقد ترك بضعة عشر كتابا احصت المراجع خمسة عشر منها، في الحديث، وعلوم البلاغة، واللغة والادب، والانشاء، اهمها: (الجامع الكبير) ، و(المثل السائر)، و (الوشي المرقوم).

والحق — أن مؤلفات ابناء الاثير من قواعد العلم، ومن اسس التراث. ومن ذا الذي يستغني عن كتاب (النهاية) لمجدالدين ابن الاثير في اللغة وغريب الحديث، وكتاب (الكامل) لعزالدين ابن الاثير في التاريخ، وكتاب (المثل السائر) لضياءالدين ابن الاثير في علوم البلاغة.

لقد اغنى ابناء الاثير (المكتبة العربية) بهذا النتاج البديع العظيم.

هذا — وقد حاولت — في هذه الببلوغرافيا الاولية المتواضعة أن احصي مظان تراجم ابناء الاثير المنشورة في المصادر والمراجع العربية والاجنبية، منذ القرن السابع الهجري حتى الان. وهي (١٠٥) كتب، ثلاثة عشر منها في القرن السابع، وخمسة عشر في القرن الثامن، وستة في القرن التاسع، ومثلها في القرن العاشر، واربعة في القرن الحادى عشر، واثنان

في القرن الثاني عشر، واثنان في القرن الثالث عشر كذلك، وسبعة واربعون في القرن الرابع عشر، اضافة الى دوائر المعارف والموسوعات وهي عشر.

اما المصادر المخطوطة — وهي عدة — فالمرجو أن يتاح لنا احصاؤها ونشرها استكمالا لدراسة سير ابناء الاثير، في المستقبل ان شاء الله تعالى. وهو مولانا ونعم المولى ونعم النصير .

بغداد ١٩٨٢/١/٧

الدكتور حسين علي محفوظ
أستاذ الدراسات الشرقية في كليـــة
الاداب بجامعـــة بغـــداد

ترجمة

مجد الدين ابن الاثير

هو ، مجد الدين ، ابو السعادات ، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ، الشيباني ، الجزرى ، المعروف بابن الاثير ، المحدث .

ولد سنة ٥٤٤هـ . وتوفي في سنة ٦٠٦هـ

ترك مؤلفات كثيرة منها :

١ .الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف / اربع مجلدات.

٢ .الباهر في الفروق والابنية .

٣ .البديع في النحو / شرح الفصول لابن الدهان «نحو الاربعين كراسة».

٤ .البنين والبنات من رجال الحديث .

٥ .تجريد اسماء الصحابة .

٦ .تهذيب فصول ابن الدهان في النحو .

٧ .جامع الاصول في أحاديث الرسول / جمع فيه بين الصحاح الستة «في أحد عشر مجلدا» .

٨ .الجواهر واللال من انشاء المولى الجلال / مجموع رسائل الوزير جلال الدين ابي الحسن الاصبهاني .

٩ .الدر المنثور / رسائل مدونة في مجلدتين جمعها أبو محمد اسماعيل بن علي الكاتب الخضيرى ، المتوفى سنة ٦٠٣هـ .

١٠.ديوان الرسائل .

١١.رسائل في الحساب مجدولات .

١٢.الشافي / شافي العي بشرح مسند الشافعي «نحو مائه كراسة» .

١٣.صناعة الكتاب / كتاب لطيف في صنعة الكتابة .

١٤.المختار في مناقب الاخيار «او / الابرار» «أربع مجلدات».
١٥.المرصع في الاباء والامهات والابناء والبنات والاذواء والذوات .
١٦.المصطفى والمختار في الادعية والاذكار .
١٧.منال الطالب في شرح طوال الضرائب .
١٨.النهاية في غريب الحديث والاثر .

ترجمة
مجدالدين ابن الاثير
مراجع ترجمة
مجدالدين ابن الاثير
(مرتبه على الوفيات)
القرن السابع الهجري

- معجم الادباء / ياقوت الحموى (٦٢٦هـ)
  ج ١٧ ص ٧١ – ٧٧
- ارشاد الاديب (= معجم الأدباء)
  ج٦ ص ١٣٨ – ٢٤١
- معجم البلدان / ياقوت الحموى
  ج٣ ص ١٠٣ مادة «جزيرة ابن عمر»
- الكامل في التاريخ/ ابن الاثير (٦٣٠هـ)
  ج١٢ ص٢٨٨ «حوادث سنة ٦٠٦هـ»
  ج١١ ص٤٢٩ «حوادث سنة ٥٧١هـ»
- انباه الرواة / القفطي (٦٤٦هـ)
  ج٣ ص ٢٥٧ – ٢٦٠

– مرآة الزمان / سبط ابن الجوزى (٦٥٤هـ)
ج٨ ق١ ص ٤٣٥ «استطرادا في تضاعف الاخبار»
– التكملة لوفيات النقلة / المنذرى (٦٥٦هـ)
ج٣ ص ٣٠٨ – ٣١٠
– ذيل الروضتين / ابن ابي شامه
ص ٦٨ – ٦٩
– الجامع المختصر / ابن الساعي (٦٧٤هـ)
ج٩ ص٢٩٩ – ٣٠١ «حوادث سنة ٦٠٦هـ»
– تكملة اكمال الاكمال / ابن الصابوني (٦٨٠هـ)
ص٤، مادة «الاثيـر»
– وفيات الاعيان / ابن خلكان (٦٨١هـ)
ج٣ ص ٢٩٤ – ٢٩٨

القرن الثامن الهجري

– تلخيص مجمع الاداب/ ابن الفوطي (٧٢٣هـ)
ج٤ ق٢ هامش ص ٨٢
ق٣ هامش ص ٦٦ – ٦٧
هامش ص ١٩٨ – ١٩٩
– المختصر في أخبار البشر/ ابو الفداء (٧٣٢هـ)
ج٣ص ١١٨ – ١١٩
– تاريخ كزيدة/ حمد الله المستوفى (٧٤٠هـ)
ص ٧٠٣

ـ دول الاسلام / الذهبي (٧٤٨هـ)
ج٢ ص ٨٤

ـ المختصر المحتاج اليه/ الذهبي
ج٣ ص ١٧٥ ـ ١٧٦
هامش ص ١٧٥

ـ العبر/ الذهبي
ج٥ ص ١٩

ـ تتمة المختصر/ ابن الوردي (٧٤٩هـ)
ج٢ ص ١٨٢ ـ ١٨٣

ـ مرآة الجنان / اليافعي (٧٦٨هـ)
ج٤ ص ١١ ـ ١٢

ـ طبقات الشافعية/ السبكي (٧٧١هـ)
ج٨ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠

ـ طبقات الشافعية/ الاسنوي (٢٧٢هـ)
ج١ ص ١٣٠ ـ ١٣٢

ـ البداية والنهاية/ ابن كثير (٧٧٤هـ)
ج١٣ ص ٥٤
ص ١٣٩ «استطراداً»

القرن التاسع الهجري

ـ العسجد المسبوك/ الملك الاشرف الغساني (٨٠٣هـ)
ص ٣٣٢

ـ كتاب الوفيات/ ابن قنفذ (٨٠٩هـ)
ص ٣٠٣

وهامش (٢) ص ٣٠٣ ــ ٣٠٤

ــ مجمل فصيحي / فصيح الخوافي (+ ٨٤٥هـ)

ج٢ ص ٢٨٥هـ

ــ النجوم الزاهرة/ ابن تغرى بردي (٨٧٤هـ)

ج٦ ص ١٩٨ ــ ١٩٩

القرن العاشر الهجري

ــ الاعلان بالتوبيخ/ السخاوي (٩٠٢هـ)

ص ٦٧٣

ــ تاريخ الخلفاء/ السيوطي (٩١١هـ)

ص ٤٩٨ «ذيل ترجمة الناصر لدين الله»

ــ بغية الوعاة/ السيوطي

ص ٣٨٥ ــ ٣٨٦

ــ دستور الوزراء/ طوندمير (٩٤٢هـ)

ص ٢٧٣ ــ ٢٧٤ وص ٢٨٠

ــ مفتاح السعادة/ طاشكبرى زادة (٩٦٨هـ)

ج١ ص ١٢٨ ــ ١٢٩

ص ٢٢٢ «استطرادا»

ج٢ ص ١٢٨ «استطرادا» مادة «جامع الاصول».

ص ١٤٧

ص ٢٠١، مادة «الجامع الكبير».

ص ٣٧٩

ــ الخميس/ الديار بكرى (+ ٩٨٢هـ)

ج٢ ص ٣٦٨

القرن الحادى عشر الهجري

ـ كشف الظنون / حاجي خليفة كاتب جلبي (١٠٦٧هـ)
ج١ص١٨٢، مادة «الانصاف».
ص٢١٩، مادة «الباهـــر».
ص٢٣٦، مادة «البديـع».
ص٢٥٦، مادة «البنين والبنات».
ص٥٣٥ ـ ٥٣٧، مادة «جامع الاصول».
ص٦١٨، مادة «الجواهر واللآل».
ص٧٨٩، مادة «ديوان الرسائل».
ج٢ص١٢٠٧ «استطرادا».
ص١٣٨٣، مادة «كتاب الاباء والامهات».
ص١٦٢٣، مادة «المختار في مناقب الابرار».
ص١٦٨٣، مادة «شافي العي» في مادة «مسند الشافعي»
ص١٧١١، مادة «المصطفى المختار في الادعية والاذكار».
ص١٩٨٩، مادة «النهاية في غريب الحديث».

ـ اسماء الكتب / رياضي زادة (١٠٧٨هـ)
ص١٣١، مادة «جامع الاصول».
ص١٩٤ و ٢١٨ و ٣٣٠

ـ شذرات الذهب / ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)
ج٥ص٢٢ ـ ٢٣

القرن الثاني عشر الهجري

ـ نزهة الجليس / السيد عباس المكي (ج١١٨٠هـ)
ج٢ص٤١٣ ـ ٤١٤

القرن الثالث عشر الهجري

– منهل الاولياء / محمد أمين العمري (١٢٠٣هـ)
ج١ص٢٠٠ – ٢٠١
– تاج العروس/ السيد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)
ج٣ ص ٦ – ٧ ، مادة «اثر»

القرن الرابع عشر الهجري

– التعليقات السنية، على الفوائد البهية في تراجم الحنفية/ الكنوي (١٣٠٤هـ)
هامش ص ٣٢
– البلغة في اصول اللغة/ السيد محمد صديق حسن خان (١٣٠٧هـ)
ص ١٧٧، مادة «النهاية»
– نامة دانشويان/ مجمع دار التأليف (١٣١٣هـ)
ج٣ ص ٢١٩ – ٢٢٦
– روضات الجنات/ السيد محمد باقر الخوانسارى (١٢١٣هـ)
ج٧ ص ٢٣٢ – ٢٣٣
– اكتفاء القنوع بما هو مطبوع/ ادوردفنديك (+ ٢٣١٣هـ)
ص ٧٣ «استطرادا»
ص ١٣١
– هدية العارفين/ اسماعيل باشا البغدادي (١٣١٩هـ)
ج٢ ص ٢ – ٣
– ايضاح المكنون/ اسماعيل باشا البغدادي
ج٢ ص ٤٦٨، مادة «المرصع»
– قاموس الاعلام/ ش. سامي (١٣٢٢هـ)
ج١ ص ٥٩٩

ـ تاريخ آداب اللغة العربية/ جرجي زيدان (١٩١٤هـ)

ج٣ ص ١٠٩ ـ ١١٠

ـ الرسالة المستطرفة/ الكتاني (١٣٤٥هـ(

ص ١٥٦

ـ فهرس الخزانة التيمورية/ اجمد تيمور (١٢٤٨هـ)

ج٢ ص ١٩٧ ـ ١٩٨، مادة «جامع الاصول».

ج٣ ص ٩

ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة / يوسف اليان سركيس (١٩٣٢هـ)

ص ٣٤ ـ ٣٥

ـ الكنى والالقاب/ الشيخ عباس القمي (١٣٥٩هـ)

ج١ ص ٢٠٧ ـ ٨، مادة «ابن الاثير»

ـ تتمة المنتهى/ الشيخ عباس الفمي

ص ٥١٧ «حوادث سنة ٦٠٦هـ»

ـ هدية الاحباب/ الشيخ عباس القمي

ص ٤٧، مادة «ابن الاثير».

ـ سفينة البحار/ الشيخ عباس القمي

ج١ ص ١١، مادة «اثر»

ـ ريحانة الادب/ محمد علي المدرس (١٣٧٣هـ)

ج٥ ص ٢٤٣، مادة «ابن الاثير».

ـ لغتنامة/ علي اثبر دهخدا (١٣٧٤هـ)

ج١ حرف الالف ص ٢٩٠، مادة «ابن»

ـ تاريخ الادب العربي/ كارل بروكلمان (١٩٥٦هـ)

ج٦ ص ١٩٣ ـ ١٩٩

ـ تاريخ الموصل/ القس سليمان صائغ (١٩٦١م)

ج٢ ص ٩٧ ـ ٩٨

- تاريخ الادب العربي في العراق/ عباس العزاوي (١٣٩١هـ)
ج١ ص ٨٩
- فرهنك فارس/ دكتور محمد معين (١٣٩١هـ)
ج٥ ص ٧٩
- فرهنكامه باريس/ سعيد نفيسي (١٣٩١هـ)
ج١ ص ٤٥٠
- الاعلام/ خير الدين الزركلي (١٩٧٦م)
ج٦ ص ١٥٢
- معجم المؤلفين/ عمر رضا كحالة
ج٨ ص ١٧٤
- دليل المراجع العربية/ عبد الكريم الامين وناهدة ابراهيم
ج١ ص ٦٢
- مؤلفين كتب جابي/ خانبابا مشار
ج٥ ص ١٧٢ - ١٧٣
- دليل معرض اعلام الموصل/ لجنة معرض اعلام الموصل
ص ٢٤
- دليل المراجع العربية والمعربة/ عبد الجبار عبد الرحمن
ص ١٨٢ - ١٨٣
- الموصل في العهد الاتابكي / سعيد الديوه جي
ص ٩٦ - ٩٧
- دليل الموصل العام/ عبد الجبار محمد جرجيس
ص ١٠٥ - ١٠٦
- راهنماى دانشوران/ السيد علي اكبر البرقعي
ج١ ص ١٤٨
- دولة الاتابكة في الموصل/ الدكتور رشيد الجميلي
ص ٣٢٠

ـ بلاد الجزيرة في اواخر العصر العباسي الدكتور عصام عبد الرؤوف
ص ٢٥٠ ـ ٢٥١
ـ ذخائر التراث العربي الاسلامي
ج١ ص ٣٩

دوائر المعارف والموسومات

ـ دائرة المعارف الاسلامية
ج١ ص ٨٢
ـ دائرة معارف القرن الرابع عشر ـ العشرين/ محمد فريد وجدي
ج١ ص ٥٤ ـ ٥٥
ـ كنز العلوم واللغة/ محمد فريد وجدي
ص ٢٦
ـ دائرة المعارف / بطرس البستاني
ال
ج ١ص ٣٧٠
ـ دائرة المعارف / فؤاد البستاني
ج ٢ص ٣٢٤
ـ دائرة المعارف / آريانا
ج ١ص ٧٦٤
ـ دائرة المعارف فارس / غلا محسين مصاحب
ج١ص ١٤
ـ القاموس الاسلامي / احمد عطية الله
ج ١ص ٢٤

عز الدين ، أبو الحسن ، علي
ابن الاثير «٦٣٠هـ»

ترجمة عز الدين ابن الاثير

هو ، عز الدين ، أبو الحسن ، علي بن محمد بن محمد نن عبد الكريم بن عبد الواحد ، الشيباني ، الجزرى ، المعروف بابن الاثير ، المؤرخ .

ولد سنة ٥٥٥هـ ، وتوفي سنة ٦٣٠هـ.

ترك عده مؤلفات ، منها :

١.اسد الغابة في معرفة الصحابة
٢.التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، في الموصل .
٣.تحفة العجائب وطرفة الغرائب
٤.الجامع الكبير في علم البيان (كذا)
٥.كتاب الجهاد
٦.الكامل في التاريخ
٧.كتاب اللباب في تهذيب الانساب
٨.المستقصى في التاريخ

مراجع ترجمة
(مرتبه على الوفيات)

القرن السابع الهجري

— معجم البلدان / ياقوت الحموى (٦٢٦هـ)
ج٣ ص١٠٣، مادة «جزيرة ابن عمر».

— انباه الرواة / القفطي (٦٤٦هـ)
ج٣ ص٣٦٠ «استطرادا»
ج٤ ص٧٨ «استطرادا / في ترجمة ياقوت».

ـ مرآة الزمان / سبط ابن الجوزى (٦٥٤هـ)
أ ج٨ ق١ ص٣٢ سماه «الاستاذ الجزرى».
ـ التكملة لوفيات النقلة / المنذرى (٦٥٦هـ)
ج٦ ص٧٤ ـ ٧٦
ـ ذيل الروضتين / ابن ابي شامة
ص١٦٢
ـ تكملة اكمال الاكمال / ابن الصابوني (٦٨٠هـ)
ص٤، مادة «الاثيـــر»
ـ وفيات الاعيان / ابن خلكان (٦٨١هـ)
ج٣ ص ٣٣ ـ ٣٥

القرن الثامن الهجري

ـ تلخيص مجمع الاداب / ابن الفوطي (٧٢٣هـ)
ج٤ ق١ ص٢٦٠ ـ ٢٦١
ق٣ هامش ص٦٦ ـ ٦٧
هامش ص١٩٨ ـ ١٩٩
ـ الحوادث الجامعة (؟) / ابن الفوطي (؟)
ص٨٨
ـ المختصر في اخبار البشر / أبو الفداء (٧٣٢هـ)
ج٣ ص١٥٨ ـ ١٦١
ـ تاريخ كزيدة/ حمدالله المستوفى (+ ٧٤٠هـ)
ص٦٩٦
ـ دول الاسلام / الذهبي (٧٤٨هـ)
ج٢ ص١٠٢ ـ ١٠٣
ـ تذكرة الحفاظ / الذهبي
ج٤ ص ١٣٩٩ ـ ١٤٠٠

- العبر / الذهبي

ج٥ ص١٢٠ - ١٢١

- تتمة المختصر / ابن الوردي (٧٤٩هـ)

ج٢ ص٢٦٦ «حوادث سنة ٦٢٨هـ/ في الكلام على تاريخه»

- ارشاد القاصد / السنجارى (٧٤٩هـ)

ص١٨ «التاريخ»

- الوافي / الصفدي (٧٦٤هـ)

ج١ ص٥٠

- مرآة الجنان / اليافعي (٧٦٨هـ)

ج٤ ص٧٠

- طبقات الشافعية / السبكي (٧٧١هـ)

ج٨ ص٣٦٦ - ٣٦٧

- طبقات الشافعية / الاسنوي (٧٧٢هـ)

ج١ ص١٣٢ - ١٣٣

- البداية والنهاية / ابن كثير (٧٧٤هـ)

ج١٣ ص١٣٩

القرن الثامن الهجري

- العسجد المسبوك / الملك الاشرف الغساني (٨٠٣هـ)

ص٤٥٥ - ٤٥٦

- النجوم الزاهرة / ابن تغرى بردى (٨٧٤هـ)

ج٦ ص ٢٨١

القرن العاشر الهجري

- الاعلان بالتوبيخ/ السخاوي (٩٠٢هـ)

ص ٤٥٢ و ٢٥٤ و ٥٧٣ و ٦٠٢ و ٦٧٢ - ٦٧٣

ـ تاريخ الخلفاء/ السيوطي (٩١١هـ)
ص ٤٦٤ «ذيل ترجمة المستنصر»
ـ مفتاح السعادة/ طاشكبرى زادة (٩٦٨هـ)
ج١ ص ٢٢٢ «استطرادا».
ص ٢٥٣ ـ ٢٤٥
ـ الخميس /الديار بكرى (- ٩٨٢هـ)
ج٢ ص ٣٧١

القرن الحادي عشر الهجري

ـ كشف الظنون/ حاجي خليفة، كاتب جلبي (١٠٦٧هـ)
ج١ ص ٨٢، مادة «اسد الغابة»
ص ١٧٩، مادة «ا نساب» كتاب «اللباب» .
ص ٥٧١، مادة «الجامع الكبير في علم البيان» (؟).
ج٢ ص ٣٨٠، مادة «كامل التراويخ» .
ص ١٤١٠، مادة «كتاب الجهاد».
ـ اسماء الكتب/ رياضي زادة (١٠٧٨هـ)
ص ٢٥٥، مادة «الكامل».
ـ شذرات الذهب/ ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)
ج ٥ ص ١٣٧

القرن الثالث عشر الهجري

ـ منهل الاولياء/ محمد امين العمري (١٢٠٣هـ)
ج١ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢
ـ تاج العروس/ السيد محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)
ج٣ ص ٥٦ مادة «اثر» .

القرن الرابع عشر الهجري

- التعليقات السنية على الفوائد البهية في تراجم الحنفية/ الكنوى (١٣٠٤هـ)
هامش ص ١٤
- نامه دانشوران/ مجمع التأليف (١٣١٣هـ)
ج٣ ص ٢٢٧ - ٢٣٨
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع/ ادوردفنديك (+ ١٣١٣هـ)
ص ٧٢-٣ و٩٠ و ٣٨٣
- هدية العارفين/ اسماعيل باشا البغدادي (١٣١٩هـ)
ج١ ص ٧٠٦
- قاموس الاعلام/ ش. سامي (١٣٢٢هـ)
ج١ ص ٥٩٩
- تاريخ آداب اللغة العربية/ جرجي زيدان (١٩١٤م)
ج٣ ص ٨٧- ٨٨
- الرسالة المستطرفة/ الكناني (١٣٤٥هـ)
ص ١٢٥
- فهرس الخزانة التيمورية/ احمد تيمور (١٣٤٨هـ)
ج٣ ص ٨
- معجم المطبوعات العربية والمعربة / يوسف اليان سركيس (١٩٣٢م)
ص ٣٦ - ٣٨
- الكنى والالقاب/ الشيخ عباس القمي (١٣٥٩هـ)
ج١ ص ٢٠٨
- تتمة المنتهى/ الشيخ عباس القمي
ص ٥١٧ - ٥١٨ «حوادث سنة ٦٠٦هـ».
- هدية الاحباب/ الشيخ علي القمي
ص ٤٧ - ٤٨

- سفينة البحار/ الشيخ عباس القمي
ج١ ص ١١
- ريحانة الادب / محمد علي المدرس (١٣٧٣هـ)
ج ٥ ص٢٤٢
- لغتنامه / علي اكبر دهخدا (١٣٧٤هـ)
مج ١ حرف الالف ص٢٩٠ ، مادة «ابن» .
- تاريخ الادب العربي / كارل بروكلمان (١٩٥٦م)
ج ٦ ص١٣٦ - ١٣٨
- تاريخ الموصل / القس سليمان صائغ «١٩٦١م»
ج ٢ ص٩٨ - ٩٩
- تاريخ العراق بين احتلالين / عباس العزاوي (١٣٩١هـ)
ج ١ ص٦ - ٧ «الكامل» .
- التعريف بالمؤرخين / عباس العزاوي
ج ١ ص٢٤ - ٥٢
- فرهنك فارس / دكتر محمد معين (١٣٩١هـ)
ج ٥ ص٧٩ - ٨٠
- فرهنكنامة بارس / سعيد نفيسي (١٣٩١هـ)
ج ١ ص٤٥٠
- الاعلام / خير الدين الزركلي (١٩٧٦)
ج ٥ ص١٥٣
- معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة
ج ٧ ص٢٢٨ - ٢٢٩
- دليل المراجع العربية / عبد الكريم الامين وزاهدة ابراهيم
ج ١ ص٩٢

- مؤلفين كتب جابي / خانبابا مشار

ج ٤ ص٣٨٣ — ٣٨٤

- دليل معرض اعلام الموصل / لجنة معرض اعلام الموصل

ص٢٣

- دليل المراجع العربية والمعربة / عبد الجبار عبد الرحمن

ص٤٠٧ — ٤٠٨ و ٤٦١ و ٤٦٤

- الموصل في العهد الاتابكي /سعيد الديوهجي

ص٩٧و١٧٧ «مقبرة ابن الاثير».

- دليل الموصل العام/ عبد الجبار محمد جرجيس ص١٠٦

- راهنماي دانشوران/ السيد علي اكبر البرقعي

ج١ص١٤٩

- اربيل في العهد الاتابكي/ محسن محمد حسين

ص٢٥٩ — ٢٦٠

- علم التاريخ عند المسلمين

ص٦٥و٧٨و٨٠و١٤٠و١٥٣و٢١٢

- بلاد الجزيرة في اواخر العصر العباسي/ الدكتور عصام عبد الرؤوف

ص٢٥٢ — ٢٥٥

- راهنماي ديبات فارس/ دكتر زهراخادلوي

ص٩

- المكتبة /الدكتور سامي مكي العاني وعبد الوهاب محمد علي العدواني

ص٣٠٥ — ٣٠٦

- ذخائر التراث العربي الاسلامي

ج١ص٣٩ — ٤٠

دوائر المعارف الموسوعات

- دائرة المعارف الاسلامية

ج١ص٨٢ ــ ٨٣

- دائرة معارف القرن الرابع عشر ــ العشرين /محمد فريد وجدي

ج١ص٥٣ ــ ٥٤

- كنز العلوم واللغة /محمد فريد وجدي

ص٢٦، مادة «اثر»

- الموسوعة العربية الميسرة

ج١ص٩

- الموسوعة الذهبية

ج١ص٢٧ ــ ٢٨

- دائرة المعارف/ بطرس البستاني

ج١ص٣٧٠ ــ ٣٧١

- دائرة المعارف/ فؤاد البستاني

ج٢ص٣٢٤ ــ ٣٢٥

- دائرة المعارف /آريانا

ج١ص٧٦٤ ــ ٧٦٥

- دائرة المعارف فارس/ غلام حسين مصاحب

ج١ص١٤

- القاموس الاسلامي/ احمد عطية الله

ج١ص٢٤

ضياء الدين، ابو الفتح، نصر الله

ابن الاثير «٦٣٧هـ»

ترجمة ضياء الدين ابن الاثير

هو ضياء الدين، ابو الفتح، نصرالله، بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، الشيباني، الجزري، المعروف بابن الاثير، الكاتب.

ولد سنة ٥٥٨هـ. وتوفي في سنة ٦٣٧هـ

ترك مؤلفات كثيرة منها:

١. كتاب الاخبار النبوية/ يشتمل على ثلاثة الاف خبر
٢. ادعية مخصوصة /ضمنه مائة دعاء
٣. الاستدراك
٤. البرهان في علم البيان
٥. ترسل/ ديوان الرسائل
٦. الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور
٧. رسالة في اوصاف مصر
٨. رسالة في الضاد والظاء
٩. مؤنس الوحدة
١٠. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر
١١. مجموع / مختارات شعر ابي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي
١٢. المرصع في الادبيات (؟)
١٣. المعاني المخترعة في صناعة الانشا
١٤. المفتاح المنشأ في حديقة الانشا
١٥. الوشي المرقوم في حل المنظوم

مراجع ترجمة
ضياء الدين ابن الاثير
(مرتبة على الوفيات)

القرن السابع الهجري

- معجم البلدان / ياقوت الحموى (٦٢٦هـ)
  ج ٣ ص١٠٣ ، مادة «جزيرة ابن عمر»
- انباه الرواة / القفطي (٦٤٦هـ)
  ج ٣ ص٢٦٠ «استطراداً»
- التكملة لوفيات النقلة / المنذري (٦٥٦هـ)
  ج ٦ ص٣٤١ — ٣٤٢
- ذيل الروضتين / ابن ابي شامة (٦٦٥هـ)
  ص١٦٩
- تكملة اكمال الاكمال / ابن الصابوني (٦٨٠هـ)
  ص٤ — ٦
- وفيات الاعيان / ابن خلكان (٦٨١هـ)
  ج ٥ ص٢٥ — ٣٢

القرن الثامن الهجري

- الحوادث الجامعة/ ابن الفوطي (٧٢٣هـ)
  ص١٣٦
- تاريخ كزيدة/ حمدالله المستوفى (+ ٧٤٠هـ)
  ص٧٠٦
- دول الاسلام/ الذهبي (٧٤٨هـ)
  ج٢ص١٠٩

– العبر/ الذهبي

ج٥ص١٥٦

– ارشاد القاصد/ السنجاري (٧٤٩هـ)

ص٣٣«الجامع الكبير»

– مرآة الجنان/ اليافعي (٧٦٨هـ)

ج٤ص٩٧ – ٩٨

– طبقات الشافعية/ الاسنوي (٧٧٢هـ)

ج١ص١٣٣

– البداية والنهاية/ ابن كثير (٧٧٤هـ)

ج١٣ص١٣٩ «استطرادا»

القرن التاسع الهجري

– العسجد المسبوك/ الملك الاشرف الغساني (٨٠٣هـ)

ص٤٩٦

– النجوم الزاهرة/ ابن تغري بردي (٨٧٤هـ)

القرن العاشر الهجري

– الاعلان بالتوبيخ/ السخاوي (٩٠٢هـ)

ص٦٧٣

– تاريخ الخلفاء/ السيوطي (٩١١هـ)

ص٤٦٤ «ذيل ترجمة المستنصر»

– بغية الوعاة/السيوطي

ص٤٠٤

– مفتاح السعادة/ طاشكبري زادة (٩٦٨هـ)

ج١ص٢٢١ – ٢٢٢

ـ الخميس/ الديار بكري (+ ٩٨٢هـ)
ج٢ ص٣٧١

القرن الحادي عشر الهجري

ـ كشف الظنون/ حاجي خليفة كاتب جلبي (١٠٦٧هـ)
ج٢ص١٥٨٦، مأأة «المثل السائر»
ص٢٠١٢، مادة «الوشي المرقوم»

ـ شذرات الذهب/ ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)
ج٥ص١٨٧ ـ ١٨٩

القرن الثالث عشر الهجري

ـ منهل الاولياء/ محمد امين العمري (١٢٠٣هـ)
ج١ص٢٠٢

ـ تاج العروس/ السيد محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)
ج٣ص٧، مادة «اثر»

القرن الرابع عشر الهجري

ـ التعليقات السنية على الفوائد البهية في تراجم الحنفية / اللكنوي (١٣٠٤هـ)
هامش ص٣٥ «استطرادا»

ـ نامه دانشوران / مجمع دار التأليف (١٣١٣هـ)
ج٣ص٢٣٩ ـ ٢٥٦

ـ روضات الجنات/ السيد محمد باقر الخوانسارى (١٣١٣هـ)
ج٧ص٢٣٦ «استطرادا»

ـ اكتفاء القنوع بما هو مطبوع/ ادورفنديبك (١٣١٣هـ)
ص٣٤٤ ـ ٣٤٥
ص٧٣ «استطرادا»

– هدية العارفين / اسماعيل باشا البغدادي (١٣١٩هـ)

ج ٢ ص٤٩٢ – ٤٩٣

– ايضاح المكنون / اسماعيل باشا البغدادي

ج ٢ ص٥٠٧ ، مادة «المعاني المخترعة»

– قاموس الاعلام / ش . سامي

ج ١ ص٥٩٩ – ٦٠٠

– تاريخ اداب اللغة العربية / جرجي زيدان (١٩١٤م)

ج ٣ ص٥٣ – ٥٤

– معجم المطبوعات العربية والمعرية / يوسف اليان سركيس (١٩٣٢م)

ص٣٥ – ٣٦

– الكنى والالقاب / الشيخ عباس القمي (١٣٥٩هـ)

ج ١ ص٢٠٨

– تتمة المنتهى / الشيخ عباس القمي

ص٥١٨ «حوادث سنة ٦٠٦هـ» .

– هدية الاحباب / الشيخ عباس القمي

ص٤٨

– سفينة البحار / الشيخ عباس القمي

ج ١ ص١١ ، مادة «اثر»

– ريحانة الادب / محمد علي المدرس (٧٣٧٣هـ)

ج ٥ ص٢٤٣ – ٢٤٤

– لغتنامة / علي أكبر دهخدا (١٣٧٤هـ)

مج ١ حرف الالف ص٢٩٠ ، مادة «ابن»

– تاريخ الادب العربي / كارل بروكلمان (١٩٥٦)

ج ٥ ص٢٧١ – ٢٧٤

– تاريخ الموصل / القس سليمان صائغ

ج ٢ ص٩٩ – ١٠٠

- السلك الناظم / الدكتور مصطفى جواد (١٣٨٩هـ)
ج ٢ ص٢٨٢ – ٢٨٧
- تاريخ الادب العربي في العراق/ عباس العزاوي (١٣٩١هـ)
ج١ص٢٥ – ٣٠
- فرهنك فارس/ دكتر محمد معين (١٣٩١هـ)
ج٥ص٨٠
- فرهنكنامة/ سعيد نفيسي (١٣٩١هـ)
ج١ص٤٥٠ – ٤٥١
- الاعلام/ خير الدين الزركلي (١٩٧٦م)
ج٨ص٣٥٤
- مصادر الدراسة الادبية/ يوسف اسعد داغر (١٩٨١م)
ج١ص٢١٥ – ٢١٧
- معجم المؤلفين/ عمر رضا كحالة
ج١٣ص٩٨ – ٩٩
- دليل المراجع العربية/ عبد الكريم الامين وزاهدة ابراهيم
ج١ص١٩٥
- مؤلفين كتب جابي/ خانيابا مشار
ج٦ص٥٩١ – ٥٩٣
- دليل معرض اعلام الموصل /لجنة معرض اعلام الموصل
ص٢٣
- الجديد في الادب العربي وتاريخه/ حنا الفاخوري
ص٢٥٩ – ٢٦٣
- ادباء العرب في الاعصر العباسية/ عبدالله البستاني
ص٣٥٨ – ٣٦٤
- تاريخ الادب العربي/ حنا الفاخوري
ص٧٥١ – ٧٥٣

- ادب العرب/ مارون عبود
ص٣٥٢ ـ ٣٥٣
- الموصل في العهد الاتابكي/ سعيد الديوه جي
ص٩٧
- دليل الموصل العام/ عبد الجبار محمد جرجيس
ص١٠٦
- راهنماي دانشوران/ السيد علي اكبر البرقعي
ج١ص١٤٩ ـ ١٥٠
- دولة الاتابكة في الموصل/ الدكتور رشيد الجميلي
ص٣٢٠ ـ ٣٢١
- بلاد الجزيرة في اواخر العصر العباسي الدكتور عصام عبد الرؤوف
ص٢٥١ ـ ٢٥٢
- ذخائر التراث العربي الاسلامي
ج١ص٤١

دوائر المعارف والموسوعات

- دائرة المعارف الاسلامية
ج١ص٨٣ ـ ٨٤
- دائرة معارف القرن الرابع عشر/ العشرين/ محمد فريد وجدي
ج١ص٥٥ ـ ٥٧
- كنز العلوم واللغة/ محمد فريد وجدي
ص٢٦، مادة «اثر»
- الموسوعة العربية الميسرة
ج١ص٩

- دائرة المعارف/ بطرس البستاني
ج١ص٣٧١ – ٣٧٢
- دائرة المعارف/ فؤاد البستاني
ج٢ص٣٢٥ – ٣٢٧
- دائرة المعارف /آريانا
ج١ص٧٦٥
- دائرة المعارف فارس/ غلا محسين مصاحب
ج١ص١٤
- القاموس الاسلامي / احمد عطية الله
ج ١ ص٢٤

فهرسى المراجع
«مرتبه على الوفيات
القرن السابع الهجري

ارشاد الاديب =معجم الادباء (٦٢٦هـ)
معجم الادباء (٦٢٦هـ)
معجم البلدان (٦٢٦هـ)
الكامل في التاريخ (٦٣٠هـ)
انباه الرواة (٦٤٦هـ)
مرآة الزمان (٦٥٤هـ)
التكملة لوفيات النقلة (٦٥٦هـ)
كتاب الروضتين (٦٦٥هـ)
ذيل الروضتين (٦٦٥هـ)
عيون الانباء (٦٦٨هـ)

الجامع المختصر (٦٧٤هـ)
تكملة اكمال الاكمال (٦٨٠هـ)
وفيات الاعيان (٦٨١هـ)

القرن الثامن الهجري

تلخيص مجمع الاداب (٧٢٣هـ)
الحوادث الجامعة ؟ (٧٢٣هـ)
المختصر في اخبار البشر (٧٣٢هـ)
تاريخ كزيدة (٧٤٠هـ)
دول الاسلام (٧٤٨هـ)
تذكرة الحفاظ (٧٤٨هـ)
المختصر المحتاج اليه (٧٤٨هـ)
العبر (٧٤٨هـ)
تتمة المختصر (٧٤٩هـ)
ارشاد القاصد إلى اسنى المقاصد (٧٤٩هـ)
الوافي بالوفيات (٧٦٤هـ)
مرآة الجنان (٧٦٨هـ)
طبقات الشافعية الكبري (٧٧١هـ)
طبقات الشافعية «الاسنوي» (٧٧٢هـ)
البداية والنهاية (٧٧٤هـ)

القرن التاسع الهجري

العسجد المسبوك (٨٠٣هـ)
كتاب الوفيات (٨٠٩هـ)

روضة المناظر	(٨١٥هـ)
صبح الاعشى	(٨٢١هـ)
مجمل فصيحي	(+ ٨٤٥هـ)
النجوم الزاهرة	(٨٧٤هـ)

القرن التاسع الهجري

الاعلان بالتوبيخ	(٩٠٢هـ)
تاريخ الخلفاء	(٩١١هـ)
بغية الوعاة	(٩١١هـ)
دستور الوزراء	(٩٤٢هـ)
مفتاح السعادة	(٩٦٨هـ)
الخميس	(+ ٩٨٢هـ)

القرن الحادى عشر الهجري

الكشكول	(١٠٣١هـ)
كشف الظنون	(١٠٦٧هـ)
اسماء الكتب	(١٠٧٨هـ)
شذرات الذهب	(١٠٨٩هـ)

القرن الثاني عشر الهجري

نزهة الجليس	(١١٨٠هـ)
انيس الخاطر	(١١٨٦هـ)

القرن الثالث عشر الهجري

منهل الاولياء (١٢٠٣هـ)
تاج العروس (١٢٠٥هـ)

القرن الرابع عشر الهجري

التعليقات السنية (١٣٠٤هـ)
البلغة في اصول اللغة (١٣٠٧هـ)
نامة دانشوران ناصري (١٣١٣هـ)
روضات الجنات (١٣١٣هـ)
اكتفاء القنوع (١٣١٣هـ)
هدية العارفين (١٣١٩هـ)
ايضاح المكنون (١٣١٩هـ)
قاموس الاعلام (١٣٢٢هـ)
تاريخ اداب اللغة العربية (١٩١٤م)
الرسالة المستطرفة (١٣٤٥هـ)
فهرس الخزانة التيمورية (١٣٤٨هـ)
معجم المطبوعات العربية والمعربة (١٩٣٢م)
الكنى والالقاب (١٣٥٩هـ)
تتمة المنتهى (١٣٥٩هـ)
هدية الاحباب (١٣٥٩هـ)
سفينة البحار (١٣٥٩هـ)
ريحانة الادب (١٣٧٣هـ)
لغتنامه (١٣٧٤هـ)
تاريخ الادب العربي/ بروكلمان (١٩٥٦م)
تاريخ الموصل (١٩٦١م)

فهرس الفهارس (١٩٦٢م)
السلك الناظم (١٣٨٩هـ)
تاريخ العراق بين احتلالين (١٣٩١هـ)
التعريف بالمؤرخين (١٣٩١هـ)
تاريخ الادب العربي في العراق (١٣٩١هـ)
فرهنك فارس (١٣٩١هـ)
فرهنكنامه فارس (١٣٩١هـ)
الاعلام (١٩٧٦)
مصادر الدراسة الادبية (١٩٨١م)
معجم المؤلفين
دليل المراجع العربية
مؤلفين كتب جابي
دليل معرض اعلام الموصل
دليل المراجع العربية والمعربة
الجديد في الادب العربي
ادباء العرب في الاعصر العباسية
تاريخ الادب العربي «حنا الفاخوري»
ادب العرب
الموصل في العهد الاتابكي
دليل الموصل العام
راهنماي دانشوران
دولة الاتابكة في الموصل
اربيل في العهد الاتابكي
علم التاريخ عند المسلمين
بلاد الجزيرة في اواخر العصر العباسي

راهنماي ادبيات فارس
المكتبة
ذخائر التراث العربي الاسلامي

دوائر المعارف والموسوعات

دائرة المعارف الاسلامية
دائرة معارف القرن الرابع عشر ــ العشرين
كنز العلوم واللغة
الموسوعة العربية الميسرة
الموسوعة الذهبية
دائرة المعارف «المعلم بطرس البستاني»
دائرة المعارف «فؤاد البستاني»
دائرة المعارف «آريانا»
دائرة المعارف فارس
القاموس الاسلامي

فهرس المراجع
«مرتبة على الحروف»
(أ)

ادب العرب/ مارون عبود (بيروت ١٩٦٠)
ادباء العرب في الاعصر العباسية/ بطرس البستاني (بيروت ١٩٤٧)
اربيل في العهد الاتابكي/ محسن محمد حسين (بغداد ١٩٧٦)
ارشاد الاريب إلى معرفة الاديب/ ياقوت الرومي (مصر ١٩٢٦ ــ ١٩٣١)
ارشاد القاصد إلى اسنى المقاصد / السنجاري (بيروت ١٣٢٢هـ)

اسماء الكتب المتمم لكشف الظنون/ رياضي زادة (مصر ١٩٨٧٧)
الاعلام /خير الدين الزركلي (ط٣بيروت)
الاعلان بالتوبيخ «علم التاريخ عند المسلمين» /السخاوي (بغداد ١٩٦٣)
اكتفاء القنوع بما هو مطبوع/ اورد فنديك (مصر ١٣١٣هـ/١٨٩٦)
انباه الرواة على انباه النحاة/ القفطي (مصر ١٣٦٩هـ/١٩٥٠ — ١٩٧٣)
انيس الخاطر وجليس المسافر/ الشيخ يوسف البحراني (الهند ١٢٩١هـ)
ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون/ اسماعيل باشا البغدادي (استانبول ١٩٤٥ — ١٩٤٧)

(ب)

البداية والنهاية / ابن كثير (بيروت ١٩٦٦)
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / جلال الدين السيوطي (مصر ١٣٢٦هـ) .
بلاد الجزيرة في اواخر العصر العباسي / الدكتور عصام عبد الرؤوف (مصر ١٩٧٥) .
البلغة في اصول اللغة / السيد محمد صديق حسن خان (القسطنطينية ١٢٩٦هـ) .

(ت)

تاج العروس من جواهر القاموس / السيد محمد مرتضى الزبيدي) مصر ١٣٠٧هـ)
تاريخ اداب اللغة العربية / جرجي زيدان «تحقيق د. شوقي (صيف (مصر)
تاريخ الادب العربي / حنا الفاخوري (ط٦ بيروت)

تاريخ الادب العربي / كارل بروكلمان «ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار» (مصر ١٩٦٨ ـ ١٩٧٧) .
تاريخ الادب العربي في العراق/ عباس العزاوي (بغداد ١٣٨١هـ/١٩٦١ ـ ١٣٨٢هـ/١٦٦٢).
تاريخ الخلفاء/ جلال الدين السيوطي (مصر ١٣٧١هـ/١٩٥٢)
تاريخ العراق بين احتلاليين/ عباس العزاوي (بغداد ١٣٥٣هـ/١٩٣٥ ـ ١٣٧٦هـ/١٩٥٦)
تاريخ كزيدة/ حمد الله المستوفي «تحقيق دكتر عبد الحسين نواني) طهران ١٣٣٩ ش) .
تاريخ الموصل/ القس سليمان صائغ (بيروت ومصر ١٣٤٢هـ/١٩٢٣ ـ ١٩٢٨) تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)/ ابن الوردي (النجف ١٣٨٩هـ/١٩٦٩) .
تتمة المنتهى في وقائع ايام الخلفا/ الشيخ عباس القمي (ايران ١٣٦٥هـ)
تذكرة الحفاظ/ الذهبي (حيدر آباد الدكن ١٣٧٥هـ/١٩٥٥ ـ ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧) .
التعريف بالمؤرخين/ عباس العزاوي (بغداد ١٣٧٦هـ/١٩٥٧) .
التعليقات السنية على الفوائد البهية (على هامش الفوائد البهية في طبقات الحنفية(محمد عبد الحي كنوى الهندي (مصر ١٣٢٤هـ) .
تكملة اكمال الاكمال/ ابن الصابوني «تحقيق الدكتور مصطفى جواد» (بغداد ١٣٧٧هـ/١٩٥٧)
التكملة لوفيات النقلة / المنذري «تحقيق الدكتور بشار عواد معروف» (النجف الاشرف ومصر ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ ـ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦)
تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب/ ابن الفوطي «تحقيق الدكتور مصطفى جواد» (دمشق ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧(

(ج)

الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير/ ابن الساعي «تحقيق الدكتور مصطفى جواد» ب (بغداد ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤)

الجديد في الادب العربي وتاريخه/ حنا الفاخوري (ط٣ بيروت١٩٥٨)

(ح)

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة (؟) / ابن الفوطي «تحقيق الدكتور مصطفى جواد» (بغداد ١٣٥١هـ)

(خ)

الخميس في احوال انفس نفيس/ الديار بكري (مصر ١٢٨٣هـ)

(د)

دائرة معارف آريانا (كابل ١٣٢٨ — ١٣٤٨ ش/ ١٩٧٠)

دائرة المعارف/ فؤاد افرام البستاني (بيروت ١٩٥٦ — ١٩٧١)

دائرة المعارف/ المعلم بطرس البستاني (بيروت ومصر ١٨٧٦ — ١٠٠)

دائرة المعارف الاسلامية/ نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندى واحمد الشنتناوي وابراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس (مصر ١٢٣٥هـ / ١٩٣٣ — ...)

دائرة معارف القرن الرابع عشر — العشرين/ محمد فريد وجدي (مصر ١٣٢٣هـ/١٩٠٥)

دائرة المعارف فارس/ غلا محسين مصاحب (طهران ١٣٤٥هـ)

دستور الوزراء / خوندمير «تحقيق سعيد نفيسي» (طهران ١٣١٧ش)

دليل المراجع العربية/ عبد الكريم الامين وزاهدة ابراهيم (بغداد١٩٧٠)

دليل المراجع العربية والمعرية/ عبد الجبار عبد الرحمن (البصرة١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠

دليل معرض اعلام الموصل/ لجنة معرض اعلام الموصل (الموصل ١٩٧٧)

دليل الموصل العام/ عبد الجبار محمد جرجيس (الموصل ١٣٩٥هـ/١٩٧٥)

دول الاسلام الذهبي (حيدر آباد الدكن ١٣٣٧هـ)

دولة الاتابكة في الموصل / الدكتور رشيد الجميلي (بيروت ١٩٧٥)

(ذ)

ذخائر التراث العربي الاسلامي / عبد الجبار عبد الرحمن (البصرة ١٤٠١هـ / ١٩٨١) .

(ذيل الروضتين / ابن ابي شامة) بيروت ١٩٧٤ «ط مصر ١٩٤٧» .

(ر)

راهنماى ادبيات فارس / دكتر زهراى خانلرى «كيا» (طهران ١٣٤١ش)

راهنماى دانشوران / السيد علي اكبر البرقعي (رقم ١٣٢٨ش) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة / السيد محمد بن جعفر الثقافي (دمشق ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤) .

روض المناظر في اخبار الاوائل والاواخر / ابن الشحنة «على هامش الكامل (مصر ١٣٠٣هـ) .

روضات الجنات في احوال العلماء والسادات / السيد محمد باقر الخوانسارى (طهران ١٣٩٠ — ١٣٣٢هـ) .

كتاب الروضتين في اخبار الدولتين / ابن ابي شامة (القاهرة ١٢٨٨هـ

ريحانة الادب في تراجم المعروفين باخيه واللقب / محمد علي التبريزي المدرس (طهران وتبريز ١٣٦٦ — ١٣٧٣ هـ)

(س)

سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار / الشيخ عباس القمي (النجف ١٣٥٢ ١٣٥٥هـ) .

السلك الناظم لدفناء مشهد الكاظم / الدكتور مصطفى جواد «موسوعة العتبات المقدسة / قسم الكاظمين / ج٢ » (بيروت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠

(ش)

شذرات الذهب في اخبار من ذهب / ابن العماد الحنبلي (مصر ١٣٥٠ — ٣٥١) .

(ص)

صبح الاعشى في صناعة الانشأ / القلقشندى (مصر ١٣٣١هـ /١٩١٣ ١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠) .

(ط)

طبقات الشافعية الكبرى / السبكي (مصر ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤ — ١٩٧١
طبقات الشافعية / الاسنوى «تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري» (بغداد ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ — ١٣٩١هـ) .

(ع)

العبر في خبر من غبر/الذهبي (الكويت ١٩٦٠ — ١٩٦٦)
العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك/الملك الاشرف الغساني «تحقيق شاكر عبد المنعم» (بيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٥ .
علم التاريخ عند المسلمين / فرانز روزنثال «ترجمة الدكتور صالح احمد العلي» (بغداد ١٩٦٣).
عيون الانباء في طبقات الاطباء/ابن ابي اصيبعة (بيروت ١٩٦٥)

(ف)

فرهنك فاريس / دكتور محمد معين (تهران ١٣٤٥ش/١٩٦٦) .
فرهنكنامه فارس/سعيد نفيسي (تهران ١٣١٩ ش) .
فهرس الخزانة التيمورية/احمد تيمور باشا (مصر ١٣٦٧هـ/١٩٤٨ —

١٣٦٩هـ/١٩٥٠) فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات / السيد عبد الحي الكتاني الفاسي (المغرب ١٣٤٦ ـ ١٣٤٧هـ) .

(ق)

القاموس الاسلامي / احمد عطية الله (مصر ١٣٨٣هـ/١٩٦٣ ـ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦).

قاموس الاعلام/ش. سامي (استانبول ١٣٠٦ ـ ١٣١٦هـ) .

(ك)

الكامل في التاريخ/عز الدين ابن الاثير (بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥ ١٣٨٦ هـ/١٩٨٦)

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/حاجي خلفة كاتب جلبي) استانبول ١٣٦٠ ـ ١٣٣٢هـ .

الكشكول/بهاء الدين العاملي (النجف الاشرف ١٣٩٣هـ/١٩٧٣)

كنز العلوم واللغة/محمد فريد وجدي (مصر ١٣٢٣هـ/١٩٠٥)

الكنى والالقاب / الشيخ عباس القمي (النجف الاشرف ١٣٨٩هـ/١٩٦٩ ـ ١٩٧٠).

(ل)

لغات تاريخية وجغرافية / احمد رفعت (استانبول ١٣٠٠هـ)

لغتنامة / دهخدا (طهران ١٣٢٥ ش ـ ...)

(م)

مؤلفين كتب جابي / خانبابا مشار (تهران ١٣٤٠ ـ ١٣٤٤ش)

مجمل فصيحي / فصيح احمد خوافي (مشهد ١٣٣٩ ـ ١٣٤٠ش)

المختصر في أخبار البشر «تاريخ ابي الفداء»/ ابو الفداء (قسطنطينية ١٢٨٦هـ)

المختصر المحتاح اليه من تاريخ ابن الدبيثي/ الذهبي «تحقيق الدكتور مصطفى جواد (بغداد ١٣٧١هـ/١٩٥١ ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧)

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان / اليافعي (حيدر آباد الدكن ١٣٣٧ – ١٣٣٩ هـ)
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان / سبط ابن الجورى (حيدر آباد الدكن ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ – ١٩٥٢
مصادر الدراسة الأدبية وفقا لمناهج التعليم الرسمية / يوسف اسعد داغر (ج ١ صيدا ١٩٥٠)
معجم الأدباء / ياقوت الحموى (مصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ – ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨
معجم البلدان / ياقوت الحموى (مصر ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٦)
معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة (دمشق ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧ – ١٣٨١هـ/ ١٩٦١)
معجم المطبوعات العربية والمعربة / يوسف اليان سركيس (مصر ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨)
مفتاح السعادة ومصباح السيادة / طاشكبرى زادة (مصر ++ ١٩٦٨)
المكتبة / الدكتور سامي مكي العاني وعبدالوهاب محمد علي العدواني) الموصل ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩)
المنجد في الادب والعلوم / الأدب فردينال توتل اليسوعي (ط ١٩ بيروت ١٩٦٦)
منهل الأولياء « ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء / محمد الخطيب العمري (الموصل ١٣٨٦هـ/١٩٦٧ – ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨)
الموسوعة الذهبية / رئيس التحرير الدكتور ابراهيم عبده (مطابع سجل العرب)
الموسوعة العربية الميسرة / باشراف محمد شفيق غربال (بيروت ١٩٨٠)
الموصل في العهد الأتابكي / سعيد الديوه جي (بغداد ١٣٧٨ هـ/١٩٥٨)

(ن)

نامة دانشوران ناصرى / مجمع دار التأليف (رقم + ١٣٧٨هـ)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / ابن تغرى بردى (مصر/ اوفست ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ — ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠)
نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس / السيد عباس المكي (النجف الاشرف ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧)

(هـ)

هدية الاحباب في ذكرى المعروفين بالكنى والالقاب والانساب / الشيخ عباس القمي (النجف الاشرف ١٣٤٩هـ)
هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين / اسماعيل باشا البغدادي استانبول ١٩٥١ — ١٩٥٥)

(و)

الوافي بالوفيات / صلاح الدين الصفدى/ دار نشر فرانز شتاينر (فيسبادن ١٩٦٢ — ...) كتاب الوفيات / ابن قنفذ (ط٢ بيروت ١٩٧٨)
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان / ابن خلكان (مصر ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨)



دراســـة في شـــواهد واستشهاد ابن الأثير في المثل السائر

الأستاذ عبدالجبار علوان النايلة
كلية الآداب



بسم الله الرحمن الرحيم

شواهد ابن الأثير في المثل السائر ، دراسة تحليلية

هذا موضوع بكر وطريف، فلم يسبق لأحد — على ماأعتقد دراسة شواهد كتاب بلاغي، ولكي اعطيكم فكرة واضحة عن أهمية الكتاب، ومنزلة مصنفه العلمية، اذكر انه كان نتيجة تأثر بعض علماء البلاغة بالفلسفة والمنطق وعلم الكلام ان سارت البلاغة في اتجاهين مختلفين. ونشأت مدرستان هما المدرسة الأدبية التي لم يتأثر رجالها بتلك المؤثرات، والمدرسة الكلامية، او كما يسميها السيوطي «طريقة العرب والبلغاء وطريقة العجم اهل الفلسفة»(١) ومن شواهد الاثر الفلسفي في المدرسة الكلامية الاقلال من الشواهد والامثلة الادبية والاهتمام بالتحديد المنطقي، والحصر، والتقسيم، فكان رجالها يكتفون بشاهد واحد او مثال قصير غالبا، وشواهدهم لاجمال فيها، لان صحة الشاهد او المثال عندهم اصل كل شيء، مثلهم في ذلك مثل النحويين واللغويين. ومن خصائص المدرسة الادبية ان كتبها وتعابيرها سهلة مفهومة لاتحتاج الى عناء كبير في فهمها كما يحتاج في قراءة كتب المدرسة الكلامية(٢) وكان لها شأن كبير في القرن السادس الهجري وما بعده، حيث سادت فيه العقلية المنطقية، وجنحت فيه اذواق المؤلفين والكتاب نحو الجمود والتقييد. (٣) وتميز رجالها بالاكثار المسرف من الشواهد الادبية، نثرا وشعرا مع الاقلال من التعاريف، والقواعد، والاقسام (٤) ، وكانوا غالبا ما يذكرون القاعدة بسطر أو سطرين ويأتون بشواهد تتجاوز الصفحات، ولم تكن شواهدهم مقصورة على آية أو حديث أو مثل أو بيت شعر وانما تعدتها الى السورة الكاملة — احيانا — والقطعة الشعرية والرسالة الادبية(٥).

(١) ينظر الدكتور احمد مطلوب ، القزويني وشروح التلخيص ص ٣٥

(٢) ينظر الدكتور أحمد مطلوب ، البلاغة عند السكاكي ص ١٠٤ ، والقزويني وشروح التلخيص ص ٣٦

(٣) ينظر عمر رضا كحالة، اللغة العربية وعلومها ص ١٦٥

(٤) أمين الخولي، مناهج في النحو والبلاغة والتفسير والادب ص ١٢٦ ، ١٦٠

(٥) ينظر البلاغة عند السكاكي ص ١٠٩ والقزويني وشروح التلخيص ص ٣٧

فالكتاب الذي درست شواهده وهو لضياء الدين بن الاثير المتوفى سنة ٦٣٧هـ من اهم كتب المدرسة الادبية، بل هو زبدتها التي تضمنت حركتها وآراءها وأصولها،وهو كتاب قيم، قال فيه ابن خلكان: «جمع فيه مؤلفه فأوعب، ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة الا ذكره (١) وهو مملوء بالالتفاتات الرائعة التي تدل على ذوق بارع ، لذا يعد من مصادر الدراسات البيانية التي تعتمد على استقراء كلام العرب للنظر في فصاحته وبلاغته، ومن خيرة الكتب الذوقية لما اشتمل عليه من نصوص ادبية ممتازة ولقد حفل بكثرة الشواهد والامثلة المختارة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومأثور كلام العرب وامثالهم وحكمهم وشعرهم، وقد اعان مصنفه على ذلك حافظته القوية واطلاعه الكبير واستقراؤه لمصادر الشواهد، وتمكنه من ملكة البيان وسلامة ذوقه من تعقيد الفلسفة. «وقد بناه على مقدمة ومقالين فالمقدمة تشتمل على اصول البيان، والمقالتان تشتملان على فروع هذا العلم، فالاولى في الصناعة اللفظية، والثانية في الصناعة المعنوية. وموضوع «علم البيان» هو الفصاحة والبلاغة (٢) واذا ماعلمنا ان الذوق السليم هو العمدة في معرفة جودة الكلام وسلاسته وجزالة الفاظه وفصاحتها، وتميز مافيه من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه ادركنا اهمية كتاب (المثل السائر).

وجدير بنا ونحن بصدد دراسة شواهد ابن الأثير ان نقدم نبذة عن الشاهد في علوم اللغة العربية، فله في اللغة معان مختلفة، منها: اللسان، او من علم امرأ فيذكر ماعلم، أو من يؤدي ماعنده من الشهادة. تقول (شهد) على كذا. والمشاهدة: المعاينة و(شهده) (شهوداً)، أي: حضره فهو (شاهد) والشهادة: هي الخبر القاطع (٣).

---

(١) ابن خلكان ،وفيات الاعيان ٣٩١/٥

(٢) د. بدوى طبانة ، البيان العربي ص ٢٠٢

(٣) ينظر ابن منظور ، لسان العرب (شهد) ٢٣٩/٣ ومابعدها وأبو بكر الرازي ، مختار الصحاح ص ٣٤٩، ط (١)، بيروت ١٩٦٧م.

والشاهد في العلوم العربية : هو مايذكر كآية قرآنية او حديث نبوي أو قول صح سنده الى عربي فصيح اللسان سليم السليقة لاثبات صحة قاعدة، أو استعمال كلمة او تركيب او رد مخالف او تفنيد رأيه. وكانت قيمة العالم تتجلى في معرفته بالشواهد، ومقدرته على استخراجه لها من مصادرها واستحضاره إياها عند الحاجة، وكان الاهتمام بالشواهد لدى كافة الطبقات(١) . قواعد او اصول، أو مايقولونه من آراء، لاسيما اذا كانت غير معروفة أو غير مألوفة، بدليل مطالبة (نافع بن الازرق) عبد الله بن عباس بشواهد على تفسيرة بعض غريب القرآن. قال عكرمة: «رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الازرق وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة ، فسأله عن قول الله جل ثناؤه: (والليل وماوسق) (٢). فقال ابن عباس: وماجمع .

فقال نافع : أتعرف ذلك العرب ؟ قال ابن عباس : أما سمعت قول الراجز :

إن لنا قلائصاً حقائقاً مستوسقات لو يجدن سائقاً

ويروى عن ابي عبيدة من غير وجه أنه (اي ابن الأرزق) سأله عن معنى (الم ذلك الكتاب) (٣) ، فقال ابن عباس : تأويله هذا القرآن جاء : قال أبو عبيدة: ولا أحفظ عليه شاهداً عن ابن عباس ، وانا أحسبه أنه لم يقبله الا بشاهد . فقد كان كلما يسأله عن تفسير آية يسأله عن الشاهد ، واوضح دليل هو قول ابي بكر بن الانباري (٣٢٨هـ) : «فأما معنى الشك فانه لايحتاج الى شاهد لشهرته عند الناس». ويبدو ان ابن عباس قد اعتمد منهجاً لم يسبق اليه ، وهو شرح الفاظ القرآن والاستشهاد عليها بما جاء في شعر العرب (٤)، ثم سار العلماء بعده في هذه السبيل في

(١) ينظر الشواهد والاستشهاد في النحو ص ٢٦.
(٢) سورة الانشقاق آية ١٧.
(٣) سورة البقرة من الآية ١.
(٤) الشواهد والاستشهاد في اللحو ص ٣٣.

دراساتهم اللغوية والنحوية ثم البلاغية عند نشوء تلك العلوم ثم تطورها ، مع اختلافهم في تناول الشواهد من مصادرها الرئيسة ، وهي: القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب للوقوف بعربيتهم نثراً وشعراً ، وسنبين موقف ابن الأثير من كل مصدر من هذه المصادر والاستشهاد بشواهده، واختلافه مع علماء اللغة والنحو في الاعتماد على كل مصدر.

استشهاده بالقرآن الكريم :

القرآن الكريم نص نثري موثوق بصحته كل الوثوق (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (١) قمة الفصاحة العربية ، والمثل الاعلى لبلاغتها، وكان من اهم عوامل نشأة علم البلاغة وتطوره حيث طبع ابحاثها بطابع ادبي، ويتجلى هذا في كثرة الشواهد التي اقتبسها البلاغيون منه (٢)، فآيات القرآن الكريم لها منزلة خاصة في الاستشهاد باعتبارها اسمى صور الفصاحة والبلاغة، والنمط المعجز الذي يحتذى به ، فكانت دراسة اسلوب القرآن تعتمد على البلاغة ، «وكانت البلاغة تعمد الى الشاهد القرآني لتستعين به في توضيح الاصطلاحات ، وتثبيتها في الذهن الى جانب الشواهد الشعرية والادبية الاخرى» (٣) .

وأما أبن الاثير فقد جعل القرآن في مكانه اللائق به ، وأنزله من نفسه منزلا حسنا، فقد حفظه منذ الصغر وما فتيء يبديء اعجابه واهتمامه به في ثنايا كتبه ، وقد دفعه ذلك الى ان يعقد بابا في (الجامع الكبير) يفضل فيه النثر على الشعر «لان القرآن ورد نثراً، ولولا فضله وعلو درجته، لما نزل كتاب الله على اسلوبه ونهجه» (٤) انصرف الى دراسة القرآن واستقرائه ، فاستخرج منه فنونا بلاغية كثيرة. قال: «لمحت في أثناء القرآن الكريم اشياء

---

(١) سورة فصلت من الآية ٤٢

(٢) ينظر اللغة العربية وعلومها ص ١٦٢ والبلاغة عند السكاكي ص ١٠٦ – ١٠٧ ودراسات

(٣) ثلاث رسائل في اعجار القرآن، تعليقات المحققين ص ١٦١ بلاغية ص ١٨ – ١٩ .

(٤) ضياءالدين بن الاثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ص ٧٣ ومابعدهــا.

طريفة، ووجدت في مطاويه نكتا دقيقة لطيفة.. وكان ذلك باعثا لي على تصفح آيات القرآن العزيز، والكشف عن سره المكنون، فاستخرجت منه حينئذ ثلاثين ضربا من علم البيان، لم يأت بها احد من العلماء الاعيان ، وكان ماظفرت به اصل هذا الفن وعمدته، وخلاصة هذا العلم وزبدته» (١)، من ذلك مثلا : باب سماه (الاستدراج) (٢).

وهو يستشهد بالقرآن الكريم كثيرا ، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات (المثل السائر) من آية او آيات يأتي بها مستشهدا على مايقرره من احكام او مدللا على صحة آرائه او مرجحا رأيا ، او رادا آراء الاخرين من ذلك مثلا استشهاده على (الاعتراض) (٣) بخمس آيات ثم قال «وقد ورد الاعتراض في القرآن كثيرا، وذلك في كل موضوع يتعلق بنوع من خصوصيته البالغة في المعنى المقصود ... ومن هذا الباب قوله تعالى: (ووصينا الانسان بوالديه – حملته امه وهنا على وهن – وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك ...) (٤) الاترى ان هذا الاعتراض قد طبق مفصل البلاغة ؟ وفائدته انه لما وصى بالوالدين ذكر ماتكابده الام (من المشاق في حمل الولد وفصاله، ايجابا للتوصية بها وتذكيرا بحقها وانما خصها بالذكر دون الاب ، لانها تتكلف من امر الولد مالايتكلفه ، ومن ثم قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له: من ابر ؟ قال امك ثم اباك »(٥) وتكلم على الايجاز بالتقدير مستشهدا بعدة آيات واحاديث من ذلك مثلا قوله : «والايات الواردة من هذا الضرب كثيرة ، كقوله تعالى: (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف) (٦) ، فقوله (فله ماسلف) من جوامع الكلم ، ومعناه ان خطاياه

---

(١) الجامع الكبير ص ٣ وينظر المثل السائر ١/٤

(٢) ينظر المثل السائر ٢/٢٦٠ – ٢٦١

(٣) وبعضهم يسميه الحشو ، وقد حده ابن الاثير: بقوله : كل كلام ادخل فيه اللفظ مفرد او مركب لوسقط لبقي الاول على حاله (المثل السائر ١/٤٠).

(٤) سورة لقمان من الايه ١٤

(٥) المثل السائر ٣/٣٢ – ٤٣

(٦) سورة البقرة الآية ٢٧٥

الماضية قد غفرت له وتاب الله عليه فيها ، الا ان قوله «فله ماسلف» ابلغ أي ان السالف من ذنوبه لا يكون عليه انما هو له وكذلك ورد قوله تعالى : «من كفر فعليه كفره» (١) وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) (٢) . فهذه الاية من جوامع الايات الواردة في القرآن الكريم . ثم ذكر آيات اخرى من هذا الضرب (٣) . وقال عن (الايجاز بالقصر) : « وهو الذي لايمكن التعبير عن الفاظه بالفاظ اخرى مثلها ، وفي عدتها ، وهو اعلى طبقات الايجاز مكانا ، واعوزها إمكانا ، واذا وجد في كلام بعض البلغاء فانما يوجد شاذا نادرا . والقرآن الكريم ملآن منه ، ومن هذا الضرب قوله تعالى: (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين) (٤) فجمع في الاية جميع مكارم الاخلاق ، لان في الامر بالمعروف صلة الرحم ومنع اللسان عن الغيبة ، وعن الكذب ، وغض الطرف عن المحرمات ، وغير ذلك ، وفي الاعراض عن الجاهلين : الصبر ، والحلم ، وغيرهما (٥). من ذلك ايضا قوله تعالى : (ولكم في القصاص حياة) (٦) فان فوله تعالى : القصاص حياة (لايمكن التعبير عنه الا بالفاظ كثيرة ... ولايلتفت الى ماورد عن العرب من قولهم : (القتل انفى للقتل) فان من لايعلم يظن ان هذا على وزن الاية ، وليس كذلك ، بل بينهما فرق من ثلاثة اوجه ، ثم اخذ

---

(١) سورة فاطر من الآية ٣٨
(٢) سورة النحل من الآية ٩٠
(٣) المثل السائر ٣٣٥/٢ ومابعدها
(٤) سورة الاعراف الآية ٩٩
(٥) المثل السائر ٣٤٨/٢ – ٣٣٩
(٦) سورة البقرة من الآيه ١٧٩

يبين الفرق (١) . وعندما يستشهد بالايات يبين قيمة مايستشهد بهمن، ذلك مثلا استشهاده على التشبيه المضمر الاداة بقوله تعالى: (وجعلنا الليل لباسا)(٢) فبين انه شبه الليل باللباس لانه يستر الناس بعضهم عن بعض من أراد هربا من عدو ، أو ثباتا لعدو ، أو إخفاء مالايجب الاطلاع عليه من امره . ثم قال : «وهذا من التشبيهات التي لم يأت بها الا القرآن الكريم، فان تشبيه الليل باللباس مما اختفى به دون غيره من الكلام المنثور والمنظوم(٣) ثم استشهد بآيات اخر تشبه الآية المذكورة كقوله تعالى : (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) (٤) و (نساؤكم حرث لكم) (٥) ...) (٦) وعند كان عالمنا يسأل عن مشكلة بيانية يجد في القرآن ما يعينه على حل الاشكال من ذاك قوله : وكنت سئلت عن معنى بيت أبي تمام :

يتجنب الآثام ثم يخافها فكأنما حسناته آثام

فقيل : كيف ينطبق عجز البيت على صدره ؟ واذا تجنب الاثام وخافها فكيف تكون حسناته آثاما ؟ ففكرت فيه ، وانعمت نظري ، فسنح لي في القرآن الكريم آية مثله ، وهي قوله تعالى : (والذين يؤتون ماأتوا وقلوبهم وجلة) (٧)، وفي صدر البيت إصمار مفسر في عجزه ، وتقديره انه يتجنب الآثام ، فيكون قد أتى بحسنة ، ثم يخاف تلك الحسنة ، فكأنما حسناته آثام ، وهو على طباق الآية سواء (٨) . ورد على من زعم ان القرآن لايعنى بالتخلص مستشهدا بسورة يوسف كلها وما تشتمل عليه من تخلصات بديعة ، ويعد تحليله لها من اجمل شواهده « يقول في ختام كلامه: .

(١) المثل السائر ٣٥٢/٢، الأول: إن (القصاص حياة) لفظتان وقول العرب ثلاثة الفاظ الثاني : ان في قولهم تكريرا ليس في الآية. الثالث: ان ليس كل قتل نافيا للقتل، الا اذا كان على حكم القصاص.

(٢) سورة النبأ من الآية ١٠

(٣) المثل السائر ١٣٣/٢

(٤) سورة البقرة من الآية ١٨٧.

(٥) سورة البقرة من الآية ٢٢٣.

(٦) ينظر المثل السائر ١٣٤/٢.

(٧) سورة (المؤمنون) من الآية ٦٠

(٨) المثل السائر ٢٨٨/٢

« وبالله العجب كيف يزعم الغانمي (١) ان القرآن خال من التخلص ؟ ألم يكفه سورة يوسف عليه السلام فانها قصة برأسها ، وهي مضمنة شرح حاله مع اخوته من أول امره إلى اخره ، وفيها عدة تخلصات في الخروج من معنى إلى معنى وكذلك إلى آخرها » (٢). ومما يدل على بعد معرفته بالقرآن واستقرائه لآياته انه لم يأت بشاهد قرآني على الترصيع وقال : وهذا لايوجد في كتاب الله تعالى ، لما هو عليه من زيادة التكلف ، فاما قول من ذهب إلى ان في كتاب الله منه شيئا ومثله بقوله تعالى : « ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم » (٣) فليس الأمر كما واقع فان لفظة (لفي) قد وردت في الفقرتين معا ، وهذا يخالف شرط الترصيع الذي شرطناه، لكنه قريب منه « (٤) وقوله عن الالغاز : » وقد تأملت القرآن الكريم فلم اجد فيه شيئاً منها ، ولا ينبغي ان يتضمن منها شيئاً، لانه لا يستنبط بالحدس والحزر كما تستنبط الالغاز» (٥) ، وقوله ايضاً مستشهداً بآية على التجنيس الحقيقي وقد عرّفه بأنه الذي» تتساوى حروف الفاظه في تركيبها ووزنها ، كقوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) (٦) ثم قال: «وليس في القرآن الكريم سوى هذه الآية فاعرفها» (٧). غير أنه وقع في الوهم ذات مرة ، وذلك عند كلامه على اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها. قال: «ومن هذا النوع لفظة ودع» وهي فعل ماض ثلاثي لا تقل بها على اللسان ، ومع ذلك فلا تستعمل على صيغتها الماضية الا جاءت غير مستحسنة، ولكنها تستعمل مستقبلة، وعلى صيغة الأمر ، فتجيء حسنة.

---

(١) هو أبو العلا محمد بن غانم المعروف بالغانسي ، كان من شعراء نظام الملك (المثل السائر ٣/هامش ص ١٢٨)

(٢) المثل السائر ١٣٢/٣

(٣) سورة الانفطار : الآيتان ١٢، ١٤

(٤) المثل السائر ٣٦١/١

(٥) المثل السائر ١١/٣.

(٦) سورة الروم من الآية ٥٥ .

(٧) المثل السائر ٣٤٣/١.

أما الأمر فكقوله تعالى : «فدعهم يخوضوا ويلعبوا» ولم تأت في القرآن إلا على هذه الصيغة !! (١) وفي القرآن الكريم في سورة الزخرف» فذرهم يخوضوا ويلعبوا» (٢) . وقد رواه ابن الأثير «فدعهم» ليكون شاهداً على ماذهب اليه؛ وهذا وهم منه لاتفاق الفعلين في المعنى (٣) . وقد يستفيد من القراءات في الاستشهاد. قال في موضوع حذف الفعل وجوابه : ومن هذا الضرب إيقاع الفعل على شيئين وهو لأحدهما، كقوله تعالى : (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) (٤) وهو (اي الفعل) لأمركم وحده ، وانما المراد أجمعوا امركم، وادعوا شركاءكم، لأن معنى «أجمعوا» من اجمع الأمر ، اذا نواه، وعزم عليه. وقد قرأ أُبَيّ – رض – (فأجمعوا امركم وادعوا شركاءكم) وهذا دليل على ماشرت اليه ، وكذلك هو مثبت في مصحف عبدالله بن مسعود (رض) (٥) .

والقرآن الكريم عند ابن الاثير – بعد كل ما ذكرنا – مقياس جمال الكلام والبلاغة العربية وقطب الرحى الذي تنحدر منه ضروبهما : قال بعد استشهاده بآيات على التخلص: «هذا كلام يسكر العقول، ويسحر الالباب : وفيه كفاية لطالب البلاغة فإنه متى انعم نظره، وتدبر اثناءه ومطاوى حكمته علم ان في ذلك غنى عن تصفح الكتب المؤلفة في هذا الفن» (٦). وهو لذلك يقيس به كلام العرب. فما جاء مشابها له يقره ويأخذ به، وهو لا يتوانى في تعديل احكامه البيانية واقبسته التي قررها قبلا وجعلها متفقة مع القرآن الكريم اذا ورد فيه ما يخالف اقبسته، قال في (المؤاخاة بين المباني) : انكر على ابي نواس قوله :

---

(١) المثل السائر ٣٨٢/١ .

(٢) سورة الزخرف من الآية ٨٣ .

(٣) المثل السائر هامش ١ ص ٣٨٢ للمحققين .

(٤) سورة يونس من الآية ٧١ .

(٥) المثل السائر ٣٠١/٢ .

(٦) المثل السائر ١٢٩/٣

الا يا ابن الذين فتوا فماتــوا	أما والله ما مــاتــوا لتبقّى
ومالك فاعلمـن فيهـا مـقـام	اذا استكملت آجالا ورزقـا

وموضع الأنكار هاهنا قال : آجالا ورزقا ، وكان ينبغي ان يقول : أرزاقا ، أو أن ايقول أجلا ورزقا ، وقد زاده إنكاراً أنه جمع الاجل فقال آجالا ، والانسان ليس له الا أجل واحد ، ولو قال : أجلا وارزاقا ، لما عيب ، لان الأجل واحد والارزاق كثيرة . واذا انصفنا في هذا الموضع وجدنا الناثر مطالبا به دون الناظم ، لمكان امكانه من التصرف ولقد كنت أرى هذ الضرب من الكلام واجبا في الاستعمال وأنه لايحسن المحيد عنه حتى مرّبي في القرآن الكريم مايخالفه، كقوله تعالى في سورة النحل (أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين وعن الشمائل) (١) ولو كان الاحسن لزوم البناء اللفظي على سنن واحد لجمع اليمين كما جمع الشمال او افرد الشمال كما أفرد اليمين ، وكذلك ورد قوله تعالى : أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون) (٢) فجمع القلوب والأبصار وأفرد السمع ...

وفي القرآن مواضع كثيرة هكذا،ولو كان معتبراً في الاستعمال لورد في كلام لله تعالى الذي هو افصح من كل كلام ، ولأخذ في مقام الفصاحة والبلاغة إنّما يكسون منه والدخول عليه » (٣) .أرأيتم كيف تراجع بسهولة عما كان قد رآه وغير رأيه تبعاً لما ورد في كتاب الله ؟ وهذا لعمري هو الرأي الصواب . ومما حالف فيه قياسه وعدّل عنه مستنداً الى القرآن الكريم قوله : «... والصفتان الواردتان على شيء واحد فانه اذ لزم من وجود إحداهما وجود الاخرى اكتفي بها في الذكر ، ولم يحتج الى ذكر الاخرى ، لأنها تجيء ضمناً وتبعاً ، او أن يبدأ بها في الذكر أولاً .

(١) سورة النحل من الآية ٤٨

(٢) سورة النحل من الآية ١٠٨

(٣) المثل السائر ١٥٧/٣ — ١٥٨

ثم تجيء الاخرى بعدها،واستشهد على ذلك أبيات من الشعر وقال . ومما ورد من ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى :(مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) (١) . فان وجود المؤاخذة على الصغيرة يلزم منه وجود المؤاخذة على الكبيرة . وعلى القياس المشار اليه ،فينبغي ان يكون لايغادر كبيرة ولا صغيرة لأنه اذا لم يغادر صغيرة فمن الاولى الا يغادر كبيرة ... غير أن القرآن أحق أن يتبع وأجد ربأن يقاس عليه لا على غيره والذي ورد فيه من هذه ناقص لما تقدم ذكره .

وكذلك ورد قوله تعالى (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) (٢) . لأن التأليف أدنى درجة وقد تقدم قولي انه اذا جاءت صفتان يلزم من وجود إحداهما وجود الاخرى أن يكتفى بذكرها دون الاخرى لأن الاخرى تجيء ظمناً وتبعاً ، وأن يبدأ بها في الذكر ، ثم تجيء الاخرى بعدها .

وعلى هذا فيقال اولا: فلاتنهرهما ولاتقل لهما أُفٍ، لكن اذا لم يقل لهما «أُفٍ» امتنع أن ينهرهما. وقد كان هذا هو المذهب عندي ، حتى وجدت كتابَ الله تعالى قد ورد بخلافه ، وحينئذ عدت عما كنت أراه وأقول به (٣). وهكذا ينبغي ان يستند إلى القرآن الكريم في جميع علوم العربية من لغة ونحو وصرف وبلاغة، فلا تخضع اياته لقياس يصطنعه العلماء مستندين إلى استقرار ناقص للغة، كما فعل النحويون البصريون ، فكانوا مع اعترافهم بفصاحة القرأن ووثاقته ــ معتزين بأقيستهم واصولهم فقدّموها على كل نص ، فأخضعوا أياته البينات لاحكامهم وأقيستهم، فكانوا يتحايلون على الآية المخالفة بالتأويل والتقدير لكي تتفق مع ماقرروه من أحكام والاعدوا

---

(١) سورة الكهف من الآية ٤٩

(٢) سورق الاسراء من الآية ٢٢

(٣) المثل السائر ٢/٢١٢ - ٢١٤. وينظر قوله في المثل السائر ٣/١٦٢ : والدليل على ذلك ماقدمناه من آيات القرآن الكريم وكفى به دليلا .

تلك الاية شاذة (١) . لهذا فعالمنا أحقّ بالاحترام والتقدير إذ جعل القرآن كتابه الاول ومعتمده في دراساته .

استشهاده بالحديث النبوي الشريف

وقف البلاغيون موقفا محمودا من الحديث النبوي الشريف، واذا كانوا لم يحددوا زمنا معينا للاستشهاد بأقوال أهله ، كما فعل اللغويون والنحويون ، فانهم وجدوا في أقوال رسول الله (ص) ضالتهم المنشودة في الاستشهاد بها، فقد نظروا إلى حديثه عليه الصلاة والسلام بعين الاكبار والإجلال باعتباره افصح كلام وابلغه بعد كلام الله ، فأقبلوا ينهلون مورده العذب ، على نقيض مافعله قسم من النحويين حيث منعوا الاستشهاد بالحديث متذرعين بحجة واهية ، هي روايته بالمعنى ورواته أعاجم لايحسنون العربية ، فوقع اللحن في الحديث من حيث لايشعرون ، ويعلمهم هذا حرموا اللغة من جزء غير يسير من فصيح الكلام العربي النثري الموثق، ولم يستفيدوا من الثروة اللغوية والأساليب المختلفة التي تمثل لهجات العرب (٢).

يأتي الحديث في طليعة شواهد ابن الاثير بعد القرآن الكريم، وهو شيء طبيعي يتسق وموقف البلاغيين ، منه وكانت للرجل صلة وثيقة به حيث «حدث بكتب أخيه مجد الدين بالموصل واكثرها في الحديث (٣) ، وعني بالحديث عناية بالغة ، فقد جرد من الاخبار النبوية كتابا يشتمل على ثلاثة الآف خبر ، وبقي يواظب على مطالعته كما ذكر مدة تزيد على عشر سنين حتى حفظه(٤). وهو ينص في كتابه على ان معاني القرآن الكريم والاخبار النبوية معدن الفصاحة والبلاغة(٥)،

---

(١) ينظر الشواهد لـ الاستشهاد في النحو : (استشهاد البصريين بالقرآن الكريم) ص ٢٠٣ ومابعدها مجلة آداب الرافدين العدد ١٣ لسنة ١٩٨١ ص ٥٠١ – ٥٤٤ اصدار كلية الاداب بجامعة الموصل.

(٢) ينظر بحثنا: الحديث النبوي الشريف من مصادر الدرس اللغوي .

(٣) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٥٩

(٤) المثل السائر ١٩١/١ وقال مايشبه هذا في (الوشي المرقوم) ص ٥

(٥) المثل السائر ١٢٤/١

وحسبي ان اذكر انه اقتبس بعض عنوانات فصول كتابه مما ورد في الحديث ، كفصل «في الحكمة التي هي ضالة المؤمن (١) وفصل« في جوامع الكلم» (٢) وهما مأخوذان من الفاظ الحديث، كما شرح المقصود بجوامع الكلم مستشهدا بكثير من الاحاديث النبوية التي عدها في هذا الباب ، فقال: انه (صلى الله عليه وسلم) أوتي الكلم الجوامع للمعاني، وهو ينقسم قسمين:

قسمين : (الاول) الفاظ تتضمن من المعنى مالا تتضمنها اخواتها مما يجوز ان يستعمل مكانها... من ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) يوم حنين: : (الآنَ حَمِيَ الوطيسُ) ولو أتينا بمجاز غير ذلك في معناه فقلنا: (استعرت الحرب) لما كان مؤديا من المعنى مايؤديه : (حَمِيَ الوطيس) والفرق بينهما أن الوطيس هو التنور ، وهو موطن الوقود ومجتمع النار، وذلك يخيل إلى السامع ان هناك صورة شبيهة بصورته في حميها وتوّقدها ، وهذا لايوجد في قولنا (استعرت الحرب) وما جرى مجراه». (الثاني) : الايجاز الذي يدل به بالالفاظ القليلة على المعاني الكثيرة ، اي ان الفاظه صلوات الله عليه جامعة للمعاني المقصودة على ايجازها واختصارها، وجل كلامه جارٍ هذا المجرى ، وسيأتي في باب الايجاز منه مافيه كفاية ومقنع (٣). وهو يستشهد بالحديث بمعناه الواسع الذي يشمل اقوال الصحابة الواردة من طرق الحديث كاستشهاده بحديث الزبير في موضوع الاخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل عن المستقبل بالماضي (٤) . وزيادة في ثقة القارىء ودفعاً للشك رأيته في ومواضع كثيرة من كتابه يستشهد بأحاديث يروي قصتها ويذكر سبب الحدث

---

(١) المثل السائر ينظر ١٠٠/١ ومابعدها . في مشكاة المشابيح للبريزي ٧٥/١ عن ربي هريرة

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها» رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي : «هذا حديث غريب ».

(٢) المثل السائر ينظر ٨٦/١ ومابعدها. ويلظر (فتح الباري بشرح البخاري ١٧ /٤) حيث يجد نص الحديث : (بعثت بجوامع الكلم).

(٣) المثل السائر ٩٦/١

(٤) المثل السائر ينظر ١٨٦/٢

الرسول (عليه الصلاة والسلام) بها ، مما يقوى استشهاده بها لان لرواية السبب علاقة بالاستشهاد (١) ، من ذلك مثلا مااستشهد به في توضيح معاني القرآن بحديث النبي (صلوات الله وسلامه عليه) : «آية الكرسي سيدة آى القرآن » حيث قال : ويروي انه سأل أبي بن كعب (رض) فقال : اى آية معك في كتاب الله اعظم ؟ فقال : (الله لا اله الا هو الحي القيوم)فضرب في صدره ، وقال : ليهنك العلم أبا المنذر « (٢). ومثل ذلك كثير (٣)، وربما ذكر السبب رغبة في اظهار مدى معرفته وسعة اطلاعة ، لانه لايفيد غرضاً ولايحقق هدفاً في الاستشهاد ، ومما يدعنا نكبر عالمنا ونجله استشهاده بالحديث بلفظتين مختلفين والمعنى واحد ، وقد اشار الى ذلك ونبه عليه ، غير انه ذكر ان الاول احسن ، لانه أبلغ معنى ، قال : في باب (الايجاز بالتقدير(: ومن ذلك قوله)صلى الله عليه وسلم((المضعف امير الركب) . وقد ورد آخر هذا الحديث بلفظ آخر فقال (صلى الله عليه وسلم) (سيروا بسير أضعفكم) إلا أن الاول احسن ، لانه ابلغ معنى ، فان الامير واجب الحكم ، فهو يتبع . واذا كان المضعف امير الركب كانوا مؤتمرين له في سيرهم ونزولهم ، وهذا المعنى لايوجد في قوله (سيروا بسيرا ضعفكم)» (٤). وليت النحويين فعلوا فعله ، فلم يقل الرجل إن احد الحديثين لم يكن من لفظ النبي (عليه الصلاة والسلام) وانه مرويّ بالمعنى .

استشهاد ابن الاثير باقوال العرب المنثورة :

اما قول العرب المنثور فقد استشهد بكثير من اقوال الاعراب وامثالهم ومحاوراتهم ، ومن يطلع على شواهده النثرية يجده قد استفاد كثيراً من أقوال الاعراب الفصحاء، وهو يذكر اقوالهم غير منسوبة كقوله قال بعض

---

(١) المثل السائر ، ينظر ٢/١٨٥، ٢٦٨، ١٩٨، ٣٥٠ مثلا .

(٢) المثل السائر ٢/٢٦٨

(٣) المثل السائر ، ينظر ٢/٣٤١، ٣٥٠، ٣/٦٤، ٦٥، ٨٤

(٤) المثل السائر ، ٢/٣٤٠ — ٣٣١

الاعراب (١) ، او قال اعرابي (٢) ، وقد نص على « ان العرب هم الاصل في اللغة» (٣) ، وهو يصرح ببلاغتهم مستشهداً بحديث النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: وقال بعض الاعراب في دعائه : (اللهم هب لي حقك ، وارض عني خلقك فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (هذا هو البلاغة) (٤) . ولم تفته محاوراتهم واقوالهم المتداولة فيما بينهم ، من ذلك مثلا قوله : « إن أعرابياً ذم رجلا فقال : « كان اذا سأل أخف ، واذا سئل سوّف ، يحسد على الفضل ، ويزهد في الافضال » (٥) . وقوله : «واما قول العرب (ارسلت) — وهم يريدون ارسلت السماء — فان هذا يقولونه نظرا الى الحال ، وقد شاع فيما بينهم ان هذه كلمة تقال عند مجيء المطر» (٦) او يقول : « وبلغني عن العرب انهم يقولون عند رؤية الهلال » لامرحبا باللجين مقرب اجل ومحل » وهذا من باب الاستعارة في طي ذكر المستعار له (٧) . واحياناً يأتي باقوال فصحاء العرب مع التنويه باسماء القائلين كاستشهاده باقوال : (الزّباء) (٨) والحجاج (٩) وعبد الملك بن مروان (١٠) .

واظهرت الدراسة انه تعدى مافي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ودواوين الشعراء من شواهد الى مايجده في بطون الكتب الادبية

---

(١) المثل السائر ، ينظر ٢٣١/١ مثلا
(٢) المثل السائر ، ينظر ١٦٨/٣، ١٦٩، ١٩١
(٣) المثل السائر ٤٠٣/١
(٤) المثل السائر ٣٤٩/٢
(٥) المثل السائر ٣٥٦/١
(٦) المثل السائر ٢٨٧/٢
(٧) المثل السائر ٩٨/٢
(٨) المثل السائر ، ينظر ٩٤/٢
(٩) المثل السائر ، ينظر ٨٨/٢
(١٠) المثل السائر ، ينظر ١٠٠/٢

والتواريخ من اقوال لفصحاء العرب ومحاوراتهم . لكتاب السيرة النبوية لابن هشام والروضة للمبرد والاغاني للاصفهاني والعقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي (١) .

اما الامثال فقد عني بها عناية بالغة، فعندما يستشهد بمثل يبين أصل وضعه، ويذكر ان الامثال ليست جميعها صالحة لاستعمال الشواهد . (٢) ومن استشهاده قوله في التشبيه: «وقد ورد في الامثال : (الليل جنة الهارب) وهذا تشبيه حسن (٣) ولم يفته وهو يستشهد بها ان يبين ماكان منها مولد ، ففي الترصيع قال: «وفي الامثال المولدة التي لم ترد عن العرب ، وهو: «من اطاع غضبه اضاع ادبه» . قد (أطاع) بأزاء (اضاع) و(غضبه) بازاء (أدبه) (٤) .

ولم تفته اقوال الناس ومحاوراتهم التي تدور بينهم مما يسميه بنفسه مباشرة او يطلع عليه في بطون الكتب، من ذلك مثلا استشهاده في (المشبه بالتجنيس) بقول احمد بن حنبل لابي العباس احمد بن يحيى ثعلب: « الصديق لايحاسب والعدو لايحتسب له » (٥) وهو يشرح لنا كيف كان يعني بالسماع عناية فائقة مستفيداً مما يسمعه يدور بين الناس في توضيح الصورة المفنية التي يرسمها، ويؤيد الظاهرة البلاغية: «وقد سمعت حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فهو أحق بها اذا وجدها) جعلت كدى في تتبع اقوال الناس في مفاوضاتهم ومحاوراتهم فانه قد تصدر الحكم والامثال والاقوال البليغة ممن لايعلم مقدار مايقوله ، فاستفدت بذلك فوائد

(١) المثل السائر ، ينظر ٣٦٧/١، ٣٣٧/٢، ٢٥/٣، ١٠٥، ١٠٦ ، ١٥٤
(٢) المثل السائر ٦٣/١
(٣) المثل السائر ١٣٥/١، وينظر ١٣٠/١، ١٩٢، ٦٦/٣
(٤) المثل السائر ٣٦٣/١
(٥) المثل السائر ٣٥١/١

كثيرة لا احصرها عددا، وانا اذكر منها طرفا، يستدل به على اشباهه ونظائره فمن ذلك اني سرت في بعض الطرق، وفي صحبتي رجل بدوي من الأنباط لايعتد بقوله، فكان يقول: «غداً تدخل البلد. وتشتغل عني» . وكان الامر كما قال ثم لقيني فقال: (من تروى فترت عظامه) وهذا القول من الأقوال البليغة. وهي من الحكمة التي هي الضالة عند مؤمني الفصاحة والبلاغة.(١) ويظهر أنه سمع كثيراً من اقوال الناس وحفظ منها ماحفظ مكتفياً بذكر مايفيده منها في دراسته قال وهو بصدد نصح المتصدي للشعر او الخطابة بعد ان ذكر كثيرا من اقوال الناس التي سمعها ولو اخذت في ذكر ماسمعته من هذا لاطلت، وانما دللت بيسير ماذكرته على المراد» (٢).

موقفه من الشعر والشعراء واستشهاده بالشعر :

الشعر ديوان العرب، وحافظ مآثرهم، ومقيد أحسابهم، فلم يكن لهم شيء يرجعون اليه من أحكامهم وأفعالهم الا الشعر، ولما جاء الاسلام بقيت له المنزلة نفسها حيث كان المسلمون يتناشدونه حتى في المساجد، ويتمثلون به عند عقدهم أمراً من امورهم، ثم بدأوا تفسيرهم القرآن الكريم بالشعر، قال ابن فارس: «الشعر حجة فيما اشكل من غريب كتاب الله جل ثناؤه وحديث رسوله (صلى الله عليه وسلم) (٣). ولما بدأت الدراسات في مختلف علوم اللغة بعد ذلك، اعتمد عليه الدارسون يستخرجون منه شواهد يستندون اليها في ترسيخ اصول دراساتهم واقامة قواعدها، اضافة الى المصادر الاخرى، لوفرته وسهولة حفظه، قال الجاحظ: «ان حفظ الشعر أهدى على النفس، واذا حفظ كان أعلق وأثبت وكان شاهدا، وان احتيج الى ضرب المثل كان مثلا» (٤) ، غير ان النحويين جعلوه مصدرهم الاول في دراساتهم، فقد «لقي الشعر اهتماما كبيرا منهم واعتبروه الدعامة الاولى

(١) المثل السائر ١/١٠٠ - ١٠١ وينظر ص ١٠٤

(٢) المثل السائر ١/١٠٣

(٣) الصاحبي ص ٢٣٠

(٤) الحيوان ٦/٤٩٠، طبعة دار صادر - دار بيروت (بدون تاريخ).

لهم، حتى لقد تخصصت كلمة الشاهد فيما بعد واصبحت مقصورة على الشعر فقط، ولذلك نجد كتب الشواهد لاتحوي غير الشعر ولا تهتم بما عداه» (١) .

اختلف البلاغيون عن اللغويين والنحويين في الاستشهاد بالشعراء لاختلاف طبيعة كل علم. فالبلاغيون يستشهدون بكلام العرب وغيرهم لانهاراجعة الى المعاني . فالبلاغي كان يكفيه من الشاهد ان يكون حاويا على مايعزز تحديده الظاهرة الاسلوبية او البلاغية دون السؤال عن قائله والزمن الذي قيل فيه، في حين يستشهد اللغويون والنحويون والصرفيون بكلام العرب الفصحاء لان المعتبر فيها ضبط الفاظهم، (٢) لهذا حددوا زمن من يستشهد به من الشعراء، فهم على الاغلب يستشهدون بالشعراء الى حدود منتصف القرن الثاني، فيعدون ابراهيم بن هرمة (١٥٠هـ) آخر الحجج ومعنى ذلك انهم لم يجوزوا الاستشهاد بشعراء مجيدين كبشار (١٦٧هـ) وابي نواس (١٩٨هـ) ومسلم بن الوليد (٢٠٨هـ) وابي تمام (٢٣١هـ) والبحترى (٢٨٤هـ) والمتنبي (٣٥٤هـ) مع ان منهم من نشأ نشأة عربية لايطعن في سلامتها ، وفيهم شعراء مطبوعون امتلكوا ناصية العربية، لكن النحويين عدوهم مولدين لانهم نشأوا في وقت فسدت فيه السليقة العربية، وخالفهم في ذلك قسم من اللغويين والنحويين ، فقد اكثر ابن جني من الاستشهاد بالمحدثين (في المعاني)، ولا سيما بالمتنبي (٣) كما استشهد الزمخشري (٥٣٨هـ) بابي تمام جاعلا مايقوله بمنزلة مايرويه (٤)، وتبعه رضي الدين الاسترابادى

---

(١) د. أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ص ٣١ ط٣، القاهرة سنة ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦ م .

(٢) ينظر ابن حجة الحموي، خزانة الادب ص ٥، نشر المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٣هـ

(٣) ينظر ابن جني ، المحتسب. تحقيق: علي النجدي ناصف وصاحبيه ١/١٤١، ٢٣١، ٢٩٥، ٢/١٩، ١٣٠، ٢٠١، القاهرة سنة ١٣٨٩هـ والخصائص. تحقيق: محمد علي النجار ١/٢٤، ٢٣٩. ط (٢) دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.

(٤) ينظر الكشاف ١/٤٣، ط١ القاهرة ١٣٥٤هـ

(٦٨٦هـ) الذي استشهد بابي تمام وغيره من المحدثين (١)، واستشهد ابن السيد البطليوسي (٥٥١هـ)(٢) بالمتنبي وشهاب الدين الخفاجي (١٠٦٩هـ)(٣) بالمحدثين.

على الرغم من شاعرية المحدثين وقلة اختلافهم عن المجيدين في عصور خلت، فان كثيرا من العلماء نقدوهم وعابوهم، على ان آخرين قد خرجوا ماعد خطأ بوجوه من التأويل، ومن الأنصاف ان نقول إن موقف بعض الناقدين لايخلو من تعصب للقديم لقدمه وتفضيله على الجديد، ومصداق ذلك ماقاله ابن قتيبة (٢٧٦هـ): «رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر، لتقدم قائله ويضعه متخيره، ويرذل الشعر الرصين، ولاعيب له عنده الا انه قيل في زمانه، ورأى قائله» (٤)، وهاهوذا ابو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) يقول: «لو ادرك الاخطل من الجاهلية يوما واحدا ماقدمت عليه جاهليا ولا اسلامياً»(٥).

أما ابن الاثير فقد وقف موقفاً فريداً بين العلماء في هذا الصدد، فهو لم يعتمد على المحدثين في الاستشهاد كغيره من البلاغيين فحسب، بل فضلهم في كثير من الاحيان على الشعراء الاقدمين «واما المحدثون فانهم تصرفوا في التخلص فابدعوا واظهروا منه كل غريبة» (٦) ويرى ان التقدم الزمني ليس له كبير اهمية في تقديم شاعر على شاعر، ومن اقواله: «ان إطلاق قول القائل بأن المتقدم افضل من المتأخر قول غير متجه» (٧) ويرفض فكرة تفضيل النص القديم والاقتصار عليه ولا يتفق مع القائلين بها فيقول: «ان سلمت

(١) ينظر رضي الاسترابادي، شرح كافية ابن الحاجب ٦٦/١، ٧٧، ١٩٠ ٦٨/٢ط(١)، المطبعة العامرة، استانبول ١٢٧٥هـ.

(٢) ينظر الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ٨/١،

(٣) ينظر شرح درة الخواص ص ١٩٢

(٤) الشعر والشعراء ص ٧

(٥) الاصمعي، فحولة الشعراء ص ٢٤ . ط١ القاهرة ١٩٥٣م

(٦) ينظر المثل السائر ١٢٣/٣

(٧) الاستدراك ص ٦

ان الشعر والخطابة كانا للعرب بالطبع والفطرة فماذا تقول فيمن جاء بعدهم من شاعر وخطيب تحضروا وسكنوا البلاد ، ولم يروا البادية ولا خلقوا بها ، وقد اجادوا في تأليف النظم والشعر، وجاءوا بمعان كثيرة ماجاءت في شعر العرب، ولا نطقوا بها؟ (١) فهو ثائر على التقليد القديم يعلن رأيه في هذه المشكلة في صراحة وجرأة في ثورته النقدية محاولا اظهار تفوقه في النقد والبلاغة (٢)، فيفضل اولا ثلاثة من الشعراء الاسلاميين، ويجعلهم اشعر من الجاهليين فيقول: «والذي اداني اليه نظر الاجتهاد دون التقليد ان جريرا والفرزدق والاخطل اشعر ممن تقدم من شعراء الجاهلية، وبينهم وبين اولئك فرق بعيد» (٣) ومن وقف على الاشعار ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة علم ماشرت اليه.. فانهم اجادوا في كل ماأتوا به من المعاني المختلفة » (٤) ثم يتقدم بجرأة اكثر مجاهرا بتفضيل ثلاثة شعراء محدثين على جميع الشعراء وهم ابو تمام والبحتري والمتنبي فان هؤلاء الثلاثة لايدانيهم مدان في طبقة الشعراء. اما ابو تمام والمتنبي فربا المعاني، واما البحتري فرب الالفاظ في ديباجتها وسبكها، وهؤلاء الثلاثة عنده ارباب الشعر، فهم لاته وعزاه ومناته الذين «ظهرت على ايديهم حسناته ومستحسناته ، وقد حوت اشعارهم غرابة المحدثين الى فصاحة القدماء، وجمعت بين الامثال السائرة وحكمة الحكماء (٥) ويذهب الى ان ختام الشعر على الثلاثة المتأخرين (٦). ويتوقع اسئلة تثار لتفضيله اياهم فيقول مبررا حكمه: «اني لم اعدل اليهم اتفاقاً، وانما عدلت اليهم نظرا واجتهادا ، وذلك اني وقفت على اشعار الشعراء قديمها وحديثها، حتى لم اترك ديوانا لشاعر مفلق يثبت شعره على

(١) المثل السائر ٢/٤. وقال مايشبه هذا في كتابه (الاستدراك) ص ٢٤ - ٥

(٢) الاستدراك ، مقدمة التحقيق ص ١٩

(٣) الاستدراك ص ٢٥

(٤) المثل السائر ٣/٢٧٣

(٥) المثل السائر ٣/٢٢٦ - ٢٢٧

(٦) المثل السائر، ينظر ٣/٢١٩

المحك الا وعرضته على نظري، فلم اجد اجمع من ديوان ابي تمام وابي الطيب للمعاني الدقيقة ، ولا أكثر استخراجا منهما للطيف الاغراض والمقاصد ولم اجد احسن تهذيبا للالفاظ من ابي عبادة، ولا أنقش ديباجة ولا أبهج سبكاً، فاخترت حينئذ دواوينهم لاشتمالها على محاسن الطرفين من المعاني والالفاظ. ولما حفظتها الغيت ماسواها مع مابقي على خاطري من غيرها (١) ولذلك كان يرد على السابقين الذين فضلوا محدثاً آخر كالاصمعي وابي عبيدة وغيرهما الذين فضلوا بشارا وجعلوه اشعر المحدثين (٢) كما اكثر من الاستشهاد بهم، حتى لقد اعتمد في دراسته السرقات الشعرية عليهم (٣) ويقول: «ولم اجد في ضروب الاطناب احسن من هذا الموضع ولا الطف وقد استعمله ابو تمام في شعره كثيرا، بخلاف غيره من الشعراء كقوله :

زكيٌّ سجاياهُ تُضيفَ ضيوفهُ

ويُرجى مرجيه ويُسأل سائلُهْ

فان غرضه من هذا القول انما هو ذكر الممدوح بالكرم وكثرة العطاء الا أنه وصفه بصفات متعددة ، فجعل ضيوفه تضيف ، وراجيه يرجى ، وسائله يسأل ، وليس هذا تكريرا (٤). وفي معرض حديثه عن جوامع الكلم قال : وقد ورد شيء من ذلك في اقوال الشعراء المفلقين : فمما جاء من ذلك قول أبي تمام :

كم صارمٍ عضبٍ أناف على قفا

منهم لاعباء الوغى حمال

سبق المشيب اليه حتى ابتزه

وطن النهى من مغرق وقذال

(١) المثل السائر ٢٢٩/٣

(٢) يلظر المثل السائر ٢٧٢/٣ - ٢٧٣

(٣) المثل السائر، ينظر ٢٢٥/٣ - ٢٩٢، يقول: وقد اكتفيت في هذا بشعر ابي تمام والبحتري والمتنبي.

(٤) المثل السائر ٣٦٥/٢

فقوله : وطن النهى من الكلمات الجامعة ، وهي عبارة عن الرأس ، ولا يجاء بمثلها في معناها مما يسد مسدها (١) . وقال في حل الأبيات الشعرية : وأما ما يضيق فيه المجال ، فيعسر على الناثر تبديل الفاظه فكقول أبي تمام :

تردّى ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل الا وهي من سندس خضر

وقول أبي الطيب :

وكان بها مثل الجنون فاصبحت ومن جثث القتلى عليها تمائم

وأمثال هذا لاتاتي الا قليلا ، وسببه أن المعنى ينحصر في مقصد من المقاصد حتى لايكاد يأتي فذا كهذين البيتين » . (٢) وهو يتابع الأستشهاد بشعرهم كما في التشبيه (٣) والأستعارة (٤) والمشبه بالتجنيس (٥) مثلا .

وذهب الدكتور محمد زغلول سلا م إلى أن اهتمام ابن الأ ثير بالطائيين والمتنبي لم يكن اختيارا خاصا من وحي ذوقه بل كان صورة لذوق العصر عامة (٦) وسواء اكان ذلك صحيحا ام لا فلسنا بصدد ذلك فحسبنا ان نذكر شواهده واستشهاده ، غير أننا لاننس أنه أديب ناقد بحكم ذوقه وحسه الغني في النقد والاختيار بدليل قوله : « وكنت اذا مررت بنظرى في ديوان من الدواوين ، ويلوح فيه مثل هذه الألفاظ (جوامع الكلم) أجد لها نشوة كنشوة الخمر ، وطرباً كطرب الالحان» (٧) ، كما لم يقتصر في استشهاده على الشعراء الثلاثة الذين فضلهم — وان اكثر الاستشهاد بهم — ، كما لم يمنعه ذلك من تبيان ردىء شعرهم ، واستحسان شعر غيرهم ، وقد نص على ان امرأ القيس قد اخترع شيئاً لم يكن قبله ، فمن ذلك انه اول من

---

(١) المثل السائر ٩٨/١

(٢) المثل السائر ١٣٣/١ — ١٣٤

(٣) المثل السائر، ينظر ٢٤٣/٢ — ١٤٤

(٤) المثل السائر ، ينظر ١٠١/٢ — ١٠٤

(٥) المثل السائر ٣٥٢/١ — ٣٥٥

(٦) ضياءالدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٦١.

(٧) المثل السائر ٩٨/١

عبرّ عن الفرس بقوله : قيد الأوابد . ولم يسمع ذلك لاحد من قبله (١) .
وقال بعد ان انهى استشهاده بأبيات للمتنبي وأبي تمام وأبي نواس على التخلص : «ولا تظن ان هذا شيء انفرد به المحدثون لما عندهم من الرقة واللطافة ،وفات من تقدمهم لما عندهم من قشف العيش وغلظ الطبع ، بل قد تقدم اولئك إلى هذا الاسلوب وان اقلوا منه واكثر منه المحدثون ، وأي حسن من محاسن البلاغة والفصاحة لم يسبقوا اليه؟ وكيف لا وهم اهله ومنهم علم وعنهم اخذ ؟(٢)، وطبيعي أنّ من كان هذا رأيه يرد رداً منطقياً صائباً قول ابن افلح البغدادي في مقدمته البلاغية: «ليس للعرب من المعاني المبتدعة شيء، وانما اختص بها المحدثون» وبزيفه (٣)، ولولا خوف الاطالة لذكرته لكم . فقد كان الرجل منصفاً غير متعصب ، فلم يمنعه تفضيله الشعراء الثلاثة — كما رأينا — من استحسان شعر غيرهم فيقول، —مثلا— عن ابي العتاهية: «اذا تأملت شعره وجدته كالماء الجاري رقة الفاظ ، ولطافة سبك ، ليس بركيك ،ولا واه . وكذلك ابو نواس ، وبهذا قدم على شعراء عصره» (٤). وكل شعر ابي العتاهية سهل الالفاظ ، وسأؤيد منه هاهنا شيئاً يستدل به على سلامة طبعه ، وترويق خاطره . فمن ذلك قصيدته التي يمدح فيها المهدى ويشبب بجاريته (عتب) :

الا مالسيدتي مالهـا ... تـدل فأحمـل إدلالهـا
الا إن جاريـة للامـا ... م قـد سكـن الحسن سربالهـا
لقد أتعب الله قلبي بهـا ... واتعـب فـي اللـوم عذالهـا

فلما وصل إلى المديح قال من جملته:

اتتـه الخـلافـة منـقـادة ... اليـه تجـرر اذيـالهـا

(١) المثل السائر ١٠٩/١
(٢) المثل السائر ١٣٧/٣
(٣) المثل السائر ، ينظر ٥٩/٢ — ٦٣
(٤) المثل السائر ٢٥٠/١

فلم تك تصلح الا له
ولم يكن يصلح الا لها

ويحكى ان بشارا كان شاهدا عند انشاد ابي العتاهية، فلما سمع المديح.قال : انظروا إلى امير المؤمنين، هل طار عن اعواده، يريد هل زال عن سريره طربا بهذا المديح. ولعمري ان الامر كما قال بشار . وخير القول ماأسكر السامع» (١) ثم ارجو ان تسمعوا ماذا قال عن ابي تمام :«ومن اقبح ماسمعته من ذلك قول ابي تمام :

وتقاسم الناس السخاء مجزءا
وذهبت انت برأسه وسنامه

وتركت للناس الإهاب ومابقي
من فرثه وعروقه وعظامه

والقبح الفاحش في البيت الثاني. وكل هذا التعسف في التشبيه البعيد دندنة حول معنى ليس بطائل، فان غرضه ان يقول: ذهب بالأعلى ،وترك للناس الأدنى ،او: ذهبت بالجيد ،وتركت للناس الرديء (٢)، وقال عن بيت له يصف جملا

تأمَكِهِ نهدِهِ مُداخلِه
مَلمومِه محزئلِه أُجُدِهِ

من المعاظلة التي قلع الاسنان دون ايرادها (٣) . ومما عاب به المتنبي قوله في التشبيه:

وجرى على الورق النجيع القاني
فكأنه النارنج في الأغصان

---

(١) المثل السائر ١/٢٥٠ – ٢٥١
(٢) المثل السائر ٢/١٥٤. الاهاب: الجلد. والفرث: السرجين في الكرش
(٣) المثل السائر ١/٤٠٨. تامكه: حدبته. نهده: ثديه. محزئله : مرتفع سبره اجده :فقرات ظهره

فجعله من التشبيهات الباردة (١). وفي معرض حديثه عن المعاظلة اللفظية ذكر بيتا للمتنبي، وانتقده بشدة وجعله من اقبح عيوب الالفاظ، وذلك قوله :

كيـــف تـــرثي التي تـــرى كـل جفـن
راءهـــا غيـــر جـفـنـهـا غيـــر رائـي

ثم قال معقبا: «وهذا وامثاله انما يعرض لقائله في نوبة الصرع التي تنوب في بعض الايام» (٢).

ارأيتم كيف كان الرجل منصفا غير متعصب؟ ولم يكن مقلدا احدا وانما كان ذواقة لحسن الكلام وجميله يحكّم ذوقه السليم واحساسه الفني فيه، ولذلك لم يعب شعراءه الاثيرين لديه في بعض شعرهم فحسب بل خطأهم وجعلهم من الجاهلين في اللغة، فهو الذي قال: «وقد غلط ابو تمام في قوله :

بـــالقـــائمِ الثـــامـــنِ المستخـــلفِ اطأدت
قـــواعـــدُ الملكِ ممتـــداً لـــهـــا الطُـــولُ

الا ترى انه قال (اطأدت) والصواب (اتطدت) لان التاء تبدل من الواو في موضعين: احدهما مقيس كهذا الموضع، لأنك اذا بنيت افتعل من الوعد قلت (اتعد). ومثله ماورد في البيت وصوابه (اتطد) » (٣) وكذلك خطأ المتنبي في وصف ناقته حيث قال:

وتَـــكَـــرَّمَـــتْ رُكَبَـــاتُـهَـا عن مَبْرِكٍ
تَقَعَـــانِ فيـــه وليـــس مسكاً اذفرا

فجمع في حال التثنية، لان الناقة ليس لها الا ركبتان، فقال (ركبات) وهذا من اظهر ظواهر النحو، وقد خفي على المتنبي (٤).

(١) المثل السائر ١٥٧/٢ والنجيع : الدم. القاني : الاحمر الشديد الحمرة
(٢) المثل السائر ٤٠٢/١
(٣) المثل السائر ٥٣/١
(٤) المثل السائر ٥٥/١

منهجه في الأستشهاد بالشعر :

اما منهجه في الاستشهاد بالشعر فمتأثر بالمدرسة الادبية التي كان من ابرز رجالها، ولهذا نراه قد اتى بمئات الابيات في كتابه محكما ذوقه السليم في اختيارها مستندا اليها فيما يقرره من احكام، من ذلك مثلا استشهاده في (الايجاز بالتقدير) بعشرة ابيات لجرير من قصيدته التي اولها :

سـرت الهـمـوم فبـتـن غـيـر نيـام
واخـو الهـمـوم يـروم كـل مرام

قال بعدها: وحلاوة هذا الكلام احسن من ايجازه. ومن هذا الضرب قول ابي نواس وهو من نادر مايأتي في هذا الموضع، ثم استشهد بستة ابيات (١) ورأيته في عدة مواضع يستشهد بدل البيت ببضعة ابيات من شعر الشاعر كما فعل حينما استشهد في موضوع (الصناعة المعنوية) بثمانية ابيات لابي تمام فبسبعة ابيات للبحتري، ثم اردفها باربعة ابيات للمتنبي في وصفه(الحمى)(٢). حتى لقد أتى بقصيدته التي مطلعها:

أيـنـفـع فـي الـخـيـمـةِ الـعـذل
وتـشـمـل مـن دهـر مايـشـملُ

واستشهد بخمسة عشر بيتاً منها على حسن المعنى واعقبها بقوله : هذه الابيات قد اشتملت على معان بديعة ، وكفى المتنبي فضلا ان يأتي بمثلها(٣) . واوضح دليل على اكثار ابن الاثير من الشواهد محكما ذوقه في اختيارها استشهاده في (الخطاب بالجملة الفعلية والجملةالاسمية) بستة ابيات للبحتري في معاتبة الفتح بن خاقان واولها :

هـل يـجـلـبـنَّ الـيّ عـطـفَكَ موقـفٌ
ثـبـتٌ لـديك اقـولُ فيـه وتسـمعُ

---

(١) المثل السائر ٣٤٣/٢ — ٣٤٥
(٢) المثل السائر، ينظر ٧/٢ — ٩
(٣) المثل السائر ، ينظر ١٠/٢ — ١٢

وموضع الشاهد في البيت الاول . وقوله : «وهذه ابيات حسنة» مليحة «في بابها ، يمحى بها حر الصدود ، ويستمال بها صر الخدود ، وانما ذكرتها بجملتها لمكان حسنها ، والبيت الاول هو المراد (١) . ومثل هذا كثير (٢). وربما استشهد بقصيدة كاملة كاستشهاده بقصيدتين الاولى لابي تمام والثانية للمتنبي في (السرقات الشعرية) (٣) . وكان له مما حفظه من الشعر – كما اشرنا – معين لاينضب – ومما يدل على كثرة حفظه ان السرقات الشعرية – وقد درسها وألف فيها كتاباً – لايمكن الوقوف عليها الا بحفظ الاشعار الكثيرة (٤) ، وقد علل اعتماده على الشعر بقوله : «إن الاشعار اكثر والمعاني فيها اغزر وسبب ذلك أن العرب الذين هم أصل الفصاحة كان جل كلامهم شعراً ، ولانجد الكلام المنثور في كلامهم الا يسيراً ، ولو كثر فانه لم ينقل عنهم ، بل المنقول عنهم هو الشعر ... والكلام المنثور بالنسبة اليه قطرة من بحر» (٥) وهو يخالف الرأي السائد لدى الناس ، وان كانت النتيجة واحدة هي قلة النثر الذي وصل الينا ، فابن رشيق يقول :

«قد اجتمع الناس على ان المنثور في كلامهم اكثر ، واقل جيداً محفوظاً ، وان الشعر اقل ، واكثر جيداً محفوظاً » (٦) ومع ذلك فان استشهاده الجم بالقرآن الكريم واعتماده عليه وعلى الحديث النبوي بدون قيد او شرط – كما قدمنا – قد عوض عن قلة كلام العرب المنثور المحفوظ . وكان إلى جانب ذلك مختاراً ومنتخباً مما حفظه من الشعر الذي يفيده في دراساته (٧) ، واختياره له أو نقده اياه بعد تروية وتفكير : «ولقد مارست

(١) المثل السائر ٢/٢٤٩

(٢) المثل السائر ، ينظر مثلاً ١/٣٥٥، ٢/٣٦٥.

(٣) المثل السائر ، ينظر ١/٣٥٥،٢/٣٦٥

(٤) المثل السائر، ينظر ١/٩٨، ٣/٢٢٩

(٥) المثل السائر ، ينظر ٣/٢٢١ – ٢٩٢

(٦) المثل السائر ١/١٣٧

(٧) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ١/٢٠، ط٢، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٧٠هـ – ١٩٥٠م

من الشعر كلّ اول وأخير ، ولم اقل مااقول فيه الا عن تنقيب وتنقير»(١) ولايصدر حكماً الا بعد استقراء للشعر ، قال بصدد تقسيمه المعاظلة اللفظية : « إني تأملته بالاستقراء من الاشعار قديمها ومحدثها » (٢)

وقال في (عكس الظاهر) : «ولقد مكثت زماناً اطوف على اقوال الشعراء ، قصدا للظفر بامثلة من الشعر جارية هذا المجرى ، فلم اجد الا بيتاً لامرىء القيس وهو :

علـى لاحـبٍ لايـهـتـدي لـمـنـاره
اذا سـاقـه الـعـود الـدّيـافي جرجرا

فقوله : لايهتدي لمناره . اي ان له مناراً الا انه لايهتدي به ، وليس المراد ذلك بل المراد انه لامنار له يهتدي به» (٣) . ومما يعجبني في منهج ابن الاثير انه كان لايقيس على الشعر مع كثرته اولا ، والثاني أنه فرّق بين لغة الشعر ولغة النثر في إصدار الاحكام ، وهذا رأي سديد ومنهج صائب في الدراسة لأن للشعر لغته التي تختلف عن لغة النثر ، فهو غير حر ، بل مقيد بسلاسل اقامة وزنه وتطبيق شروط قافيته : «قال في حذف الموصوف والصفة واقامة كل منهما مقام الآخر :

«ولايكون اطراده في كل موضع ، واكثره يجيء في الشعر ، وانما كانت كثرته في الشعر دون الكلام المنثور لامتناع القياس في اطراده » (٤) ، اما الالفاظ الغريبة فليست بالحسن عنده سواء ، بل يفرق بين لغة الشعر ولغة النثر ، فالغريب الحسن يسوغ استعماله في الشعر ، ولايسوغ في الخطب والمكاتبات ، وهذا شيء استخرجه بذوقه ، واتهم بالجهل او العناد لعدم

---

(١) المثل السائر ٣/٢٢٧
(٢) المثل السائر ١/٣٩٨
(٣) المثل السائر ١/٢٥٨
(٤) المثل السائر ٢/٣١٢ — ٣١٣

الذوق السليم كل من ينكر هذا الرأي (١) بغض النظر عن الالفاظ التي اتى بها مثلا .

وقد يحلو له ذكر سبب نظم الشاعر القصيدة التي يستشهد ببيت او ابيات منها (٢) او ذكر الغرض الذي قيل فيه الشاهد (٣) ، او بذكر مطالع القصيدة (٤) وربما كان لاطلاعه الواسع على الشعر ورغبته في اظهار تلك المعرفة ، او إفادة القارئ وتنمية معارفه ، ماجعله يفعل هذا ، لكنه كان — احياناً — يجتزئ موطن الشاهد مكتفياً بنصف بيت (٥) ، والظاهر انه لم يجد في تتمته او في القصيدة التي اخذ منها مايعجبه فيها لكي يثبته في كتابه ، فلو كانت انصاف الابيات التي اوردها لشعراء مجهولين لقلنا انه لم يذكرها لجهله بها ، وانما رأيته يستشهد بأنصاف أبيات لشعراء معروفين كذى الرمة (٦) والأخطل (٧) والقطامي (٨) وامرئ القيس(٩) وابي تمام (١٠) والبحتري (١١) والمتنبي (١٢) .

اما نسبته الشعر الى قائليه فقد كان لايختلف في هذا عن ائمة اللغة والنحو والبلاغة في شيء ، فقد رأيته في اغلب الاحيان ينسب الشعر الى قائليه ، واحيانا يعفيه من النسبة مكتفيا بذكر كلمة أو قال : (١٣) أو

---

(١) البيان العربي ٢٠٩ — ٢١

(٢و٣)المثل السائر ، ينظر مثلا ٦٦/٣، ٦٨، ٦٩، ١٦٥، ١٥٢،

(٤) المثل السائر، ينظر ٤٠٢/١، ٤٠٧، ٢٥٩، ١٠٤/٢، ١٠٦، ٥٠ ، ٢٥٤، ١٣٨/٣، ١٤٠، ١٤١، ٢٧٣، ٢٣٣، ٢٤٣ مثلا

٢٠

(٥) المثل السائر ، ينظر مثلا ٢٧٠/١، ٥٨/٢ و ٨٨/٣، ٨٩، ١٠٠

(٦) المثل السائر ٩٨/٣

(٧) المثل السائر ٩٨/٣

(٨)(٩)(١٠) المثل السائر ٨٨/٣، ١٠٢

(١١) المثل السائر ١٠٠/٣

(١٢) المثل السائر ١٠٢/٣

(١٣) المثل السائر :ينظر : ٩٧/٣، ١٠٨، ٢٤٥، ٢٤٨

(وقال الشاعر) (١) أو (ومن ذلك قول بعضهم من شعراء الحماسة) (٢) أو (وقال بعض شعراء الحماسة) (٣) أو (وقول بعضهم) (٤) مثلا . وقد لاحظت ان قسما من الشعر غير المنسوب لشعراء معروفين كما ان القسم الاخر لشعراء مجهولين . ووجود الشواهد المجهولة في كتب علوم اللغة ظاهرة عامة ، وقد جاء نتيجة الاعتماد على الطريقة الشفوية في تداول وتناقل النصوص الادبية مدة زادت على قرنين من الزمان قبل تدوينها ، حيث ظل الرواة والناس يتداولونها معتمدين على الذاكرة ، التي قد يعتريها النسيان ، وربما كان السبب ان هذه الابيات كانت مفردة او في قطع شعرية قالها اعراب لم يشتهروا بقول الشعر ، فاهمل الرواة ذكر اسمائهم ولهذا نسيت بمرور الازمان ، وربما كان قسم منها مصنوعا وضعه الرواة او العلماء . على ان خطورة هذه الظاهرة في البلاغة لاتقاس بخطورة وجودها في كتب النحو ومن هنا كان تنديدنا بالنحويين —في دراسات اخرى — (٥) لأنهم اعتمدوا على الشعر — وهذه احدى عيوبه — فجعلوه مصدرهم الاول ، فلم يفيدوا الفائدة المرجوة من القرآن الكريم ، وهو ماهو فصاحة وبلاغة ونثرا موثقاً .

شواهده من رسائله :

استشهد ابن الاثير بقسم من رسائله وانشاءاته التي حررها في مناسبات شتى في المثل السائر ، ولاسيما في حل آيات القرآن الكريم والاخبار النبوية والابيات الشعرية ، وتضمين الامثال ، ورسائله تحتاج الى دراسة نقدية متخصصة لأظهار قيمتها الادبية —وهي خارج نطاق هذا البحث— ولابأس

---

(٢) المثل السائر: ينظر: ٢/٨٩، ٣/١٠، ١٧٨، ٢٤٦

(٣) المثل السائر، ينظر: ١/٢١٣، ٣٧٢، ٣٩٠، ٢/٢٧٠

(٤) المثل السائر ، ينظر: ١/٣٧٢، ٣٨١، ٢/٦٠، ٦٢، ٣١٦، ٣/ ،

(٥) المثل السائر ، ينظر: ١/٢٤٦، ٣٣٨، ٣٦٢، ٢/٦٦، ٦٨، ١٣١ ، ٢٥٨، ٣/٨٢، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٢٠١، ٢١٥

(٦) الشواهد والاستشهاد في النحو، يلظر ص ٤٠، ١٣٥، ٢٢٣، ٢٧٢، ٣ ٣٤.

من القاء بعض الضوء عليها . فقد كان ابن الاثير اديبا كبيرا وكاتبا من كتاب الدواوين وهو الذي يقول : «ولقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لي اسرارها ، واظفرتني بكنوز جواهرها» (١) وقال ابن خلكان: « وله معنى مليح في الترسل ، وكان يعارض القاضي الفاضل في رسائله : فاذا انشأ رسالة انشأ مثلها ، وكان بينهما مكاتبات ومجاوبات» (٢) ، وكل اديب هو نتيجة لثقافته وموهبته وبيئته وعصره ، وقد عاش ابن الاثير في عصر مضطرب وساهم في السياسة وتنقل من بلد الى آخر ومن امير الى امير ومن منصب الى منصب وقد هيأت له هذه الحياة مادة الوصف ومادة الكتابة (٣) ووسعت افق اطلاعه وكتابات الاديب تمثل روح عصره ومن «يعرف اساليب الكتابة في العصر الذي عاش فيه عالمنا يعرف انها كانت تمتاز امتيازا ظاهرا بلزوم السجع واستعمال الجناس وبعض انواع البديع واستخدام معاني الشعر والفاظه في كتابة الرسائل بحل الابيات السائرة والحكم المأثورة ، حتى كادت الرسائل تكون شعرا منثورا (٤) ، لهذا نراه يظهر» قيمة السجع في الكلام ويدافع عنه ، ولايرى وجها لذمه الا العجز عن الاتيان به (٥) ، والا ماكان متكلفا كسجع الكهان ، قال : والا فلو كان مذموما لما ورد في القرآن الكريم ، فانه قد اتى منه بالكثير حتى انه ليؤتي بالسورة جميعا مسجوعة ، كسورة الرحمن ، وسورة القمر وغيرها (٦) . وما ذلك الا لأنه فن كان يحسنه ويبدع فيه . وحسبنا ان نـذكر ان ما استشهد بـه من رسائله في المثل السائر شهد له فيها خصومه وناقدوه . قال ابن ابي الحديد في (الفلك الدائر على المثل السائر) الذي صنفه

(١) المثل السائر ١٢٦/١ — ١٢٧

(٢) وفيات الاعيان ٢٨٧/٢ ومابعدها

(٣) الجامع الكبير، مقدمة المحققين ص ٣١ — ٣٢

(٤) د. بنوى طبانة، البيان العربي ص ٢٠١

(٥) جرس الالفاظ ص ٢٢٩.

(٦) المثل السائر : ينظر ٢٧١/١ — ٢٧٨

للغض من قدر المثل السائر وصاحبه :« اطلعت على الكتاب فوجدت فيه المحمود والمقبول والمردود والمرذول ، اما المحمود منه فانشاؤه وصناعته فانه لابأس بذلك الا في الاقل النادر» (١) . وتلك شهادة ذات مغزى حتى ان صلاح الدين الصفدي لم يكتم اعجابه بنثر ابن الاثير ، وجعله افضل من نثر ابن ابي الحديد ، و«اقعد منه عند اولي البصائر» (٢) مع انه جاء لنصرة ابن أبي الحديد في ثورته على المثل السائر .

منهجه العام في الأستشهاد :

ويسرني في ختام بحثي هذا ان اذكر منهجه العام في الاستشهـــاد فقد تبين لنا من خلال البحث اهمية كل مصدر ، فالقرآن الكريم هو المصدر الاول في دراساته البيانية ، ويأتي الحديث النبوي الشريف بعده ، فكلام العرب المنثور والمنظوم اما منهجه العام في تناول الشواهد من هذه المصادر والاستشهاد بها ، فهو لم يعتمد منهجا واضحا في ايرادها حسب اهمية مصادرها لديه ، ولكنه على العموم يفضل الاستشهاد بالقرآن الكريم ، لأنه مصدره الاول — كما ذكرنا — فان وجد فيه ضالته المنشودة فذلك خير وأقوم ، فان لم يجد ، عدل عنه الى الحديث الشريف ، أو الى اقوال العرب فان لم يجد ، لجأ الى الشعر ، كما فعل في مواضع كثيرة من المثل السائر ، ففي التكرار مثلا استشهد بالآيات تلو الآيات (٣) .

وعند تكلمه على الموازنة استشهد بكثير من الآيات وقال : « وأمثال هذا في القرآن كثير ، بل معظم آياته جارية على هذا النهج ، حتى انه لاتخلو منه سورة من السور » (٤) : وفي باب (الاستدراج) استشهد بخمس آيات

---

(١) الفلك الدائر على المثل السائر ٣/٣٣

(٢) نشرة الثائر على المثل السائر ص ١٦ تحد : مناهل فخرالدين مطبوع بالا لة الكاتبة سنة ١٩٦٨

(٣) المثل السائر، ينظر ٣/١٠ — ١١

(٤) المثل السائر ١/٣٧٩ — ٣٨٠ وعرفها : اي تكون الفاظ الفواصل من الكلا م المنثور متساوية في الورن، وان يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساوى الا لفاظ وزنا.

(١) ، وفي (الالتفات) استشهد بسورة الفاتحة كلها (٢) ، وفي موضوع التخلص استشهد بسورة يوسف كما ذكرنا ورأيته في مواضيع يذكر الآيات وموضع الشاهد في آخر آية ذكرها ، ولكن للآيات علاقة بالشاهد (٣). كما في استشهاده بست آيات من سورة مريم على حذف الجمل التي ليست بمفيدة حيث قال :« هذا الكلام قد حذف منه جملة دل عليها صدره ، وهو البشرى بالغلام ، وتقديرها : ولما جاءه الغلام ونشأ وترعرع قلنا له يايحيى خذ الكتاب بقوة ، فالجملة المحذوفة ليست من الجمل المفيدة (٤) ورأيته في مواضع اخرى يورد آيات القرآن مستشهدا بها فالاحاديث ، ثم اقوال العرب التي وردت في الكتب ، ثم يعرج مرة ثانية على الحديث كما فعل عند كلامه على (الايجاز بالتقدير) (٥) .

والظاهر انه حينما يشرح موضوعا او يصدر حكما او يقرّ رأياً يأتي بما يؤيد حكمه فيتناول الشاهد الذي يراه قوياً في ذلك الموضوع لكي يستند اليه في حكمه ذاك او تعزيز تحديده للظاهرة البلاغية او الاسلوبية ، سواء اكان قرآنا أم حديثا أم شعراً ومن هنا نراه في مقابلة الشيء بما ليس بضده استشهد ببيت من الشعر لقريط بن انيف ثم اعقبه بآيتين من القرآن الكريم (٦) . وفي موضوع حذف الفعل وجوابه استشهد اولاً بمثل فآية ثم أردفهما بحديث . ثم قال : ومما ورد منه شعرا قول المتنبي :

اذا التوديع اعرض قال قلبي
عليك الصمت لاصاحبت فاكا (٧)

---

(١) المثل السائر ٢/٢٦٢
(٢) المثل السائر ، ينظر ٢/١٧٣
(٣) المثل السائر ، ينظر مثلا ٢/٢٦٥، ٢٨١، ٢٩٢، ٣٦٧
(٤) المثل السائر ٢/٢٩٣
(٥) المثل السائر ينظر : ٢/٣٣٣ – ٣٣٠
(٦) المثل السائر ٣/٢٩٨
(٧) المثل السائر ٣/٦٢

واوضح دليل على رأينا هو قوله في الكناية: « واذا فرغت من ذكر الاصول التي قدمت ذكرها – وقد عززها بالشواهد – فاني اتبعها بضرب من الامثلة نثرا ونظما حتى يزداد ماذكرته وضوحا (١) .

وبعد فهذا هو (ابن الاثير) لقد عرفناه من خلال دراستنا لشواهده واستشهاده في (المثل السائر) عالما فذا قد اتخذ من كتاب الله الكريم مصدره الاول في دراساته النقدية والبلاغية اضافة الى اقوال العرب ، فسلك الطريق السوي للبحث ، الذي يجب ان يسلكه الباحثون ، فيجعلوا من القران الكريم قطب الرحى الذي تنحدر منه ضروب الدراسات في العلوم العربية كافة.

وآخر دعواي أنِ الحمد لله رب العالمين .

عبدالجبار علوان النايلة

---

(١) المثل السائر ٦٢/٣

١. القرآن الكريم، المصدر الاول في الدراسات العربية
٢. الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان، المسماة بالمآخذ الكنديةمن المعاني الطائية: ضياء الدين بن الاثير. تقديم وتحقيق: حفني محمدشرف، القاهرة سنة ١٩٥٨
٣. الاقتضاب في شرح ادب الكتاب: عبدالله بن السيد البطليوسي. ط١، بيروت ١٩٠١
٤. البلاغة عند السكاكي: الدكتور احمد مطلوب .ط١ بغداد ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م
٥. البيان العربي: د. بدوى طبانة ط٥، بيروت ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م
٦. ثلاث رسائل في اعجاز القرآن:
(١) بيان اعجاز القرآن: ابو سليمان الخطابي
(٢) النكت في اعجاز القرآن: ابو الحسن الرماني
(٣) الرسالة الشافية: عبد القاهر الجرجاني
تحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام ط٣، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٧٦م
٧. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور: ضياء الدين بن الاثير. تحقيق د. مصطفى جواد ود. جميل سعيد. مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٣٧٥=١٩٥٦م
٨. جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدى عند العرب: د. ماهر هلال مهدي ط١ بغداد ١٩٨٠م.
٩. الحديث الشريف من مصادر الدرس النحوى: بحث من اعداد: عبد الجبار علوان النايلة. مجلة كلية الاداب / جامعة الموصل العدد الثالث عشر سنة ١٩٨١م
١٠. دراسات بلاغية ونقدية: الدكتور احمد مطلوب. ط١ بغداد ١٣٩٩هـ= ١٩٧٨م

١١.شرح درة الغواص في اوهام الخواص للحريري: شهاب الدين الخفاجي ط١ مطبعة الجوائب، استانبول سنة ١٢٩٩هـ
١٢.الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري . تصحيح وتعليق: مصطفى السقا، ط١٢ القاهرة ١٣٥٠هـ.
١٣.الشواهد والاستشهاد في النحو : عبد الجبار علوان النايلة، ط١بغداد ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م
١٤.الصاحبي في فقه اللغة: احمد بن فارس . ط١ مطبعة المؤيد القاهرة ١٣٢٨هـ=١٩١٠م
١٥.ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد: محمد زغلول سلام ، مطبعة الرسالة بالفجالة، مصر.
١٦.الفلك الدائر على المثل السائر : ابن ابي الحديد . تحقيق د. احمد الحوفي ود. بدوي طبانة (مع المثل السائر في طبعة واحدة) بمطبعة دار نهضة مصر ط١ ، القاهرة ١٣٧٩هـ=١٩٥٩م
١٧.القزويني وشروح التلخيص : الدكتور احمد مطلوب ط١ ، بغداد ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م
١٨.اللغة العربية وعلومها : عمر رضا كحالة . المطبعة التعاونية ، دمشق ١٣٩١هـ=١٩٧١م
١٩.لسان العرب : ابن منظور . دار صادر - دار بيروت ١٣٧٥هـ= ١٩٥٦م
٢٠.المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الاثير . تقديم وتحقيق : د. احمد الحوفي ود. بدوي طبانة ، ط١ مطبعة نهضة مصر
٢١.مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب : امين الخولي ط١،
٢٢.وفيات الاعيان وانباء الزمان : ابن خلكان . تحقيق : احسان عباس . دار صادر - دار بيروت
وهناك مصادر اخرى اكتفينا بذكرها في هوامش هذا البحث .

القيمة الادبية في كتاب الكامل في التاريخ
لعز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم
محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيباني المعروف بابن الاثير

الدكتور عبد الكريم توفيق العبود
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب



القيمة الأدبية في كتاب الكامل في التاريخ

الأدب والتاريخ :

قدر لي أن اتصل بكتب التاريخ مرات عديدة ، ابحث فيها عمّا يهمني من نصوص تتصل بموضوعات ادبية هي مدار اختصاصي، فاذا انا امام مواد ادبية كبيرة تعكس قوة الترابط بين الادب والتاريخ في مصادرنا العربية التاريخية، فتجعل الادب قريبا من التاريخ ،والتاريخ قريبا من الادب، بل يكاد احدهما يكون الاخر — احيانا — ، ويوشك أن يطابقه إن لم يكن اياه، وذلك حين يتقاربان ويلتقيان ، ويصبان في مجرى واحد، هو مجرى تسجيل الوقائع والاحداث، وتدوين تاريخ الفكر، والفن ، وجوانب الحضارة الاخرى.

وبما ان الادب تعبير عن الحياة النفسية والعاطفية للامة، وافصاح عن مشاعرها، واحساساتها، ومواقفها ازاء الاحداث الكبيرة التي يكون لها تأثير في حركة سيرها.

فالتاريخ لايقصرعلى تسجيل الخبروالحدث ، وانّما له معان كثيرة، ومجالات متعددة ،فهو في اعتماده على الحقائق، والوثائق، وكل ماخلفته الامة من آثار ،وما تركته من اعمال فنية، وادبية ، يجعل ذلك كله للادب اهمية كبيرة ،في حقل التاريخ بمفهومه الحديث الواسع، وذلك لما للادب من طاقة كبيرة، وقدرة هائلة على تصوير مظاهر الحياة المختلفة ، وعكس الاجواء النفسية ، والعاطفية للامة وتسجيل مواقفها وآرائها، وكثيرا مايظل تأثير ذلك في الازمان اللاحقة باعتبار عصور التاريخ حلقات متتابعة ترسم سير التاريخ القومي الطويل للامة.

هذا ولما كان (من المسلّم به ان اعمق مايشفّ عن روح الامة هو ادبها) (١)، استطعنا ان نثق بقوة العلاقة بين الادب والتاريخ، والقرابة القريبة بينهما.

---

(١) من مقدمة الادب المقارن للدكتور محمد غليمي هلال ص ب

ولقد تطور التاريخ كثيرا ، ولم يبق «مقصورا على ناحية واحدة من نواحي الانسان ، بل تفرع إلى تاريخه السياسي ، وتاريخه الاجتماعي وتاريخه الادبي، وتاريخ مشاهير رجاله، وتاريخ معاهده العلمية والفنية» (١) لينشأ عن التقاء هذه الروافد كلها مجرى كبير يمثل حضارة الامة، وذلك بما بذل فيها ابناؤها من جهود متواصلة في كل حلقات الزمن المتماسكة.

مفهوم التاريخ عند ابن الاثير :

ولقد بدا لي ان عز الدين بن الاثير الذي انجبته الموصل المدينة العربية الاصيلة ، قد ادرك بحسه المرهف ، ووعيه الواعي صدى هذا الفهم الحديث للتاريخ ، فعكسه بصورته الجلية في كتابه المشهور : « الكامل في التاريخ » لذا فهو لم يكن مسجل خبر وحدث فحسب ، وانما كان مؤرخ حضارة عظيمة لامة عظيمة ، وهي الحضارة العربية الاسلامية ، بكل جوانبها السياسية ، والاجتماعية ، والفكرية ، والعلمية ، والنفسية ، والشعورية .

ولقد كان — ايضا — الثمرة الناضجة التي تغذت بجهود من سبقه من مؤرخي هذه الجوانب المختلفة ، ولنستمع اليه ، وهو يؤكد ذلك في خطبة كتابه «الكامل في التاريخ» ، حيث يقول :

«اما بعد : فاني لم ازل محبا لمطالعة كتب التواريخ ، ومعرفة مافيها مؤثرا للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيها ، مائلا الى المعارف ، والآداب والتجارب المودعة في مطاويها ...» (٢) .

ويقول في موضع آخر :

«وذكرت في كل سنة من توفي فيها من مشهوري العلماء ، والاعيان والفضلاء » (٣) ولعل خير مايؤكد ماذكرناه قول ابن الاثير نفسه عن كتابه المشهور : «.... وقد سميته اسما يناسب معناه، وهو : الكامل في التاريخ» (٤)

---

(١) من مقدمة الاستاذ منير القاضي على كتاب تاريخ علماء المستنصرية ص ١٠م

(٢) الكامل في التاريخ ٢/١

(٣) الكامل ٤/١

طبيعة المواد الادبية في الكتاب ، وصفاها ، وشخصية ابن الاثير فيها :

لقد كان حظ الادب في اعطاء الكتاب صفة «التكامل» حظا كبيرا بسبب القيمة الادبية الكبيرة فيه كما سيتوضح فيما سنستقبله من الحديث.

ولقد ساهمت عناصر بعضها مع بعض في تغذية الكتاب بالنصوص الادبية، ومايدور حولها ، ويتعلق بها، منها:

مصادر المؤلف: فمن المعروف ان ابن الاثير تأثر بالطبري الذي انهى كتابه التاريخي المشهور بنهاية سنة ٣٠٢هـ، تأثرا كبيرا، وعوّل على كتابه كثيرا، وقد صرح هو نفسه بذلك في المقدمة (١)، على ان ذلك لم يمنعه من النقل من تواريخ اخرى ، وكتب مشهورة متسمة بصدق اصحابها وصحة مادّونوه (٢) ، كابن الكلبي والمبرد والبلاذري، والمسعودي (٣).

والمعروف عن هذه الكتب ان اصحابها يعنون بذكر النصوص الادبية احساسا منهم بخدمة هذه النصوص للامور التاريخية واضاءة جوانبها، الامر الذي جعل كثيرا من مصادرنا مشتركة بين التاريخ والادب.

ولقد تابعهم ابن الاثير في هذا ، فاورد في كتابه كثيرا من النصوص الادبية التي ضمها كتاب الطبري بخاصة

ولدى رجوعنا إلى مقابلة ماموجود من نصوص ادبية في كتابي الطبري وابن الاثير وجدنا الاخير قد نقل معظم نصوص الطبري الادبية، الا انه لايلتزم بالنقل الحرفي عنه، فكان يختلف معه في اوجه عدة، منها: ترك ابن الاثير نصوصا ادبية كان الطبري قد ذكرها، كتركه ابياتا لكعب بن الاشرف يتغزل فيها بام الفضل بنت الحارث (٤).

---

(١) الكامل ٣/١

(٢) الكامل ٣/١

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ٢٠٨/١

(٣) تاريخ الطبري ٣٨٨/٢

وكـان الطبري قـد اورد شعراً كثيراً في مـدح البرامكة ، وفي رثائهم (١) ، فاعرض ابن الاثير عن هذا الشعر ولم يذكر منه الا النزر اليسير .

وذكر الطبري ستة وعشرين بيتاً في اربع مقطوعات قالها شعراء في كتابة الرشيد العهد لأولاده (٢) . فتركها ابن الاثير ولم يذكر منها شيئاً. وكذلك لم يذكر نصوص كتب العهود لاولاد الرشيد وكان الطبري قد ذكرها (٣) .

وكان ابن الاثير — احياناً — يختصر نصوص الطبري الادبية ، فمـن ذلك ، اورد الطبري اثنين وثلاثين بيتاً شعرياً للحجاج بن يوسف التميمي ولابي العتاهية يذكران فيها للرشيد نقض ملك الروم «نقفور» العهد ويشبتان الخليفة ، ويعدانه بالنصر (٤) .

لم يذكر ابن الاثير منها غير ثلاثة ابيات للتميمي مع اشارة إلى ان هناك ابياتاً غيرها (٥) .

وذكر الطبري قصيدة لمروان بن ابي حفصة في مدح الرشيد عدة ابياتها اثنان وعشرون (٦) لم يذكر ابن الاثير غير مطلعها (٧) .

وذكر الطبري شعراً كثيراً في فتنة الامين والمأمون ، وحصار بغداد، والاقتتال وماحدثه (٨) .

لم يذكر منه ابن الاثير الا النزر اليسير جداً (٩) .

---

(١) انظر الطبري حوادث سنة ١٧٦ إلى حوادث سنة ١٨٧هـ
(٢) تاريخ الطبري ٢٧٦/٨ — ٢٧٧
(٣) تاريخ الطبري ٢٧٨/٨ — ٢٨٦
(٤) تاريخ فطبري ٣٠٨/٨— ٣١٠
(٥) الكامل ١٨٦/٦
(٦) تاريخ الطبري ٣٤٨/٨
(٧) الكامل ٢١٧/٦
(٨) الطبري حوادث سنة ١٨٧، وسنة ١٩٨
(٩) الكامل حوادث سنة ١٨٧ وسنة ١٩٨

وقد يعود ترك ابن الاثير لبعض النصوص الادبية واختصارها الى اعتقاده بخلوها من القيم الاخلاقية كابيات كعب بن الاشرف ، او بقلة حظها من الجمال والفن ، او بعدم فائدتها التاريخية .

اما عندما يظن ان النصوص الادبية التي ذكرها الطبري فيها الفوائد التي اشرنا اليها فانه لايتردد عن نقلها كاملة وان كانت طويلة ، كما فعل عندما نقل معظم نصوص الطبري ، ومنها قصيدة كاملة عدة ابياتها ستة وخمسون بيتا (١) .

وكما فعل عندما نقل عن الطبري نصا نثريا في غاية الطول ، وهو كتاب وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر حين تولى الاخير ديار ربيعة (٢) .

ومن اوجه الخلاف بين ابن الاثير والطبري ، ان وجدنا ابن الاثير يذكر نصوصا ادبية جميلة زيادة على ماكان اخذ من كتاب الطبري ، ارضاء لحسه القومي واعتزازا منه برجالات العرب وقادتهم ، وتنويها باسمهم واعلاء لشأنهم .. ففي الوقت الذي ذكر فيه الطبري كثيرا من الشعر في مدح البرامكة ورثائهم واغفاله لمدائح الشعراء للقائد العربي يزيد بن مزيد الشيباني ومراثيهم له . وجدنا ابن الاثير يطوى ذكر ذلك الشعر الذي ذكره الطبري في مدح البرامكة ورثائهم ، ويعمد الى ذكر شعر رائع قيل في مدح وتعظيم القائد يزيد بن مزيد الشيباني وكان الطبري قد اغفله . فذكر ابن الاثير خبر مدح الشاعر مسلم بن الوليد ليزيد بن مزيد وثناءه على بطولته وانتصاراته ، وذكر ابياتا من هذا المديح هي :

يفتر عند افترار الحرب مبتسما
اذا تغير وجه الفارس البطل

---

(١) تاريخ الطبري، والكامل حوادث سنة ٥١ ه

(٢) تاريخ فطبري ٥٨٢/٨ - ٥٩١، والكامل ٣٦٤/٦ - ٣٧٧

مـوف عـلى مهج في يـوم ذى رهـــج
كأنه اجـل يسعـى الى امـــل
ينال بـالـرفق مـايعيـا الـــرجـال به
كالمـوت مستعجـلا يأتي عـلى مهل

وقال ابن الاثير بعدها : «وهي حسنة جدا» (١) .

وعند نقل خبر وفاته قال « واكثر الشعراء مراثيه» ؟(٢). وقال ايضا : «ومن احسن قيل فيه ماقاله ابو محمد التميمي رثاء له فاثبته لجودته :

أحـقـا انـه اودى يـزيـد
تبـيـن أيـهـا الـناعي المشـيـد

ذكر ١٩ بيتا من اروع مارثي به القادة الابطال (٣). وما كان الطبري قد ذكر من هذا الشعر شيئا.

واشار ابن الاثير إلى قصيدة لقيط الايادي التي يحذر فيها قومهالعرب من غزو كسرى — وهو سابور ذو الاكتاف — وهي من القصائد المنهضات الموثبات وذكر منها

سـلام في الصحيفـة مـن لقيـط
إلى مـن بـالجـزيـرة من إياد

ثم

أبـلغ ايـادا وطـول في سـراتهـم
اني ارى الـرأي ان لم اعـص قـد نصعا

وذكر مافعله كسرى بهم وقال «وهذا فعله بالعرب» (٤) .

---

(١) الكامل ١٣١/٦ – ١٤٣
(٢) الكامل ١٦٩/٦
(٣) الكامل ١٦٩/٦ – ١٧٠
(٤) الكامل ١٩٣/١ – ١٩٤

وبحثت عن هذه الابيات والتعليق في تاريخ الطبري فلم اجدها.

ولعل هذا الاختلاف يرجع إلى الحس القومي العربي الذي اتصف به ابن الاثير فابعده عن المشابهة بالطبري وعن متابعته في كل شيء.

وفي اخبار سنة ٩هـ بدأها ابن الاثير بـ«ذكر اسلام كعب بن زهير» وفصل القول في ذلك، وذكر ابياتا من قصيدة البردة اللامية المشهورة، وابياتا اخرى تتصل بالاحداث نفسها (١). ورجعت إلى تاريخ الطبري فلم اجد فيه الخبر والشعر.

واختلفا كذلك في الاحساس الفني بقيمة النصوص الجمالية، وادرك علاقتها بالجوانب التاريخية للامة. فابن الاثير كان مؤرخا اديبا ذواقة للنصوص، وكثيرا ما كان ينفعل بجمالها. الامر الذي جعله يتفرد — في بعض الاحيان — بايراد روائع منها. فتفوق على المؤرخين ومنهم الطبري بهذه الصفة.

وهناك صفة اخرى في ابن الاثير لمحتها من خلال مراقبتي لطبيعة النصوص الادبية التي ساقها في «الكامل»، ومن خلال الوقوف على طبيعة النصوص التي ذكرها الطبري واغفل ابن الاثير ذكرها، وهذه الصفة هي قلة احتفاله بالنصوص الادبية ذات الطابع الرسمي المموّه، وزهده فيها، واعراضه عنها — احياناً —. وفي الوقت نفسه لمحت عنده ميلا واضحاً إلى ايراد النصوص التي تصوّر الوجه الآخر، وتعكس الاراء والمواقف المعارضة، وهو بهذه الصفة يشابه مؤرخاً عربياً انجبته الموصل من قبل، وهو يزيد بن محمد بن اياس الازدي صاحب تاريخ الموصل (٢).

وهكذا امدّ ادبنا العربي بنصوص ادبية معارضة، وناقدة، وهاجية ساخرة، تمثّل كلها رغبة ابن الاثير في ان يتجاوز اولي الامر مواقف

---

(١) الكامل ٢/٢٧٤ — ٢٧٦

(٢) طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٨٦٧ بتحقيق الدكتور علي حبيبة

الجور ومواضع النقص والزلل . فالتواريخ عنده ليست قصصاً واخباراً، واحاديث واسماراً (٢) . وانما فوائدها كثيرة منها :

«ان الملوك ومن اليهم الامر والنهي اذا وقفوا على مافيها من سيرة اهل الجور ، والعدوان ، ورأوها مدّونة في الكتب يتناقلها الناس ، فيرويها خلف عن سلف ، ونظروا إلى ماأعقبت من سوء الذكر ، وقبيح الاحدوثة، وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وذهاب الاموال ، وفساد الاحوال، استقبحوها ، واعرضوا عنها واطّرحوها .....» (٣) .

وهكذا يظهر ابن الاثير انه ابتغى من ذكره لهذه النصوص المعارضة، والناقدة التأثير الايجابي في رسم السيرة السياسية العادلة ، والسيرة الاجتماعية الصحيحة .

وكان يدرك بوعي المؤرخ ، وحسّ الاديب اهمية الشعر فيما سمّاه بـ «سوء الذكر وقبيح الاحدوثة» لتعلق النفس به ، وسهولة حفظه ، وروايته وذيوعه .

فكان ربح الادب من ذلك كثيراً ، اذ ضمن كتابه «الكامل» كثيراً من النصوص الشعرية قد لانجدها الا في كتابه . فمن ذلك ايراده في حوادث سنة ٤٩٢هـ قصيدة قومية رائعة للشاعر الابيوردي قالها بعدما هجم الفرنج على القدس ، وقتلوا مايزيد على سبعين الفاً من اهلها ، وورد المستنفرون إلى بغداد ، وذكروا ماحلّ بهم ، ومادهم المسلمين من قتل وسبي ونهب، وبكوا وابكوا الناس ، فقال الابيوردي قصيدته في هذا الجو النفسي معبّراً عن مشاعر الحزن والغضب ، وداعياً إلى ادراك الخطر ، وحاضّاً ابناء الامة على النهوض ، والتوّثب ، ومطلع القصيدة :

مزجنا دماء بالدموع السّواجم
فلم يبق منّا عرضة للمراجم

---

(٢) الكامل ٦/١ من مقدمة المؤلف

(٣) الكامل ٧/١ من مقدمة المؤلف

وشـر سلاح الـمـرء دمـع يـفيضـه
اذا الـحرب شبّت نـارهـا بالصوارم
.... ثم يورد القصيدة كاملة (١)
....

يتضح من هذا ان التاريخ لم يكن عند ابن الاثير تسجيل حدث وخبر تسجيلا جامدا عاريا عما يحيط به من الشعور ، فاتجه الى الشعر ليوضع من خلاله ابعاد الحدث وآثاره النفسية في الامة ، وردّها على التحدّى. ولاشك في ان الشعر اقدر من غيره على تحقيق هذا كلّه . فبان ان ايراده لمثل هذه النصوص لم يكن ترفا فنيا ، وانما هي الحاجة التي دعا اليها مفهوم التاريخ القومي للامة بكل ابعاده الحضارية والنفسية والشعورية .

ومن الجدير بالذكر انني لم اعثر على هذه القصيدة في ديوان الشاعر ولم اجدها كاملة في المصادر الاخرى .

ومما يحمد لابن الاثير في كتابه «الكامل» انه لايتعامل مع النصوص الادبية تعاملا سريعا عابراً ، وانما كان يشعر بمسؤولية من يؤرخ للادب ايضا ، وقد ظهر ذلك في حرصه الشديد على دقة التحري ، وحسن التثبيت وتوثيق النصوص .

فمن ذلك مثلا نقله عن الطبري ابياتا من شعر حسان بن ثابت نونيته في رثاء الخليفة الراشد الثالث (٢) . قال ابن الاثير بعد نقلها :

«قال ابو عمر بن عبد البر ، وقد ذكر بعض هذه الابيات ، فقال وقد زاد فيها اهل الشام ، ولم ار لذكره وجها ، يعني مافيها من ذكـر علي وهـو :

يالـيت شعـري ولـيـت الطيـر تخبـرني
ماكـان بيـن علـّي وابـن عـفانا» (٣).

---

(١) الكامل ١٠/٢٨٤ – ٢٨٦

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤/٤٢٥. والكامل ٣/١٨٨ – ١٨٩

(٣) الكامل ٣/١٨٨

وذكر ابن الاثير شعرا لابن هانيء الاندلسي على قافية الحاء فيه غلّو شديد ثم قال «ومن ذلك ماينسب اليه، ولم اجدها في ديوانه» (١).

ولعل خير مثال على دقة تحريه وحسن تثبته ،وتوثيقه الخبر بالشعر ماأورده عن نسب صاحب الدولة العلوية بافريقية، اذ يرى ابن الاثير انه علّوى صحيح، ويقول: «ويشهد بصحة هذا القول ماقاله الشريف الرضي:

مـامـقامي عـلى الـهوان وعـنـدي
مـقول صـارم وانـف حـمـيّ

البـس الـذل في بـلاد الاعـادي
وبمـصـر الخلـيـفـة العـلوى

مـن ابـوه ابي ومـولاه مـولا
ي اذا ضـامـنـي البـعـيـد القصيّ

لـفّ عـرقي بـعـرقـه سيـد النـا
س جميـعـا: مـحـمـد وعـلي

ان ذلـي بـذلك الجـو عـز
وأوامـي بـذلك النـقـع ريّ

وانما لم يودعها ديوانه خوفا، ولاحجة بما كتبه في المحضر المتضمن القدح في انسابهم فان الخوف يحمل على اكثر من هذا ...» (٢)

ثم ذكر ابن الاثير الخليفة القادر عندما بلغته هذه الابيات عاتب ابا الشريف الرضي فاحضره ابوه ،وقرره، فانكر الشعر، الا انه رفض ان يكتب بخطه اعتذارا إلى الخليفة القادر، فهدده ابوه بالمفارقة والمقاطعة. «فآل الامر إلى ان حلف الشريف الرضي انه ماقال هذا الشعر، واندرجت القصة على هذا »(٣).

---

(١) الكامل ٦٢١/٨

(٢) الكامل ٢٤/٨ – ٢٥

(٣) الكامل ٢٦/٨

ولم تقتصر افضال ابن الاثير على الأدب وتاريخه على هذا، وانما امدنا بمعلومات كثيرة عن دواوين، ومجموعات شعرية وذلك في مواضع كثيرة من كتابه، الامر الذي يكشف عن اطلاع واسع على دواوين شعراء كثيرين، ومجاميع ادبية، نثرية وشعرية، ومراجعة كثيرة لمصادر الادب، ومخالطة اهله إلى حد ان جعل بيته «منتدى للادباء، والشعراء والعلماء...»(١).

وتظهر معرفته الدقيقة بالنصوص الادبية، وتذوقه لها، فيما اصدر من احكام نقدية صائبة على نتاج كثير من الادباء، وعلى ماأورد من نصوص ادبية مختلفة، وكثيرا ماكانت هذه الاحكام تاتي في صورة التعليق على نص شعر الشاعر او نثر الناثر، فمن ذلك مثلا قوله عن قصيدة لقيط الايادي، «وهي قصيدة مشهورة من اجود ماقيل في صفة الحرب»(٢).

ثم اورد ابياتا من قصيدة الشاعر مسلم بن الوليد اللامية، وقال بعدها «وهي حسنة جداً» (٣).

وقال عن الشاعر ابن هانيء الاندلسي: «وكان من الشعراء المجيدين الا انه غالى في مدح المعز حتى كفّره العلماء» (٤). وقال عن الشاعر ابن عبدوس الواسطي «وهو من الشعراء المجيدين، واجتمعت به بالموصل(٥).

ويظهر حرصه على خدمة الحقيقة الادبية، ورغبته في ان تسود الاحكام النقدية الدقيقة، والبعيدة عن الهوى، وذلك في ذكره للشاعر العباسي «صردر» وقوله عنه:

«وهو من الشعراء المجيدين، وهجاه ابن البياضي، فقال:

لئن نبز الناس قدماً اباك ... نسموّه من شعره صرّبعرا

(١) ابن الاثير الجزرى، د. عبدالقادر طليمات ص ٢٤
(٢) الكامل ٣٩٤/١
(٣) الكامل ١٤٣/٦
(٤) الكامل ٦٢١/٨
(٥) الكامل ٢٠٧/١٢

فــانــك تنـــظـــم مـــاصـــــــــرّه
عقـــوقـــا لـــه، وتسميـــه شـــعرا

وهذا ظلم من ابن البياضي ، فانه كان شاعرا محسنا» .(١)

ولاشك في ان للاحكام النقدية الدقيقة الكثيرة التي اطلقها فيمواضع متفرقة من كتابه ، اثرا كبيرا في ازدياد القيمة الادبية لكتاب « الكامل » .

ومن الصفحات الحميدة التي تمثلت في ابن الاثير اديبا ، ومؤرخ ادب وناقدا ، صفة الحياد العلمي ، وعدم اقحام الهوى في ايراد النصوص او اصدار الاحكام ، فقد اورد نصوصا تمثل كثيرا من الاتجاهات الدينية، والسياسية التي ظهرت في المجتمع العربي والاسلامي ، وذكر نصوصا لادباء من اقاليم شتى ، وعصور مختلفة ، وكذلك لم نلحظ عنده رغبة في حجب الحقائق او تشويهها ، وما كان قد قيل من نصوص تمثل الاراء المختلفة فيها .

وكذلك خدم ابن الاثير تاريخ الادب العربي ، بما اورد من معلومات على شكل تراجم مختصرة لبضع مئات من اعلامه وعلمائه من شعراء وكتاب، ونحاة، ومؤرخي ادب وفيها فوائد حسنة . مما يؤكد اطلاعه واعتماده على كثير من مصادر الادب ، ومنها تلك المصادر التي اهتمت بتراجم الادباء وسيرهم.

فكان عند انتهاء حوادث كل سنة يقف ، ويختمها بذكر من توفي فيها« من مشهوري العلماءوالاعيان ، والفضلاء» . (٢)

وهذه صفة يكاد يتفرد بها من بين من سبقه من المؤرخين هو وابن الجوزي في «المنتظم » .

وكثيرا ماكان يورد مع الترجمة القصيرة ابياتا شعرية مستجادة،

---

(١) الكامل ١٠/٨٨ — ٨٩
(٢) الكامل ١/٤

وفي بعض الاحيان يمدنا بمعلومات عن ادباء ونصوص ضمن السياق التاريخي للكتاب.

نماذج مختلفة من تراجم الأدباء :

(١) نموذج رقم (١) سنة ١٨٨هـ «وفيها توفي العباس بن الاحنف الشاعر وقيل سنة ثلاث وتسعين. ومات ابوه الاحنف سنة خمسين ومائة» (١).

(٢) نموذج رقم (٢). وفي هذا النموذج يصحح معلومات من نقل عنه كما فعل عندما ذكر في حوادث سنة ٤٨٢ «وفاة عاصم بن الحسن البغدادي الكرخي وكان ظريفاً كيسا له شعر حسن ، واورد له شعرا ثم قال في الاخير: « والصحيح انه توفي سنة ثلاث وثمانين واربعمائة » (٢) وهذا يؤكد انه كان يوثق المعلومات بمصادر متعددة.

فيذكر الاصل، ثم ينص على الصحيح من الروايات . ولايخفى ما في هذا العمل من دلالة على الروح العلمية التي كان يتصف بها.

(٣) نموذج رقم (٣). واقتطع من الترجمة مايتعلق بالادب فقط. حوادث سنة ٣٢٩هـ: «في هذه السنة مات الراضي بالله... وكان اديبا شاعرا . فمن شعره:

يصفّر وجهي اذا تأمله
طرفي ويحمرّ وجهه خجلا

حتى كأن الذي بوجنته
من دم جسمي قد نقلا

وله ايضا يرثي اباه المقتدر:

ولو ان حيا صار قبرا لميت
لصيرت احشائي لاعظمه قبرا

---

(٢) الكامل ١٩٠/٦

(٣) الكامل ١٨١/١٠

ولو ان عمري كان طوع مشيئتي
وساعدني التقدير قاسمته العمرا
بنفسي قبرا ضاجعت في تربه البلى
لقد ضم منك الغيث والليث والبدرا

ومن شعره ايضا:

كل صفو الى كدر
كل امن الى حذر
ومصير الشباب لل
موت فيه او الكبر
درّ درٌّ المشيب من
واعظ ينذر البشر
ايها الامل الذي
تاه في لجّة الغرر
أين من كان قبلنا
درس العين والاثر
سيرد المعاد من
عمره كله خطر

وكان الراضي ... يحب محادثة الادباء والفضلاء .... وختم الخلفاء في امور عدة. فمنها. انه آخر خليفة له شعر يدون، وآخر خليفة خطب كثيرا على منبر» (١)

(٤) نموذج رقم (٤) لم يرد في التراجم وانما في سياق الاحداث التاريخية وهو عن عمارة اليمنى الشاعر، وكان قد اراد الوثوب مع جماعة بصلاح الدين الايوبي، فكشف امرهم، واراد القاضي الفاضل الشفاعه له، الا ان عمارة لم يحسن الظن به لعداوة بينهما، فآل الامر الى ان صلب. وجاء في خبره مانصه:

(١) الكامل ٣٦٦/٨- ٣٦٨

«... وكان عمارة شاعراً مفلقاً . فمن شعره :

لــو ان قلبي يــوم كاظمـــة مـعـــــــي
لملكته وكظمـت فيـض الادمـــع
قلـب كفـــاك مـن الصبـابـة انـــــه
لبّى نــداء الظـاعنيـــن ومــا دعـي
مـاالقلـــب اوّل غـــادر فـألـومــــه
هي شيمـة الايـام مذ خلقـت معي
ومـن الظنــون الفـاسـدات تـوهمــــي
بعـد اليقيـن بقـاءه فـي اضلعـي

وله أيضاً :

لـي فـي هــوى الرشا العـذرى اعـــذار
لم يبـق لـي مذ اقرّ الدمع انكـــار
لي في القـدود ، وفي لثـم الخـدود ، وفي
ضمّ النهـود لبـانـات واوطـــار
هـذا اختيـاري ، فـوافـق ان رضيـت بـه
او ، لا ، فدعني ، وماهوى واختار

وله ديوان شعر مشهور في غاية الحسن والرقة والملاحة » (١)

(٥) نموذج رقم (٥) . حوادث سنة ٥٧٤هـ

«وفي هذه السنة في شعبان توفي الحيص بيص الشاعر ، واسمه سعد بن محمد بن سعد أبو الفوارس ، وكان قد سمع الحديث ، ومدح الخلفاء والسلاطين والاكابر ، وشعره مشهور . فمن قوله :

كلما اوسعـت حـلمـي جاهــــلا
اوسع الفحـش لـه فحش المقـال

---

(١) الكامل ٤٠١/١١

لاتلمني في شقائي بالعلى
رغد العيش لربات الحجال
سيف عزّ زانه رونقه
فهو بالطبع غني عن صقال » (١)

(٦) نموذج رقم (٦). حوادث سنة ٣٦٩هـ

« وفيها توفي ابو الحسين احمد بن زكرياء بن فارس اللغوي ، صاحب كتاب «المجمل» . وغيره . وله شعر . فمن ذلك قوله قبل وفاته بيومين:

يارب ان ذنوبي قد احطت بها
علماً ، وبي ، وباعلاني وإسراري
انا الموحد ، لكنني المقر بها
فهب ذنوبي لتوحيدي زاقراري» (٢)

ولا يخفى مافي هذه المعلومات من اهمية في حقل الدراسات الأدبية الشعرية والنثرية ، والنقدية ، ودراسة الاعلام . ومما يزيد من هذه الاهمية طبيعة المادة الأدبية وصفاتها في الكتاب فهي تمثل في رأينا مصادر عدة ، وذلك لسعة حجمها ، وتعدد أنواعها ، وقد اجرينا لذلك احصاء لمعرفة حجم المواد الادبية ، وانواعها ، وصفاتها ليكون الكلام اقرب إلى العلم الدقيق منه إلى الحدس والتخمين .

احصاء المواد الأدبية في كتاب الكامل ، ونتائجه :

(١) جدول رقم ١

عدد الأبيات الشعرية	عدد الخطب	عدد الرسائل والوصايا والعهود
٣٥٥٤	١٠٠	٤٧٨

(١) الكامل ٣٥٨/١٢

(٢) جدول رقم ٢. النصوص الأدبية موزعة على العصور :

العصر	عدد الأبيات الشعرية	عدد الخطب	عدد الرسائل والوصايا والعهود
١. عصر ماقبل الاسلام «الهجرة»	٧٩٩	٥	٥
٢. عصر صدر الاسلام ١ ـ ٤١هـ	٣٦٦	٤٢	٢٠
٣. العصر الأموي ٤١ ـ ١٣٢هـ	١١٤٣	٤٦	٢٨٤
٤. العصر العباسي الأول ١٣٢ ـ ٣٣٤هـ	٥٢١	٤	١٦
٥. العصر البويهي ٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ	٢٠٩	٢	٣
٦. العصر الأخير ٤٤٧ ـ ٦٢٨هـ	٥١٦	١	١٥٠
النتائج :	٣٥٥٤	١٠٠	٤٧٨

ان هذه الأرقام التي تمثل عدد النصوص الأدبية ، وانواعها ، وتوزيعها تظهر أهمية الكتاب بوصفه مصدراً مهماً من مصادر دراسة الأدب بأنواعه وعصوره .

١. نتائج احصاء الشعر :

ان كمية الشعر في الكتاب تمثل حجم ديوان شعري متوسط الحجم كما هو معروف عند المختصين ـ الا ان اهميته تفوق اهمية دواوين عدّة، وذلك لان هذا الشعر فيه التنوع الفجي ، وتعدد الاغراض والاطوار ، واختلاف العصور .

وفي توزيع الشعر على العصور كما في الجدول رقم ٢. مابعكس قوة العلاقة بين الشعر والتاريخ او ضعفها .

ومن الملاحظ كثرة اعتماد المؤرخين على الشعر في تدوين تاريخ العرب قبل الاسلام الامر الذي يثبت صحة ماقيل في مصادرنا القديمة من ان الشعر الجاهلي كان سجلا اميناً لحياة العرب ، وديواناً لاحسابهم ، وانسابهم ، ومآثرهم ، وايامهم .

وكثرة الشعر في العصر الاسلامي قياساً إلى قصره يمثل قوة ارتباط الشعرو الشعراء بالاحداث العظيمة التي مرّت بها الامة العربية بظهور الرسول الكريم والاسلام .

وكثرة الشعر في العصر الاموي تشير إلى شدة اهتمام الشعراء العرب بالسياسة والاحداث التاريخية المهمة .

وقلة الشعر في العصور العباسية قياساً إلى مسافاتها الزمنية تشير الى قلة اهتمام الشعراء بالسياسة ، ويوميُ الى أثر العناصر الاجنبية السلبي في الحياة الشعرية والادبية .

٢. نتائج احصاء الخطب :

يؤكد جدول توزيع النصوص على العصور ان الخطب ذات المحتوى السياسي كانت تكثر عند اشتداد حاجة السياسة اليها ، كما لاحظنا في العصر الاسلامي الاول ، وفي العصر الاموي .

وفي الوقت نفسه تؤكد كثرتها في هذين العصرين قوة النفوذ العربي في السياسة والحكم والادارة . وتشير الى قوة الملكات والسلائق اللغوية ، لما لذلك من اثر في الخطابة .

ومن وجه آخر تشير قلة الخطب في العصور العباسية إلى تغلغل العناصر الاعجمية في جهاز الادارة والحكم ،وتؤكد ضعف الملكات والسلائق اللغوية ، وضعف القدرة على الخطابة والارتجال ،وتوميُ إلى استعاضة الحكام بالنصوص المكتوبة عن النصوص المسموعة .

٣ – نتائج احصاء الرسائل والوصايا والعهود :

لم استطع ان اتوصل الى شيء قاطع من جدول توزيع نصوص الرسائل على العصور ولكني ساجتهد فأقول : ربما يشير التوزيع الى مراحل انحلال وحدة الدولة العباسية وتوزعها على كيانات مستقلة وشبه مستقلة فصعب على المؤرخين الحصول على النصوص .

ويمكن ان يفهم من ذلك ايضا قلة اهتمام المؤرخين بنصوص الرسائل ، لكثرة المواد التاريخية الاخرى ، وتعترض علينا كثرتها في العصر العباسي المتأخر ، وربما كانت هذه الظاهرة حالة خاصة ، بسبب معاصرة ابن الاثير لكثير من الاحداث التاريخية المهمة وقربه منها ، واشتغاله هو وبعض اهله ولا سيما اخوه ضياء الدين في شؤون الدولة الايوبية الكتابية ، مما أتاح له فرص الاطلاع على كثير من نصوص الرسائل والوصايا.

اسلوب ابن الأثير وخصائصه الفنية :

لعل من المفيد ان نطرق هذا الجانب استكمالا لجوانب الموضوع فنقول : ان ابن الاثير كثيرا مايرتقي باسلوبه في الكتابة التاريخية الى مستوى فني رفيع ، مما يدخل اقساما عدة ، وفقرات كثيرة من كتابه في النثر الفني ومن يقرأ الكتاب يلحظ قدرة ابن الاثير على تأدية المعاني باسلوب ادبي عال ولغة طيّعة ، وديباجة مشرقة ، مع الحرص على جماليات النثر ، وروح الفن التي كانت تغذيها تلك الشحنات الشعرية المنبثقة في شرايين الالفاظ والتراكيب ، وهذه فقرة من كلامه على خروج التتر الى ديار الاسلام ، يصف فيها خطر الغزو ، ووحشيته ، ويصور مشاعره ، واحساساته ، وعواطفه وانفعالاته خير تصوير

«لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة ، استعظاما لها ، كارها لذكرها ، فانا اقدم اليه رجلا ، واؤخر اخرى. فمن الذي يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام والمسلمين؟ ! . ومن الذي يهون عليه ذكر

ذلك؟ ! . فياليت امي لم تلدني ، وياليتني مت قبل حدوثها، وكنت نسيا منسيا، الا اني حثني جماعة من الاصدقاء على تسطيرها، وانا متوقف ، ثم رأيت ان ترك ذلك لايجدي نفعا، فنقول :

هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى ، والمصيبة الكبرى التي عقمت الايام والليالي عن مثلها ، عمت الخلائق، وخصت المسلمين ، فلو قال قائل ، ان العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى ادم، والى الان لم يبتلوا بمثلها ، لكان صادقاً، فان التواريخ لم تتضمن مايقاربها ، ولا مايدانيها » (١) .

وهكذا ظهرت قيمة الكتاب الادبية، واهميتها في هذا الحقل، سواء ماتعلق بتاريخ الادب واعلامه، او ماتصل بالادب الصرف ومجالاته.

ومادام ذلك كذلك فاني ارى من العلم ان تفهرس عناصره الادبية بفهارس مستقلة تسهل على الباحثين والمعنيين بالادب واهله الرجوع الى هذه الموسوعة.

واری بعد هذا ان تعدل تلك العناصر التي ترى في الكتاب مصدرا تاريخيا يهم اهل التاريخ فحسب.

فلقد وضح ان هذا الكتاب ليس لاهل التاريخ فقط، وانما هوكما اراد مؤلفه لهم ولاهل الادب ولكل متطلب لذة فنية في مصادر التاريخ

وما قيامنا نحن المختصين بالادب بهذا البحث الا رمز على قرابة الادب من التاريخ، والا دليل على مشاركتنا اهل التاريخ في هذا الكتاب، وقد بدا ان نصيبنا في هذه المشاركة ليس هينا، وحظنا ليس قليلا.

وفي الختام اراني والبحث مدينين لتاريخ الموصل ال الربيعين، والاثيرين فيها ، والقائمين على الاحتفال بها، فالى الجميع اوجه بحثي، وشكري.

---

(١) ـ الكامل : ٣٥٨/١٢

مصادر البحث ومراجعه :

ابن الاثير الجزرى — د . عبد القادر احمد طليمات — دار الكتاب العربي مصر ١٩٦٩ م

الادب المقارن — د . محمد غنيمي هلال — ط٥ — بيروت — دار العودة

الادب والسياسة — عبد الكريم توفيق العبود — رسالة دكتوراه من جامعة بغداد — طباعة رونيو

تاريخ الرسل والملوك — محمد بن جرير الطبري . عشرة اجزاء . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم — دار المعارف بمصر

تاريخ علماء المستنصرية — لناجي معروف — مقدمة الكتاب — لمنير القاضي — بغداد مطبعة العاني ١٩٥٩

تاريخ الموصل — ابو زكرياء يزيد بن محمد بن اياس الازدى ، تحقيق د. علي حبيبة — القاهرة ١٩٦٧ م

دائرة المعارف الاسلامية — مادة ابن الاثير — عبد الحميد العبادى

ديوان الابيوردى — المطبعة العثمانية — لبيان ١٣١٧ه

الكامل في التاريخ — عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمدبن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير ١٢ جزءا. بيروت — دار صادر سنة ١٩٦٥ — ١٩٦٦ م

المنتظم في تاريخ الملوك والامم — ابو الفرج عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الجوزى — ط١ — حيدر اباد الدكن ١٣٥٨ ه

المثل السائر في طبعة دار نهضة مصر

الدكتور علي جواد الطاهر
استاذ (متقاعد) جامعة بغداد

المقدمة

ان التقصير الكبير الذي يكتنف طبعة دار نهضة مصر لكتاب المثل السائر يدعو المرء الى بحثه منهجيا، فقد صدرت هذه الطبعة بتحقيق استاذين بالدرجة العلمية للاستاذية بدار العلوم من جامعة القاهرة. ولا بد لمن يرجع اليها وهي الطبعة المتيسرة حاليا ان يكون على علم سابق بحالها يجعلها في حذر دائم من امرها.

وقد سبق هذه الطبعة التي « حققها » الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد وهي في جملتها خير منها على ماعرف عن « الشيخ الأزهري » من اكثار واسراع ودوافع تجارى.

واستدعت الاسباب الموجبة للبحث ان تتألف الخطة من ست فقرات هي (١) الصورة العامة التي جاءت عليها الطبعة، (٢)مابين طبعة الاستاذين وطبعة «الشيخ»، (٣) القسم الاول (= الجزء الاول) من ط. دار نهضة مصر، (٤) القسم الثاني...، (٥) القسم الثالث... (٦) القسم الرابع... والخاتمة. وكان طبيعيا الا يقتصر ذكر «الشيخ» على الفقرة الثانية من الخطة.

و قد حاول الباحث هنا التخفيف قدر الامكان من ثقل الحواشي وتكرارها في المصدر الواحد، بأن ضمن كثيرا من الإحالات في مكانها من سياق المتن ، ويتضح ذلك، خصوصا لدى الإحالة على المثل السائر نفسه اذ يأتي الجزء والصفحة ـ / ـ الى جوار موضع الشاهد .

وها هي ذي الفقرات الست ـ راجياً ان يتسع نفعها لما هو أكثر من مراجع الطبعة موضع البحث.

(١)
الصورة العامة للكتاب في هذه الطبعة

«المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر » لضياء الدين نصر الله بن الاثير (٥٥٨ــ٦٣٧هـ) كتاب مهم ، ومهم جدا في بابه من البلاغة والنقد والكتابة .. ومنهج البحث . عرف الناس قدرهُ في عصره وعلى مر العصور ، وما زالت العناية به تزداد يوما بعد يوم ، وشأنه يرتفع (١) .

وصلت الينا منه عدة مخطوطات موزعة في انحاء العالم من الشرق والغرب (القاهرة ، استانبول ، فينا ، باريس ، اسكوريال ، بومبي) (٢) .

وكان من حقه ان يطبع الطبعة اللائقة به ... وقد طبع مرارا ، مذ كانت الطبعة الاولى بالقاهرة (بولاق ١٢٨٢ / ١١٦٥) ... حتى كانت الطبعة الاخيرة التي نحن بصددها (ولعلها السادسة) تالية الطبعة » شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ١٣٥٨/ ١٩٣٩ » بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد » ... اجل طبع ست مرات (اوزيد) (٣) ولكنه لم يحقق التحقيق العلمي اللازم ... وهذا مؤسف وجدير بالبيان .

واقل مايقتضي النشر العلمي (النقدى) جمع النسخ المخطوطة ودراستها واعتماد اصحها وخيرها اساسا للمقابلة ومن ثم تثبيت الاختلافات في الحواشي ليكون القارئ (والدارس) على علم بما يأخذ وما يدع وليطمئن الى ان هذا الذي بين يديه هو كتاب «المثل السائر » كما تركه صاحبه ... ((ابن لاثير) وفي صورة اقرب الى تلك الصورة .

علما ان لكتاب ابن الاثير هذا صفة خاصة جدير بمن يتصدى لتحقيقه (ومن ثم دراسته) ان يلاحظها ويمنحها حقها ، ذلك ان الكتاب لم يبق في صورة واحدة من غير اضافة وتعديل وتعليق ، لان صاحبه كان يدرسه ، والتدريس يقتضي التعديل والتعليق في اقل مايقتضي (٤) ، وهنا يمكن أن

تكون للكتاب سلسلة تاريخية يتبين بها المحقق ماكان في الصورة الاولى وما لم يكن ، ، ما حذف أوعدل أوزيد ... ونحن نعلم أن ابن الأثير استقر في الموصل — للمرة الاخيرة — منذ عام ٦١٨هـ ، وأن لدينا جزءاً من مخطوطة أجازها المؤلف نفسه عام ٦٢٢هـ .واذا كانت الصورة التي وصلت منه الى بغداد سنة ٦٣٣هـ فاستشارت ابن ابي الحديد فألف « الفلك الدائرعلى المثل السائر » (٥) ثائرا عليه ، من الصور التي يمكن أن تكون ناضجة فليس من المعقول ان تكون الأخيرة وأن يترك المؤلف كتابه من غير إعادة نظر وقد عاش بعد ذلك نحوا من أربع سنوات قريبا جدا من كتابه يقروه ويدرسه . ومن حوله التلاميذ وفي متناوله مكتبة ثرية وله ذهن وقاد .

لابد من ان تكون طبعة بولاق قد تمت على مخطوطة واحدة أوما إلى ذلك مما تيسر في مصر، شأنها في ذلك شأن سائر مطبوعات بولاق ، ولابد من ان تكون الطبعات التالية معتمدة على بولاق ... بما في ذلك طبعة محمد محيي الدين الذي ذكرانه اعتمد على ثلاث نسخ (مخطوطة) — تنظر مقدمته — ولكننا لم نر في حواشيه مايكفي للدلالة على المقابلة الدقيقة التي يتطلبها علم التحقيق . وان كان قد اغنى الحواشي بالشرح والتعليقات والتخريجات (٦) .

لقد بقي الكتاب «المضطهد» ينتظر اليد التي تفك اساره والأيدي التي تظهر براءته وحقيقته . وطال انتظاره ولما بلغ عشرين عاما اونحوها خيل أليه «الفرج» وكان سرابا ... فقد شرعت «مكتبة نهضة مصر ومطبعتها» تصدره اجزاء (العفو اقساما) من غير اية مزية علمية ،وكانت الحاجة الى «المثل السائر» شديدة فاقبل الناس على «شراء» هذه الطبعة على انها نسخة مخطوطة — ولتكن رديئة — تسد الحاجة الآنية . وقد كتب على اغلفة الاجزاء — الاقسام «قدمه وحققه وعلق عليه دكتور احمد الحوفي ودكتور بدوى طبانة» فزاد ذلك من دواعي الحساب ، لان المقدمين المحققين المعلقين استاذان جامعيان لهما خبرة طويلة بالتدريس والتأليف يذكر الأول بعلمه بتاريخ الادب ويذكر الثاني بتخصصه بالبلاغة العربية ...

- كيف صدر «المثل السائر» في هذه الطبعة التي قيل انها محققة؟

- صدر في اربعة اقسام لم تلتزم اية قاعدة علمية في التقسيم .
فما هي صادرة بمجلدة واحدة كما كانت طبعة بولاق او البهية او حجازى وماهي صادرة بمجلدين كما صدرت طبعة محمد محيي الدين- وكان ابن خلكان قد وصف الكتاب بانه في مجلدين .

القسم الاول د.ت (بدون(غير) تاريخ) في ٤٢٣ صفحة مع المقدمات والفهرس . وفيه من الكتاب الخطبة والمقدمة والمقالة الاولى بقسميها ولا بأس فهو يكون - في هذا وحدة علمية طبع الاول بمطبعة نهضة مصر .

القسم الثاني (١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م) وقع الفراغ من تحقيق هذا القسم وتعليق حواشيه يوم الجمعة الموافق ٨ من شهر صفر سنة ١٣٨١هـ/٢٠ من شهر يوليو (١٩٦١م) وجاء في ٤١١ صفحة متضمنا (١٦) نوعا من المقالة الثانية (في الصناعة المعنوية) من اصل (٣٠) نوعا ترى لم تكن (١٥) نوعا لتبقى (١٥) نوعا أخرى للقسم الثالث؟ طبع الثاني بمطبعة نهضة مصر.

القسم الثالث (١٣٨١/١٩٦٢ مطبعة الرسالة) وقد جاء في (٣٠٩) صفحة متضمنة ١٣ نوعا. يتم بها (٢٩) نوعا من الثلاثين وقسطا كبيرا من النوع الثلاثين.

ترى لم تضف الى هذا القسم الصفحات الباقية لتمامه وهي قليلة جدا (١٠ صفحات فقط!؟) ويكون بذلك مجموع صفحات القسم الثالث (٣١٩) صفحة وينتهي الكتاب بعد ان تلحق به الفهارس اللازمة ويكون بين يدي القارىء (والباحث) كتاب كامل اسمه «المثل السائر» لابن الاثير في ثلاثة اقسام او اجزاء؟.

السؤال وجيه جدا. ولعله غير وجيه احيانا؟ !

القسم الرابع (د.ت ، مطبعة الرسالة) ليس من المعقول ان يصار قسم كامل بعشر صفحات ، ولا بد من ان يكون سبب غير علمي فعل مفعوله في تأخير هذه الصفحات العشر عن اخواتها!.

السبب ان في مقرر المحققين أو دارنهضة مصر أن يطبع مع «المثل السائر» لابن الاثير كتاب اخر لغيره بل «لعدو له» هو كتاب «الفلك الدائر على المثل السائر» من تأليف عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن ابي الحديد المدائني المعتزلي» (٥٨٦ — ٦٥٦).

كان (أي أبن أبي االحديد) يشتغل في ديوان الخليفة المستنصر ببغداد عندما ورد اليه المثل السائر سنة ٦٣٣ من الموصل فاثاره واستثاره للنقد والهجوم وقال: «وقد سميت هذا الكتاب الفلك الدائر على المثل السائر» لانه شاع من كلامهم، وكثر استعمالهم ان يقولوا لما باد ودثر «قد دار عليه الفلك» كأنهم يريدون انه قد طحنه ومحا صورته».

ليس من اعتراض على ان يطبع المحققان أو دار نهضة مصر «الفلك الدائر» فللكتاب قيمته والحاجة اليه ماسة على اي حال. ولكن الاعتراض العلمي بالطبع وليس التجاري ان تبتر عشر صفحات من ختام المثل السائر بالقسم الثالث لتتصدر بغير حق كتابا آخر الفه صاحبه حسدا من ابن الاثير وثورة على كتابه. وقد كتب في «طرة» القسم الرابع هذا، وعلى غلافيه: المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الاثير قدمه وحققه وعلق علية دكتور احمد الحوفي ودكتور بدوي طبانه «وتحت ذلك بحرف اصغر» ويليه الفلك الدائر على المثل السائر» لا بن لابي الحديد وهكذا فان التوزيع غير العادل للقسم الرابع الذي عنوانه «المثل السائر» عشر صفحات من المثل السائر يلحقها كتاب كامل بعنوان جديد ولمؤلف آخر يقع هو ومقدمته في اكثر من (٣٠٠) صفحة!! كان اللازم ان يطبع مستقلا، ولا مسوغ لطبعه هنا، ولا يكفي ان يكون ردا على «المثل السائر» ليطبع باسم «المثل السائر» او بسمعة «المثل السائر» وسوقه... هذا الى انه ليس الوحيد في الرد على «المثل السائر (٧) مقابل آخرين منتصرين (لم تصل الينا كتاباتهم).

ثم ان الاستاذين المحققين لم يزيدا على ان اعادا طبع «الفلك الدائر» المطبوع، ولو كان تحقيقها له واعادة طبعه على اساس من العثور على نسخ مخطوطة لهان الامر حتى لدى الخروج على قواعد الطبع والنشر.

ونعود الى المثل السائر.

وقد بدأه «المحققان» بتصدير استغرق (٢٨) صفحة في الحديث عن الكتاب (المثل السائر) هي في اصلها المادة التي قدمها احدهما (الدكتور بدوى طبانه) في «تراث الانسانية» (٨) من قبل ولا بأس فهي ملكه وله حق التصرف بها وإن كان المناسب ان يشار الى ذلك.

ثم ألحقا التصدير بترجمة ابن الاثير «مختصرة من «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢٠٨/٢» وقد جاء فيها أن المثل السائر «في مجلدين» وكان هذا الذي نص عليه ابن خلكان كافيا لتنبيههما إلى التجزئة العلمية. وجاء فيها كذلك من تصانيف ضياء الدين «كتاب» الواشي المرقوم في حل المنظوم» وفي الواشي خطأ صحيحه «الوشي» لان اسم الكتاب الكامل «الوشي المرقوم في حل المنظوم» وكان المفروض بذكره هنا ان ينبههما اليه فيستعينا به لدى التحقيق — وهو مطبوع (٩)— لانه يتصل اتصالاً مباشراً بموضوع مهم من موضوعات المثل السائر، عزيز جداً على صاحبه وقد ورد في الفصل العاشر من المقدمة من القسم الاول — بتجزئة المحققين (١٢٥/١ — ٢٠٩)

وقد ادخل المحققان تسلسل صفحات التصدير ومختصر الترجمة في صلب تسلسل ارقام صفحات الكتاب الاصلي، وهكذا كانت الصفحة الاولى من «المثل السائر» برقم (٣٥) وهذا غير صحيح، وكان اللازم ان يرقم المحققان الصفحات السابقة على الكتاب ولاتكون جزءا منه بارقام خاصة او بحروف ابجدية (أ، ب، ج، د، هـ...) وهو الاحسن.

وكان حريا بالمحققين ان يبحثا عن مؤلفات ابن الاثير الاخرى، لدى التعريف به، ولدى التحقيق وهذا مهم — فلم يكن صحيحا الاكتفاء بما اورده ابن خلكان من تصانيف ابن الاثير. ومن هذه التصانيف المهمة كتاب «الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور» وهو مطبوع سنة **١٩٥٦** ولديهما علم كامل به (١٠) ولكن مافائدة هذا العلم إذا لم

يعمل به أي إذا لم ينتفع به لدى التحقيق ومجالات الانتفاع كبيرة (١١)
لأن الجامع الكبير يمكن أن يعد» نسخة أولى مصغرة....قبل «المثل السائر»
وكثيرا ماتكرر اللفظ والرأى والمصدر فيهما كليها.

ومن التصانيف «الاستدراك» وتأتي أهميته من انه يقوم على «السرقات»
وابن الاثير يعني بالموضوع كثيراً وخصص النوع الثلاثين من المقالة الثانية
(٢١٨/٣ — ٢٩٢، ٣/٤ — ٤) هذا الى ان «الاستدراك» يقوم على ابي تمام
والمتنبي، ولهذين الشاعرين مكانة عالية لدى ابن الاثير وفي كتابه...وانه
خرج من المطابعة قبيل ان يدخلها كتابهما، ولابد من أن يكون لهما علم به
مخطوطا لصلة التحقيق المباشرة بدار العلوم حيث يعملان (١١).

لابأس في أن يهمل المحققان الانتفاع بمصنفات ابن الاثير على صلتها
بالمثل السائر... ولكن البأس كل البأس في ان يقدم «المثل السائر» الى الناس
على انه «محقق» في طبعة محققة: «قدم له وحققه وعلق عليه ...» من غير
أن يكون محققاً فعلا ... واول مقتضيات التحقيق الصحيح الانطلاق من
نسخ مخطوطة مدروسة اتخذت احداها أساسا، ويصير هذا «المقتضى»
على الغاية القصوى من الإلزام اذا توفرت هذه المخطوطات وهي في موضوع
المثل السائر متوفر على احسن مايكون ومنها ماهو في القاهرة، بدار الكتب
المصرية على «قاب قوسين أو أدنى» من المحققين فقد اخبرنا كما اخبرهما
محمد محي الدين عبد الحميد في مقدمة طبعته فقال: «في دار الكتب المصرية
جزء من نسخة خطية كتبها ابو المكارم بن منصور الباوشناى الموصلي وفرغ
من كتابته ... سنة ٦٢٢... وفي أول هذا الجزء اجازة بخط المؤلف كتبها
بالموصل في شهر شعبان من عام كتابته» وهو وصف يمنح الجزء المذكور
قدرا خاصا.

ويقول الشيخ محمد محي الدين: «وفي الدار نسخة كاملة بقلم معتاد»
ويقول «وعند صديقي الاستاذ الفاضل الشيخ احمد محمد شاكر القاضي

الشرعي نسخة خطية ... منقولة عن نسخة فرغ من كتابتها ... سنة سبع وعشرين وستمائة (٦٢٧).

كانت هذه النسخ في علمهما ومتناول أيديهما ... وبالامكان ايجاد نسخ أخرى غير مايمكن تصويره من العالم في استانبول وفينا وباريس...الخ.

وليس العلم بالنسخ والحصول على صورها فضلا او تفضلا ، وإنما هو واجب لامفر منه والمحققان استاذان مجربان عارفان بالاصول واقل الاصول: توفير النسخ المخطوطة ... والإ خرج عملهما عن ان يكون تحقيقاً اتراهما مجربين بالتدريس غير مجربين بالتحقيق؟ ! .

ومع هذا التقصير الكبير الذي لايغتفر ... ذكر المحققان في صدر تصديرهما أن من اولى الغايات «في اخراج هذا الاثر واعادة نشره : تقديم نسخة صحيحة من هذا الكتاب يستطيع الباحثون والدارسون الاعتماد عليها ، بعد ان عز على كثير من الطالبين اقتناء نسخة منه، بسبب تقادم العهد بينهم وبين عهود نشره وتفاد السفر الجليل من المكتبات العربية ، مع الاحساس بالحاجة اليها، ليقوم بدوره بجانب مابعث من آثار التراث العربي في الناحية التي يتصدى لها هذا الكتاب».

ان الانسان ليتمنى لو تهيأت للمثل السائر يد من المستشرقين خلال هذا التاريخ الطويل — اذا — لرأينا الفرق بين عملهم وعملنا ، واذ ذكر المحققان «مابعث..» فلنذكرهما بتحقيق ريترلاسرار البلاغة . وكراتشوفسكي في تحقيق «بديع» ابن المعتز ... زيادة على مايفترض في المحقق العربي من امتياز على المحقق «الأجنبي»

وهنا ، هنا في موضوع ضرورة «المخطوطة» في تحقيق «المثل السائر» «نكتة» هيأها المحققان على «أرقى» مايكون ... ذلك انك تبدأ معهما «المثل السائر» وتسير وتسير فلا ترى اى دليل على الرجوع الى مخطوطة ...وكان مما يذكر لهما بالخير انهما لم يدعيا في تصديرهما الرجوع الى مخطوطة

للكتاب ... ولهذا فانك لاترى في الحواشي الكثيرة التي تذيل الصفحات الكثيرة اية إحالة على نسخة مخطوطة وأية مقابلة ... وأية تصحيحات قائمة على نسخة مخطوطة .

تسير وتسير

لم ينطلق «الاستاذان» في عملهما من مخطوطات أو مخطوطة واحدة في الأقل ... فماذا فعلا ؟

لم يخبرا في تصديرهما عن منطلقهما ولم يتحدثا عن الطبعات السابقة عليهما ولقد صار أكيدا لدينا أنهما انطلقا من نسخة مطبوعة وكان أضعف الايمان يقتضي أن يذكرا لنا النسخة المطبوعة التي اعتمدا عليها . ولكنهما لم يفعلا ، وترك الامر معمى . ونحن نعلم ان اولى طبعات الكتاب هي طبعة بولاق ، وان طبعة بولاق كانت في اساس الطبعات التالية لها ... فهل انطلقا من طبعة بولاق ؟ ان احسن طبعة هي طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد ولم يأت حسنها من توفرها على شرائط التحقيق العلمي لان الشيخ محمد محيي الدين وان تحدث في مقدمته عن المخطوطات ، فانه لم يدل على استعماله التام لها واستثماره الكامل اياها واعتماده العلمي عليها ... ولم يخرج في مجمل عمله كثيرا عن مطبوعة سابقة .. ولتكن بولاق — ثم أدام النظر فيها واستعمل علمه فاغنى حواشيها وتخريج الابيات وشرح بعض المفردات ... وتعليقات نحوية هو عالم بها ، ورجعات عابرة — فيما يبدو — إلى المخطوطات التي بين يديه فجاءت — بذلك — خير الموجود.

فهل انطلق الاستاذان من طبعة محمد محيي الدين عبدالحميد؟ انهما لم يذكرا ذلك بل انهما لم يذكراها بخير او شر وكأنها غير موجودة؟ وهي الموجودة المعروفة التي يرجع اليها الدارسون والباحثون...ثم انها طبعة مصرية قاهرية ومحققها مصري «قاهري»...بذل جهداً جديراً ان يذكر وينتفع به على اية حال..

لاشك في علم الاستاذين بطبعة الشيخ محمد محيي‌الدين وكم كان جميلا لو ذكراها وبينا مالها أو ماعليها - في الاقل؟ فضلاً عما يمكن ان يفيدا منها او ما افاداه فعلا (١٢).

لم يحقق «الاستاذان» المثل السائر الذي قدماه على أنه «تحقيق» فماذا عملا إذاً؟ قراءة للنص مطبوعا وتعليقات جديدة او «اضافية» في الحواشي مستفيدين من علم احدهما بالبلاغة وعلم ثانيهما بتاريخ الادب...وكان الشيخ محمد محيي‌الدين قد سبقهما ورجع الى عشرات المصادر.. وافاد من غزارة علمه عموما وبالغة خصوصا.

ونتابع صفحات الكتاب في أقسامه الثلاثة ورابعها ، ونطل على الحواشي والتعليقات ونسير ونعجب ان نرى في الحواشي الاولى: في الاصل، وفي الأصل (٣٧، ٤٠، ٨٣، ٩٠، ٩١، ١٠٤).

ونسائل عن المقصود بالاصل؟ ماذا يكون؟ ولامن مجيب او نرى عند الشيخ محمد محيي‌الدين تصحيحات مناظرة وكأن المحققين متأثران به. ثم تنقطع كلمة «في الاصل» وطبيعي أن تنقطع. وينتهي القسم الأول(الجزء الاول(من تقسيمهما للكتاب (ص٤٢٣) ونبدأ معهما القسم الثاني (الجزء الثاني(ونسير ولانرى«في الأصل» او لانكاد نراها (٢/١٣، ١٠٣، ١١٧، ١٢٠، ١٢٦(ولنتذكر أن هذا الذي «في الأصل» مما يمكن أن يكون في الطبعات السابقة (بولاق وغيرها) ...

ونصل الصفحة ١٦١ من القسم (الجزء) الثاني هذا، ونفاجأ بحاشية عجيبة أن تأتي في هذا المكان ... ضائعة مهانة

تقول الحاشية: «هذا نهاية الجزء الاول من النسخة الخطية المحفوظة في دار الكتب المصرية بخط ابي المكارم بن منصور الباوشناى الموصلي . فرغ من كتابة هذا الجزء في يوم السبت الحادي والعشرين من شهر جمادي الاولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة من الهجرة ، وفي اول هذا الجزء اجازة

بخط المؤلف كتبها بالموصل في شهر شعبان من السنة نفسها، أجاز بها الشيخ ابا المظفر عضد الدين بن محمد بن جعفر بن زهير الدمشقي».

وهذه هي النكتة التي اشرت اليها، وعناصرها كما يأتي:

١ ــ هذه السطور هي وصف هذا الجزء وردت نصاً لدى الشيخ محمد محيي الدين (ص ه من مقدمته).

٢ ــ اذا كان المحققان قد اعتمدا على هذا الجزء أصلا، وهو جدير بالاعتماد فلم لم يخبرا بذلك في مقدمتهما وهي طويلة ... وان التصريح المبكر بالنسخة المعتمدة واجب في التحقيق وانه يزيده قيمة وقدرا.

ثم لم يصفا الجزء بالذي يجب من متطلبات التحقيق في خطه وعدد اوراقه ورسم حروفه... وتأييد الوصف بصورة لورقة أو أكثر من أوراقه. لماذا؟ !

لنقل إنهما اعتمدا على هذا الجزء. ولكن أين متطلبات الاعتماد؟

٣ ــ انه جزء واحد فقط ويوجد الى جواره في دار الكتب المصرية نفسها اذا لم نتحدث عن اماكن اخرى للمخطوطات مخطوطة كاملة للكتاب، أما كان المناسب ان يعلم المحققان علمها ــ وقد نص عليها الشيخ محمد محيي الدين في مقدمته؟ وان ينتفعا بها لدى المقابلة والتصحيح؟

٤ ــ بانتهاء هذا الجزء على فرض الاعتماد عليه في التحقيق يكون قد بقي إزاء المحققين جزء كامل من المثل السائر، تبلغ صفحاته حسب الصفحات الباقية من طبعتهما نحواً من (٦٤٠) صفحة فكيف سيدبران الامر وكيف يديرانه؟

لقد قالا في هامش ١٦١/٢ «هذا نهاية الجزء الاول...» ليكن ... على ان يقولا لنا معتمدهما في الجزء الثاني؟ ولكنهما لم يقولا...وأقل مايعني هذا السماح للقاريء ــ والدارس ــ بان يتصور ــ واثقاً ــ اعتمادهما في الباقي على مطبوع، وليكن بعد ذلك مطبوع بولاق او غيره او مطبوع الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ...

لم السماح كذلك بان يتصور أن « المطبوع » هو معتمدهما الاول في الجزء
٥ ـ وتكون خلاصة الخلاصة ان المحققين ليسا محققين بالمعنى العلمي قصداً أو سهــوا؟
٦ ـ نمضي وكأننا إنتهينا من قضية ، ولكن مسألة الجزء المخطوط تبقى في النفس فقد يكون الجزء مما رجع اليه المحققان، وقد يكون هو المقصود بالأصل، قد، وربما...ونسير فاذ الحال تتكرر ونرى المحققين يكرران «في الأصل» ولم يكن لديهما اى اصل، فقد اعلنا عن انتهاء الجزء الأول، وهاهما ذان يذهبان، بعيدا وبعيدا جدا عنه، ولم يبق اذا شك في أن الاصل الذي يتحدثان عنه هو احدى طبعات المثل السائر، ولم يكن مخطوطة من المخطوطات (ينظر ٢١٣/٢، ٣١٦، ٣٣٢، ٣٥٥، ٣٦٥، ٣٩٦، ٥٤/٣، ١٥٢، ١٥٣، ٢٥٠، ٢٧٩).

(٢)

مابين طبعتي الاستاذين والشيخ

لقد مهد الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد الطريق لاحياء ازاءهما ولاشك في أنه كان ـ على مؤاخذاتنا إياه ـ أكثر فهماً علما وتجربة وتنبها..وكان من الخير لهما ان يذكرا فضله ويعترفا بجهده وينصا على رأيه...ولكنهما لم يفعلا .. وليس ذلك من شيمة العلماء... فضلا عــن المحققيــن..

ونحاول أن نقف عند لقطات من التحقيقيــن ..

١ ـ في بسملة المؤلف لديهما :

أولا أدعي فيما ألّفته من ذلك فضيلة الاحسان، ولا السلامة من سبق اللسان، فان الفاضل من تعد سقطاته وتحصى غلطاته، ويسيىء بالإحسان ظنا، لأنمن هو بابنه وشعره مفتون »(٣٧/١)

وقالا في الحاشية تعليقاً على «سبق» : في الاصل «سلق» باللام، وهو تحريف. ولم يقولا لنا المقصود «بالاصل» هذا. ثم من اجاز لهما النص على التحريف ومن ثم انزال الاصل الى الحاشية واصعاد تصورهما الى المتن ؟ هذا لايجوز في مثل هذه الحال في الاقل وكان الاولى اذا كان ولابد ان يبقيا «سلق» في المتن ويدليا بتصورهما في الحاشية.

أما الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد وهو الأعلم فهماً باللغة فقد أبقى «سلق» كما هي حيث هي، وانار صحتها بان شرح لنا معناها «سلق اللسان» حدته (٥/١) ومعلوم انه كان ازاء الشيخ «اصول» مخطوطة... هذا الى اننا نعرف من خلال المثل السائر لابن الاثير «حدته» ولا يبعد ان يكون الرجل عارفا بنفسه، معترفا وهو في موضع الاعتذار والآية (١٩) من سورة الأحزاب تقول: فأذا ذَهبَ الخوف سلقُوكُمْ بألسنةٍ حداد.

٢ – من بسملة المؤلف

ثم ان في نص المحققين الاستاذين اعجوبة لاتحسن بهما وبمن هو اقل منهما. فقد عرضنا بيتا مشهورا لابي تمام على أنه سطر من النثر «مكسور الوزن» هكذا: «ويسيء بالاحسان ظنا، لاكمن هو بابنه وشعره مفتون»
والبيت هو :

ويسيء بالاحسان ظنا، لاكمن
هو بابنه وبشعره مفتون

وقد تنبه الشيخ محمد محيي الدين الى ذلك، وهو أيسر مما يمكن، وزاد في حاشيته انه «بيت من الشعر لابي تمام... من قصيدة له يمدح الواثق بالله، وأولها

وابي المنازل انها لشجون
وعلى العجومة انها لتبين

وقد وقع هذا البيت في جميع النسخ المطبوعة كأنه كلام منثور لايتميز مما قبله ولا مما بعده.

اما كان الاولى بالاستاذين ان يسيئا الظن بالمطبوعات وهي اهل لسوء الظن؟ اما كان الاجدر ان ينتفعا بملاحظة الشيخ؟ هذا الى ان الامر من الشهرة والوضوح بما لايحتاج الى معين! (١٣)

٣ـ في النوع الثالث من الفصل الثاني من المقدمة

«وعجبت من الرحيم بن علي البيساني...» (٦٧/٢)

وتصحيح الخطأ لايحتاج الى شيء لانه عبد الرحيم (القاضي الفاضل) اسمه مشهور يتردد في الكتاب وقد جاء لدى الشيخ صحيحا (٢٧/١)

٤ ـ في الفصل الرابع من المقدمة :

«مما ورد من ذلك شعراً قول جزء بن الفقعسي، من شعراء الحماسة ...» وفي الحاشية : « في الأصل» جرى بن كلب» والتصويب عن ديوان الحماسة ٨٨/١، وقال التبريزي : قال ابن الأعرابي : هو جرير لاجزء ولم أقف لهما على ترجمة « (٩١/١) والملاحظات هنا :

أ ـ «ديوان الحماسة ٨٨/١» ـ ونحن نعلم من قائمة مراجع التحقيق في آخر القسم (الجزء) الرابع من تحقيق الاستاذين ، أنهما رجعا في الحماسة الى شرح المرزوقي . ونرجع الى «٨٨/١» من الشرح فلا نجد المطلوب ... ونبحث فنجده في القطعة «٦٢» على ٢٤١/١.

ب ـ ان قول التبريزي ... مثبت في تحقيق شرح المرزوقي (ه/٢٤٢/١) وليس مما رجع به الاستاذان الى شرح التبريزي نفسه . والنص في حاشية شرح المرزوقي أكمل من نصهما :« التبريزي :» قال ابو محمد الأعرابي : هو جرير بن كليب ، لاجزْء ...

جـ ـ يوحي قولهما :« ولم أقف لهما على ترجمة» بان الجملة من كلام أبي محمد الاعرابي ، وليس الامر كذلك ، لأنها من كلامهما ، والمفروض في هذه الحال ان يقولا : ولم نقف لهما على ترجمة» .

د — لم يخبرا بالمقصود من قولهما «في الأصل» أي أصل ؟ !
وكان الشيخ قبلهما قد أثبت في المتن «جزْء بن كليب الفقعسي» وقال :
«في الأصول جرى بن كلب القفعسي » (١/٤٥) (١٤).

٥ — في الفصل الخامس من المقدمة (١/٩٨)

«... قول ابي تمام

كم صارم عضف أناف على قفاً
منهم لأعباء الوغى حمَّال

سبق المشيبَ اليه حتى ابتزه
وطنُ النهى من مفرِق وقَذال»

هكذا وردت «قفاً» ، ووردت النون من «وطن» مرفوعة .

وكان الشيخ قد أورد على البيتين ملاحظات من علمه ومن مراجعته ديوان الشاعر جديرة بالإثبات . قال :

كم صارم عضب أناف على فتىً
منهم لاعباء الوغى حمال

سبق المشيب اليه حتى ابتزه
وطنَ النهى من مفرق وقذال

... وقع البيت محرفا في أصول الكتاب ، فجاء فيها «على قفاً» ... والتصحيح عن الديوان (ص٢٦٣) ... ضبط في الديوان «وطن النهى» بالرفع وهو خطأ وصوابه «وطن النهى» على ان مفعول ثان لابتز . والمفرق : وسط الرأس ، والقذال : مؤخره»

٦ — الفصل السادس من المقدمة

« قال النبي صلى الله عليه وسلم : «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فهو احق بها اذا وجدها» والمراد بذلك ان الحكمة «قد يستفيدها اهلها من غير اهلها ..» (١/١٠٠) .

والحديث مشهور على انه : «الحكمة ضالة المؤمن ...» لاتسبقه كلمة «كلمة» وكان المفروض بالمحققين الاستاذين ان ينبها إلى ذلك ولكنهما لم يفعلا .

وقد فعل قبلهما الشيخ : قال في الحاشية :

«في الاصُول» الكلمة الحكمة ضالة المؤمن «وهو زيادة عما ورد في الحديث» (١/٥٣)

٧ـ المقالة الاولى ، القسم الاول ، في اللفظة المفردة :

«نظم كل كلمة مع اختها في المشاكلة لهما» (١/٢١١)

ويبدو في العبارة شيءٌ ـ ولو قليل ـ من الاضطراب لدى النظر ملياً في الكلمة «في» قبل المشاكلة ، وكأنها زائدة او مقحمة .

وكان يمكن الانتفاع بالشيخ في تحقيقه قال :

في «ب أ ج» مع اختها في المشاكلة لها «وهو تحريف بزيادة «في» والمشاكلة ـ بكسر الكاف ـ اسم فاعل من قولك : شاكلت فلاناً إذا شابهته . وقد اجتمعت النسختان على حذف « في » من العبارة (١/١٤٢) .

ولنلاحظ أن «ب ، ج» تعني المطبوعات ، ويقصد بالنسختين : المخطوطتين .

٨ـ المقالة الاولى ... اللفظة المفردة :

«ولهذا اسقط الواضع حروفاً كثيرة في تأليف بعضها مع بعض استثقالا واستكراها ، فلم يؤلف بين حروف الحلق كالحاء والخاء والعين ..» (١/٢٢٣) .

للشيخ تعليق جدير بالإثبات ، وهو العارف باسرار من تأليف الكلام العربي ، قال : «في تأليف بعضها مع بعض استثقال واستكراه ...» في الاصُول «في تأليف بعضها مع بعض استثقالا واستكراهاً» (١/١٥٢) .

٩ — المقالة الاولى ... اللفظة المفردة

ترد محاورة بين قبيصة بن نعيم وامرئ القيس عندما قدم قبيصة على امرئ القيس في اشياخ بني اسد، يسألونه العفو عن دم أبيه» (١/٢٤٣ —). وقد طال الحوار .. واعتراه في النص اضطراب . ولكن الاستاذين اثبتاه كما هو ولم ينبها اليه — وان قالا (ه٢٤٥) : «صححنا بعض الفاظ النص بمقابلته على رواية القلقشندي (انظر صبح الأعشى ٢/٢٠٨) » وكان المشرف على طبعة بولاق قد احس النقص فيه ، وجاء الشيخ فرجع إلى مصدر وثيق هو الاغاني — صححه عليه وقال:

«..ولكنك قلت فأوجبت (فقال قبيصة :مانتوقع فوق المعاتبة والاعتاب) فقال امرؤ القيس : هو ذاك» .

وذكر في الحاشية «سقطت هذه العبارة من اصول هذا الكتاب .... فلم يبن الكلام ، حتى اضطر مصحح نسخة بولاق إلى ان يكتب في هامش النسخة «قوله ولكنك قلت الخ ، كذا في النسخ ..» (١/١٧٢) .

وكان المفروض بالاستاذين أن يكملا النص لديهما بما أكمله قبلهما الشيخ أو أن يرجعا إلى الاغاني الذي رجع اليه (ط. دار الكتب ٩/١٠٤).

١ — المقالة الثانية في الصناعة المعنوية

وردت عبارة مضطربة ... في قوله:

«وقرأت في كتاب (الروضة)لابي العباس المبرد وهو كاتب جمعه واختار فيه اشعار شعراء، بدأ فيه بابي نواس، ثم بمن كان في زمانه، وانسحب على ذيله ،فقال فيما اورده من شعره :وله معنى يسبق اليه باجماع ، وهو قوله:

تـــدار علينــا الـــراح في عسجديــة

حبتـــها بــانــواع التصـــاوير فارس...

وقد اكثر العلماء من وصف هذا المعنى وقولهم فيه معنى مبتدع.

ويحكى عن الجاحظ انه قال: مازال الشعراء يتناقلون المعنى قديما وحديثا الا هذا المعنى، فان ابا نواس انفرد بابداعه.

ولااعلم انا ماأقول لهما ولابي سوى اقول: قد تجاوز بهم حد الاكثار، ومن الامثال السائرة: بدون هذا يباع الحمار» (١٢/٢ — ١٣).

أ — وكلمة «لهما» الواردة هنا هي من تصحيحات الاستاذين وقد نصا على ذلك فقالا في الحاشية «في الاصل» لهما» في عبارة غير مفهومة. ولعل الصواب ماذكرناه والاشارة هنا إلى المبرد والجاحظ اللذين عدا هذا المعنى مبتدعا واكبرا به من شأن ابي نواس، فيما نرى».

لابأس فيما فعله المحققان لأن«لها» موضع نظر ...ولكننا نلاحظ ان هناك إلى جوار المبرد والجاحظ «العلماء» فيمكن ان نقول — جريا على ملاحظتهما — «لهم».

وتبقى بعد ذلك مسألة «ولابي سوى ان اقول» وكان المناسب ان يتنبها للنقص فيها وان ينبها وقد قال — قبلهما — الشيخ محمد محيي الدين: «ولعل اصل العبارة ... ولابي نواس» (٣١٦/١).

١١ — المقالة الثانية في الصناعة المعنوية

«لاجرم أنه اذا أُسفر في أمر تاطف في فتح أبوابه ... ولو بعثت غيره لخفت أن لايكون في سفارته صادقاً ..» (٤٦/٢) الذي اثبته الشيخ في المتن: «لاجرم أنه اذا سفر في امر تلطف في فتح ابوابه ... (٣٤٠/١).

وقال في الهامش: «في أ،ب،ج» اذا أسفر في أمر «ونعرف ان ب،ج» تعني المطبوعات ،و«أ» مخطوطة الشيخ احمد محمد شاكر. ومعنى هذا انه اعتمد المخطوطتين الاخريين وفيهما المكتوبة سنة ٦٢٢ في حياة المؤلف وله عليها اجازة.

اما الاستاذان فقد اعتمدا على مطبوعة .ولابد من ان يرجع اليها بناء «أسفر» لما لم يسم فاعله

١٢ — هناك مسائل لغوية هي اولى بالشيخ محمد محيي الدين منها بالاستاذين نذكرها هاهنا من غير تعليق

أ — النوع ١٣ في تحقيق الاستاذين: «والله لاقوم» «التوكيد بالنون هنا واجب، لان الفعل مضارع مثبت وقع جوابا للقسم، ولااختيار حينئذ للمتكلم ،وان كان التأكيد يحقق الغاية التي بينها ابن الاثير، ولكن النون شرط في الصحة ايضا» (٢٤٧/٢).

وقبلهما لدى الشيخ: «النون واجبة في كل مضارع مثبت يقع جوابا لقسم ،اذا اتصل به اللام ...» (٥٨/٢).

ب — النوع ١٤ في تحقيق الاستاذين «.. فاذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم إلى القاء يده ،والا فليس بكاتب».

«في الحاشية :» سياق المعنى يقتضي حذف كلمة «والا» (٢٦٠/٢ — ٢٦١)
وقبلهما لدى الشيخ: «كذا.. وترى الصواب حذف كلمة «والا» (٦٨/٢)

ج — النوع ١٥، القسم الثاني في تحقيق الاستاذين :«وقد نص عثمان ابن جني ... على عدم الجواز في حذف الفاعل ...»
وفي الحاشية (هذا ليس من باب حذف الفاعل إلا عند الكوفيين) ٢ / ٢٩٦
وقبلهما قال الشيخ: أخطأ المؤلف ... في فهم كلام ابي الفتح وكلام غيره من نحاة البصريين، ولم يفرق بين الاضمار والحذف، ونحا منحاه اهل الكوفة الذين جعلوا هذه الامثلة ونحوها من باب حذف الفاعل (٩٢/٢)...

د — النوع ١٥ القسم الثاني، الضرب ١٤

«ويجوز هذا في «ليس» خاصة تقول: «ليس احد الا وهو قائم لأن الكلام « يتوهم تمامه بليس وبحرف ونكرة ...» (٣٣١/٢).

وقبلهما قال الشيخ بعد أن ذكر النص: «بليس وحرف ونكرة» : في جميع الاصول بليس. وبحرف نكرة «ونرى انه لابد من زيادة الواو حتى تصير العبارة» يتوهم تمامه بليس وبحرف ونكرة» ...(١١٢/٢)

هـ ــ النوع ١٦ لدى الاستاذين «الأيكفيك آية الصيف» (٣٥٥/٢) وهو صحيح ولكن لم يخبرا كيف وصلا إلى ذلك، وكيف ورد في الاصل .

وكان الشيخ قبلهما قد ثبت في المتن «الايكفيك آية الصيف» ولكنه ذكر في الهامش ماينبغي ان يذكر : «في أ،ب،ج»» انه الصنف «بصاد ونون وفاء، وهو تحريف وانظر (١٢٧/٢) ولنتذكر ان «ب،ج» لديه تعني المطبوعات وهي اصل او اصول الاستاذين .

و ــ وجاء في النوع نفسه (١٦) لديهما :

«وبعد أن أنعمت نظري في هذا النوع الذي هو (الاطناب) وجدته ضربا من ضروب التأكيد (٣٥٥/٢)

وقالا في الهامش :«في الأصل» وجدت « من غير الضمير، والسياق يقتضيه.

وقبلهما قال الشيخ: «وجدت ضربا ...» كذا في جميع الأصول، ولعله: وجدته ضربا ... (١٢٧/٢) (١٧) .

١٣ ــ النوع ١٦ (الاعتراض) : «قول المضرب السعدي ...» (٤٥/٣) وفي الحاشية: «في الأصل نسبة الشعر للمضرب السعدي، والصواب نسبتهما إسم ابنه سوار (شرح التبريزي للحماسة ١٢٥/١) .

وهنا يرى ــ مرة اخرى ــ ماقد يشير إلى افادتهما من تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد للمثل السائر من غير اشارة اليه. ولنسجل مرة اخرى ــ أن الاستاذين لم يرجعا ــ كما تذكر مراجعهما في اخر الكتاب إلى شرح التبريزي وانما رجعا إلى شرح المرزوقي ،وكان الاولى ــ هنا ــ ان يحيلا إلى شرح المرزوقي ٩٣٠/١، ولكنهما احالا على شرح التبريزي ١٢٥/١ وكان الشيخ قبلهما (١٨٧/٢) قد أحال عليه ــ وهو من صميم مصادره.

جاء في المثل السائر: «قول المضرب السعدي»

فأثبته الشيخ حذرا وكتب في الحاشية :« كذا وقع في أ، ب، ج، نسبة هذين البيتين للمضرب السعدي ، وهما من شعر الحماسة (انظر شرح التبريزي ١ ـ ١٢٥) وهما لسوار بن المضرب السعدي فلعل أصل العبارة « قول ابن المضرب السعدي » فسقطت كلمة ابن (١٨) .

١٤ ـ النوع ٢٢ « اما اذا كان القصيد في حادثة من الحوادث كفتح معقل او هزيمة جيش » (٩٧/٣)

وقالا في الحاشية :« كانت بالاصل مقفل»

وليس من حقهما ان يضما ـ في هذه الحال ـ معقل في المتن و «مقفل» في الحاشية لان ذلك تصرف باموال الغير . وكان يكتفي التنبيه في الحاشية .

وقد تكون «مقفل» هي الصحيحة لمناسبة «الفتح» لها ولعلمنا بولع الكاتب بالصناعة ..« والقفل» اكثر صناعة من «المعقل» .

وقد ترك الشيخ «المقفل» كما هي ـ وإزاءه أكثر من نسخة واصل (٢٣٧/٢)

وخلاصة القول لدى المقابلة بين طبعة الاستاذين وتحقيق الشيخ السابق عليهما...انهما اذا لم يكونا قد اطلعا على تحقيق الشيخ فقد كان الواجب العلمي يقضي ان يطلعا ويفيدا وينصا على الفائدة فلقد كانت للرجل مزايا قلما توفرت لغيره واذا كانا قد اطلعا ـ وهو ماتشير اليه حالات متعددة وتشي به وتدعو اليه ـ فقد كان الواجب العلمي يقضي ان يذكرا ذلك وينصا علىماافاداه منه ..

١٥ ـ ونعود بعد هذا الى مصادرهما الأخرى في التحقيق فقد كانا ـ كما كان الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد قبلهما ـ يرجعان في النصوص والشواهد التي يذكرها ابن الأثير الى مصادرها من كتب ودواوين والحق أن الشيخ محمد محيي الدين قد جلّى في هذه الناحية ، وجاء المحققان على آثاره ، وليكن .

وذكرا من « مراجعهما» في التحقيق : الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور . ابن الاثير . تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد مطبعة المجمع العلمي العراقي » (ينظر هامش ص ١٨ من التصدير ٥٥١/٤) وقد ذكرا ص ١٨ عام ١٣٧٥ للطبع ، ونزيد — هنا — التاريخ الميلادي ١٩٥٦ وليس هذا هو المهم ، لأن المهم أن «الجامع الكبير» من مؤلفات ابن الاثير وهو ضرب آخر — مبكر — من المثل السائر . وهذا يعني ضرورة الافادة منه لدى التحقيق والمقابلة — كما فعل محققا الجامع الكبير اذ افادا من المثل السائر — ولكن محققي المثل السائر لم يفيدا من الجامع الكبير .

ويذكران الدواوين التي رجعا اليها ... ولكننا لم نر دواوين ابن حمديس الصقلي، وابن الخياط ،ابن المعتز، الارجاني ، الابيوردي، ديك الجن، سحيم، الشماخ ،علي بن الجهم، الوأواء الدمشقي ... وهم من شعراء المثل السائر ... ودواوينهم مطبوعة

ثم جاء على ٥٥٣/٤ «٣٤ — ديوان الصولي» هكذا فقط فمن الصولي؟ وماطبيعة ديوانه؟ لقد طبع مادة من مجموعة « الطرائف الأدبية » (٩)

وقبله ٥٥٢/٤ «ديوان ابن نباته: نشر الاستاذ محمد القلقيلي».

١٦ — وتميز تحقيقهما (من تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد) بالتعريف بالأعلام الواردة. وهذه ميزة وليست ميزة. إنها ميزة ذات نفع وفائدة عندما يعرّف المحقق للقارىء أسماء ترد وهي ليست في متناول علمه، فيود لوعرف شيئا عنها ... وفي «المثل السائر» عدد من هذه الاسماء يأتي في طليعتها «الغانمي» «من علماء البيان» فماذا قالا عنه؟:

«هو ابو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي، كان من فضلاء عصره وشعره مشهور، وهو من شعراء نظام الملك » (١١٠/٢) — وتنظر ٤٩/٣، ١٢٨).

وليس هذا تعريفا للغانمي يدرك منه القاريء بغيته .فما عصره ليكون من فضلائه ؟واين شعره ليكون مشهورا؟ وقد يسأل عن نظام الملك نفسه، ؟ لابد من ان الغانمي كان مشهورا ... في عصره (وهو العصر السلجوقي في النصف الثاني من القرن الخامس ...) ولكن شعره لم يصل الينا.

وكان بامكان محققي المثل السائر ان يفيدا مما ذكره الدكتور مصطفى جواد حاشية عليه في «الجامع الكبير».

«قال السمعاني في الأنساب :» الغانمي ... هذه النسبة إلى غانم وهو اسم لجد المنتسب اليه وهو الاديب محمد بن ... غانم الغانمي ،من افاضل عصره، وديوان شعره سائر في الآفاق وهو من مداحي نظام الملك ...» ونقبل — في هذه الحال — القول : «وديوان شعره سائر في الآفاق» على انه رواية قديمة (للسمعاني) وليست معاصرة للدكتور مصطفى جواد .

وزاد الدكتور مصطفى جواد في التعريف: «وذكره عز الدين بن الاثيرفي اللباب» مختصر الانساب «بما يقرب من ذلك » «ص١٦٦» واورد ذكره الباخرزي في الدمية. قال: الغانمي الهروي شاب فاضل، اختلف اليّ بنيسابور ... وله شعر حسن ووراءه للزيادة مواعد .. (٢٠)

والباخرزي يعين على تعيين عصره وشيء من عمره لانه مؤلف «دمية القصر وعصرة أهل العصر» وقد قتل عام ٤٦٧

ومن الأسماء التي يجب التعريف بها جيدا لدى من يلتزم التعريف من المحققين: «ابن افلح» قال ابن الاثير (٥٩/٢): » ووقفت على كتاب يقال له «مقدمة ابن افلح البغدادي» وقد قصرها على تفصيل اقسام علم الفصاحة والبلاغة ،وللعراقيين بها عناية ،وهم واصفون لها، ومكبون عليها ولما تأملتها وجدتها قشورا لالب تحتها ..» وننظر ٦٢/٢، ٦٣..،٤١/١ ...

فمن «ابن أفلح» هذا؟ واين كتابه؟ لابد من ان نقول للقارىء ان كتابه لم يصل الينا. ثم لابد من أن نقول له: إننا لا نعرف عن «ابن افلح» هذاشيئا ان كنا لانعرف ،لنفتح الباب إزاءه للبحث عنه .. (٢١)

كان من الممكن — في علم التحقيق — أن يمر عمل الاستاذين المحققين من غير هذه المطالبة بتعريف اعلام يحتاج القارىء — عادة — إلى التعريف بهم .. لوانهما سارا على قاعدة الاكتفاء بالمقابلة بين المخطوطات، لكنهما لم يسيرا على هذه القاعدة ، ولم تكن لديهما مخطوطات، زد على انهما التزما والزما نفسيهما — بالتعريف .

واذا كان هذا الالتزام قد أساء اليهما اذ قصرا بمن يجب التعريف به فانه أساء اليهما كذلك — من حيث لايحتسبان — اذ عرفا بالمشهورين جدا من الذين لايحتاج قارىء إلى التعريف بهم فضلا عن ان يكون هذا القارىء قارىء «المثل السائر» ثم إنهما أطالا في التعريف بهؤلاء المشهورين وخصصا للعلم منهم من السطور اكثر مما خصصاه للاعلام الاقل شهرة... وهكذا طال الكتاب على غير طائل. لقد عرفا بمعروفين ،وربما اعادا التعريف الواحد اكثر من مرة.

ونذكر — على سبيل المثال — من هؤلاء المعروفين الذين عرفوا بهم:

ابو تمام (٥٣/١) ، ابو نواس (٥٢/١) ، المتنبي (٥٤/١) ، البحتري (٥٤/١) ، ابن الرومي (٢٤/٢، ١٢٥/٢)، عبد الحميد الكاتب (٤٠/٢)، ابن العميد (٤٠/٢) الجاحظ (١٣/٢) ، سيف الدولة (١٠/٢) ، المبرد (١٢/٢) الاصمعي (١٤/٢) ، النابغة الذبياني (١٥/٢) ، الأعشى (٥٩/٢)، الخليل بن أحمد (٤٨/١) ، سيبويه (٣١٤/٢) ، سعد بن ابي وقاص (٣٢/٢) ، ابن جني (٨٤/٢ ، ١٠٨/٢) ، تأبط شراً (١٨٧٦/٢) ، الحريري (٤١/١) ، . الخ . ابن المقفع (٢٣٧/٣) ، الزبير بن العوام (٢٦/٣) ، امية بن ابي الصلت (٢٤١/٣) ... اللات والعزى ومناة (٢٢٦/٣) ...الخ.

ويذكر ابن الأثير اسماء كثيرة ، بينهم شعراء من زمن متأخر ، من عصر ابن الاثير نفسه أو مايقرب منه لايكاد يتبينهم القراء جيداً ، وفيهم من لم يسمع به ، فهم حقيقون بالتعريف على منهج من يعرف بالاعلام لدى التحقيق ، وبعد الإخلال بهم — في هذه الحال — نقصاً وتقصيراً ..

وقد وقع المحققان في هذا التقصير ، فهما اذ عرفا بالمتنبي والنابغة .. اهملا مثلا : الوأواء الدمشقي (٧٥/٢) ومرا به كريمين .

فقد اورد ابن الاثير البيت :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

وقال المحققان في الحاشية : البيت للواؤاء الدمشقي . ولم يقولا من الوأواء هذا . وفي التعريف يقال : أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني بدأ منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه .. توفي سنة ٣٩٠ حقق ديوانه مرتين ، ط٢ بدمشق الدكتور سامي الدهان ، من مصادر : يتيمة الدهر للثعالبي (٢٢) .

وأهملا ابن القيسراني (٢٥٦/٣) . قال ابن الأثير : «... أخذه الشاعر المعروف بالقيسراني فقال ....»

وفي التعريف يقال : شرف الدين ابو عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن داغر ولد في عكا سنة ٤٧٨ ونشأ في قيسارية ثم هاجر إلى دمشق .توفي بها سنة ٥٤٨»(٢٣) .

ولو رجع المحققان يستعلمان شأنه لعلما انه يعرف بابن القيسراني وليس القيساراني ، ولسجلا مثل هذه الملاحظة في الهامش ، ولكنهما لم يفعلا ، شأنهما في ذلك شأن الطبعات السابقة (ومنها ط. محمد محيي الدين ٣٨٧/٢) .

ووردت على لسان ابن الاثير ضيغة جديرة بالتنبه والتنبيه ، فقد جاء (٣٤٧/١) «... وعلى هذا الاسلوب جاء قول بعض المتأخرين ، وهو الشاعر المعروف بالمعري في قصيدة قصد بها التجنيس في كثير من أبياتها ، **فمن** ذلك ماأورده في مطلعها :

لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا
ونحن في حفر الأجداث أحيانا

ثم قال في ابياتها :

تقـول أنـت امـرؤ جـاف مغـالطـــة
فقلـت لاهـوّمت أجفـان أجفـانـا

وكذا قال في آخرهـا :

لـم يبـق بـرك انسـانـاً يـلاذ بـــــه
فلا برحت لعيـن الدهر انسانـا»

وليست الأبيات للمعري . (٢٤) .

وبعد

وللتعريف بالأعلام قواعد — غير ماذكرنا

من هذه القواعد أن يعرف بالعلم المتكرر الورود في الكتاب لدى وروده أول مرة .

ولا يتكرر التعريف بالعلم الواحد أكثر من مرة واحدة .

ويعرف القارئ ذلك بالرجوع إلى فهرس الأعلام من الكتاب الذي بين يديه .

ولكن الأستاذين المحققين لم يلتزما بهذه القاعدة السليمة فتراهما — حيناً — يترجمان للعلم بعد أن يكون قد مر ذكره ، وحيناً يترجمان للعلم الواحد بأكثر من ترجمة .

ولدينا مثل — على ذلك — في «ابن الرومي» فقد ورد في القسم (الجزء) الأول على صفحات متعددة بدون أن يعرفا به حتى إذا جاء القسم (الجزء) الثاني عرفا به مرتين (٢/٢٤)، و(٢/١٢٥). وزادا على ذلك أنهما أهملا هاتين الصفحتين لدى عملهما «فهرس الشعراء» (٤/٣٢٣). وقد عرفا بعلي بن جبلة (= العكوك) ثلاث مرات ١/٣٥٥ ، ٣/١٤٨ ، ٣/٢٣٩... وتكرر ورود القاضي الفاضل في القسم (الجزء) الأول ، ولكنهما لم يترجما له إلاّ في القسم الثاني (٢/٣٧٤)...وينظر دعبل...

ومنهج آخر أن توضع علامة (ولتكن نجماً) على العلم المترجم له وتسلسل التراجم في آخر الكتاب على حروف الهجاء . فإذا أراد القارئ أن يعرف شيئاً عن علم اعترضه ، رجع إلى هذا الكشاف ؛ ولم يُضطر المحقق — في هذه الحال — إلى تكرار الترجمة أو الوقوع في الفوضى .

القسم (٣) الثاني (= الجزء الثاني)
المقالة الاولى في الصناعة اللفظية

١ — ص٩ من مقدمة التحقيق :

« قوله في ابن زياد البغدادي » وجدت لابن زياد البغدادي كتاباً كتبه إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف ... سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وضمنه فصولا تشتمل على امور انكرت عليه من دار الخلافة، فمن تلك الامور التي انكرت عليه انه تلقب بالملك الناصر ، وذلك اللقب هو لأمير المؤمنين خاصة ، فإنه الامام الناصر لدين الله ....»

كذا ورد في المقدمة : ابن زياد ، وورد النص المنقول (١/٦٧ — النوع الثالث من الفصل الثاني من مقدمة المؤلف) .
ويتكرر (١/٦٩) في الموضوع نفسه
وورد الاسم كذلك في تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (١/٢٧، ٢٩)
وورد من قبل في مطبوع المطبعة البهية (ص١١ — ١٢)

وكان المفروض بالمحققين ان يبحثا عن تعريف لهذا العلَم ، كما يشترط المنهج الذي سارا عليه في التعريف بالاعلام الواردة ، فاذا لم يجدا شيئا — في المصادر المتيسرة — نصا على ذلك في الحاشية ليتسنى للقارئ العلم بموقفهما ومن ثم البحث عن العلم .

وجاء بعدهما محقق كتاب نصرة الثائر للصفدي فاورده على « ابن زيادة البغدادي » بصدد نص المثل السائر نفسه (١/٦٧ — ٦٩) ولم يحاول التعريف به

ولكنني وجدت الدكتور محمد قاسم مصطفى قد كتب بالقلم الاحمر على حاشية نسخته من مطبوع « نصرة الثائر » :« زيادة — ٥٩٤ **يحيى بن سعيد** » فأعطى بذلك مفتاحا للحل .

وهذا ابن خلكان — مثلا — يقول (حرف الياء من وفياته):

« ابو طالب يحيى بن ابي الفرج سعيد بن ابي القاسم هبة الله بن علي بن فرغلي بن زبادة الشيباني الكاتب المنشيء الواسطي الاصل البغدادي المولد والدار والوفاة الملقب قوام الدين وقيل عميد الدين ... انتهت اليه المعرفة بامور الكتابة والانشاء ... وكان مليح العبارة في الانشاء جيد الفكر حاو الترصيع لطيف الاشارة وكان الغالب عليه في رسائله العناية بالمعاني اكثر من طلب السجع .. قال ابن الدبيثي ... سألت ابا طالب بن زبادة عن مولده فقال ... سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وتوفي ... سنة اربع وتسعين وخمسمائة وصلى عليه بجامع القصر ودفن بالجانب الغربي بمشهد الامام موسى بن جعفر ... وزبادة بفتح الزاى وهو القطعة من الزباد الذي تتطيب به النساء » (٢٥) .

وينظر عنه (يحيى بن سعيد ... ابن زبادة) الزركلي (٢٦) .

٢ ـ ص ٢٠ من مقدمة المحققين « تكلم ابن الاثير في خطبة كتابه عن أهمية علم البيان »

ولم يرد في الفصيح من الاستعمال العربي ـ كما افادنا استاذنا الدكتور مصطفى جواد ـ تكلم عن ، وانما الذي ورد تكلم على ، وتكلم في

وسار ابن الأثير نفسه خلال كتابه على الصواب من الاستعمال . وكان يمكن أن ينبهما ذلك الى الخطأ .

٣ ـ مقدمة المحققين هذه، التي وردت باسم «تصدير» (ص٤، ٢٩)، هي في أصلها ـ كما رأينا مقالة كتبها الدكتور بدوي طبانة في «تراث الانسانية» بعنوان «المثل السائر» ولهذا فانها اقتصرت على «المثل السائر» دون التعريف بالمؤلف (ابن الاثير)ومؤلفاته الاخرى ...

٤ ـ أعقب المحققان «التصدير» بـ«ترجمة ابن الاثير» (ص٣٠ ـ ٣٢)» مختصرة من وفيات الاعيان لابن خلكان ٢٠٨/٢» ـ يقصدان طبعة الميمنية.

والحقيقة ان ترجمة ابن خلكان اوفى ترجمة قديمة لابن الاثير وكان المناسب ان يحال إلى دراسة حديثة كدراسة الدكتور محمد زغلول سلام او كتاب موسوعي يذكر المصادر والمراجع مثل الاعلام للزركلي.

٥ ـ جاء في «ترجمة ابن الاثير» هذه من كلام ابن خلكان «ولضياء الدين من التصانيف ... كتابه الذي سماه » المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر« وهو في مجلدين ... وله كتاب« الوشي المرقوم في حل المنظوم» وهو مع وجازته في غاية الحسن والافادة. وله كتاب « المعاني المخترعة في صناعة الانشاء »وهو ايضا نهاية في بابه وله مجموع اختار فيه شعر ابي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي وهو في مجلد واحد كبير وحفظه مفيد. وله ايضا ديوان ترسل في عدة مجلدات، والمختار منه في مجلد واحد ..»

وكان المناسب جدا ان يحفزهما هذا الخبر للكلام على مؤلفات ابن الاثير المطبوع منها والمخطوط والمفقود وليس الكلام في هذا ترفا لان مؤلفات ابن الاثير الاخرى متممة للمثل السائر مرتبطة به تنفع كثيرا لدى المقاونة والتحقيق.

وكان يمكن لقول ابن خلكان عن المثل السائر «وهو في مجلدين» أن يذكرهما بطبعة محمد محيي الدين عبد الحميد أو ان يحفزهما لوصف المخطوطة التي بين أيديهما ـ لوكانت ـ وان يبينا السبب في تقسيمهما الكتاب تقسيماً جديدا (اعتباطيا)، هذا إلى دمجهما معه في القسم (الجزء) الرابع من تقسيمهما كتاب ابن ابي الحديد (الفلك الدائر) على غير قاعدة علمية.

والوشي المرقوم مطبوع

وكان اللازم ان يعلما ذلك ويفيدا منه ، لانه مما يرد ذكره في المثل السائر (١٦١/١، ٣٦/٢) ويرد ذكر المثل السائر فيه . هذا إلى أنه يتناول احد الفصول الثمانية التي تناولتها مقدمة ابن الاثير للمثل السائر بالتفصيل

وهو الفصل العاشر (١/١٢٥ ـ ٢٠٩) الذي يتناول : حل الابيات الشعرية حل آيات القرآن العزيز ، حل الاخبار النبوية وهي المواد التي يقوم عليها الوشي المرقوم .

ومما طبع لابن الاثير وله علاقة مباشرة بالمثل السائر : الاستدراك وموضوعه « سرقات» المتنبي من ابي تمام وتكون السرقات نوعا مهما من المثل السائر هو خاتمة الكتاب (النوع الثلاثون) (من الصناعة المعنوية) . ولابد من أن يكون لهما تمام العلم بمطبوعه أو مخطوطه .

ولكتابه «الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور» أهمية خاصة لمن يحقق « المثل السائر» و« الجامع » مطبوع ، والمحققان يعرفان ذلك ، وكان محققا « الجامع » قد انتفعا بالرجوع الى المثل السائر .

٦ ـ وفي ترجمة ابن الاثير عن ابن خلكان من مقدمة المحققين (ص ٣٢) : « وكان لضياء الدين المذكور ولد نبيه له النظم والنثر الحسن ... ورأيت له مجموعا جمعه الملك الأشرف ابن الملك العادل بن أيوب واحس فيه ...»

أ ـ « جمعه الملك الأشرف » . يجب ان تكون جمعه للملك الأشرف»

ب ـ « ... واحس فيه » « يجب ان تكون واحسن فيه (٢٧)

ولم يرد تصحيح الخطأين في جدول « الاستدراكات» (١/٤١٦)

٧ ـ المعقول المقبول . ان لم يكن اللازم الواجب في التحقيق أن توضع لمقدمة التحقيق أرقام تسلسل خاصة بها ، لانها ليست من للكتاب ولئلا تختلط احالة الباحثين على الكتاب بما هو ليس منه من مقدمة المحققين والمألوف في هذه الحالة ان تسلسل صفحات مقدمة التحقيق بالحروف الابجدية أ، ب، ج، د ... وكان الشيخ محمد محيي الدين قد فعل هذا

٨ ـ من مزايا التحقيق الحديث قيام المحقق ـ قدْر الإمكان والمعقول ـ بوضع النقاط والفوارز وعلامات الجمل المعترضة وما الى ذلك خدمة للكتاب وللقارئ ولكن المحققين لم يلتزما بذلك فقد جاء ـ مثلا ـ في « بسملة المؤلف

ص ٣٦ « وكتاب » سر الفصاحة « وان نبه فيه على نكت منيرة فانه أكثر مما قل به مقدار كتابه من ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها ..» (٣٦/١)

والسليم في هذا ان يكون

«... وكتاب» سر الفصاحة « وان نبّه فيه على نكت منيرة فانه أكثر — مما قل به قدر كتابه —من ذكر الاصوات ...»

أ— لابد من بيان الاعتراض

ب— واضح أن ابن الأثير يسند كلامه عن المؤلف —مؤلف سر الفصاحة (ابن سنان الخفاجي) وعليه يبنى الفعل « نبه» للمعلوم ... بدليل فانه اكثر ... »

٩— من شرائط التحقيق ان يتعرف المحقق لغة الكتاب الذي يحققه، فان ذلك يعينه على حل عدد من المشكلات وعلى تقديم النص للقارئ كما يجب .

ولكننا نجد المحققين يثبتان (٣٨/١) كلاماً لابن الاثير هكذا :

«وهذا الكتاب وان كان فيما يلقيه اليك استاذاً، واذا سألت عما ينتفع به قيل لك هذا، فان الدربة والادمان اجدى عليك نفعاً ، واهدى بصراً وسمعاً ..»

وأول مايلاحظ على لغة ابن الاثير في هذه الصفحة : السجع ، ووجب حينئذ ان تأتي «استاذا» من غير تنوين لتتناسب بالسجع مع كلمة «هذا» هكذا :

«وهذا الكتاب وان كان فيما يلقيه اليك استاذا ، واذا سألت عما ينتفع به قيل لك هذا ...»

وقد تنبه الشيخ محمد محيي الدين إلى هذا (٥/١)

١٠ – يجب – لدى شرح المفردات في التحقيق – الاكتفاء بما هو متصل مباشرة بالكلمة المشروحة ، ولاموجب لذكر غيرها

وقد قال ابن الاثير (٣٨/١) : «ومامثلي فيما مهدته لك من هذا الطريق الا كمن طبع سيفاً ..»

وقال المحققان في الهامش «يقال : طبع السيف والدرهم والجرة عملها» .

ولاعلاقة للدرهم والجرة هنا بما كان ابن الاثير (ويكون القارئ) فيه . ثم ان المفردة (طبع) ليست مما يحتاج قارئ «المثل السائر» إلى شرحها – ولم يجد الشيخ محمد محيي الدين حاجة إلى شرحها .

١١ – واستشهد ابن الاثير بالبيت الذي ورد (٣٨/١) « وإنما يبلغ الانسان **غايته ماكل ماشية بالرجل شملال** » كذا : الرجل ، بالجيم. وجاء في **الحاشية** أنه للمتنبي «وفي الشرح» .. وليس كل من يمشي على رجله شمالاً ، يقدر على السرعة» وكانا قد شرحا الشملال بالناقة القوية السريعة (وهي كذلك) ولكن الخطأ يمكن أن يكون في كتابة «النص» وشرحه في كلمة «الرجل» بالجيم لأن الصحيح هو «الرحل» وحينئذ يستقيم البيت والمعنى .

وكان الشيخ محمد محيي الدين (٦/١) قد روى البيت بالرحل وشرحه كذلك وزاد «وبالرحل» هو بفتتح الراء المهملة بعدها حاء مهملة أيضاً، وهذا موافق لما في نسخ الديوان ، الا التي شرح عليها العكبري ، فان فيها «بالرجل بكسر الراء ، وبالجيم – وعبارة العكبري تدل على انه قرأها كذلك» .

لنلاحظ – جيداً – ان الشيخ محمد محيي الدين ينطلق – وبين يديه مخطوطات للمثل السائر «وأنه اثبت رواية البيت «بالرحل» بالحاء. وانها بالحاء كذلك في مطبوع «البهية» (ص٣).

١٢ — القاعدة في «الشكل» لدى التحقيق ضبط مايحتمل وقوع الخطأفيه وترك مايلفظ طبيعيا على وجه الصحة، ففي الفعل الماضي «غلط» لايشكل الغين والطاء، والمفضل شكل اللام — ان لم يجب. وقد فعل المحققان العكس (٤٠/١) فوردت غلط مشكولة الغين والطاء وورد اللام من غير شكل، وكان يجب كسره فتكون الكلمة هكذا «غلِط» ولابأس بعد ذلك من شكل الغين والطاء اذا كان المحقق يلتزم الشكل التام — وكأنهما استدركا ذلك (٥١/١).

١٣ — قال ابن الاثير (٤٢/١): «اذا خطب الكاتب المفلق عن دولة من الدول الواسعة يكون لسلطانها سيف مشهور ... فانه بدوّن عنه من المكاتبت.»

ومع ان كلمة «المفلق» معروفة الدلالة وان ابن الاثير ذكرها هنا صفة للكاتب فان المحققين شرحاها في الهامش هكذا «يقال: افلق الشاعر اذا اتى بالعجيب» وكان المناسب — لدى شرحها — ان يربطاها بالكاتب. وربما كان الاستعمال — هنا — خاصا بابن الاثير واذا كان لابد من ملاحظة فلتكن ايضا على استعمال ابن الاثير لكلمة «خطب» متصلة بالكاتب والكتابة.

١٤ — قال ابن الاثير (٤٤/١) وهو يعدد «انواع» الفصل الثاني «من» المقدمة «:» النوع الخامس: معرفة الاحكام السلطانية في الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك «فعلق المحققان في الهامش:

«والحسبة بالكسر الاجر، واسم من الاحتساب، وهو حسن الحسبة حسن التدبير»

والتعليق غريب جدا، يضلل القارىء، فلا قيمة للمعاني التي ذكرها المحققان في «الحسبة» التي اراد اليها ابن الاثير، وهي مصطلح معروف في تاريخ الحضارة العربية، وفي فروع الادارة منها خصوصا، وماكان للاقل منهما أن يقع فيما وقعا فيه اذا لم نقل بانتقاء الحاجة إلى شرحها وهي في خلاصتها وظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولها «موظف» خاص يدعى المحتسب.

وكان ممكناً لهما — وهما في القسم الاول من تحقيق الكتاب أن ينتفعا بأقرب «المراجع» في الحضارة العربية — الاسلامية: تاريخ التمدن الاسلامي «وفيه: » الحسبة، وهي منصب ديني من قبيل القضاء، وصاحب الحسبة (المحتسب) يبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ... وله النظر في الغش والتدليس في المعايش وغيرها وفي المكاييل والموازين»(٢٨). ويحيل مؤلف تاريخ التمدن إلى مقدمة ابن خلدون.

ويرد في المثل السائر «علم» يعرفان به وهو محتسب، هو ابو عبدالله الحسين ابن أحمد بن الحجاج (١/٣٣٩) ولم نذهب إلى هذا وفي المثل السائر نفسه رسالة لابن الاثير نفسه تفصل مدلول «الحسبة» على خير مايرام (٢/ ٣٨٥ — ٣٩٩) وسنقف عندها بالرقم (٢٢) من الفقرة الرابعة من هذاالبحث.

١٥ — ورد (١/٤٨) «الخليل بن احمد الأزْدي» ،فقالا في الهامش «هو... توفي سنة ستين ومائة «وصحيح ان في وفاة الخليل اختلافا ولكن المحققين اختارا رواية ضعيفة جدا بدلا من رواية قوية مثل عام ١٧٥ (ينظر ابن خلكان — حرف الخاء)

١٦ — اثبت المحققان في النص (١/٥١): «معايش» واثبت محمد محيي الدين «معائش» (١/١٢) — مع الاتفاق على ان الصحيح «معايش» ولكن ابن الاثير يريد اثبات نص المازني — الذي يراه خطأ — اي «معائش»

١٧— «عليك ايها المترشح لهذه الصناعة ...» (١/٧٢) هذا هو الاستعمال الصحيح لان ابن الاثير يخاطب الساعي الى ان يكون كاتبا فهو يرشح نفسه وهو مترشح لها ...

وقد وردت في ط. محمد محيي الدين (١/٣) :ايها المتوشح وهو غير صحيح ..

وسيقع المحققان فيما يأتي في الخطأ اى انهما يثبتان «ايها المتوشح» (٧٢، ١٨٤، ٣ / ١٢١) .

١٨ـ «تجمع عليك هم قلبك ، وتمنع ان يخطر به سوى امر الصلاة ، فعبرّ .. عن منع الخواطر التي تخطر له بـ...» (٧٤/١ ـ الفصل الثالث)
أ ـ لاموجب لشكل الراء من يخطر وتخطر لان ذلك من بسائط النحو.
ب ـ الذي يجب شكله هو الطاء وقد تركها في «يخطر» من غير شكل وحقها الضمة ، وشكلها في «تخطر» بالكسر وهو خطأ لان حقها الضمة كما رأينا .

١٩ ـ «وهذه اللفظات الثلاثة من صفة المطر» (١١٥/١ ـ الفصل الثامن)
الصحيح : اللفظات الثلاثة .

وقد وردت في ط ـ محمد محيي الدين (٦٦/١) الثلاثة ـ وكذلك في ط .البهية ص٢٧ ـ ولايمكن أن يرد الخطأ الى المؤلف لأننا نراه في أماكن أخرى يذكر العدد مع المعدود المؤلف فيقول : أربع لفظات ، عشر لفظات (٣٣٤/١) وجاء (٣٣٤/١) : «ان الفصل الأول ثمان لفظات» والمناسب ان تجيء : «...ثماني لفظات» وقد اتفق الاستاذ ان مع الشيخ (٢٣٩/١)

٢١ ـ «وبلغني ان قوما ببغداد من رعاع العامة» (١٢٤/١) ـ ووردت رعاع بكسر الراء والصحيح فتحها .

٢١ ـ «ولقد مارست الكتابة ممارساً كشفت لي عن أسرارها» (١٢٦/١ ـ الفصل العاشر) .. وواضح أنه يريد «ممارسة» وقد يعزى ذلك ـ بدلالة طبع الحرف ـ الى المطبعة ولدى محمد محيي الدين : ممارسة (٧٧/١) وقبله في البهية (ص ٣١) .

٢٢ ـ «لما عاينت من نيله من العناء» (١٢٦/١)
وواضح انها «عانيت» بدليل» العناء» وكنت احسبه من الخطأ المطبعي ولكن وروده هكذا في «البهية» (ص٣١) يميل بنا الى ان المحققين تابعا مطبوعة غير دقيقة . ولو تابعا محمد محيي الدين (٧٧/١) لتدبرا الامر .

٢٣ — «الفصل العاشر — في الطريق الى تعلم الكتابة» (١٢٥ — ٢٠٩) فصل واحد متصل المواد يقوم على ثلاث نقاط رئيسة هي حل الابيات الشعرية ، حل آيات القرآن العزيز ، حل الاخبار النبوية . ولايقتضيسياق العرض التصرف بالتوزيع إذا أمكن التصرف بالتوضيح . ولكن الذي حدث أن المحققين بعد أن أثبتنا في أواخر ص ١٢٥ «الفصل العاشر...» — كما يجب من التوضيح بتنويع الحرف وتبريزه وبلغا ص ١٢٨ حيث قال المؤلف» وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضع ، فأول ماأبدأ به على عقب ذلك ان اقول» : تركا بياضا في اسفل الصفحة وانتقلا الى أعلى صفحة جديدة كتبا بخط متميز : حل الابيات الشعرية عنوانا — وهذا غير صحيح ويوهم باستقلال الموضوع عن فصله . هذا إلى أنهما حين انتبهامن هذه النقطة من الفصل (وسط ص١٧٠) سارا في الكلام من غير أن يميزا النقطة الجديدة فكتبا في أول السطر : «واما حل آيات القرآن العزيز »وسارا ووصلا ص ١٩٠ وسارا وكأن لم ترد النقطة الثالثة الجديدة المهمة فلم يميزاها بشيء وقالا في أول السطر «واما الاخبار النبوية ...» —وهذا غير لائق (في الإخراج — في الأقل)

وكان مناسبا ان يذكرهما ورود اسم كتاب «الوشي المرقوم في حل المنظوم » على قلم المؤلف (١٦١/١) بصلة الفصل العاشر — هذا — به(٢٩)

٢٤ — قول ابي نواس (١٥١/١) :

«فقلت لشيخ منهم متكلم
له دين قسيس وفي نطقهكفر
اعندك بكر مرة الطعم موقف
صنيعه دهقان تراخى له العمر...»

هكذا وردت «مرة» بالراء وهي في الشعر الخمرى ترد بالزاى اى مزة وقد وردت في شعر الأخطل :

وقهوة مزة راووقها خضل .»

جاء في القاموس : «المزة بفتح الميم – الخمر اللذيذة الطعم كالمزاء – بضم الميم .. الخمر فيها حموضة » وفي مختار الصحاح: » «شراب مز – بضم الميم – ورمان مزبين الحلو والحامض» .

٢٥ – المقالة اولى في الصناعة اللفظية – القسم الاول في اللفظة المفردة ١/ ٢١٠ – ٢٦٩ (٣٠) .

ص ١١/١ « وهذا الموضع يضل في سلوك طريقة العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والنثر» – والصحيح : طريقه ، وهو من الخطأ المطبعي.

٢٦ – ينسب المحققان الاشعار الى قائلها ، والمؤلف نفسه كثيرا ماذكر القائلين فيتوليان العودة الى الديوان والمصدر ، وكان الشيخ محمد محيي الدين قد سبقهما الى ذلك وعلى وجه احسن .

وكثيرا ماوقع ذلك –عندهما– في الابيات المشهورة النسبة والمصدر ... وتترك ابيات اخرى من غير نسبة او مصدر ، ومن هذه الابيات ، البيت المشهور : (١/ ٢٢١) :

لايعرف الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

وهو للأبله البغدادى : «ابو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله» المتوفى سنة ٥٩٩ على رواية وسنة ٥٨٠ على رواية اخرى» (٣١).

٢٧ – «حتى ان » (٢٥٩/١) بفتح الهمزة . الصحيح كسرها . وتتكرر ٣٨٠/١

٢٨ – «القسم الثاني – في الالفاظ المركبة» (٢٧/١ – ٢٧١) : « اعلم ان صناعة تأليف الكلام تنقسم الى ثمانية انواع هي :

السجع ، ويختص بالكلام المنثور.

والتصريع : ويختص بالكلام المنظوم ، وهو داخل في باب السجع لانهفي الكلام المنظوم كالسجع في الكلام المنثور .

والتجنيس ، وهو يعم القسمين جميعا
والترصيع ، وهو يعم القسمين ايضا جميعا
ولزوم مالا يلزم : وهو يعم القسمين ايضاً
والموازنة ؟ وتختص بالكلام المنثور
واختلاف صيغ الالفاظ ، وهو يعم القسمين جميعا .
وتكرير الحروف ، وهو يعم القسمين جميعا . »

وملاحظة اولى عن نظام الفوارز . فصحيح أن النظام يسمح بقدر من الاجتهاد ولكنه لايسمح بالفوضى لدى القاعدة الواحدة . فالمحققان هنا يواليان افقيا الانواع الثمانية وهذا جيد للتوضيح ، ولكنهما يعقبان النوع الواحد بفواصل مختلفة فهناك فارزة بعد السجع والتصريع والتجنيس ، وفارزة منقوطة بعد الترصيع ، ونقطتان شارحتان بعد لزوم مالايلزم والموازنةثم عودة الى الفارزة !!.

اما الملاحظة البعيدة الأثر والمدى فعن الخداع الذي يسببه توالي المصطلحات الثمانية ، وهي ثمانية — فعلا — لدى التوالى ، وكان المؤلف نفسه قد أعلن أن الأنواع ثمانية هي :

فهل هذه المتواليات الثماني هي الانواع الثمانية المطلوبة ؟

الجواب : لا

وبيان ذلك يقتضي متابعة واعية لانواع الالفاظ المركبة منذ البداية (ص٢٧٠ —) حتى النهاية (ص٤١٤).

النوع الاول :السجع

وحده...وننتهي من السجع بانتهاء ص٣٣٧ ونفتح صفحة جديدة٣٣٧ متوالية مع الصفحات السابقات ، ومن غير اعلان عن «نوع» «جديد» : «واعلم ان التصريع في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثور ، وفائدته في الشعر...» ويمضي يتحدث عن التصريع بهذا المعنى حتى ينتهي منه بالسطر الثاني من ص٣٤٢. واقل مايعنى ذلك ان التصريع كالسجع وهما شي «واحد» يأتي الاول في النثر ويختص الثاني بالشعر. ويعني ان

المؤلف يتحدث عنهما ضمن نوع واحد من الانواع الثمانية للالفاظ المركبة وهكذا يبطل الشكل الذي اورد عليه المحققان توالي الانواع الثمانية اذ قالا:

السجع ...

والتصريع ...

والتجنيس...

ودليل آخر انك تجد بعد السطرين الأولين من ص ٣٤٢ اللذين يختمان الكلام على التصريع:

النوع الثاني

في التجنيس

ولو قبلنا – فرضاً – التصريع نوعا ثانيا مستقلا عن النوع الاول لكان الذي يليه: النوع الثالث، في التجنيس، وهو مما لم يقع وعليه نعود الى متواليات الانواع على (١/٢٧٠ – ٢٧١) فنجعلها هكذا:

السجع: ويختص بالكلام المنثور، والتصريع ويختص بالكلام المنظوم، وهو داخل في باب السجع، لانه في الكلام المنظوم كالسجع في الكلام المنثور.

والتجنيس : وهو يعم القسمين جميعا

والترصيع :....

ولزوم مالايلزم:...

الموازنة:....

واختلاف صيغ الالفاظ:....

وتكرير الحروف...

وتجد هنا مشكلة «عويصة» لان الثمانية تصير «سبعة» ونحار حينئذ – ولانحار – في البحث عن النوع الثامن...ونمضي في البحث.

١ – السجع (ومنه التصريع) ٢ – التجنيس ٣ – الترصيع ٤ – لزوم مالايلزم ٥ – الموازنة ٦ – اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها حتى اذا انتهينا

منه ص ٣٩٥ رأينا — بصريح العبارة — على رأس ص ٣٩٦ وبخط واضح:
النوع السابع: في المعاظلة اللفظية نتهي منه ص ٤٠٩ لنقرأ بخط واضح:
النوع الثامن في المنافرة بين الالفاظ في السبك ونكون قد وجدنا ضالتنا
واصلحنا خطأنا ونعود الى (١/٢٧٠ — ٢٧١).

لنصحح الخطأ ونوالي الانواع الثمانية بعد حذف التصريع «عن ان
يكون نوعاً مستقلاً لدخوله في النوع الاول(السجع وزيادة» «المعاظلة اللفظية»
التي هي نوع مستقل، يكون النوع السابع لدى الدقة والتحقيق:
«اعلم ان صناعة تأليف الكلام تنقسم الى ثمانية انواع هي:
السجع...والتصريع...داخل في باب السجع ...
والتجنيس...
والترصيع...
والموازنــة....
واختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها
والمعاظلة اللفظية..
والمناظرة بين الالفاظ في السبك
ونكون بذلك قد اصلحنا خطأين هما إخراج التصريع وإرجاعه الى السجع
ثم ادخال المعاظلة نوعا مستقلا كان قد ضاع في التسلسل وأصلحنا — كذلك
— خطأ ثالثا وكأنه أصلح نفسه، واننا ندركه عندما نعود الى «الأنــواع»
الواردة على ص ٢٧٠ — ٢٧١ ونرى في آخرها:

تكرير الحروف حتى اذا سرنا في تتبع الحديث المفصل عن الانواع
رأينا المؤلف يقول (ص ٤٠٩) « النوع الثامن في المنافرة بين الألفاظ في السبك»
فيكون «تكرير الحروف» قد ورد خطأ أو أن المؤلف في أبعد الأحوال — قد
اضرب عنه.

وقد يكون مناسبا ان نرجع الى كتاب آخر لابن الاثير هو«الجامع
الكبير» — يبدو أنه ألّفه قبل المثل السائر — فنجده يتحدث «في الصناعة

اللفظيـــة ص٢٥١ ـ ٢٧٤)» ويذكر لها سبعة انواع : الاول في السجع والازدواج وغيه التصريع، الثاني التجنيس، الثالث الترصيع، الرابع لزوم مالايلزم، الخامس الموازنة، السادس: في اختلاف صيغ الالفاظ، السابع في تكرير الحروف ...

ولنلاحظ أخيراً أن هذا الذي وقع للمحققين هنا، وقع للشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد (ينظر ١٩٢/١ ـ)، وللطبعة البهية (ص ٧٤) . وفي هذا مايمكن أن يدل على نقص في المخطوطات المعتمد عليها. ولابد من حذر شديد لدى تحقيق الكتاب ولدى النقل عنه (٣٢).

٣٠ ـ ووقع في «فهرس الكتاب ـ القسم الاول» الذى عمله المحققان تغيير قليل ماكان ليقع فقد ورد (ص٤٢١): «حل آيات القرآن الكريم ـ ١٧٠» ولو رجعنا الى ص ١٧٠ لوجدنا ابن الاثير يقول :«حل آيات القرآن العزيز والواجب ان نحتفظ باستعمال المؤلف : «العزيز» .

(٤)

القسم الثاني (الجزء الثاني)

المقالة الثانية في الصناعة المعنوية

١ - كتب على صفحة الغلاف الداخلي «الطبعة الاولى ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م - جميع الحقوق محفوظة للمحققين»

أ - وهذه امور كان يجب ان تكتب على القسم الاول (الجزء الاول)

ب - معلوم أن هذه الطبعة، طبعة مطبعة نهضة مصر ليست الطبعة الاولى للمثل السائر ولكنها الطبعة الاولى في مطبعة نهضة مصر بتحقيق دكتور أحمد الحوفي ودكتور بدوى طبانة...

جـ - كون الحقوق محفوظة للمحققين، يحملهما من المسؤولية اكثر مما لو كانت الحقوق محفوظة لدار النشر...

٢ - «ومحال أن تحصر جزيئات المعاني، ومايتفرع عليها من التفريعات التي لانهاية لها» (٣/٢)

كذا وردت« عليها» وهي كذلك في ط. محمد محيي الدين والبهية وقد يكون مناسبا ان يشار الى ان «عليها» يمكن ان تكون «عنها».

٣ - «... كان له طبعا وخليقة والله فطره عليه...» (٣/٢) كذا وردت (خليقة) وهي كذلك في ط. محمد محيي الدين و(البهية) وقد يكون مناسباً أن يشار إلى أن «خليقة» يمكن ان تكون «خلقة»

٤ - «...وهي كما يقال: «فقاقع ليس لها طائل»، كأنها شعر الابيوردى» (٦/٢) ووضعا على «الابيوردى» رقم (١) للاحالة على الهامش، وكتب في الهامش» هو أبو المظفر محمد بن ابي العباس أحمد الابيوردى يتصل نسبة بأبي سفيان من بني امية...قسم اشعاره الى أقسام، سماها العراقيات والوجديات والنجديات وغيرها، والعراقيات اكثرها في مدح المقتدر، والمستظهر ووزرائهما. توفى سنة ٥٥٧، و«أبيورد» المنسوب اليها بليدة بخراسان»

أ ــ واقل مايعني شرحهما عن الابيوردى وانه شاعر، ان ينتبها الى شكل كتابة نص ابن الاثير. لان الكلام الوارد بعد «كما يقال» بيت من الشعر قيل في هجاء الابيوردي بشعره يكتب هكذا:

فقــاقــع ليــس لــهــا طــائــل

كأنــهــا شعــــر الابيــــوردى

ب ــ وليلاحظ ان البيت جاء نثرا كتبت فيه «فقاقع» على «تقاقع» في ط البهية (١٣٠)، وانه جاء نثرا في ط. محمد محيي‌الدين بعد كتابة «فقاقع» صحيحة (٣١٢/٢)

جـ ــ صحيح المقتدر: المقتدى لان المقتدر وهو جعفر بن المعتضد بن المتوكل توفى (قتل) سنة ٣٢٠ أى قبل وفاة الشاعر بنحو من قرنين: على حين توفى المقتدى (وهو ابو القاسم عبدالله بن محمد بن القائم) في محرم ٤٨٧ بعد خلافة دامت اكثر من (١٩) سنة.

د ــ توفى الابيوردى سنة ٥٠٧ ومن الخطأ (الحديث) ماذكره المحققان ــ ينظر ابن خلكان ط. إحسان عباس: محمد بن أحمد...، والشعر العربي لكاتب البحث ١١٧/١.

ه ــ ان المعاني...على ضربين: احدهما يبتدعه مؤلف الكلام من غير ان يقتدى بمن سبقه...ولنشر في هذا الموضع الى نبذة لتكون مثالا للمتوشح لهذا الصناعة ...» (٧/٢)

صحيح «المتوشح»: المترشح. والدلالة واضحة، وابن الاثير يؤلف لمن يرشح نفسه لان يكون كاتبا (او شاعرا)

وسبق ان وردت صحيحة على «المترشح» وانها وردت على المترشح في كتابه «الجامع الكبير» (ص٢٦ ــ مثلا).

ولكن المحققين لم يتوقفا ليربطا بين الشكلين ويصلا الى المعنى المطلوب ومن ثم الشكل اللازم.

وسيتكرر الخطأ (١٨٤/٢)

ويلاحظ أن «المترشح »جاءت خطأ على «المتوشح» من ط. محمد محيي‌الدين (٣١٢/١ — وكل مكان آخر من الكتاب) وط. البهية (١٢١ — وكل مكان آخر)

٦ — «سيف الدولة بن حمدان» (١٠/٢)

ووضع المحققان رقما للاحالة وعرفا في الهامش معرفا ، ولاسيما لقارىء «المثل السائر»... وزادا أن ثبّتا في التعريف الذي يفترض فيه الايجاز التام والاكتفاء بالمقرر اللازم للمعرف به.. بأن قالا: «كان سيف الدولة... شاعراً»

فلم هذه «الشاعر» في تعريف سيف الدولة؟ الابيات محدودة كان يقولها مشاركة «وتفكها» ذكرها له الثعالبي في يتيمة الدهر (٣١/١ — ٣٤) في تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد

٧ — من قصيدة للمتنبي في مدح سيف الدولة (١١/٢)

تضيق بشخصك أرجاؤها

ويركض في الواحد الجحفل ......

وشعر المتنبي مشروح لايلزم محقق كتاب «المثل السائر» باثبات الشعر في الحواشي تجنباً للاطالة والاثقال ....

وليكن...ولكن كلمة «الأرجاء» من تضيق بشخصك أرجاؤها مما لايضاع الجهد والمكان والزمان بشرحه . ولكنهما قالا : «الارجاء النواحي» مما زادا القارئ علماً ، لأن الأرجاء هي النواحي . وأرادا أن يزيداه علماً فقالا : الأرجاء جمع رجا ، والتثنية رجوان «فما الموجب إلى ذلك ، هل القارئ في درس لغوي؟ إن المحقق يقف عند ماله صلة مباشرة بالنص ليس غير .

ومضيا في الشرح ... ولكنهما لم يقولا على م يعود الضمير من «ارجاؤها ٣٣

٨ — « ابن حمديس الصّقلي (١٤/٢) بفتح الصاد

في حركة الصاد اختلاف جاء في القاموس المحيط (صقله): «وصقلية بكسرات مشددة اللام جزيرة بالمغرب .

وقال ياقوت: «صقلية بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء، واكثر أهل صقلية يفتحون الصاد واللام (٣٤)». وقال ابن خلكان (حرف العين— عبد الجبار بن محمد..) : «بفتح الصاد والقاف»

٩ — الأعشى «(٥٩/٢)، وفي الهامش: «أعشى قيس هو ميمون...توفي سنة ٦٢٩م»

فمن أين لنا بهذا الجزم في تاريخ الوفاة ميلادياً؟

١٠ — «هاهنا» (٦٠/٢) تتردد من كلام ابن الاثير ، يرسمها المحققان هكذا (هاهنا)، (١٩٣/٢ ، ٢٦٨ ، ٢٨١ ، ٣٩١)

ويرسمها محمد محيي الدين «ههنا»، وهي كذلك في ط. البهية . ولا بد من ان تكون في المخطوطة كذلك «ههنا» وان المحققين تصرفا وتصرفهما ليس خطأ ، ولكن به حاجة إلى تنبيه من المقدمة .

١١ — قول الشريف الرضي (١٠٩/٢) :

اذا انت افنيت العرانين والذرا
رمتك الليالي من يد الخامل الغمر

... فالعرانين والذرا هما عظماء الناس ...» — واحال المحققان الى ديوان الشريف ٤٠٧/١

والذرا — هنا بالالف كما جاء في مختار الصحاح «وذرا الشيُ بالضم اعاليه الواحدة ذروة بكسر الذال وضمها)

وقد وردت في ط. البهية «الذرى» — غير مشكولة بالطبع .ووردت في ط. محمد محيي الدين «الذرى» — بضم الذال ، والألف المقصورة مع

الإحالة — كما لدى المحققين — الى الديوان ٤٠٧/١

ولابد من أن يكون شكل البهية ومحمد محيي الدين مما جاء في المخطوطة او ماهو اقرب اليه وانه أولى ان يعتمد عليه مالم ينص المحققان على التغيير الذى اجرباه هذا الى انها في القاموس المحيط كذلك «الذرى»

ونرجع الى الديوان فنجد البيت من (٤٠٨/١) —(بيروت .ط. الادبية ١٣٠٧)

اذا انت افنيت العرانين والذرى ....

فهي تكتب —إذاً — الذرى كذلك.

١٢ — «ولد ابو الحسن علي بن العباس الرومي ببغداد ، وعاش فيها متأثراً بمزاجه البوناني ... توفي سنة ٢٨٣هـ » (هـ/١٢٥/٢) قد تكون بالقارئ الحديث حاجة الى التنبيه بأن «الرومي» تعني اليوناني (٣٥)

١٣ — قال الزبير بن العوام في غزوة بدر — : لقيت عبيدة بن سعيدبن العاص وهو على فرس ، وعليه لأمة كاملة لايرى منه الاعيناه ، وهو يقول : «أنا أبو ذات الكئوس ، وفي يدى عنزة فاطعن بها في عينه ،فوقع واطأ برجلي على خده ، حتى خرجت العنزة متعقفة»

«... الاترى انه قال اولا : «لقيت عبيدة» بلفظ الماضي ، ثم قال بعد ذلك فأطعن بها في عينه» ولو عطف كلامه على اوله لقال : «فطعنت بها في عينه ؟ »

وشرحها في الحاشية : «اللأمة» ، وقد تُخفف الدرع ، او السلاح، اواداة الحرب (العنزة) — بفتحتين — مثل نصف الرمح أو اكبر ،وفيها سنان كسنان الرمح . متعقفة : ملوية » (١٨٦/٢)

ضبطا «أطعن» بفتح العين على حين أنها تضم وتفتح . وقد يكون الضم أولى.

جاء في لسان العرب «... قال الليث : والعين من يطعن مضمومة وبعضهم يقول يطعن — بضم العين — بالرمح ، ويطعن — بفتح العين —

بالقول ففرق بينهما ، ثم قال الليث : وكلاهما يطعن – بضم العين – وقال الكسائي : لم اسمع احداً من العرب يقول يطعن بفتح العين – بالرمح ولا في الحسب وانما سمعت يطعن – بضم العين – وقال الفراء : سمعت انا يطعن – بفتح العين – بالرمح ...»

وفي مختار الصحاح: «طعنه بالرمح وطعن في السن وكلاهما من باب نصر وطعن فيه أي قدح من باب نصر ... والفراء يجيز فتح العين من يطعن في الكل ...»

١٤ – ورد أكثر من خطأ مطبعي ، يمكن أن أُشير منه إلى ذيل (٨/٢): ذيل و «ان قيل في هذا : الموضع» : ان قيل في هذا الموضع (١٩١/٢)

١٥ – «واما الصفتان الواردتان على شيءٍ واحد فكقول الأشتر النخعي:

بقيت وفرى وانحرفت على العلا ولقيت أضيافي بوجه عبوس

.... «(٢١٢/٢)»

الصحيح وانحرفت عن ...»

وقد ورد الخطأ (وانحرفت على...) في ط. البهية

وورد الصواب لدى محمد محيي الدين (٣٤/٢) وقال هو من شعراء الحماسة وانظر شرح التبريزي ١ – ١٤٣... ووقع من ب ، ج «حلقت وفدى... وهو تصحيف شنيع والذي في ديوان الحماسة: بقّيت وفرى وانحرفت عن العلى...»

وليلاحظ ان محمد محيي الدين أثبت في مطلع المقطوعة من الأصل: «خلّفت وفدى...» يريد ان يقول ان هذا الرسم ورد في المخطوطات.

يؤيده أن ط. البهية ثبتت : «حلقت وفرى...» أما المحققان فقد ثبتا «بقيت وفرى» وأشارا في الحاشية إلى الرسم من الاصل «حلقت وفرى» وكان المناسب أن يقولا أن التصحيح على شيح الحماسة .

١٦ ـ «الباب الخامس عشر من الإيجاز » (٢/٢٦٥)

من الخطأ كتابة كلمة «الباب» هنا لأن ابن الأثير لم يستعمل «الباب» في تفريعات المثل السائر ، ولأنه ـ هنا ـ يفرع الصناعة المعنوية إلى ثلاثين نوعاً ، رأينا أربعة عشر منها مسبوقة بكلمة «النوع» وسنرى خمسة عشر منها مسبوقة ـ كذلك ـ بكلمة «النوع» وعلى هذا يكون صحيح ماجاء على (٢/٢٦٥) : النوع الخامس عشر في الايجاز .

وقد ورد نوعاً كذلك لدى محمد محيي‌الدين (٢/٧١) وفي ط. البهية (١٩١)

بل ورد لدى المحققين أنفسهما في فهرس «محتويات القسم الثاني هذا (٢/٤٠٩)

١٧ ـ قول الشاعر :

فقد جئنا خراسانا » (٢/٣١٨)

وفي الحاشية: «جزء من بيت، وهو بتمامه:

قالوا: خراسان اقصى مايراد بنا

ثم القفول فقد جئنا خراسانا»

حسنا فعل المحققان اذ أوردا البيت تاما. ومن منهجهما أن ينسبا الشعر الى صاحبه وأن يعرفا بالشاعر. وهنا نقول ـ مالم يقولا ـ ان البيت من مقطوعة للعباس بن الأحنف (٣٦

ومما يلاحظ ان حاشية محد محيي الدين (٢/١٠٥) هي :

«يشير الى قول الشاعر:

قالوا خراسان اقصى مايزاد بنا

ثم القفول فقد جئنا خراسانا»

اى انه كان اسبق منهما في اتمام البيت وروايته بشطريه وانلم يذكر اسم الشاعر

١٨ – تقليد أنشاته لمنصب الحسبة...أما بعد...ف... من أهم مانقرر بناءه ، ونقدم عناءه، ونصلح به الزمن وأبناءه، أن نمضي أحكام الشريعة المطهرة على ماقررته من تعريف ماعرفته، وتنكير مانكرته ، ومدار ذلك على النظر في أمر الحسبة التي تتنزل منه بمنزلة السلك من العقد والكف من الزند. وقد اخلصنا النية في ارتياد من يقوم فيها ويكفيها، ويصطفي لها ولايصطفيها، وهو انت ايها الشيخ الاجل «فلان» (...)

ونحن نأمرك ان تتصفح احوال الناس في امر دينهم الذي هو عصمة لهم، وامر معاشهم الذي يتميز به حرامهم من حلالهم، فابدأ اولا بالعقائد ..» وعاقب المخالف من فلاسفة وغيرهم من اصحاب المقالات المخالفة لسبيل الفرقة الناجية...

«واذا فرغنا من الوصية بالاصول التي هي للدين ملاك فلنتبعها بالفروع التي هي له مسافة : واول ذلك الصلاة...

وهاهنا عظيمة عضيهة ، وفاحشة يفقه لها من ليست نفسه بفقيهة، وهي الربا ، فانه قد كثر اكله ، وتظاهر به فاعله ، وقال فساق الفقهاء بتأويله وتوصلوا الى شبهة تحليله (...) فعدل ميل هؤلاء تعديلات (...) واعلم انك قد وليت من الكيل والميزان امرين هلكت منهما الامم السالفة. فباشرهما بيدك مباشرة الاختيار والاختبار (...) واما التسعير ... وقد استمر في الناس عوائد ... من ذلك لبس الذهب والحرير ... ويلتحق بهذه المعصية صوغ الذهب والفضة آنية يمنع منها حق الصدقات ، وهو حق يقاتل مانعه ، ويعصى في استعمالها امر الله ... وكذلك يجرى الحكم من الصور المرقومة في البيوت والثياب ، وعلى الستور المعلقة على الابواب، واخراجها في ضروب أشكال الحيوان ، لملاعبة الصبيان ، وذلك مماثلة لخلق الله في التقدير ، ولهذا يؤمر صانعه بنفخ الروح فيما صوره من التصوير .

ومما يغلظ نكيره اطالة الذيول للاجترار ، والمباهاة لما فيها من عنجهية التيه والاستكبار ...

ومما هو اشد نكيرا امر الحمامات ، فان الناس قد اصروا بها على الاجهار وترك الاستتار ... والنساء في هذا المقام اشد تهالكا من الرجال....

ومما حيد فيه عن السنن قراءة القرآن بضروب الالحان ... ويلتحق بذلك اقتناء الفتيات المغنيات ... وكذلك يجرى الحكم في المواشط اللائي يجعلن الحسن موفورا ، والقبح مستورا ... ومن غش المنكرات خضاب الشيب ... ومما خولفت فيه السنة عقد مجالس التعازى لحضور الناس واظهار شعار الاسود والازرق من اللباس ...

ويتصل بهذه المنكرات المذكورة اشياء اخرى تجرى مجراها ... فاحكم فيها بحكمك ... حتى يتقوم الاود

واعلم ان الامر بالمعروف عبادة يتعدى نفع صاحبها الى غيره ... وهذا اخر ماعهدناه اليك من العهد الذي طوقت اليوم بكتابه ، وسنناقش غدا على حسابه »

اطلنا النقل من هذا الكتاب لطوله في الاصل (٣٩٩/٣٨٥/٢)ولأهميته في بابه وليشرح كلمة «الحسبة» التي لم يشرحها المحققان هنا وشرحاها خطأ من القسم الأول (الجزء الأول) (٤٤/١) — ينظر ١٤من الفقرة رقم ٣ من هذا البحث في أعلاه

القسم الثالث (الجزء الثالث) أوله النوع السابع عشر في التكرار

١. «قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرير الحروف ،وما (اشبه) ذلك مما يختلط بهذا النوع الذي هو «تكرير المعاني والالفاظ ...» ... «واما التكرير ... ان المفيد من التكرير ... اذا كان التكرير ... التكرير ... التكرير... التكرير (٣/٣ ــ ٤٠)

أ ــ نلاحظ في العنوان «التكرار» ونلاحظ في سياق الكلام «التكرير»، والمفروض التوحيد ... فاما ان يكون العنوان التكرير والسياق التكرير ،. واما ان يكون العنوان «التكرار» » والسياق «التكرار». والمناسب ان يكون السياق هو الحكم.

نرجع إلى ط. محمد محيي الدين (١٥٧/٢ ــ) فنجد العكس مما لدى المحققين «النوع السابع عشر من التكرير قد تقدم الكلام من صدر كتابي هذا على تكرار الحروف وما (اشبه) ذلك مما يختلط بهذا النوع الذي هو تكرار المعاني .. »

ولاتحل ط. الشيخ محيي الدين الاشكال، وان كانت اميل إلى «التكرير» منها إلى «التكرار» بدليل العنوان، وبدليل مايأتي من السياق بعد السطرين الاولين، لانه سيعود إلى «التكرار» و«التكرير» ونجد التكرير والتكرار في ط. البهية (٢٢٨) :

«النوع السابع عشر في التكرير، .قد تقدم الكلام في صدر كتابيهذا على تكرار الحروف ... تكرار ... التكرير ... التكرير ...»

ومما في ط. محمد محيي الدين يطابق مافي ط. البهية والزيادة في عدد ورود كلمة «تكرير» ترجحها.

وكنا نأمل ان نجد في احدى الطبعات ماينبه إلى ورود هذا الاختلاف من استعمال كلمة واحدة لدى مؤلف واحد.

وصحيح ان المعجم يورد الاستعمالين (تكرير وتكرار) بمعنى، ولكننا نريد النص كما تركه صاحبه، ونسائل المحققين عن الاختلافات كما وردت في المخطوطات. وننتهي — هنا، مؤقتا — بقبول ط. البهية لانها اكثر «فطرية» ثم ط. محمد محيي الدين لأنها تطابقها ولأن لديه مخطوطات. وننتهي كذلك — ولو مؤقتا — إلى ان العنوان الأصلي هو: النوع السابع عشر من التكرير يليه التكرار والتكرار ... والتكرير والتكرير والتكرار مرارا...

واستعمال المؤلف لكلمة « التكرير» ليس بعيداً عنا فقد رأيناه في النوع السادس عشر في الإطناب« (٣٥٤/٢ —) حيث ورد فيه :» وأما التكرير فأنه دلالة اللفظ على المعنى مرددا ، كقولك لمن تستدعيه : أسرع أسرع ، وسيرد بيان ذلك مفصلا في بابه بعد باب الاطناب لاني ذكرت الايجاز ثم الاطناب ثم التكرير ، وهي ابواب يتبع بعضها بعضاً (٣٥٨/٢) ومثله في ط. الشيخ محيي الدين (١٢٩/٢) والبهية (٢١٤).

وفي هذا دليل اخر على ان عنوان النوع السابع عشر هو التكرير ويمكن ان يدل على ان « التكرير» هو مراد المؤلف .

ب — ونعود الى السطرين المنقولين س (٣/٣) فنرى كلمة (اشبه) بين معقوفتين دلالة على ان الكلمة مما زاده المحققان ليستقيم النص ولكننا اذا رجعنا الى ط. محمد محيي الدين وجدناه قد سبقهما الى هذا (١٥٧/٢). فهل هذا من توارد الخواطر ؟

— ترى اكانت ضرورة تحتم هذه الزيادة ؟ ا

— لا

ونرجع الى نص . ط البهية — وهي على فطرتها ، فنقرأ : « النوع السابع عشر من التكرير . قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف وماذلك مما يختلط بهذا النوع الذي هو تكرار المعاني والالفاظ (٢٢٨)

واضح أن لامجال لكلمة (أشبه) لأن كلام المؤلف متسق ، فما كان ذلك « النوع » من التكرار ، تكرار الحروف « مما يختلط بهذا النوع الذي هو تكرار المعاني والألفاظ » .

لامجال لزيادة كلمة اشبه ، واذا زدنا وقعنا في حاجة جديدة هي البحث عما تدل عليه ، ولايؤدي البحث الى نتيجة ، وكان من الممكن أن توضع فارزة (او فارزة منقوطة ؛) بعد كلمة «الحروف»

جـ- يقول المؤلف (٣/٣) : « ... قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف ... الـخ»

وكان الجدير بالمحققين ان يحيلا على الكلام المتقدم ليتم للقراء الربط وليؤكدا منهجا سارا عليه في الاحالة (ننظر ٣/٣ مثلا) هذا الى مايمكن ان نجد مما يتعلق بقضية : التكرير والتكرار ...

ومن يدري فلعلهما بحثا ما استطاعا البحث دون جدوى ، ان كلمة « في صدر كتابي هذا » مضللة لان المألوف من « الصدر » ان يأتي في اول الكتاب ، في مقدمته مثلا او في المقالة الاولى في الاقل ... ولكن شيئا من هذا لم يقع وانك لاترى صدر الكتاب المقصود الا عندما تقترب من نهاية المقالة الاولى اي من النوع السابع من القسم الثاني (في الالفاظ المركبة) منها فهو يتحدث في النوع السابع اي في المعاظلة اللفظية ويقول (١/٢٩٦) : « والمعاظلة معاظلتان : لفظية ومعنوية . اما المعنوية فسيأتي ذكرها في باب (التقديم والتأخير) من المقالة الثانية ، فليؤخذ هناك . واما المعاظلة اللفظية « فتقسم الى خمسة اقسام ... » القسم الثاني من المعاظلة اللفظية يختص بتكرير الحروف ، وليس ذلك مما يتعلق بتكرير الالفاظ ولابتكرار المعاني -مما يأتي ذكره في باب التكرير في المقالة الثانية وانما هو تكرير حرف واحد او حرفين من كل لفظة من الفاظ الكلام ... تكرير ...» (١/٤١٠ - ٤٠٤)

واضح من هذا أن المؤلف يتبنى استعمال «تكرير» لا «تكرار» وان الاستعمال المقرر سلفا للنوع السابع عشر هو «التكرير »

والتكرير ... والتكرير ... التي وردت هنا ، وردت في ط . محمد محيي الدين ٢٩٦/١، الميمنزة ١١٥

يرد في مؤلفاته الأخرى فنرجع الى الجامع الكبير فلا نجد غير «التكرير» من النوع التاسع عشر من الباب الاول من الفن الاول من القطب الثاني (٢٠٤ ــ ٢١١) ونجده عنوانا للنوع السابع من الباب الأول ... (٢٧٣ ــ)

٢. «ووقفت من كتاب العقد على حكاية تعريضية حسنة الموقع ، هي ان امرأة وقفت على قيس بن عبادة فقالت : « أشكو إليك قلة الفأرفي بيتي» فقال : ماأحسن ماورّت عن حاجتها ، املأوا بيتها خبزا وسمنا ولحما» (٧٣/٣ ــ ٧٤) .

قال المحققان في الحاشية شرحا للعقد : « العقد الفريد لابن عبد ربه» وهو شرح في محله وفي غير محله : في غير محله لان العقد مشهور معروف وكان يكفي لزيادة الدلالة ، وكما يقتضي علم التحقيق عادة ، أن يوضع في المتن بين اهلة هكذا : «العقد» ليعلم من لم يعلم أنه عقد معين ، عقد معروف .. ، وهو في محله لضرورة من ضرورات التحقيق تقتضي التأكد من النسبة ومقابلة النص ، وهذا مالم يفعله المحققان ولم يدلا القارىء على مكان الخبر من الكتاب في جزئه وصفحته (٢٧) .

٣ــ « ومن أحسن ماسمعته في هذا الباب هو قول ابي العلاء بن سليمان ..» (٧٨/٣)

قال المحققان في الحاشية : « يريد الشاعر الفيلسوف أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري ... »

ويدخل قولهما في تحصيل الحاصل لأن ابا العلاء أشهر من أن يعرف ثم إنه لامعنى لدى التعريف التحقيقي لكلمة « الفيلسوف»

٤ ـ وماأشياء نشـــريها بـــمـــال
فان نفِقت فأكسد ماتكـون (٨٢/٣)

وردت نفقت بكسر الفاء والصحيح فتحها ، وكذا فعل محمد محيي الدين (٢٢١/٢). وجاء في مختار الصحاح : نفقت الدابة (بفتح الفاء) ماتت .... ونفق البيع (بفتح الفاء أيضا) ... راج « ومثله في القاموس المحيط وزاد» وكفرح ونصر نفد وفني، أوقل « والكسر في هذه الحالة لايحقق السبب الذي جيء من أجله بالبيت وهو المغالطة» .

٥ ـ « وهي أشهر كما يقال من « قفا نبك» فلا حاجة الى ايرادها في كتابي هذا» (٩١/٣)

وقال المحققان في الحاشية شرحا « للمشروح» : « مشهورة كقصيدة امريءُ القيس التي مطلعها « قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل» وهذا هامش لاموجب له البتة ـ لم يفعله حتى الشيخ محمد محيي الدين (٢٣٠/٢).
٦ ـ « وأدق من هذا كله وألطف مايحكي من رجل من المناقذة أصحاب شيرز وهو أولهم الذي استنفذه من أيدي الروم بالمكر والخديعة ...» (٩٢/٣)

أ ـ صحيح شيرز : شيزر وقد وردت خطأ لدى محمد محيي الدين (٢٣٢/٢) كذلك « وشيزر ـ بفتح الشين ... وسكون الياء ... وبعدها زاي مفتوحة ثم راء قلعة بالقرب من حماه »

ب ـ استنفذه بالفاء صحيحها استنقذه بالقاف

ج ـ قد تكون / المناقذة» أجدر بالشرح من كثير مما شرح المحققان من أعلام . والمناقذة هم أبناء « منقذ الكناني الكلبي» « أصحاب قلعة شيزر (بقرب حماه) ، « وعلي بن مقلد بن نصر بن منقذ» هو صاحب قلعة شيزر (٢٨) .

٧ ـ « المتوشح» (١٢١/٣) : المترشح . وقد تكرر التنبيه الى الخطأ فيها

٨ — « ومما استظرف من هذا النوع من الشعر ...

الى أن بدا ضوء الصباح كأنه

سنا وجه قرواش وضوء جبينه

... هذا الممدوح ، وهو شرف الدولة قرواش ملك العرب ، وكان صاحب الموصل ..» (١٣٥/٣)

أ — جاء التعريف بقرواش على شيء من الغموض والإيجاز . وقرواش اولى بالتعريف من كثيرين مشهورين جدا غيره

ب — ضبط المحققان حرف الجيم من جبينه وهو مما لا يخطىء فيه قارىء . ولم يضبطا القاف من قرواش وضبطها ضرورة تحقيقية .

ضبط الشيخ محمد محيي الدين القاف هذه بالكسر : قرواش (٢/ ٢٧١) وهو الصحيح قال ابن خلكان» وقرواش بكسر القاف وسكون الراء وفتح الواو وبعد الألف شين معجمة (٢٩) .

٩ — «قيس بن ذريح» (١٣٨/٣)

ضبطاه بالذال المضمومة والذي أعرفه أنه بفتح الذال ، وهكذا قرأته في «أغاني» دار الكتب المصرية . وفي « القاموس» ذُريح كزبير الحميري محدث وكأمير جماعة» ويفهم من هذا ان الشاعر (قيس بن ذريح) في الجماعة .

١٠ — «الشاعر المعروف بالخباز البلدي» (١٤٠/٣) وفي الحاشية «من بلدة يقال لها بلد من بلاد الجزايرة التي فيها الموصل= اسمه ابو بكر محمد بن احمد بن حمدان (يتيمة الدهر ٢٠٨/٢) .»

كان المناسب ان يضعا «بلد» بين أهلة . والجزايرة خطأ مطبعي صحيحه الجزيرة

١١ — «قول السلامي :

اليك طوى عرض الجزيرة جاعلٌ

قصارى المطايا أن يلوح له القصر »

(١٨٨/٣)

أ – عرف المحققان بالسلامي فقالا : «من أشهر شعراء العراق . ولد بكرخ بغداد ٣٣٦هـ ينتسب إلى بني مخزوم (يتيمة الدهر ٣٩٥/٢)»

وواضح أن التعريف قاصر ، ولامعنى – لدى التعريف – بقولنا «من اشهر شعراء العراق» وان كان الثعالبي قد قالها في يتيمته ، وزاد «قولا بالاطلاق ، وشهادة الاستحقاق» فذلك منسجم وعقليته او عصره . هذا إلى انه ليس اشهر من الشريف الرضي أو مهيار ...

ثم إن الثعالبي مضى في التعريف به فلماذا لم يتابعه المحققان حتى يصلا تاريخ وفاته في سنة ٣٩٤ .

ولنلاحظ أن الثعالبي ذكر لنا اسمه الكامل : «ابو الحسن محمد بن عبدالله السلامي» وكان لائقاً بالمحققين – وهما يعرّفان بالشاعر – أن يثبتا ذلك لاهميته في الدلالة على مصادره الاخرى وكمال التعريف به . ومن مصادره كتاب ابن خلكان – حرف الميم محمد ...

١٢ – يرد خطأ مطبعي غير قليل . لم نحفل بالنص عليه . ومن ذلك «صرير» (١٩٦/٣) وصحيحاً «ضرير» ، تعزل (٢٧٥/٣) : تغزل ، وعاد (٢٧٥/٣) : وعاو

١٣ – ابو نواس ... » ...

فما زلت ارقيه والثم خده

إلى ان تغنى راضيا وبه سكر

الا فاسلمي يادار مي على البلى

ولازال منهلاً بجرعائك القطر»(٢٠٤/٣)

أ – وردت الثم بكسر الثاء والصواب فتحها لانه من باب – فهم – وورد الخطأ نفسه لدى الشيخ محمد محيي الدين (٣٤٦/٢)

ب – موضوع المؤلف هو «النوع السابع والعشرون : في التضمين» وابو نواس – هنا – يضمن البيت الاخير . وتقتضي قواعد التحقيق الحديثة

ان توضع نقطتان (:) بعد كلمة سكر تنبيهاً إلى ان الذي يليها مضمن ، وتقتضي كذلك وضع البيت المضمن بين اهلة توضيحاً له وابرازاً ودفعاً للالتباس

جـ ـ لم ينبه المحققان القارىء إلى صاحب البيت المضمن ، وهو ذو الرمة وقد تنبه اليه قبلهما الشيخ محمد محيي الدين فقال : «هذا البيت مطلع قصيدة لذي الرمة غيلان بن عقبة» .

د ـ والبيت المضمن مما يعرفه النحويون جيداً ، وهو لديهم ـ كما هو هكذا :

الا ياسلمي ...

وكان المفروض بالمحققين ان يتذكرا ذلك وينبها القارىء إلى الوجه فيه. ولكنهما لم يفعلا . وقد تابعا في ذلك المطبوعات الرديئة مثل طبعة المطبعة البهية (ص٢٩٥) وكان المناسب ان يفيدا من ط . محمد محيي الدين فقد ورد الشاهد لديه (٣٤٦/٢) هكذا

«الاياسلمي ...» وقال في الحاشية : «وفي أ ، ب، ج» الافأسلمي «.» وأن يفيدا من ديوان ذي الرمة وهو محقق تحقيقاً جيداً ، ومطبوع .

الخلاصة ان البيتين فيما يحسن ـ ويجب ان يردا في المتن هكذا:

...فما زلت ارقيه والشم خده
إلى ان تغنى راضيا وبه سكر:
«الا ياسلمى يادار مي على البلى
ولازال منهلا بجرعائك القطر»

١٤ ـ «النوع الثامن والعشرون : الإرصاد ... ومن الافتخار بذلك يقول، ابن نباتة السعدي :

خـــذها إذا أنشـــدت في القـــوم من طـّربٍ

صـــدورهـــا عـــرفت منـــها قـــوافيــها

ينســى لـــهـــا الـــراكب العجـــلان حـــاجته

ويصبـــح الحـــاســـد الغـــضـــبـــان يطريها»

(٢٠٦/٣) وضعا رقما على «يطريها» وقالا في الخاشية «يتيمة الدهر ٣٧٩/٢ وكان بالاصل يطويها »

وهكذا نعود مسألة «الاصل» مجددا .فما هو الاصل ؟

إن الشيخ محمد محيي الدين — وقد أقنعنا، على أي حال ،برجوعه إلى الأصول (المخطوطة) رواها «يطريها» على الصحيح ولم يشر إلى خلاف لديه (٣٤٨/٢). ورجعنا إلى مطبوعة رديئة هي «البهية» فوجدنا الخطأ لديها : « يطويها » فهل لمحقق أن يعد مطبوعة رديئة كهذه (أصلاً)؟ ثم إنها قد تكون في هذه المطبوعة الرديئة خطأ مطبعياً

١٥ — يحيل ابن الاثير احيانا على كلام سابق أو لاحق، ويعمل المحققان على أن يعيّنا ذلك الكلام من طبعتهما للقارىء والباحث .والعمل جيد تحقيقي. ولكنهما لايلتزمان به عند مالاتكون الإحالة على عنوان بارز، فتتطلب بحثا وجهدا. ومن هذا الذي فاتهما تحديد الإحالة علية قول المؤلف وهو على أبواب ختام النوع الثامن والعشرين: الارصاد: «وقد تقدم القول في صدر كتابي هذا أنه يجب على صاحب هذه الصناعة أن يتعلق بكل علم وبكل صناعة، ويخوض في كل فن من الفنون ...»

— فأين تقدم القول ؟ وماصدر الكتاب ؟

— تقدم في الفصل الثاني من المقدمة — وصدر الكتاب هنا مقدمته (مقدمة ابن الاثير في المثل السائر) ،وصفحاته الاولى (٤٠/١) قال: «اعلم ان صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة. وقد قيل: ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم ...» الخ

١٦ ـ «واعلم أن علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية فأكثروا، وكنت ألفت فيها كتابا، وقسمته ثلاثة أقسام: نسخا وسلخا ومسخا، وهاهنا قسمان آخران اخللت بذكرهما من الكتاب الذي ألفته ...» (٢٢٢/٣)

لم يحدثنا المحققان عن الحال التي وجدا عليها هذه الأسطر ولاسيما كلمة «فيها» أهي أصيلة فيها ام هي مما أدخلاه تعديلا عليه كأن تكون ـ في الأصل ـ : فيه، وجعلاها فيها ...

وصحيح إن «فيها» تدخل على النص انسجاماً ووضوحاً، ولكنها تنص صراحة على أن لابن الاثير كتاباً خاصاً ألفه بالسرقات. وهو مالم يصل الينا خبر عنه وان كنا نعرف أنه تكلم على السرقات من قبل ولكن ضمن كتاب عام هو «الجامع الكبير» ولو ابقينا «فيه» بدل (فيها) لكان النص على شيء من الاضطراب وقد يعود الضمير حينئذ ـ وبشيء من التكلف ـ إلى البيان ـ او علم البيان ـ وعندئذ يمكن ان تنسجم الاشارة إلى كتاب سابق له وهو «الجامع الكبير» فقد جاء هناك «النوع التاسع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني من القطب الثاني : في الأخذ والسرقة» ورأيناه يجعله قسمين يسمى القسم الاول النسخ، ويقسم القسم الثاني إلى ضربين هما السلخ والمسخ (ص ص٢٤٢ ـ ٢٥٠).

او ان تكون الاشارة إلى كتاب آخر عام من علم البيان لما نصل إلى العلم به (٣٩).

أُريد أن أقول إن المحققين تصرفاً بنص المؤلف (ابن الاثير) في المثل السائر وجعلا «فيه» (فيها) وليس ذلك من حقهما، وكان اللازم ان يخبرا بطبيعة تصرفهما والدواعي اليه والاصول المتبعة. ذلك أننا رأينا «فيها» في مطبوعة البهية (ص٣٠١)، وفي مطبوعة الشيخ محمد محيي الدين (٣٦٧/٢) وقد اقنعنا الشيخ، بوجه وآخر، بأن لديه مخطوطات وأنه افاد من هذه المخطوطات لدى التحقيق (كما أفاد من المطبوعات).

١٧ — «وكنت سافرت إلى الشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون ببيت من شعر ابن الخياط من قصيدة له أولها :

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه » (٢٢٣/٣) . وذكرا في الحاشية تكملة البيت (فقد كاد رياها يطير بلبه) وقال : وهو مطلع قصيدة لطيفة منها:

وايـاكـمـا ذاك الـنـسـيـم فـانـه

متى هب كان الوجد ايسر خطبه ...»

وذكرا ثمانية ابيات وقالا : «والأبيات لأحمد بن محمد بن علي بن صدقة التغلبي المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقي الكاتب المتوفى سنة٤٩٧ (الكامل لابن الاثير ١٩٣/١٢) . »

ومن الملاحظات على هذا ان التعريف بالشاعر مقتضب جداً مع انه أولى بالتفصيل من شعراء معروفين كالمتنبي ... وابي نواس . وان ابن خلكان أولى ان يكون المصدر من ابن الاثير ، وان التاريخ الصحيح الذي لا اختلاف فيه لموت ابن الخياط هو عام ٥١٧ .

هذا إلى ان ديوانه مطبوع مرتين (٤٠)

يذكر المحققان — لدى تعريفهما بابن الخياط مصدرهما : الكامل لابن الأثير ١٩٣/١٢. ونرجع إلى قائمة «مراجع التحقيق في آخر القسم (الجزء) الرابع من تحقيقهما ص٥٥٥: «الكامل في التاريخ .ابن الاثير . إدارة المطبعة المنيرية بمصر ١٢٥٣»

ومعنى هذا أنهما أخذا معلوماتهما عن أبن الخياط «عن ابن الأثير في الكامل ط. المنيرية ،وأن الكامل في هذه الطبعة يبلغ أكثر من (١٢) جزءا، وقد يبلغ (١٤) جزء اوقد يزيد، لأن ماأخذاه منه عن ابن الخياط يقع في الجزء الثاني عشر (عام ٤٩٧) .

وليس هذا صحيحاً، لأن الكامل في هذه الطبعة (المنيرية) لم يبلغ هذا العدد من الأجزاء. وفي علمي أنه دون ذلك بغير قليل...

ولكني لاأملك الوقوف على هذه الطبعة كاملة ...

وفي «فهرس» المكتبة المركزية بجامعة بغداد أنه في عشرة أجزاء، العاشر منها للفهارس

واني على يقين من أن كامل ابن الأثير لم يعرف بابن الخياط.

اننا نجد في «عدة حوادث» عام ٤٩٧: «ابو بكر أحمد بن زكريا...» ونجد «القاضي أبو الحسن أحمد بن محمد ...». والأحمدان هذان غير أحمد ابن الخياط.

اما في «عدة حوادث» عام ٥١٧ وهو العام الحقيقي لوفاة ابن الخياط فلا نجد أية اشارة إلى ابن الخياط. وقد يكون هذا غريباً. ولكنه الذي حدث.

ومعلوم ان طبعة بيروت للكامل (بعد طبعة ليدن) دار صادر دار بيروت قد جاءت في (١٢) جزءا، خصص الأخير (ا١٢) منها للفهارس... ننظر فيه فلا نجد «أحمد ...بن الخياط» !

— من أين جاء المحققان — إذاً — بتعريفهما لابن الخياط منسوباً إلى ابن الأثير؟

— لدى مراجعة سنة ٥١٧ من الجزء الثامن، ص ٣١٤ من كامل ابن الاثير بطبعة الاستقامة (القاهرة). ينتهى كلام ابن الأثير على «عدة حوادث» بدون أية إشارة إلى ابن الخياط.

ويبدو أن المشرف على الطبعة أحس بهذا النقص وأراد أن يعوضه فكتب في ذيل الصفحة: «وفيها توفي أحمد بن محمد بن علي بن صدقة التغلبي المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقي» وذكر مصدره في ذلك «وفيات الأعيان لابن خلكان» — وهو أهم مصدر حتى ذلك الحين — وذكر البيت خذا من صبا نجد ... والحقه بثمانية أبيات من البائية»

ثم جاء المحققان الفاضلان فنقلا ماكتب في ذيل الصفحة من الكامل في احدى طبعاته ولم يميزا في اسناد الخبر بين ابن الأثير نفسه والمشرف على الطبع. فكان ماكان من خطأ، ومن خروج على المنهج العلمي

١٨ ـــ «ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وانقذت شطراً من العمر في المحفوظ منه والمسموع» (٢٢٥/٣)

صحيح انفذت : انفذت (بالدال) أي افنيت ... وهي بالدال لدى الشيخ محمد محيي الدين (٣٦٨/٢) ، وفي طبعة رديئة كالبهية (٣٠٢)

١٩ ـــ «المراد من الشعر إنما هو إيداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل واللطيف، فمتى وجد ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل» (٢٢٥/٣)

«كل مكان خيمت فهو بابل» شطر من بيت من قصيدة للابيوردي يقتضي «علم التحقيق وضعه بين أهلة ، وتمييزه من النثر ، ويشار في الحاشية إلى صاحبه ومكانه من الديوان (٤١)

٢٠ ـــ وهو يتحدث عن المتنبي «... اذا خاض في امضى من نصالها ، واشجع من ابطالها وقامت اقواله مقام افعالها ، حتى وصف معركة كان لسانه تظن الفريقين قد تقابلا ...» (٢٢٨/٣)

في الاسطر والجمل تقديم وتأخير صحيحها :

«... اذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من ابطالها ، وقامت اقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ...» ينظر ط. محمد محيي الدين (٣٦٩/٢ .) وكان المفروض ان ينبها إلى ذلك في جدول آخر القسم (الجزء) ولكنهما لم يفعلا ... إلا في آخر صفحة من القسم الرابع (٥٥٨/٤) وكأنهما أفادا من الشيخ محمد محيي الدين :

٢١ ـــ «قول ابن الرومي :

وكلت مجدك في اقتضائك حاجتي

وكفى به متقاضيا ووكيلا

وفي الحاشية «ليست بديوانه المطبوع» (٣/٢٤١)
والتعليق غير دقيق لأن ديوان ابن الرومي غير مطبوع، والصحيح أن يقال:

ليس في المطبوع من شعره (أوديوانه) . ويبدو من مراجع التحقيق لديهما (٤/٥٥٢) أنهما حسبا ماشرحه الشيخ محمد شريف سليم من شعر ابن الرومي ديوانه الكامل . وليس الأمر بذلك !

٢٢ ــ عبد السلام بن رغبان (بضم الغين) (٣/٢٩١)

الصحيح : فتح الراء . قال ابن خلكان ــ « ورغبان بفتح الراء وسكون الغين ...»

٢٣ ــ « في فهرس القسم الثالث « تصرف غير مقبول فقد جاء (٣/٣٠٤)» النسخ ... نوعان « والصحيح ضربان، و « السلخ ، أقسامه» والصحيح: ضروبه

٢٤ ــ جاء على (٣/٢٣٤) :« السلخ ينقسم الى اثني عشر ضربا» ومضى المؤلف يتحدث عن الضروب : الاول ... الثاني ... الضرب الحادي عشر (٣/٢٦٤ ــ ٢٩٠) وينتهي منه ولكنه لايتحدث عن الضرب الثاني عشر ولم يذكره وانتقل بعد الحادي عشر مباشرة الى «المسخ»

ولم يتنبه المحققان الى هذا النقص ولم ينبها ــوهو جزء لايتجزأ من عملها ثم عملا فرس القسم الثالث وذكرا «السلخ» (٣/٣٠٤) وضروبه (التي سمياها خطأ اقسامه) فعددا (بين ص ص ٣٠٤ ــ ٣٠٩) احد عشر ضربا ولم يسائلا عن الثاني عشر !

وقد يدل هذا على نقص في المخطوطة التي وصلت الينا ... ووقع الشيخ محمد محيي الدين في هذا من قبل (٢/٣٧٣ ــ ٤١٠) ولم يتنبه أو ينبه . ولاعتب بعد ذلك على « البهية» (ص ص ٣٠٤ ــ ٣٢٠،

(٦)

القسم الرابع = (الجزء الرابع)

ـ أ ـ

١ ـ وهو القسم العجيب الغريب الذي كتب عليه في أعلاه بالخط الكبير « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الاثير ...» وكتب في أسفله بخط صغير: «ويليه الفلك الدائر على المثل السائر لابن ابي الحديد» وليس فيه لابن الاثير الا عشر صفحات :

٢ ـ « وهذه السرقات وهي ستة عشر نوعا لايكاد يخرج عنها شيء (٤/٤) وهنا نلاحظ

أ ـ انه لم يتحدث الا عن ثلاثة أقسام انقسمت اليها السرقات ، هي النسخ والسلخ والمسخ . وكان قد اخبرنا من قبل (٢٢٢/٣) أن لديه قسمين آخرين . فأين هما ؟ جدير بمحقق أن يتنبه وينبه الى ذلك . ولكن المحققين لم يفعلا ومن قبلهما الشيخ محمد محيي الدين لم يتنبه او ينبه (٤١٢/٢) . ولاعتب بعد ذلك على المطبعة البهية (ص ٣٢١) .

ب ـ نرجع الى تفريع المؤلف للأقسام الثلاثة فنجده قد جعل النسخ نوعين والسلخ اثني عشر ضربا، وافهم ان المسخ «نوعين» ولو جمعنا هذه الفروع وجدناها ستة عشر فرعا (ضربا) على أن نتذكر أنه لم يرد في الكتاب من الاثني عشر الا احد عشر، وهذا يعني انه لم يصل الينا من الفروع الستة عشر التي انقسمت اليها الاقسام الثلاثة الا خمسة عشر.

ج ـ قال المؤلف «وهذه السرقات وهي ستة عشر نوعا...» والذي نعرفه جيدا ان السرقات نوع، هو النوع الثلاثون من الانواع التي انقسمت اليها «الصناعة المعنوية» ـ تفصيلا . واذ مضى «النوع» مصطلحات لتلك الثلاثين ، كان المنتظر جدا ان يحتفظ الكتاب بتفريع اقسام السرقات الثلاثة الى ضروب ومن ثم نرى فيه : «وهذه السرقات وهي ستة عشر

ضربا» ولابد لمحقق ان يدرس بناء كتابه الذي يحققه فيتنبه الى ذلك وينبه، ولابد للباحث كذلك من أن يتنبه (٤٢)

٣ ــ عرض المؤلف لرأى للصابي في الفرق بين الكتابة والشعر «(٦/٤) فلم يقبله وقال : «ولقد عجبت من ذلك الرجل الموصوف بذلاقة اللسان وبلاغة البيان كيف يصدر عنه هذا القول الناكب عن الصواب ، الذي هو من باب ، ونصى النظر من باب«(٨/٤) ووضعا فتحة على الحرف الاخير من كلمة (نصى) للدلالة على انه «ياء».) وكانت المطبعة البهيةقد وضعت شدة عليه لهذه الدلالة ــ ص٣٢٢، اما الشيخ محمد محيي الدين (٤١٥/٢) فقد فتح النون وترك الحرف الاخير من غير اية دلالة علىالياء.

ولاتخلو الكلمة ، كلمة «نص» من صعوبة ، وقد لاحظ ذلكالمحققان فشرحاها في الهامش هكذا : «نصى النظر : لعلها من نصى الرجل الثوب اذا كشفه » وهو شرح غير كاف ، ويبدوا انهما اخذاه من القاموس المحيط «فصل النون : باب الواو والياء الناصية» «ونصاه قبض بناصيته كأنصى ... والثوب كشفه ...»

ويمكن ان نجد مايقربنا من المعنى اكثر بالرجوع الى «فصل النون باب الصاد ، نص «من القاموس المحيط ، وفيه » نص... ناقته استخرج اقصى ماعندها من السير ... وفلانا استقصى مسألته عن الشئ ونصّص غريمه وناصه استقصى عليه وناقشه «»

وعلى هذا يمكن ان نكون «نصّى النظر» استقصائي المسألة. يؤيدفي ذلك انه شرع بعد قوله ذاك يبين رأيه من مخالفة رأى الصابي

٤ ــ ينتهي «المثل السائر » ص٢ اوكان المناسب ان يلي انتهاءه الفهارس اللازمة ، ولكن المحققين لم يفعلا ذلك لأن لديهما «مشروعا» آخر هو طبع» الفلك الدائر» مع المثل السائر على غير قاعدة علمية.

(ب)

الفلك الدائر على المثل السائر لابن ابي الحديد . قدم له . وحققه، وعلق عليه دكتور احمد الحوفي ودكتور بدوى طبانة .

١ — تصدير : رأينا ان نضم الى كتاب المثل السائر اهم كتاب في الرد عليه، هو (الفلك الدائر على المثل السائر) لابن ابي حديد لتكتمل الفائدة بهما معاً

ليس في هذا الكلام مايقنع ويسوغ الجمع بين الكتابين فضلا عن الصورة غير العلمية التي ورد عليها الجمع . كان من الممكن جدا ان يختم القسم الثالث (الجزء الثالث) من تقسيمها بعشر الصفحات الواردة هنامن المثل السائر وتلحق بالفهارس اللازمة ثم يطبع «الفلك الدائرمستقلا». فلسنا في معرض اهمية الفلك الدائر وضرورة اعادة نشره ولكننا — ومنذ بداية تعليقاتنا — بصدد الروح العلمي في النشر وقواعد التحقيق وهو مماالخفق فيه اخراج كتاب ابن ابي الحديد على هذه الشاكلة .

ولابأس من ان نسجل — هنا — ان الشيخ محمد محيي الدين كان قد همّ قبلهما بنشر «الفلك الدائر» مع المثل السائر ،على وجه آخر هو طريقة الحواشي بان يذكر منه في حاشية المثل السائر مايتعلق بمادة في المتن قال في مقدمته (ص يز) : «اني لما قرأت الكتاب — وكنت افكر في نشره بأسفل صفحات هذا الكتاب عند مواطن النقد — لم أجد فيه مايبعث على تحقيقه وبذل الجهد فيه»

وقد يكون الشيخ مبالغا في تقليل جدواه «الفلك الدائر» بالتحقيق، ولكنه لو نشره —كما أراد «بأسفل صفحات» المثل السائر لكان عذره مقبولا ...

٢ — عرف المحققان بابن ابي الحديد تعريفا مبتسرا وقد اعتمدا«في التعريف به على فوات الوفيات لابن شاكر ٦/١ وعلى مانقل في نهاية شرح ابن ابي

الحديد لنهج البلاغة من (معجز الاداب من معجم الالقاب)لاحمد بن محمد بن ابي المعالي الشيباني الفوطي . وعلى محاضرات الخضرى في تاريخ الدولة العباسية» .

ومصادره في هذا شحيحة ، ثم لم يعتمدا «على مانقل ... من ... معجم الالقاب» ومعجم الالقاب نفسه مطبوع (دمشق، وزارة الثقافة ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد) واسمه الصحيح هكذا: «تلخيص مجمع الآداب ....ل.. الشيباني الفوطي .

وذكر المحققان مؤلفات ابن ابي الحديد وكان المناسب ان ينصاعلى ماطبع منها ، وفي مقدمة ذلك «شرح نهج البلاغة» ، ومما طبع له ـ كذلك القصائد السبع العلويات » ومناسب أكثر من ذلك ان يفيدا ما أورده ابن ابي الحديد في شرح النهج من «نقد» على المثل السائر وهو غير قليل(٤٣):

وقال: «ومن شعره قوله في مناجاة الله وبيان مذهبه في الاعتزال:

وحقك لو ادخلتنى النار قلت للـ
ـذين بها قد كنت معن يحبه..

فرد عليه الشيخ صلاح الدين الصفدى بقوله :

علمنا بهذا القول انك آخذ
بقول اعتزال جل في الدين خطبه..

ويمكن ان يفهم قارئ من قولهما «فرد عليه..» ان «الشاعرين» من عصر واحد ، وان رد الصفدى وصل الى ابن ابي الحديد ... الخ وليس شئ من هذا بصحيح ، وانما هو رد متأخر على متقدم ، فقد توفي ابن ابي الحديد سنة ٦٥٦هـ، وتوفي الصفدى سنة ٧٦٤هـ

٣ ـ لابأس ـ اذا ـ فيما عزم عليه الاستاذان عن تحقيق «الفلك الدائر» ولكن للتحقيق خطوات واصول ...من اولى الخطوات البحث عن مخطوطات الكتاب المزمع تحقيقه . فهل بحثا؟ لا. واول مايرد على البال في ذلك كتاب بروكمان . فهل ورد ؟ لا...

كيف يكون عملهما ــ اذا ــ تحقيقا ، ولم يفكرا في الرجوع الى مخطوطة ــ ولو واحدة . ومخطوطات «الفلك الدائر» ليست قليلة، ذكر منها بروكلمان حوالي عشر لخطوطات وحدد أماكنها وأرقامها في مكتباتها في العالم مابين الاسكوريال وبومبي(٤٤) ... واذا تركنا المخطوطاتفي العالم ... قنعنا به برجوع الى مافي مصر من مخطوطات . وفي مصرمخطوطات حددها بروكلمان ...

كيف يحقق استاذان جامعيان كتابا لايرجعان فيه حتى الى مخطوطة في متناول ايديهما ؟ ولم يسائلا عن مخطوطة؟
ولكن هذا هو الذي حصل

٤ ــ ماذا فعل الاستاذان ــ اذا ــ؟ لقد أعادا طبع مطبوع . قالا (٤/٢٣) «والنسخة التي اعتمدنا عليها مطبوعة على الحجر سنة ١٣٠٩هـ على نفقة الميرزا محمد الشيرازي في ١٨٤ صفحة من القطع المتوسط . وطبعتها رديئة جدا ، تنوء بالتحريف والاغلاط، وليس بها ترتيب ما ، وكل مابها من شعر مدمج بالنثر ادماجا ...» (٤٥)

فلم هذه المشقة مع وجود المخطوطة بل المخطوطات : أيلام من قال : التحقيق علم ؟

٥ ــ « سمي السبيل مذهبا ، لانه يُذهب فيه أي يُمضى فيه ، وسمي قول الشاعر وغيره مذهبا ، كأنه صار طريقاً فسلكه الفقهاء وغيرهم» (٤/٢٣٤)
لابد من أن يكون في « الشاعر» خطأ مطبعي ، صحيحه الشارع

٦ ــ ينتهي الكتاب ص ٣١٠ يلحقه « فهرس الموضوعات» لبقية المثل السائر» « وللفلك الدائر» ثم تأتي الفهارس العامة ــ اولا ــ فهارس المثل السائر (٣٢٣ ــ ٥١٢) ثم فهارس الفلك الدائر (٥١٥ ــ ٥٥٠) ثم مراجع التحقيق (٥٥١ ــ ٥٥٦)

وفي الفهرسة على هذا الحال اضطراب جديد ، وكان المناسب أن يعمل المحققان فهارس المثل السائر لدى الانتهاء منه ، ثم يأتي الفلك الدائر تاليه فهارسه .

٢ — لقد اصدرا — كما رأيا — المثل أقساماً (أربعة)، القسم الأول ، الثاني ... الخ ولكنهما عندما جاءا إلى الفهارس نسيا ذلك او أضربا عنه وصار مايسميان الأقسام اجزاء (الجز الأول ، الثاني ... الخ او صارا يقولان: ابراهيم بن العباس ج ٣ صج ١٧٥ ... ابن دريد ج٢ ، ص ٣٢٨ ... ابن الرومي ج١ ص ٩٩ ...

وهذا غير صحيح . والمفروض أن يحيلا على الأقسام ..

٣ — هذا إلى أنه لاضرورة البتة لذكر (ج. ص) لدى مواد الفهرس من شعراء وأعلام وأماكن ... الخ ... لان في ذلك زيادة لاموجب لها ، والقاعدة المنهجية فيه أن يقال : ابراهيم بن العباس ١٧٥/٣ (أو ٣: ١٧٥) ، ابن دريد ٣٢٨/٢ ، ابن الرومي ٩٩/١ ...

٤ — للاسم الواحد اكثر من صورة فالأرجاني هو أبو بكرأحمد بن محمد بن الحسين ، والمعرى هو أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان ، والابيوردى هو أبو المظفر محمد بن ابي العباس ، وابن نباته هو ابو نصر عبدالعزيز بن محمد بن نباته ، والخريمي ، هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان ، وابن الخياط هو أحمد بن محمد بن علي بن صدقة التغلبي ، والبحترى هو أبو عبادة الوليد .

والقاعدة من عمل الفهرس — في مثل هذه الحال — ان توضع أرقام الصفحات التي ورد عليها الاسم ازاء أشهر ما يرد عليه لدى الحديث عنه او لدى دراسته ، وتكون هكذا :

الارجاني، المعرى، الابيوردى، ابن نباتة ،الخريمي، ابن الخياط، البحتري

ولابأس — بل من النافع جدا — بعدذلك — أن تذكر الصيغ الأخرى في مكانها من التسلسل الهجائي مع الاحالة على الصيغة السائدة فنقول :

أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين = الأرجاني . أبو عبادة الوليد = البحتري؛ عبدالعزيز محمد = ابن نباتة :

ولكن المحققين لم يلتزما بشيء من ذلك، ولم يلتزما بالصيغة التي جاء عليها العلم على قلم المؤلف ... فكان ذلك عاملا جديدا من الأضطاب ،، ومن قلة فائدة الفهرس ودليل قلة التجربة في الموضوع ... بل انهما لم يذكرا « المعرى » من حرف الميم ...

ثم انهما مرة ينسبان العلم نسبا كاملا كما رأينا . ومرة يقفان عند الصورة التي ورد عليها مثل ابن دريد ، الاحوص ... الاخطل ... والمفروض ان يوحدا موقفهما بل انهما حسبا الارجاني (القاضي) غير الأرجاني (الشاعر) وابن الحجاج البغدادي غير ابي عبدالله الحسين بن أحمد بن الحجاج — وقد ورد اسمه خطأ : الحسن ، وصحيحه الحسين .

هذا إلى انهما ليسا دقيقين في عمل الفهرس — مما يضيع العمل فائدته ويؤدي بالباحثين إلى الضلال .

قالا (٣٢٦/٤) : أبو العلاء محمد بن غانم الغانمي جـ٣ ص ٤٩، ١٢٨. وكان المفروض ان يضعا الأرقام ازاء « الغانمي» ففعلا العكس ، ولاباس، ولكن البأس انهما لم يثبتا في الفهرس صفحة يرده عليها الاسم ، وهي جـ١ ص ٣٤٧ ، وفي ابن الأنباري لم يذكرا جـ٢ص ٥٩، وفي ابن افلح لم يذكرا جـ٢ ص ٥٩. وتجد على العكس من هذا — احالات العلم على صفحات لاوجود له فيها ، ومن ذلك الخنساء جـ١ ص ٣٦، وابو علي الحاتمي جـ١ ص ٣٤٢ .

وورد الشريف الرضي هكذا في « فهرس الشعراء » : أبو الحسن محمد بن الحسين الرضي جـ١ ص ١٥٦، جـ٢ ص ١٠٩ ثم جاء : الشريف الرضي على « اجزاء » وصفحات اخرى . وكان المفروض التوحيد ، او الاحالة في صورة على صورة ... وزاد الامر تعقيداً انهما ذكراه في فهرس الاعلام

«: الشريف الرضي جـ١ ص ٧١. فلماذا هذا التفريق وقد ذكر في هذه الصفحة من الجزء شاعرا ثم لم يصلاه هنا في فهرس «الاعلام» بما ورد عنه (نفسه) في فهرس الشعراء .

ويزداد الأمر اضطرابا عندما يذكر في فهرس الأعلام» مرة اخرى هكذا :
محمد بن الحسين بن موسى العلوي جـ١ ص ٢٨٧ ذكراه وكأن لا علاقة له بالشريف الرضي في فهرس الاعلام ، والشريف الرضي « في فهرس الشعراء» ... وهو هو في مختلف الأحوال لم تكن حاجة منهجية إلى الفصل بين فهرس الشعراء وفهرس الأعلام ... لأن ذلك يضيع الفائدة على المراجع، اننا مثلا نبحث « الشريف الرضي» في فهرس الشعراء فنأخذ مايلزمنا ولا يمر ببالنا أن نبحث عنه في فهرس آخر هو فهرس الأعلام فتفوت علينا بذلك فرصة .

وابن أفلح شاعر نبحث عنه في فهرس الشعراء فلا نجد له أثراً لان ابن الأثير لم يذكره شاعراً وانما ذكره مؤلفا في البلاغة ومن هنا وضعه المحققان في فهرس الأعلام وهو مما لايرد على البال لدى البحث عن «ابن افلح »...

والغانمي شاعرا اولا ولكنه وزع بين فهرس الشعراء وفهرس الاعلام مع نقص ملحوظ واضطراب ملحوظ فقد ذكراه في فهرس الشعراء وقالا جـ٣ ص ٤٩، ١٢٨ ونرجع إلى الصفحات فنجده عليها علما مؤلفا وليس شاعرا وذكراه في فهرس الأعلام فقالا : « أبو العلاء » جـ١ ص ١٨ جـ٢ ص ١١٠ وفاتهما جـ٣ ص ٣٤٧ ثم انهما لم يشيرا إلى كتابه في فهرس الكتب.

ووزع الأمدى نفسه في فهرس الأعلام نفسه بين « الآمدى .» وأبو القاسم الحسن ابن بشر الامدى »

ونأتي إلى فهرس الأعلام لنرى— على سبيل المثال — ٣٤٧/٤: « ثعلب = أحمد بن يحيى المعروف بثعلب .ومع ان المناسب أن تذكر الصفحات

ازاء ثعلب لأنه الأشهر ومن ثم الاحالة على أحمد بن يحيى ... فلا بأس، ولنتابع المحققين في إحالتهما ثعلب على أحمد بن يحيى، ونرجع إلى أحمد» أحمد فلانجد أثراً لأحمد بن يحيى ، وعلى هذا يضيع ثعلب في أحشاء الكتاب الضخم!

أما الحريري أو ابن الحريري فقد جاء في فهرس الاعلام كما ورد في الكتاب مرة الحريري ٣٦٢/١، ٨٤/٣، ٨٨، ٩٠، ٢١٠، ٢١١ وفاتهما حريري ٤٢/١.. حريري ٢١٧/٣ في فهرس الشعراء ولم يربطا بين الشاعر والناثر

وجاء مرة أخرى على «ابن الحريري» مع الإحالة (= أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري . فلم كانت هنا احالة على ابي محمد ولم تكن هناك والى على واحد؟ ثم لم الاحالة على «أبي محمد» والرجل غير معروف بكنينه وهو انما ورد في الكتاب ورد على «الحريري» أو «لابن الحريري»

هذا وكان لابد من ملاحظة لدى ورود الحريري أول مرة (٤٢/١) وأبن الحريري (٤١/١) الى ورود هذا الاختلاف في الكتاب مع بيان سببه!

الملاحظات كثيرة ... خلاصتها ان الفهارس لم تعمل في دقة او على الوجه العلمي الذي يجعلها تؤدي الفائدة المطلوبة منها — ولو وقع ذلك في عمل تجاري كان اقل خطراً لان الباحث في الكتاب سيكون منه في حذر وشك ... وازدراء .

ان «الفهارس» جزء لايتجزأ من عملية التحقيق العلمي ... على أن تجرى علمية والافغيابها خير من حضورها .

وما جاء من اضطراب في فهرس الاعلام له نظائر في الفهارس الاخرى ففي فهرس الكتب حرف الدال يقول : ديوان الحريري ج١ ص٤١ ونرجع فنجد في الحاشية : « وله ديوان رسائل وشعر كثير غير شعره الذي في المقامات»

وفي حرف الزاي قال : «زيني دحلان على هامش السيرة الحلبية ج٣ ص٢٢٦» ونرجع فنجد في الحاشية «... تلك العزى ولن تعبد . ابداً (اخبار مكة للازرقي ١ / ٧٤ ... والزيني دحلان على هامش السيرة الحلبية ٢ / ٣٤٠)... » فكأنهما يريدان ان الزيني دحلان ، اسم كتاب بينما الزيني دحلان مؤلف في السيرة طبع كتابه على هامش طبعه للسيرة الحلبية ، واسمه الكامل : احمد زيني دحلان (توفى سنة ١٣٠٤هـ)

ومن التجارب المخفقة مع فهارس المثل السائر هذه أني أذكر ورود استشهاد بشعر لابن نباتة السعدي مع حاشية للمحققين نصا على أن ديوانه مطبوع وذكرا مع الطبع اسم محمد القلقيلي ، واني اعلم جيدا ان ديوان ابن نباتة السعدي لم يكن مطبوعا حتى ايام صدور تحقيقهما وان المطبوع ديوان لابن نباتة آخر متأخر عنه ، مصرى من أبناء القرن الثامن ويميز بالمصرى ... ولكني لم اتوقف حين القراءة لاسجل ملاحظاتي على امل العودة مستعينا بفهرس الاعلام ...

ولما حان الوقت رجعت الى فهرس الاعلام فوجدت في فهرس الشعراء :« ابن نباتة السعدي ج٣ ص ٢٠٦ ، ٢٥٦ ، ٢٩٢» بدأت بـ ج٣ ص ٢٠٦ فرأيت إحالة على يتيمة الدهر وثنيت بـ ص ٢٥٦ فرأيتهما يقولان تقدم التعريف به ... وهو ابو نصر عبد العزيز محمد بن نباتة التميمي ... توفى سنة ٤٠٥ في بغداد .. يريدان ... عبد العزيز بن عمر بن محمد ... ولابأس . ولكن اين تقدم التعريف به اذا لم يكن في الرقم السابق (٢٠٦/٣) ؟ وقد رأيناه ولم نر التعريف وننظر إذا في الرقم اللاحق ٢٩٢/٣. ننظر فنراهما يحيلان على الديوان ص ٤٤١ ويتيمة الدهر ٣٨٨/٢ من مدحه لسيف الدولة ونحن نعلم ان ديوانه لم يكن قد طبع حتى تاريخ صدور تحقيقهما ، فتزداد المسألة تعقيدا ... ثم اننا نبحث عن الحاشية التي عرفا به عليها .. اين ؟ لنبحث — اذا — عن عبد العزيز في حرف العين وبحثنا فلم نجد . فلنبحث اذا في «فهرس الاعلام» وهانحن اولا نراهما يقولان

ابن نباتة جا ص ٢٣٨ ، ونعود الى ٢٣٨/١ ونقرأ :« وقد وردت في خطب الشيخ الخطيب ابن نباتة ...» ولم يعلقا بشيء ولم يعرفا بالخطيب ابن نباتة — بعد ان الزما نفسيهما بالتعليق والتعريف ولولا ورود كلمة « الخطيب» لما وضعاه في فهرس الاعلام ... والحقيقة ان ابن نباتة الخطيب هذا هو غير ابن نباتة الشاعر ذاك ، وان كانا « متعاصرين» . انه : ابو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة الفارقي العسقلاني المولد المصري الدار ولي خطابة حلب لسيف الدولة ... ولد سنة ٣٣٥ وتوفي سنة ٣٧٤ بميافارقين وطبع ديوان خطبه مرارا وليلاحظ انهما قالا في هامش ٢٥٦/٣ « ابن نباتة .... يروي بضم النون وفتحها » وكان عليهما ان يذكرا مصدرهما في ذلك لان ابن خلكان يقول وهو يترجم لعبد العزيز « ونباتة بضم النون كما تقدم في جد الخطيب ابن نباتة » ليس ابن نباتة الوارد في فهرس الاعلام — اذا — ابن نباتة الذي نبحث عنه ، ولكن وروده هكذا ، ومن غير تعريف في ٢٣٨/١ غير صحيح .

اين ورد — اذا — تعريف المحققين بابن نباتة السعدي (الشاعر) المتوفى سنة ٤٠٥ ؟ لنبحث في فهرس الكتب « فقد نجده في » « ديوان » من حرف الدال ؟ ان فهرس الكتب يحيل على « ديوان ابن نباتة السعدي ج٣ ص ٢٩٢» وكنا رأينا هذه الصفحة وهي تحيل على الصفحة ٤١١ من ديوان ابن نباتة السعدي ونحن نعلم جيداً ان ديوان ابن نباتة السعدي لم يكن مطبوعا لدى نشر « المثل السائر» ومن هنا نعود بأمالنا الى الخيبة اذ لم نجد مطلوبنا اننا نبحث عن صفحة ورد فيها اسم« ابن نباتة السعدي» وقد عرف به المحققان كما يذكر وكما نتذكر فاين هي هذه الصفحة وفي اي جزء ؟ ليس في هذه الفهارس الطويلة العريضة المتنوعة التي استغرقت صفحات كثيرة ما يلبي الطلب . فلنعتمد على الذاكرة والمراجعة وكأن «الفهارس» غير كائنة ، و نبدأ بالبداية : القسم الاول ويعجب المرء مجددا للتعريف بالاعلام المعروفة والكثرة الكاثرة من الرجوع الى الدواوين المشهورة

(ابو تمام ، البحتري ، المتنبي) ... ولكن على غير جدوى . والقسم الثاني والثالث ... والرابع ... على غير نتيجة وكأن المسألة تحتاج الى قراءة واعية ودقة متناهية فلنتركها الى فرصة اخرى ، ونكتفي — موقتا — بالاعتراف بأن المحققين عرفا بابن نباتة السعدي : عبد العزيز ... من شعراء سيف الدولة ، توفى سنة ٤٠٥ فلسنا على خلاف في ذلك انما الذي في الذهن انهما قالا ان ديوانه مطبوع وقرنا الطبع بمحمد القليقلي ، وهنا وجب ان نقول ان في الادب العربي ثلاثة يكنون بابن نباتة ، احدهما الخطيب وقد رأيناه ويكثر تمييزه بالفارقي وثانيهما السعدي وقد رأيناه أيضا ، شاعرا معدودا في عصره ، له حتى تاريخ صدور « المثل السائر» مختارات في يتيمة الدهر (ج ٢) وترجمة وافية بالغرض في وفيات الاعيان ... ولم يكن ديوانه قد طبع

وثالثهما لاعلاقة له بالمثل السائر لانه توفي بعد مؤلف المثل السائر باكثر من قرن وهو شاعر يكثر تمييزه بالمصري : هو جمال الدين ابو بكر محمد بن محمد ... بن الحسن

ولد في القاهرة سنة ٦٨٦ ودرس فيها ونظم الشعر ثم هاجر وعاش طويلا في الشام وعاد سنة ٧٦١ الى القاهرة بعد غياب دام خمسين عاما وزيد وتوفى سنة ٧٦٨

وقد طبع ديوانه اكثر من مرة اخرها صدرت في القاهرة ، مطبعة التمدن ١٣٣٢ ١٩٠٥ ملتزم الطبع : ناشر الكتاب الشيخ محمد القلقيلي — وقد اعيد طبع هذه الطبعة مصورة (بالاوفست) وعنوانها : ديوان ابن نباتة المصري

وواضح جداً ان ابن نباتة المصري هذا غير ابن نباتة السعدي ذلك ، ابن نباتة المصري ديوانه مطبوع ، وابن نباتة السعدي لم يكن ديوانه قد طبع لدى صدور «المثل السائر» فكل نص على طبعه غير صحيح ومن ثم كل احالة باطلة (٣٥)

ينظر «ابن نباتة» في اعلام الزركلي ، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ .... ومايحيلان عليه من مصادر وكذلك في تاريخ اداب اللغة العربية لجرجي زيدان

وفي نظرة على «مراجع التحقيق» في اخر القسم الرابع من المثل السائر تقع العين على مايزيل كثيراً من الابهام ويدل على الخطأ الصريح الذي وقع فيه المحققان لانهما تنصان في الصفحة (٥٥٢) وبالتسلسل (١٨) من مراجعها على «ديوان ابن نباتة نشر الاستاذ محمد القلقيلي» وقد عرفنا جيداً ان القلقيلي نشر ديوان ابن نباتة المصري وهو شاعر لاعلاقة للمثل السائر به ، ولم ينشر ديوان ابن نباتة السعدي ذي العلاقة المباشرة بالمثل السائر فكيف على هذا وجد المحققان بيتاً مشهوراً لابن نباتة السعدي من قصيدة مدح بها سيف الدولة وهو الذي يستشهد به ابن الاثير :

لم يبق جودك لي شيئاً أؤمـلـه
تركتني اصحب الدنيا بلا أمـل

على الصفحة ٤١١ من ديوان ابن نباتة المصري الذي نشره محمد القلقيلي، واذا كانا قد وجداه حقاً فكيف صدقا النسبة بل كيف يجمعان في النسبة بين ديوان ابن نباتة المصري ويتيمة الدهر وقد توفى مؤلف اليتيمة سنة ٤٢٩ ومات المصري سنة ٧٦٨، فكيف يذكر الثعالبي بيتاً لشاعر ولد بعد وفاته بـ ٢٥٧ سنة ، وكيف يكون ذلك في مدح سيف الدولة وقد توفى سنة٣٥٦ وكيف يستشهد به ابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٧ ؟

يمكن أن يحل الإشكال الذي أوقعنا فيه المحققات بالرجوع إلى ص ٤١١ ديوان ابن نباتة المصري (المتوفى سنة ٧٦٨) الذي نشره الشيخ محمد القلقيلي (سنة ١٩٠٥). وقد رجعنا، فرأينا مقطوعة من سبعة أبيات فيها الغزل والمدح وقال علائية :

قالت وفي صدر نار القلب منـزلـهـا
يا ليت أنك لم تكرم بـه نـزلـي

مليحة إن تكن في حسنها صنما
فيا عذولي لا بوركت من هُبَلي

فيها وفي مدح أوفى السائدين علاً
تقسم الشعر في مدح وفي غزل

دم للعلى بابن فضل لله مرتضياً
فق المعالي وقد أربي على الأول

يا من عرفت به كسب الألوف ومن
تمامها أنها جاءت ولم أسل

لم يبق جودك لي شيئاً أؤمله
تركتني أصحب لدنيا بلا أمَل

كل الكفاءة ذوي الآراء ماثلة
مثل السيوف ولكن ذو الفقار علي

وقد ورد في المقطوعة البيت موضع الشاهد ... فكيف ورد بيت ابن. نباتة المتوفى سنة ٤٠٥ لدى ابن نباتة المتوفى سنة ٧٦٨ المسألة واضحة جداً. ان ابن نباتة المتأخر «ضمن» بيت ابن نباتة المتقدم. وكان مناسباً ان يبين المحققان ذلك فيزيلا الإشكال ويدلا على العلم به.

ورأيت المحققين مرة يصححان النص تصحيحاً علمياً يتفوق به على «الشيخ» . فقد ورد في المتن «أبو الحسين علي بن عبد العزيز» (الجرجاني) فأبقاها الشيخ كما هي (أبو الحسين) على حين جعلاها « أبو الحسن ...» ونبها على ذلك في الحاشية .

وعملهما تحقيقي صحيح ، وانه يعني أنهما ينتبهان إلى الخطأ عندما يقع التصحيح في علمهما ولكن الذي حدث أني رجعت إلى «فهرس الأعلام» لأجد مكان التصحيح ، فلم أجد في «الفهرس» أثراً «للجرجاني» ، ووجدت إزاء «أبو الحسين علي بن عبد العزيز الجرجاني ج١ ص١٩ ، ج٣ ص٢٢٢ وليس في الرقمين مايسد الحاجة . ففكرت بحرف العين ، فوجدت «علي

بن عبد العزيز الجرجاني ج٣ ص٢١٨ ، ص٢٢٢ ولم يذكر المحققان مايربط العين بالهمزة او الهمزة بالعين . وليكن، ولكني لم أجد موجوداً أبحث عنه!

وفي ذهني أن ابن الأثير ذكر مرة «الأرجاني» على أنه من الشعراء المتأخرين ، ولما احتجت إلى ذلك رجعت إلى «فهرس الشعراء» فلم أجده في «الأرجاني» — كما هو المعقول — وإنما وجدت «الأرجاني» المعلوم يحال فيه إلى «أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين» ، وليكن، فرجعت «أبو بكر أحمد ...» فلم أجد إلا رقماً واحداً هو ٤٠٤/١ فرجعت اليه فإذا هو غير الذي في ذهني وعلمي . وربما ورد الأرجاني — بعد ذلك — في أكثر من موضع .

لقد كانت حاجتي إلى «الأرجاني» «من المتأخرين» شديدة لبيان انها أولى أن تطلق على «المغربي» من أن تطلق على «المعري» . ولابد من «إضاعة» الوقت والسعي وكأن الفهرس غير كائن ... وهانحن اولاء في القسم(الجزء) الثالث من الكتاب وفي الصفحة ١٧٦، ونقرأ : «...وكذلك ورد قول بعض المتأخرين وهو القاضي الأرجاني» !

ان الاضطراب الذي في الفهارس متمم للنقص الذي في التحقيق. والمفروض بالانسان اما ان يعمل فهارس او لايعمل . واذا كانت الفهارس التقليدية قد قصرت في أداء واجبها من الدقة والإفادة، فانه لم يبق مجال لمطالبة الاستاذين المحققين الفاضلين بفهارس تدعو اليها طبيعة كتاب مهم كالمثل السائر ، أقصد فهرساً للمصطلحات ، وفهرساً للغة ...

الخاتمة :

— اذا كانت طبعة دار نهضة مصر على هذه الدرجة من التقصير، فلما هذا العناء في «نقدها» ؟

لان التقصير غير باد للناظر اليها من الخارج ، وربما منحها المراجع العجلان أو حسن النية من الثناء مالاحقيقة له . وكان المفروض بالاستاذين

المحققين ان يكونوا على معرفة بتراكم الخبرات في ميدان التحقيق مما كان قديماً ومما جاء جديداً ومماالتقى به جهد الغرب بجهد الشرق . لقد صار التحقيق علماً له اصوله وقواعده ولم يعد رغبات شخصية ومنافع تجارية بل انه كيان خاص لايكفي فيه ان يكون المرء عالماً واستاذاً لينجح في مهمته ومن هنا يضيق العذر بمن لايوفيه حقه، ويضيق اكثر بالعربي الذي يبقى دون الغربي ، ويزداد ضيقاً بالمتأخر الذي يأتي دون المتقدم أ

ويتبع «التحقيق» «نقد» يمتحنه ويدرس مدى ماراعى من قواعد ومدى ماقصر ، واذا كنا مقصرين في هذا الجانب ، فلابد لنا من تلافي النقص خدمة للحقيقة وسهراً على التراث .

ويقع بحثنا — هذا — في نطاق «نقد التحقيق» ، وكانت «الطبعة» فرصة لبيان ، الم يكن متوفراً بها وقد اثبت «المختبر» سعة الخطأ من نسب عناصر التجربة .

واذا حسب محقق ، اي عملا قاصراً له ، صدر وبيع ومضى من غير تنبيه يذكر على عواره فليعلم ان نقد التحقيق لايعرف زمناً معيناً ، وهو ظافر به حتى لو تراخى الزمن وحسب انه تجاوز مرحلة الخطر .

واخيراً ، فان كاتب هذا البحث يرجو ان يستفاد من استقصائه لدن اعادة طبع «المثل السائر» بدار نهضة مصر او غيرها، ولن يبخل صاحب الطبعة الجديدة او التحقيق الجديد بكلمة يذكر بها هذا البحث بالخير ، وستحثه الأمانة إلى النص على مايأخذ منه في الاماكن التي نبه اليها .
وسيكون « الطبع » الاتي عرضة لنقد يناسبه ذما ان خان ومدحا إن وفى .. ولن يكتب لعلم التحقيق كمال التوطد مالم يتقرر لدينا رسوخ «نقد التحقيق» والتجرد له وتقبله بصدر رحب . ومن هنا لم يكن «النقد» هنا خاصاً بالمثل فقط وإنما كانت الطبعة موضوع البحث فرصة يتسع ماقيل فيها لما هو أشمل، ومناسبة أثارت قضايا يمكن أن تثار في أي تحقيق آخر، وتصلح أن توضع بين أيدي المعنيين بالأمر

والمفروض بالانسان اما ان يحقق او لايحقق . واذا حقق واجه عمله بعلم ودراية وصبر حتى اذا فاته شيء كان الذي فات قليلاً ، مقبولا ، في حدود مايعرض في العادة لبني البشر ، ويبقى — بعد ذلك — مجال النقد ضيقاً ، ولكنه مجال لابد له من منه .

أجل ، وعملية نقد التحقيق ، بعد هذا ، تلاحظ ، كما هو الأمر الذي استقر عليه النقد ، الجوانب الحسنة ولاتسمح لنفسها ، ولايسمح لها ، أن تقف عند التقصير وحده .

الهوامش والمصادر :

(١) ان من اهم مصادر ابن الاثير : ابن خلكان - وفيات الاعيان (حرف النون) تنظر خاصة طبعة بيروت، دار الثقافة بتحقيق الدكتور احسان عباس ١٩٦٨ - ١٩٧٢، (الجزء الخامس ص ص٣٨٩ - ٣٩٧ - وينظر فهرس الاعلام والكتب من الجزء الثامن) ...
ومن اهم المراجع :سلام (دكتور محمد زغلول) - (أ) ضياء الدين ابن الاثير. القاهرة، دار المعارف، نوابغ الفكر العربي (٣٦) د.ت. (ب) ضياء الدين ابن الاثير وجهوده في النقد، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، مطبعة الرسالة، د.ت (١٩٥٦!)

(٢) بروكلمان - تاريخ الأدب العربي - ج٥ نقله إلى العربية الدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٥ ص ص٢٧١ - ٢٧٤ . و(بالالمانية)، ط١ (٢٨٣/١) ط٢ (٣٣٦/١)، الذيل ٤٨٧/١. وفي المكتبة المركزية بجامعة بغداد ميكروفيلم لعدد منها ...

(٣) سنحيل من هذه الطبعات القديمة على طبعة المطبعة البهية: «المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر للشيخ الامام الهمام ضياء الدين ابي الفتح نصر الله (ابن) محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي الشافعي ... وبهامشه كتاب ادب الكاتب تأليف ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .. طبع بالمطبعة البهية بحوش قدم بالغورية، بمصر المحمية، تعلق الراحي من الله كمال الوفا محمد أفندي مصطفى في اوائل صفر سنة ١٣١٢ ... وكانت قبلها ط. بولاق سنة ١٢٨٢ وبهامشها أدب الكاتب لابن قتيبة. طبعة البهية - فيما يمكن أن يقال - متابعة لطبعة بولاق .
وستكون الاحالة على هذه الطبعة (ص ...) ضمن المتن. وستكون الاحالة على ط. دار نهضة مصر، وط. البابي الحلبي بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد بالجزء والصفحة (.../...) ضمن المتن كذلك - تخفيفاً على الهامش وتسهيلا للمراجعة ودفعاً لتكرار « نفسه» او «المرجع السابق» متوالية ...
ويذكر عمر فروخ في كتابه «تاريخ الادب العربي» بيروت، دار العلم للملايين الجزء الثالث ١٩٧٢؛ ص ٥٤١ «طبعة بيروت ١٢٩٨» .

(٤) وان كان ابن الاثير قد اعلن مرة ما يدل على انه تجنب تغييراً جذرياً في بناء كتابه او حجمه. قال - بصدد كلامه على السرقات «والحكم بين من اتفاقهما في المعنى : «ولي مقالة مفردة ضملتها الحكم بين المعنيين المختلفين، وتكلمت عليه كلاماً طويلا عريضاً، واقمت الدليل على ما نصصت عليه، وما منعني من ايرادها في كتابي هذا الا انها سنحت لي بعد تصنيفه وشيوعه في ايدي الناس وتناقل النسخ به» ط. دار نهضة مصر (٢٨٩/٣)
يمكن ان تكون هذه الاسطر - وحدها - دليل على الزيادات الجزئية على مر الزمن ... ولدى التدريس خاصة .

(٥) ابن ابي الحديد هو عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد .. المدائني ولد في غرة ذي الحجة سنة ٥٨٦، واشتغل في ديوان الخلافة العباسية ، واشتهر بكتابه «شرح نهج البلاغة» .. توفي في ٢٠ من المحرم سلة ٦٥٦. الف كتاباً في الرد على «المثل السائر» سماه « الفلك الدائر على المثل السائر طبع اكثر من مرة وجاء في الطبعة الداخلة في القسم الرابع من ط. دار نهضة مصر : «وهذا الكتاب وقع الي من غرة ذي الحجة من سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، فتصفحته اولا في ضمن الاشغال الديوانية التي انا بصددها، وعلقت في هذا الكتاب في اثناء تصفحه على المواضع المستدركة فيه إلى نصف الشهر المذكور ...» (٣٤/٣)
ان «الفلك الدائر» و «شرح نهج البلاغة» مما يمكن ان ينتفع بهما عند التحقيق ولكن الاستاذين المحققين لم ينتفعا.

(٦) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ... محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي جزآن ١٩٣٩/١٣٥٨ .

(٧) من ذلك كتاب الصفدي (صلاح الدين خليل ابن ايبك ت ٦٧٤) — نصرة الثائر على المثل السائر. ومخطوطته في متناول أيديهم بدار الكتب المصرية. حققه محمد علي سلطان ، دمشق مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ت (تاريخ المقدمة ١٩٧١/١٣٩١). ويمكن ان ينتفع به لدى التحقيق (والدراسة)

(٨) طبانة (بدوي) — المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الاثير تراث الانسانية ، المجلد الثاني (صنص ١٠١ — ١١٤) ...

(٩) الوشي المرقوم في حل المنظوم. بيروت، مطبعة ثمرات الفنون ١٢٩٨. ومن الخطأ المطبعي في تاريخ طبعه ما ورد لدى زيدان — تاريخ آداب ٥٤/٤ أنه «طبع ... سنة ١٢٨٩» وجاء لدى بروكلمان المترجم (٢٧٢/٥) «وطبع في القاهرة ١٢٩٨هـ كما طبع في بيروت ١٢٩٨» ويمكن ان يرجع ذلك إلى الوهم . ولم يذكر سركيس في معجم المطبوعات ص ٣٥ غير طبعة بيروت.

(١٠) صدر ببغداد بتحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٦/١٣٧٥ —وتنظر هوامش بتحقيق الجامع الكبير للصلة بين الكتابين الحاشية ٢٤ آخر / ص ٦٧

(١)(تحذف : « وانما كان يستعمل هذه الصيغة لمن كان أقرب إليه زمناً من أبي العلاء العربي... وكانت هذه اللهجة ... »

(٢) يضاف اليها في آخرها : المغربي هو الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي (٣٧٠ — ٤١٨ هـ)
يلظر عنه كتاباه اللذان حققهما الأستاذ الشيخ حمد الجاسر

(١) أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها . الجزء الأول . الرياض دار اليمامة ، ١٤٠٠ / ١٨٨٠

(٢) الإيناس في علم الأنساب ... الرياض ، دار اليمامة ، ١٤٠٠ / ١٩٨٠ .
ومن مصادره : تتمة اليتيمة للثعالبي ، ومعجم الأدباء لياقوت ، وتاريخ ابن العديم والذخيرة لابن بسام ووفيات الأعيان لابن خلكان ...
ولنلاحظ ان الأبيات النونية لم ترد في ديواني أبي العلاء المعري .

(١١) الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية .. تقديم وتحقيق حنفي محمد شرف ١٩٥٨ ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية — قدم له (تصدير) الأستاذ عمر الدسوقي رئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم — والمحققان من اساتذة دار العلوم ... وتنظر (١ /١٨ ، ٥٥١)

(١٢) قال الحمدان (محمد ين عبدالله) — بنو الأثير الفرسان الثلاثة — الرياض ذو القعدة/ نوفمبر ١٩٧٤ ، المكتبة الصغيرة (١٣) ص ص ١٢٣ — ١٢٥ « ثم جاء الدكتوران ... واثبت المحققان أسماء ٨٩ كتابا وديوانا لمراجع لهما في تحقيق الكتاب والغريب انه ليس بين هذه المراجع (المثل السائر ... تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) ... وهذا ما يثير اكثر من سؤال عن السير في تجاهل الدكتور لجهود سابقهما ... ومما يجدر ذكره ان اكثر التعليقات مطابقة لتعليقات عبدالحميد ، بتغيير بسيط في بعض الكلمات والعبارات ...»

(١٣) تنظر القصيدة في « ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي » تحـ . محمد عبده عزام ، القاهرة ، دار المعارف ، المجلد الثالث : ١٩٨ صن ص ٣٢٢ — ٣٣٢ .

(١٤) ينظر شرح ديوان الحماسة تأليف التبريزي ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة، مطبعة حجازي ، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٧ / ١٩٣٨ ، ٢٣٦/١ ، فنرى المثبت في المتن : « قال جزء ... » وفي الحاشية : « وقال أبو محمد الأعرابي : هو جدير بن كليب ، لا جزء » البيتان هما الـ ٥٨ ، ٥٩ من قصيدة في مدح المعتصم ٣/ ١٣٢ — ١٤٥ من ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحـ . محمد عبده عزام ... ، ١٣٧٠ وقد جاء في هذه الطبعة « فتى » ، وجاءت « وطن مضمومة النون .
ووردت النون مفتوحة في طبعة للديوان صدرت (مصورة) في بيروت ١٩٦٨ ، منشورات مكتبة النهضة ببغداد ص ٢٣٣ ، واستدرك المحققان الحال ، متأخراً في القسم الرابع ص ٥٥٧ وكأنهما أفادا من الشيخ بدون أن ينصا على مصدر الإفادة ...

(١٦) في مختار الصحاح : « السفير الرسول المصلح بين القوم ... وسفر بين القوم يسفر بكسر الفاء سفارة بالكسر أصلح »
وفي القاموس « وقد سفره يسفره وأسفره وسفر يسفر كأسفر ... بين القوم أصلح يسفر ويسفر سفراً وسفاره وسفارة فهو سفير »

(١٧) وقد تكون هذه مناسبة للكلام على « أنعم » و « أمعن » ويبدو أنهما تتقاربان في الاستعمال.
جاء في القاموس : أنعم في الأمر بالغ . ومعن الفرس تباعد كأمعن ... وأمعن في أبعد ، والضب في جحره غاب في أقصاه » .
في اللسان أنعم أفضل وزاد ... ومنه توهم أنعم النظر في الشيء إذا أطال تفكيره وفي محيط المحيط لبطرس البستاني : تقول دققته دقا نعما وأنعم النظر في كذا أي حقق النظر وبالغ فيه . معن أمعن النظر في الأمر بالغ في الأمر وأبعد في الاستقصاء .

(١٨) والشيخ عندما يحيل على شرح التبريزي (١ /١٢٥) فإنما يحيل على عمل له ، فهو محقق هذا الشرح . وقد مر خبره في أعلاه .

(١٩) الطرائف الأدبية تحقيق عبدالعزيز الميمني ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، حط . لجنة ... ، ١٨٣٧ . ديوان ابراهيم بن العباس الصولي ص ص ١١٧ — ١٩٤.

(٢٠) الجامع الكبير ، ذكر أعلاه ، ص ٢ — والدمية لدينا مخطوطة ومطبوعة .

(٢١) ينظر لكاتب البحث كتاب « الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٨٥٨ — ١/١٨٨ — ١٨٣ : علي بن أفلح الشاعر الكاتب البغدادي ... توفي في العشرة الرابعة من القرن السادس » .

(٢٢) الثعالبي (أبو منصور عبدالملك ت ٤٢٩)— يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر .
محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ، مط .حجازي ، مكتبة الحسين التجارية ١٨٣٧ / ١٣٦٦ — ١/ ٢٧٢ — ٢٨٢ .

(٢٣) ينظر من مراجعة أعلام الزركلي ط ٤ (٧ /١٢٥) ، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ (٢٨٥/٣ — ٢٩٩) ، وأهم مصادره : الجزيرة (قسم الشام) ، معجم الأدباء ، وفيات الأعيان — وعنه نقلنا المعلومات المذكورة .

(٢٤) تحدث ابن الأثير غير قليل عن أبي العلاء (أحمد بن عبدالله بن سليمان) المعري ، ولكنه لم يصفه بـ « بعض المتأخرين » وإنما كان يستعمل هذه الصيغة لمن كان أقرب اليه زمناً من أبي العلاء المعري . وكانت هذه اللهجة مما يمكن أن تبعثهما على الشك والبحث .
وفي كتاب الطراز للعلوي اليمني ، ج ٢ ، القاهرة ، مطبعة المقتطف (مصورة) ١٣٣٢/ ١٩١٤ ص ٣٥٨ « ومن أحسن ما وجدته في ذلك للشاعر المعروف بالمغربي ، وقد أكثر منه : لو زارنا ... ولم يختلف تحقيق الشيخ (٢٥١/١) عن تحقيق الاستاذين .

(٢٥) الكلام في ط . بيروت ، تحقيق د. إحسان عباس ٢٤٣/٦ — ٢٤٩ .

(٢٦) الزركلي — الاعلام ، ط ٤ ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٧٩ ، ١٤٧/٨ — ١٠٣٨ وكان بامكان المحققين الاستغناء عن كثير من تعريفاتهما بالاحالة العامة إلى اعلام الزركلي.

(٢٧) يؤيد هذين التصحيحين نص ابن خلكان كما ورد في الطبعة التي حققها الدكتور احسان عباس.

(٢٨) زيدان (جرجي) –تاريخ التمدن الاسلامي ، الجزء الأول ، ط ٢ بيروت باشراف وتعليق الدكتور حسين مؤنس ص ٢٥١ .

(٢٩) قال ابن الأثير (١٦١/١) : « وقد بسطت القول في هذا الموضع (حل الشعر) ، وكشفت عن دفائنه في الكتاب الذي وسمته : (الوشي المرقوم في حل المنظوم) وهو كتاب مفرد لهذا الفن خاصة والموضوع عزيز جدا على نفس ابن الأثير ... وكان قد نبه اليه في كتابه « الجامع الكبير » لعلاه – ص ٢٦–٢٧ .

(٣٠) وهو من المباحث التي يحسن الرجوع بها إلى كتاب ابن الأثير الجامع الكبير » ذكر في اعلاه – ص ص ٢٥١ – ٢٧٣ .

(٣١) قال ابن خلكان – حرف الميم ، محمد : « ... أحد المتأخرين المجيدين ... له ديوان شعر بايدي الناس كثير الوجود وذكره العماد الكاتب الاصبهاني في كتابه الذي سماه الخريدة فقال : هو شاب ظريف ... ومن أبياته السائرة قوله من جملة قصيدة انيقة :

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها ...

وفاته على ماقاله ابن الجوزى في تاريخه من جمادي الاخرة سنة تسع وسبعين وقال غيره سنة ثمانين وخمسمائة–ببغداد ودفن في باب ابرز محاذى التاجية ...»

ذكرنا خبره عن ابن خلكان لانه ايسر المصادر إلى المحققين والا فان «الخريدة» مطبوع ، ومنتظم ابن الجوري كذلك

ومن النافع ان نذكر احدث الدراسات من الشعر في عصره:

١. الشعر العربي في العراق (من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد) لعبد الكريم توفيق العبود ، بغداد ، ١٨٧٦

٢. الشعر العراقي في القرن السادس الهجري لمزهر عبد السوداني ، بغداد ١٩٨٠ وديوان الابله مخطوط موجود ... كان عبد الكريم الدجيلي قد عزم على تحقيقه

(٣٢) كما حدث ، مثلا ، للدكتور محمد زغلول سلام في كتابه «تاريخ النقد العربي ج٢» من القرن الخامس إلى العاشر الهجري . القاهرة ، دار المعارف د.ت»: ص‌ص٢٦٩–٢٧١ : « ويضم التأليف ثمانية أبواب هي : السجع في المنشور ، والتصريع في المنظوم ،والتجنيس والترصيع ، ولزوم مالا يلزم فيهما معاً ، والموازنة في المنثور ، واختلاف صيغ الألفاظ وتكرير الحروف فيهما أيضاً»– وينظر كتابه :«ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد». القاهرة د.ت .

(٣٣) والبيت رابع بيت من قصيدة مطلعها :

ايقدح في «الخيمة» العذل وتشمل من دهرها يشمل

وللقصيدة قصة رواها ابن الاثير نفسه لتتضح قيمة البيت الذي استشهد به وقال ١٠/٢

«... ان سيف الدولة بن حمدان كان مخيماً بأرض ديار بكر على مدينة «ميافارقين» فعصفت الريح بخيمته ، فتطير الناس لذلك ، وقالوا فيه اقوالا ، فمدحه ابو الطيب بقصيدة يعتذر فيها عن سقوط الخيمة ، اولها : اينفع في الخيمة العذل...» ورواية القصة تنسجم وماجاء في ديوان الشاعر (ينظر شرح البرقوقي ٥٩/٢) وكان المناسب ان ينبه المحققان إلى أن «ينفع وردت في الديوان يقدح .

ثم ان الضمير في ارجاؤها «يعود على الخيمة»... وقد ضاقت بشخصك لعظمته مع انها واسعة، «من الاتساع–كما يقول اليازجي في شرحه ص٣١٤... بحيث يركض في احد جوانبها الجيش الكثير» نطلب مثل هذا البيان من المحققين بعد ان الزما نفسيهما بالشرح ... وشرح المشروح احياناً.

(٣٤) معجم البلدان ط. اوربا ٤٤٤/٤. وقد يكون مفيداً ان نذكر انها بالفرنسية مكسورة الاول والثاني..

(٣٥) ينظر عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ٣٤٠/٢

(٣٦) جاء في «ديوان العباس بن الاحنف. القاهرة ، مطبعة دار الكتب ١٩٥٦» ص ٢٧٩:
«وقال لما خرج مع «الرشيد» إلى «خراسان» :
قالوا» خراسان ... الخ

(٣٧) ينظر العقد الفريد لابن عبد ربه ، بتحقيق احمد امين ومحمد سعيد العريان . طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٥٩/١٩٤٠–أعيد طبعه مصوراً وجاء عليه : بتحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر (د.ت ، د.م) وقد ورد النص منه على ١٧٥/١ :
«وقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة فقالت : أشكو إليك قلة الجرذان. قال : ما أحسن هذه الكناية ! إملأوا لها بيتها خبزاً ولحماً وسمناً » .

(٣٨) قال ابن خلكان –حرف العين ، علي– :
«ابو الحسن علي بن مقلد بن منقذ الكناني الملقب سديد الملك صاحب قلعة شيزر وهو اول من ملك شيزر من بني منقذ لانه كان نازلا مجاوراً القلعة بقرب الجسر المعروف بجسر بني منقذ وكانت القلعة بيد الروم فحدثته نفسه بأخذها ونازلها وتسلمها بالأمان في رجب سنة (٤٧٤) ولم تزل في يده ويد اولاده إلى ان جاءت الزلزلة سنة (٥٥٣) فهدمتها وقتلت كل من فيها من بني منقذ وغيرهم «وقال : «وكان مقصوداً.. ومدحه جماعة من الشعراء ...وكان له شعر جيد موصوفاً بقوة الفطنة... كانت وفاته في سنة (٤٧٥)...» (٤٠٨/٣ –٤١١)

وتكلم ابن خلكان على اعلام المناقذة
مقلد بن نصر بن منقذ (والد علي..) ولقبه مخلص الدولة حرف الميم (٢٦٩/٥–٢٧٣)
مرشد (ولد علي) توفي سنة ٥٤١ (ينظر في ترجمة اسامة) .

اسامة (حفيده ، ولد مرشد – (١/١٩٥–١٩٩) توفي سنة ٥٨٤ ولدى كلامه عليه تكلم عن شيزر : «وشيزر بفتح الشين المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاى .. قلعة بالقرب من حماه وهي معروفة بهم .
وينظر عن شيزر ياقوت ، معجم البلدان ط. اوربا : « قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماه يوم تعد من كورة حمص» .
وينظر من النافذة العماد الكاتب الاصبهاني–الخريدة ، قسم الشام ، تحقيق الدكتورشكري فيصل ..

(٣٩) تحدث ابن خلكان عن قرواش (٥/٢٦٠–٢٦٢) من كلامه على والده المقلد –حرف ميم (٥/٢٦٠–٢٦٢) قال :
ابو حسان المقلد بن المسيب ... العقيلي الملقب حسام الدولة . صاحب الموصل كان اخوه ابو الذواد محمد بن المسيب اول من تغلب على الموصل وملكها من اهل هذا البيت وذلك في سنة ثمانين وثلاثمائة ... فلما مات أبو الذواد سنة سبع وثمانين قام أخوه المقلد المذكور بالملك من بعده ...
ولما مات كان ولده معتمد الدولة ابو المنيع قرواش غائبا عنه ثم تقلد الأمر من بعده وكانت له بلاد الموصل والنوفه والمدائن وسقي الفرات ... ودامت امارة قرواش مدة خمسين سنة فوقع بينه وبين اخيه بركة بن المقلد ... فقبض عليه في سنة احدى واربعين واربعمائة وقيده وحبسه في الجراحبة احدى قلاع الموصل وتولى مكانه ... »
قتل قرواش في مستهل رجب سنة أربع واربعين واربعمائة ودفن بتل توبة شرقي الموصل وكان فصيحا ... شاعرا كريما شجاعا . وقروان بكسر القاف وسكون الراء ... »
ينظر للتفصيل في أمر الامارة العقيلية : العماد الكاتب الاصبهاني – الخريدة قسم الشام تحقيق الدكتور شكري فيصل ...

(٣٩) ينظر كتاب الدكتور محمد زغلول سلام : ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد ص ص ٦٨ – ٦٨ .

(٤٠) ط ١ ، النجف ، العلوية ١٣٤٣. ط ٢ دمشق ، الهاشمية ، تحقيق خليل مردم ١٩٥٨ .

(٤١) احفظ : فكل مكان خيمت فهو بابل عجزا لبيت من شعر الابيوردى وصدق الحفظ عندما رجعت إلى ديوان الابيوردى ط. بيروت ١٣١٧ ص ٢٤٢ :
قواف تعيد الاعين النجل سحرها وكل مكان خيمت فيه بابل

(٤٢) كما فعل الدكتور شوقي ضيف اذ قال وهو يتحدث عن «السرقات »لدى الاثير « ابن الأثير.. يقسمها ثلاثة أقسام : نسخاً وسلخاً ومسخا ، ثم يفرع هذه الأقسام فروعا تبلغ ستة عشر ... » – النقد ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٤ ص ١٠٣ .

(٤٣) ينظر — مثلا — يتحقيق محمد أبو الفضل . القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية — عيسى البابي وشركاه في ٢٠ جزءا ، ١٣٧٨/١٩٥٩ — ١٣٨٣ — ١٩٦٤ ، تليها الفهارس في جزء خاص

(٣٣) بروكلمان — تاريخ الأدب العربي (بالالمانية) ج ١ ط ١ ص ٢٨٣، ط ٢ ، ص ٣٣٦ ، الذيل ج ا ص ٤٩٧ . والترجمة العربية (أعلاه) ١٧٧/٥ ، ٢٧٣ .

(٤٥) يقول زيدان ذكر في اعلاه — « الفلك الدائر ... مطبوع في مصر مرارا » (٤٥/٤) وليس لدينا مايؤيد ذلك . ولم يرد لدى يوسف اليان سركيس في «معجم المطبوعات ... الا طبعة واحدة قال ص ١٨٤ « طبع الهند ١٣٠٩ ». في الجامع الكبير ه ٣٧. ولدى بروكلمات (بالعربية) ١٧٧/٥ « وطبع في بومباي ١٣٨ — ١٣٠٩ ه . وذكره عمر فروخ ٥٨٣/٣ وكأنه صادر في طبعتين ، قال : « الفلك الدائر على المثل السائر ، لا ذكر لمحل الطبع ، ١٣٠٩ ه ( ) = المثل السائر المسمى بالفلك الدائر ، بمبي ١٣٠٨ — ١٣٠٩ ه ».

(٤٦) لم يطبع « ديوان ابن نباتة السعدي » الا في سنة ١٨٧٧ بتحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي . بغداد ، وزارة الاعلام ، دار الحرية للطباعة ، وقد صدر في جزأين .

الحضور التاريخي لمدينة
طرابلس الشام
من خلال الكامل في التاريخ لابن الاثير

الدكتور عمر عبدالسلام تدمري
الجامعة اللبنانية — كلية الآداب والعلوم الانسانية
فرع طرابلس



من الفتح العربي الى العصر الفاطمي

يصرّح ابن الأثير بذكر مدينة طرابلس في كتابه « الكامل في التاريخ» أربعاً وخمسين مرة ، (١) ويأتي ذكرها عدة مرات أخرى — ضمناً دون تصريح باسمها — من خلال أعلامٍ ارتبط تاريخهُم بها ، من أمراء وولاةٍ وقادةٍ ، مثل « سحيم بن المهاجر » الذي وليها في عهد عبد الملك بن مروان « وغلام زرافة ليو الطرابلسي » الذي كان أميراً للبحر » ، و « نزّال الكتامي» الذي كان والياً عليها من قِبل الدولة الفاطمية ، و«جلال المُلك» قاضي طرابلس وصاحبيها ، و« صنجيل » وغيره من أمراء الإفرنج الذين حكموها .

ويبدأ ذِكْرها لأول مرة في حوادث سنة ١٣هـ . وهو يتحدث عن فتح المسلمين لها بقيادة « سفيان بن مجيب الأزدى » في خلافة عثمان بن عفان. ومن الواضح أنّ السنة الثالثة عشرة الهجرية لاتتفق وخلافة عثمان التي تأخرت حتى أول سنة ٢٤هـ . ففتح طرابلس قد تأخر الى نحو سنة ٢٥هـ . ولكن يبدو أن ابن الأثير اراد بذكْره في حوادث سنة ١٣هـ . أنْ يتناول الحديث عنها في السنة التي تم فيها فتح مدن الساحل الشامي (ساحل لبنان حاليا) وهي : صيدا وجبيل وبيروت وعرقّة.

(١) انظر فهرس الاماكن من نسخة صادر ببيروت ١٩٦٥ — ١٩٦٧ عن النسخة التي نشرها ١٣ — ص ٤٩٠و٤٩١،

(٢) فتوح البلدان — البلاذرى — تحقيق د. صلاح الدين المنجد — ق ١/١٥٠ — القاهرة ١٩٥٦.

ورواية ابن الأثير عن فتح طرابلس لاتختلف عن رواية «البلاذرى» في « فتوح البلدان» وهو إن كان يأتي بروايات منقولة عن مصادر اخرى فانه كان يمنح الثقة للروايات التي نقل عنها وأكدها ، وخاصة فيما يتعلق بفتح ساحل الشام الذي اهدل « ابن جرير الطبري» الحديث عنه تماماً في تأريخه بشكل يدعو للتساؤل .

وفي حوادث سنة ٦٩هـ. يتناول ابن الاثير عصيان الجراحمة (١) بالشام في عهد عبد الملك بن مروان ، ودوْر « سحَيم بن المهاجر» في القضاء على حركتهم ، غير أنه لايشير إلى وظيفة سحيم في ذلك الوقت، ولكننا نعرف من « ابن عساكر الدمشقي » (٢) و« ابن العديم الحلبي » (٣) انه كان والياً على طرابلس حينذاك .

وهنا نسجل على « الطبري» إهماله لهذه الواقعة أيضاً .

وفي حوادث سنة ٢٩١هـ . ينقل ابن الاثير عن « الطبري» خبر غزوة « غلام زرَافة «لمدينة أنطالية ، وهو كسلفه لا يُفصْح عن هويـَّة» غلام زرافة . بينما يعـَرفه كلّ من « المسعودي » (٤) و « ابن عساكر» (٥) « والذهبي » (٦) بأنه أمير البحر « ليوالطرابلس» المعروف بـ « غلام زرافة» صاحب طرابلس . وهو صاحب الغزوة البحرية الكبرى على سالونيكا اليونانية التي عاد منها باثنين وعشرين ألف أسيرٍ وعدد كبير من السفن (٧)

---

(١) نسبة الى مدينة الجرجومة على جبل اللكام عند معدن الزاج فيما بين بيان ويوقا ، قرب أنطاكية.

(٢) تاريخ دمشق – ابن عساكر – مخطوط التيمورية (رقم ١٠٤١ تاريخ) – ج١٥/١٢٠

(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب – ابن العديم – مصورة معهد المخطوطات بالجامعة العربية (رقم ٨٢٩ تاريخ) – ج ٢١٩/٧.

(٤) مروج الذهب – ج ١٢٩/١، التنبيه والإشراف ١٥٣.

(٥) تاريخ دمشق –ج ١٢٥/٢٤، تهذيب ابن عساكر ٣٣٤/٤.

(٦) تاريخ الاسلام وطبقات مشاهير الاعلام – مصورة دار الكتب المصرية (رقم ٣٩٦ تاريخ) – ج ١٨٠/٢١.

(٧) HISTORY OF THE BYZANTINE – FINLAY – 317 BOOK, II

وينقطع الحديث عن طرابلس في تاريخ ابن الاثير حتى سنة ٣٥٨هـ. حيث يأتي الحديث عن حملة الامبراطور البيزنطي «نقفُور فوكاس» إلى بلاد الشام في نهاية الدولة الاخشيدية «وقد جاء في متن النسخة التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة أنّ ملك الروم سار في البلاد إلى طرابلس» واحرق بلدها « وجاء في الحاشية انه أحرق ربض طرابلس (١) . ونحن نميل إلى ماجاء في الحاشية بالاستناد إلى ما ذكره كلٌّ من « الانطاكي » (٢) و «الروزراوري» (٣) و «الهمداني» (٤) .

ثم يرد ذكر طرابلس بعد سنوات قليلة من ضمّ الفاطميين بلاد الشام إلى نفوذهم ، وبالتحديد في سنة٣٧٨هـ. حيث يقوم واليها القائد «نزّال الغوري الكتامي» بمساعدة القائد «منير الصقلبي الخادم» في إخراج « بكجور » من دمشق (٥) الذي يقوم بالاستيلاء على الرحبة ومايجاوز الرقّة ، ثم يراسل الخليفة الفاطمي «العزيز بالله» يُطْمِعُه في حلب ويقول له إنّها دِهليز العراق ومتى أخذت كان مابعدها أَسهل منها ، ويطلب إنجادّه بالعساكر ، فيجيبه العزيز إلى ذلك بإرسال «نزّال» والي طرابلس لمساعدته في سنة٣٨١هـ. وإعطائه حق قيادة جميع العساكر التي يجهّزها وُلاةُ البلاد الشاميّة الأخرى والتصرّف بقصد حلب وقتْل صاحبها «سعد الدولة بن سيف الدولة الحمداني» .

ويبرز ابن الاثير دور «نزّال» في مماطلة «بكجور» استجابة لرأي الوزير «عيسى بن نسطورس النصراني» الذي كان يحقد على «بكجور» ، والأمر إليه بأن يزّين له ضرورة قتال «سعد الدولة» فإذا تورّط في قتاله

---

(١) الكامل في التاريخ – ج /٥٩٦ .
(٢) تاريخ الانطاكي ٨١٥و٨١٦ – باريس ١٩٢٤ ، ج ١٣١/١ – بيروت ١٩٠٩
(٣) ذيل تجارب الأمم – ج ١٣/٣
(٤) تكملة تاريخ الطبري – ج ٢٠١/١
(٥) الكامل ٥٨/٩

تخلّى «نزّال» عنه . وقد نجحت خطة الوزير «ابن نسطورس» حيث نفذها «نزّال» بإحكام ، (١) لانه كان من صنائعه على ما يقول « ابن القلانسي» (٢) و « الروذراوري » (٣) . ومن خلال هذه الاحداث نتبيّن أهمّية دور والي طرابلس ، كما نرى أهمية موقع المدينة ذاتها بالنسبة للدولة الفاطمية حيث كانت هي القاعدة والميناء الرئيسي الذي تصل عن طريقه الإمدادات العسكرية والغذائية من مصر لتوزّع في أنحاء الشام .وهذا مايوضحه ابن الاثير في النصّ على أن «العزيز بالله» أَنْفَذَ الأقوات من مصر في البحر إلى طرابلس ومنها إلى عسكر «منجوتكين» (×) الذي أمر بمحاصرة حلب وانتزاعها من الحمدانيين ، فكان ذلك مقدّمة لقيام الامبراطور «باسيل الثاني» بحملة إلى مدن الشام الشمالية ومنازلته طرابلس نيّفاً وأربعين يوماً دون ان يتمكّن من اقتحامها في سنة٣٨٥هـ. (٤)

وفي السنة التالية ٣٨٦هـ. يخبرنا ابن الأثير ان «أبا تميم سليمان بن جعفر الكُتامي» العامل على الشام قام بعزل «جيش بن الصمصامة الكتامي» عن طرابلس واستعمل أخاه «علي بن جعفر» عليها . ونظر في أمر الساحل.١٩

عصر امارة بني عمار

مع سنة٤٦٤هـ. يبدأ ابن الاثير بالتاريخ لبني عمار أمراء طرابلس الذين جعلوها إمارةً مستقلةً عن الدولة الفاطمية ، فيؤرّخ لوفاة «ابي طالب بن عمار» الذي كان قد استولى عليها واستبدّ بأمرها، وقيام ابن أخيه«جلال الملك» مكانه حيث «ضبط البلد أحسن ضبْطٍ ولم يظهر لفقْد عمه أثَرٌ لكفايته» (٥) .

---

(١) الكامل ٨٥/٨ و ٨٦ .
(٢) ذيل تاريخ دمشق – ص ٣٤
(٣) ذيل تجارب الأمم – ج ٢٠٩/٣
(×)الكامل ٨٩/٩
(٥) الكامل ٩٠/٩
(٦) الكامل ١١٩/٩
(٧) الكامل ٧١/١٠ .

ثم ينفرد ابن الأثير بالحديث عن نزول السلاجقة على طرابلس في سنة ٤٨٥هـ . بقيادة « تاج الدولة تتش» ، وكيف تخلَص أميرها وقاضيها « جلال الملك» من خطرهم عن طريق استمالة بعض القادة السلاجقة بالأموال والتحف ، وابراز منشور موقّع من السلطان « ملكشاه» ينصّ على الاعتراف باستقلال « ابن عمار» في حُكْم طرابلس ، ويتعهدّ بأن يقوم النواب السلاجقة في البلاد القريبة من طرابلس بمساعدة « ابن عمار» والدفاع عن إمارته ، والتحذير من محاربته . (١) وعن ابن الأثير ينقل « ابن واصل » (٢) و « ابن تغري بردى » (٣) هذه الحادثة .

ومن « الكامل في التاريخ» نعرف أن نفوذ « جلال الملك » كان يصل الى جبلة في الشمال من ساحل الشام ، وكان قاضيها « عبد الله بن منصور » تحت طاعته منذ سنة ٤٧٣هـ . حتى توفي وخلَفَه ابنُه « ابو محمد» المعروف بـ« ابن صليحة» الذي خلع طاعة « ابن عمار» وخطب للعباسيين فاستعان « ابن عمار» بـ « دقاق بن تتش » ليبعده عنها ولكنه فشل في حصاره واستمر « ابن صليحة » مستولياً على جبلة حتى أتاها الصليبيون فخرج منها إلى دمشق بأهله وتسلمها منه بوري بن طغتكين « فأرسل « ابن عمار» الى الملك « دقائق» يعرض عليه أن يتسلم منه « أبن صليحة» عرياناً مقابل ان يأخذ « دقائق» جميع ماله ويزيده من عنده ثلاثمائة الف دينار فلم يفعل . (٤) إلا أنّ جبَلَة مالبث ان عادت الى نفوذ « ابن عمار » اذ أن « تاج الملوك بوري» أساء السيرة مع أهلها هو وأصحابه ، فراسلوا « جلال الملك » وشكوا إليه الأمر وطلبوا الدخول في طاعته ، فأرسل إليهم عسكراً استرجع به المدينة وقبض على « تاج الملوك» وجيء به الى

---

(١) الكامل ٢٠٣/١٠

(٢) مفرج الكروب في اخبار بني أيوب – ابن واصل – ج ٢١/١ – تحقية د. جمال‌الدين الشيال – القاهرة ١٩٦٠.

(٣) اللجوم الزاهرة – ابن تغرى بردى – ج ١٣٢/٥ / طبعة دار الكتب المصرية

(٤) الكامل ٢١١/١٠

طرابلس أسيراً ، فأكرمه « ابن عمار» وأطلق سراحه وكتب إلى أبيه « طغتكين» يعتذر اليه عمّا حدث ، وبرّر ذلك فانه خاف أن يملك الفرنج جبلة ، فاضطر الى اخراج « تاج الملوك» منها .

وقد ذكر ابن الأثير هذه الاحداث مجتمعة مع تفصيلاتها في حوادث سنة ٤٩٤هـ . ونجد بعضها في « معجم البلدان » و«النجوم الزاهرة » و«مرآة الزمان » و«ذيل تاريخ دمشق » و«المختصر في اخبار البشر » و«تتمة المختصر » .

ثم ينفرد ابن الأثير بالحديث عن واقعة جرت بين المسلمين والفرنجة عند باب طرابلس في سنة ٤٩٥هـ. فيما يجعل كل من «ابن القلانسي» و« سبط ابن الجَوْزي» (١) هذه المعركة عند أنطرطوس . ورواية ابن الأثير تستحق التأمل في معلومتين وردتا فيها،

الأولى: ان «صنجيل» قائد الفرنجة وصل الى طرابلس في ثلاثمائة من جنوده فقط ، وانه هزم بهم الأمير «ياخز» خليفة «جناح الدولة» على حمص، وألفي مقاتل سيّرهم «دقاق بن تتش»، وعسكر طرابلس بقيادة «فخر الملك بن عمار» الذي قتل منه سبعة آلاف رجل، ثم منازلته المدينة وحاصرها.

الثانية: إن أهل الجبل القريب من طرابلس أعانوا «صنجيل» على حصارها ، وكذلك أهل السواد، وأكثرهم نصارى، فصمد أهل المدينة وقتلوا ثلاثمائة من الافرنج ، فهادنهم «صنجيل » على مال وخيل ورحل عنهم إلى أنطرطوس (٢) .

إن المعلومة الاولى تدعونا إلى التساؤل :

– كيف يتسنّى لثلاثمائة رجل، غرباء عن البلاد، بعيدين عن أيّة إمدادات أن يهزموا نحو عشرة آلاف رجل من أهل البلاد، القريبين من

(١) مرآة الزمان – ج ٣/١٢ / ٢٤٦أ

(٢) الكامل ٣٤٤/١٠

مصدر إمداداتهم ، ويقتلون سبعة آلاف من رجال طرابلس؟ وهذا يدعونا أيضاً للتساؤل عن نسبة القتلى الى عدد سكان المدينة في تلك السنة، خاصة ونحن نعرف أن سكانها كانوا قبل نيف ونصف قرن، أ ُلفاً حسب تقدير «ناصر خسرو» (١)

لعل في المعلومة الثانية مايجيب على تساؤلنا الأول .

تقول المعلومة الثانية أن أهل الجبل وأهل السواد واكثرهم نصارى اتوا الى « صنجيل» وأعانوه على حصار طرابلس . ولابدّ أن عددهم كان كبيراً وكافياً للوقوف أمام نحو عشرة آلاف مقاتل ثم تحقيق الانتصار عليهم .

ومن هذه الرواية نقف على اول اشارة من مؤرخ مسلم الى مشاركة النصارى في القتال إلى جانب الافرنج الصليبيين ضد المدن الاسلامية الساحلية وهي ادانة لاتقبل الشك لتلك الفئة التي وقفت صراحة الى جانب الغزاة القادمين من اوربا .

وفي الواقع ، يمكننا ان نفهم ضمنا ان المساعدة التي قدّمها النصارى الى الصليبيين في تلك الموقعة لم تكن بنت ساعتها ، وانما وضعت ترتيباتها بين الطرفين حسب تنسيق مسبق تم اعداده قبل يوم المعركة . ونرى مثل ذلك فيما يأتي من أحداث لاحقة عند مؤرخين آخرين .

ومن رواية أوردها ابن الاثير في حوادث سنة ٤٩٦هـ . نعرف ان المدينة كانت تسَيّر أسطولاً من المراكب للاغارة على البلاد التي بيد الافرنج رغم مواصلة حصار الصليبيين لها ، وان المواد الغذائية كانت تأتيها . (٢) ووصلت في السنة التالية مراكب من بلاد الافرنج الى اللاذقية فيها تجتار وأجناد وحجّاج وغير ذلك ، فاستعان بهم « صنجيل» وحاصر

(١) سفرنامه – ناصر خسرو علوى – ترجمة د. يحيى الخشاب – ص ٤٧ بيروت ١٩٧٠

(٢) الكامل ٣٦٥/١٠ و ٣٦٦

طرابلس براً وبحراً وضايقوها وقاتلوها أياماً فلم يروا فيها مطمعاً . (١)
واضطر « ابن عمار» « ان يكاتب» سقمان بن أرتق » صاحب ديار بكر
وبذل له المعونة بالمال والرجال ليأتي ويساعده في سنة ٤٩٨هـ . (٢)

وهنا نجد ابن الاثير يهمل الاشارة الى مراسلة (ابن عمار) لـ« جكرمش»
صاحب الموصل ، رغم أنه ينقل كثيراً من معلوماته عن « ابن القلانسي»
الذي يذكر . (٣) كما يخلط بين جُبَيل وجَبَلَة فيجعل فتح جبلة قبل
جبيل ، والعكس هو الصحيح حسب تتابع الأحداث وحسب المصادر
المتفقة على تلك الحقيقة ، ثم يتحدث عن بناء « صنجيل» لحصنٍ قريبٍ
من طرابلس وبناء ربض تحته لمتابعة الحصار ، وإغارة «فخر الملك» على الحصن
بغتة وإحراق ربضه وانخساف بعض سقوف الحصن بـ« صنجيل » وجماعة
من القمامصة والفرسان ، وموت « صنجيل» بعد أيام ودفنه في القدس .
ويتابع ابن الأثير القول ان ملك الروم أمرأصحابه باللاذقية ليحملوا الميرة
إلى الفرنج المحاصرين لطرابلس فحملوها في البحر ، فتصدّى لهم أسطول
« فخر المُلْك » وظفر الطرابلسيون بقطعة من الروم فأخذوهما وأسروا من
كان بها بعد قتال شديد (٤) .

وقد استأثر الوضع السائد في طرابلس قبل سقوطها بيد الصليبيين باهتمام
مؤرّخنا ، فأفرد عنه صفحات كاملة ، وأتى بمعلومات تفصيلية لانجدها
في أيّ مصدر آخر ، وترك وصفاً مسهباً عمّا تتمتّع به المدينة من شهرة في
التجارة والغنى والثروة ، كما تناول سياسة «فخر الملك» الأقتصادية والاجراءات
الضريبية التي سنها في مواجهة الحصار الأقتصادي والعسكري اللذيْن
واجهتهما طرابلس طوال خمس سنين .

---

(١) الكامل ٣٧٢/١٠

(٢) الكامل ٣٨٩/١٠ و ٣٨٥

(٣) الكامل ٤٠٠/١٠، ذيل تاريخ دمشق ١٤٦

(٤) الكامل ٣١٢/١٠

ولم يكتف ابن الأثير بعرض سياسة «فخرالملك» فحسب ، بل أظهر تأييده لسياسته وموقفه الشجاع من الفرنج بقوله : «وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأى سديد ». وانفرد أيضاً بالحديث عن واقعة الخيانة التي ظهرت من بعض أثرياء طرابلس وكيف اقتصّ «فخرالملك» منهم . وهنا نرى البصيرة التاريخية النافذة عند ابن الأثير ، فهو يُجْري مقارنة بين حالة المسلمين في ذلك الوقت ، وبين حالتهم أيام السلطان «الب ارسلان» سنة ٤٦٣ هـ. ثم بين حالتهم في زمانه الذي كان يؤرخ فيه هو ستة ٦١٦هـ (١)

وفي الواقع ، إننا لانجافي الحقيقة إذا قلنا أن بإمكان الباحث لتاريخ طرابلس الشام أن يعتمد على «الكامل في التاريخ » للتأريخ معهد «فخر المُلْك » دون الأستعانة بمصادر أخرى ، إذ غطّى ابن الأثير هذه الحقبة من تاريخ المدينة تغطية كاملة ، غنية بالمعلومات وخصبة بالأحداث المفصلة. حتى ليخيّل لنا أن سيرة « فخرالملك» استهوته ، ولذا أفرد لها حيزاً محترماً في كامله . وهو المؤرّخ الوحيد الذي يعطينا بعض المعلومات عن «فخرالملك» بعد خروج طرابلس من يديه ، حيث استقرَّ الأمر به في الموصل وزيراً للملك « مسعود بن محمد بن ملكشاه » بعدّة سنوات ، إلى أنْ عزَلَه في سنة ٥١٣هـ . وفي هذا إشارة إلى العلاقات التي كانت تربط طرابلس بالموصل في عهده . (٢) وتأكيد العلائق الأخوية التي كانت تربطه بملوك السلاجقة وأمرائهم عموما ، والتي توثّقت بشكل قوي أثناء سفره إلى بغداد في سنة ٥٠١ هـ. مستنفراً على الفرنج ، حيث نزل ضيفاً على السلطان « محمد بن ملكشاه» الذي استقبله استقبال الملوك هو والخليفة العباسي «المستظهر بالله». وهذا جميعه ثمرة الجهاد في الدنيا ، وَلَأجْرُ الآخرَةِ أَكْبَرُ » « حسب تعبير ابن الأثير» (٣) .

---

(١) الكامل ٣١٣/١٠

(٢) الكامل ٥٣٩/١٠

(٣) الكامل ٤٥٣/١٠

ولم تكن علائق «فخر الملك» مع ملوك بغداد السلاجقة الا امتداداً للعلاقة المتينة التي وضع أُسُسَها أخوه «جلال الملك» من قبل ، مع السلطان «ملكشاه» الذي اعترف له بحكْمه المستقلّ على طرابلس .

وينفرد ابن الأثير أيضاً عن غيره من المؤرّخين المعاصرين بالحديث عن خروج مدينة عرْقَة من يد « فخر المُلْك » ثم استيلاء الصليبيين عليها قُبَيْل سقوط طرابلس . ثم يُفْرِدُ أكثرَ من صفحة لواقعةِ سقوطِ طرابلسَ بيد الصليبيين ، ولكنه يضع تاريخَيْن لهذا السقوط . فهو يذكر دخول الفرنج طرابلس في حوادث سنة ٥٠٣ هـ. فيقول : « ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة .. في هذه السنة ، حادي عشر ذي الحجة ، ملك الفرنج « طرابلس» . (١) ويعود في حوادث السنة نفسها للحديث عن ملك الفرنج لمدينة «جُبَيْل» ، والصحيح «جَبَلة » كما سبق وأوضحنا ، وكان بها «فخر الملك» الذي لجأ اليها بعد سقوط طرابلس ، فقاتلها الفرنج إلى أن ملكوها في ٢٢ من ذى الحجة ٥٠٣ هـ. وخرج منها «فخر الملك» سالماً فقصد شيزر ثم دمشق ، وهناك أقطعه صاحبُها «طغتكين» أعمال الزبداني «وكان ذلك في المحرّم سنة اثنتين وخمسمائة» . (٢) وهذا يتناقض مع تسلسل الاحداث ، فإذا كان سقوط طرابلس قد تمّ في الأيام الأخيرة من سنة ٥٠٣ هـ . فإن خروج « فخر المُلْك» من جَبَلَة إلى دمشق يكون في أوائل سنة ٥٠٤ هـ . وليس سنة ٥٠٢ هـ .

ونظراً للتناقض في روايتَيْ ابن الأثير ، فإننا نميل إلى ما أثبته « ابن القلانسي» من أنّ سقوط طرابلس كان في سنة ٥٠٢ هـ . (٣) وذلك لأن « ابن القلانسي » أقرب المؤرخين إلى ذلك التاريخ (٤) .

---

(١) الكامل ٤٧٥/١٠

(٢) الكامل ٤٧٧/١٠

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٦٣

(٤) توفي سنة ٥٥٥هـ.

الامارة الصليبية : —

يتناول ابن الأثير في عصر الحروب الصليبية محاولات المسلمين لأسترداد طرابلس من الفرنج ، والأعمال الحربية التي شارك فيها أمراؤها الفرنج ضد القوى الاسلامية ، وهو لايأتي بجديد عما أتى به «ابن القلانسي» وحين يتحدّث عن « بونزكونت طرابلس » يسمّيه « : القمص صاحب طرابلس » ، (١) وهو لايشير إلى مقتله في غزوة التركمان إلى المدينة في سنة ٥٣١ ﻫ . حين قادهم الأمير «بزاوش» كما يسمّيه هو، (٢) أو « بزواج» كما يسمّيه «ابن القلانسي» (٣) و «ابن الفرات » (٤) . إلا أننا نعرف من «القلقشندي» المتوفى سنة ٨٢١ﻫ. ان «القمّص» قُتل في هذه الغزوة (٥) . ثم يتحدّث ابن الأثير في حوادث سنة ٥٤٣ﻫ . عن « برتداند بن ألفونسو جوردان« حفيد» ريموند الصنجيلي» صاحب حصن طرابلس، فيسميه : «ابن الفنش» ، ويذكر أنه جاء مع ملك الالمان في حملته الى الشام وأراد انتزاع طرابلس من يد «ريموند الثاني» (٥٣١ — ٥٤٦ﻫ./١١٣٧ — ١١٥٢م.) فوقع في قبضة «نور الدين محمود «و» معين الدين أنر«صاحب بعلبك . وهنا نرى روح المرح والمداعبة عند مؤرخنا وهو يتهكم على مصير (ابن الفنش) حين يقول : «وكان مثل ابن الفنش كما قيل خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بغير أذنين» (٦) .

وفي حوادث سنة ٥٤٥ﻫ . يذكر ابن الأثير في كامله أبياتا من الشعر في مدح «نور الدين زنكي» حين فتح حصن أفامية، وينسبها الى الشاعر «ابن الرومي» (٧) . وهي في الحقيقة للشاعر الطرابلسي «احمد بن منير» :

(١) الكامل — ج ١١/٧و٨
(٢) الكامل — ج ١١/٥٠
(٣) ذيل تاريخ دمشق ٢٥٨
(٤) تاريخ ابن الفرات — ج ٨/٧٩
(٥) صبح الأعشى — ج ٦/٣٥١
(٦) الكامل ١١/١٣٢
(٧) الكامل ١١/١٤٩

والتصحيح عن ابن الأثير نفسه في «التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية (١) و«أبي شامة» «في» الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية» (٢) .

ثم يذكر أبياتا من الشعر من قصيدة قيلت في مدح «نور الدين» حين ملك حصن دلوك، في حوادث سنة ٥٤٧هـ (٣) . دون ان يصرح باسم الشاعر صاحب هذه الأبيات ، بينما يذكر في «التاريخ الباهر» (٤) انها «ابن منير الطرابلسي»، ويؤيده في ذلك «أبو شامة» ، (٥) وكذلك يفعل في حوادث سنة ٥٥١هـ (٦) . إلاّ أنه يذكر اسمه بطريق الظن في حوادث سنة ٥٥٩هـ (٧) . والملفت أن «ابن منير الطرابلسي» توفي سنة ٥٤٨هـ. وابن الأثير يذكر شعره بعد أحد عشر عاماً من وفاته ، مما يعني أنه انشد تلك الأبيات في تاريخ سابقٍ للسنوات التي ارّخ لها ابن الأثير .

وفي حوادث سنة ٥٦٢هـ. يتحدث عن غارة لـ«نور الدين زنكي» «واخيه» قطب الدين» صاحب الموصل الى : عرقة وحلْبا القريبين من طرابلس ، ويبدو انه يسّمى حلْبا : «جبلة» ، كما فعل «ابو شامة» (٨) و «ابن واصل» (٩) «و» «ابو الفداء» (١٠) . وقد صحح المستشرق كارلوس تورنبرج» هذا الخطأ، وأثبتها في المتن بلفظ «حلبة» بالتاء المربوطة في آخرها ، واشار في الحاشية الى أنها في الاصل جبلة. (١١) وهي الان

(١) ص ١٠١
(٢) ص ١٦١
(٣) الكامل ١٦٣/١١
(٤) ص ١٠٦
(٥) الروضتين – ج ١٨٣/١و١٩٤
(٦) الكامل ٢٠٨/١١
(٧) الكامل ٣٠٥/١١
(٨) الروضتين – ج ١ق ٣٧٣/٢
(٩) مفرج الكروب – ج١٥٢/١
(١٠) المختصر في أخبار البشر – ج ٤٥/٣
(١١) الكامل ٣٢٧/١١

تلفظ وتكتب «حلبا» بالالف الممدودة .

وعن عهد صلاح الدين الايوبي «يسهب ابن الأثير في توضيح العلاقة التي كانت قائمة بين السلطان و «ريمند بن ريمند الصنجيلي» وأسبابها ودوافعها وما رافقها من محاولات الفرنج لاحباط تلك العلاقات ونتائجها ، فيؤرخ لكل ذلك في حوادث سنتي ٥٨٢ و٥٨٣هـ . ويؤكد ابن الأثير على ان العلاقات التي قامت بين كونت طرابلس والسلطان صلاح الدين كانت من اعظم الأسباب لفتح بلاد الفرنج واستنفاذ بيت المقدس منهم ، (١) ويكاد الباحث يستشف من سياق رواية ابن الأثير أن «ريمند كونت طرابلس اعتنق الاسلام ، اوكاد ، ولذا استخدم الفرنج كل وسائل الضغط والاقناع والتخويف حتى أثنوه عن موقفه وأعادوه الى حظيرتهم . (٢) وأوضح ابن الأثير عن طريق حوار جرى بين «ريموند» والبرنس» أرناط» صاحب حصن الكرك ،أن كونت طرابلس صدق الفرنج الرأي حول السلطان وقوة عسكر المسلمين ، ولكن الفرنج ظلوا يأخذون كلامه على محمل التهويل والمبالغة ، ولذا رفضوا الأخذ برأيه وخرجوا لقتال عساكر صلاح الدين، فكانت هزيمتهم الساحقة في حطين ، وفرار «ريموند» من الموقعة وهو مُثْقل بالجراح الى طرابلس حيث «لم يلبث إلا أياماً قلائل حتى مات غيظاً وحنقاً مما جرى على الفرنج خاصة ، وعلى دين النصرانية عامة «. (٣) وهنا نجد «أبا الفتح ضياء الدين بن الأثير «شقيق مؤرخنا يقول في إحدى رسائله عن موقعة حطين : «.. ولم ينج بها من طواغيت الكفر إلا طاغية طرابلس فأن السيوف أسادته وبفؤاده قلق من أوجالها ، وفي عينيه دهشٌ من أوجالها ، وقد قرن اللهُ هذا الفتح ببشْرى موته ، وكفى المسلمين مؤونة الاهتمام لفَوْته . ففر من الموقعة ولم ينجح بذلك القرار ،واعتصم

(١) الكامل ٥٢٧/١١

(٢) الكامل ٥٣٢/١١

(٣) الكامل ٥٣٥/١١و٥٣٨

بذات جداره فقتله الخوف من وراء الجدار ،ولافرْق بين قتيلٍ خوف الشفار وبين قتيل الشفار ولقد فرّ من المكروه الى مثله، ولكنه انتقل من ميتة عزّه الى ميتة ذلّه ». (١)

وفي حوادث سنة ٥٨٤هـ. يذكر ابن الاثير انّه كان شخصياً مع السلطان صلاح الدين حين نزل تحت حصن الأكراد الواقع داخل كونتيه طرابلس ، ولكنه لايصرّح إن كان قد رافقه في إغارته على الحصون القريبة من هناك ووصوله إلى قرب طرابلس حيث «أبصر البلاد وعرف من اين يأتيها ، وأين يسلك منها «. (٢) ولكن رغم ذلك ، فاننا نصبح أكثر ثقةً وتثبّتاً بما يرويه ابن الأثير عن هذه المنطقة في تلك الحقبة، فهو الاقرب إليها زماناً ومكاناً ، فلانشك في صحة المعلومات عن مرابطة ستين قطعة من الشواني الحربية في ميناء طرابلس ، كان صاحب صقلّية قد أرسلها نجدة الى فرنج الساحل ، (٣) وفي الحوار الذي دار بين قائد هذا الاسطول والسلطان صلاح الدين في اللاذقية بعد فتحه لها . (٤) فابن الاثير هنا يماثل الكاتب المؤرّخ «العماد الأصفهاني «في كتابه» الفتح القسي» (٥) بمعاصرته ومعايشته للأحداث ، وكذلك المؤرخ «بهاء الدين بن شدّاد» في «النوادر السلطانية» . (٦) ولكن طرابلس لم تحظ من ابن الأثير بالذكر سوى مرتين بعد ذلك،

أولاهما : في معرض وصفه لمسار القوات التي قادها ملك الالمان من انطاكية الى عكا عبر طرابلس (٧) في سنة ٥٨٦ هـ.

---

(١) رسائل ابن الاثير – تحرير أنيس المقدسي – ص ١٥٥ و١٥٦ – بيروت ١٨٥٨

(٢) الكامل ٦/١٢

(٣) الكامل ٧/١٢

(٤) الكامل ١٠/١٢

(٥) الفتح القسي ٢٣٠و٢٣١

(٦) النوادر السلطانية ٨٦ ومابعدها

(٧) الكامل ٤٨/١٢

وثانيتها : في حوادث سنة ٦٠٤هـ. حيث يشير إلى ازدياد عدد الفرنج بطرابلس وحصن الأكراد وخروجهم للإغارة على حمص ونواحيها ، ورد الملك «المعادل الأيوبي» على ذلك بالدخول إلى إقليم طرابلس واستيلائه على موقع «القُليْعات» القريب منها ، واغارته على ربض طرابلس.(٧٥)

وينقطع ذكْرُ المدينة نهائياً بعد ذلك وحتى ينتهي « الكامل في التاريخ » بحوادث سنة ٦٢٨هـ .

---

(٧٥) الكامل ٢٧٣/١٢

خلاصة البحث

إن الإطار الجغرافي في «الكامل» يشمل العالم القديم بكامله، فلايقتصر على إقليم أو إمارة او مملكة، ولاعلى الدولة الاسلامية فحسب، بل هو يؤرّخ للأمم والشعوب الواقعة مابين أقصى بلاد الهند شرقاً، وأقصى بلاد الافرنج في أوربا غرباً. ولذا يكتسب تاريخ ابن الأثير صفة «التاريخ العام» أو «تاريخ الدول» لابل «التاريخ العالمي»، أى تاريخ الأمم والدول والاديان في آسيا وأفريقية وأوربا. إذن، فعلى الباحث أن لايتوقّع وجود تاريخٍ متكاملٍ لمدينةٍ ما من خلال «الكامل في التاريخ» يحيط بكلّ أحداثها و يتابعها سنة بعد سنة، اذ ليس هذا هدف ابن الأثير، ومن هنا نفهم وجود الثغرات والفجوات الواسعة بين تواريخ الوقائع والاحداث فيما يتعلّق بتاريخ طرابلس الشام. فإذا تتبعنا تاريخ هذه المدينة من خلال كامل ابن الأثير نجده يذكرها مرة واحدة في القرن الأول الهجري، ولايذكرها مطلقاً في القرنين: الثاني والثالث الهجريين. ويذكرها بضع مرّات في القرن الرابع، ولكن حضورها التاريخي يبرز في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، فنرى ابن الأثير يفرد لأحداثها حيزا لابأس به منذ عهد قاضيها «جلال الملك بن عمار»، ومن ثمّ موقعها وموقفها في الحروب الصليبية قبل وبعد سقوطها. ويظلّ الحضور التاريخي لطرابلس واضحا حتى موقعة حطّين، أى نحو قرن من الزمان. ثم يعود ذِكْرُها فيخبو بعد ذلك، وينتهي ذِكْرُها لآخر مرّة بأحداث سنة ٦٠٤هـ. أى قبل ربع قرن من وفاة ابن الأثير.

وفي ختام هذه الدراسة المتواضعة، ومن خلال تعقبنا لتاريخ طرابلس الشام في ثنايا «الكامل في التاريخ»، نسجل هذه الملحوظات التي تسلّط بعض الضوء على منهجية ابن الأثير، وهي وإن كانت تنطلق من نطاق ضيق يدور في إطار مدينةٍ ما، فإنّها تنسحب، ولاشك، وفي كثير منها على التاريخ الكامل، أسلوباً ومنهجاً وطريقة.

وخلاصة هذه الملحوظات تسجّل مالابن الأثير وما عليه في تاريخه، وهي باختصار ، على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ تحرّر ابن الأثير ، في كثير من الأحيان، من قيود التأريخ التقليدي الذي يعتمد على ذكر الحادثة الواحدة حسب السنين ، وهو المعروف بتاريخ الحوليّات ، فذكر أحياناً بعض الأحداث في غير سنوات حدوثها لضرورة ربط الوقائع ببعضها ، كما فعل في فتح طرابلس الذي تم حول سنة ٢٥ هـ. في خلافة عثمان ، فذكره في سنة ١٣ هـ . وكذلك أورد خبر مهاجمة« محمود بن نصر المرداسي» صاحب حلب لمدينة طرابلس في حوادث سنة ٤٠٢ هـ. وعملية الهجوم لم تحدث إلاّ في سنة ٤٦٠ هـ. أي أنه دوّن الواقعة في تاريخ يسبق تاريخ حدوثها بأكثر من نصف قرن، وذلك في محاولة منه لربط مجريات الأحداث ببعضها دون مراعاة للفواصل الزمنية ، متخطّيا الطريقة المتزّمتة التي التزم بها مَنْ قَبْلَه من المؤرّخين .

وفي هذا المجال أيضا ، وبشكلٍ مماثل ، قد يذكر الحَدث متأخراً عن تاريخ حدوثه في بعض الأحيان .

٢ ـ نقله كثيراً من الروايات عن « الطبري » و « البلاذرى» وغيرهما ، دون تغيير بعباراتها ، أو ربما ببعض التصرّف ، ولكنْ بحذف الاسانيد والاعتماد على روايةٍ واحدة يعتقد أنها الأرجح والأقوى والأصح .

٣ ـ إنفراده بروايات لم ترِد في المصادر الأخرى التي وصلتنا مما يسبق تأريخه ، وهذا يؤكّد أنه ينقل عن مصادر لم نقف عليها حتى الآن . ومن هنا يمكننا اعتماده مصدراً أساسياً ومهماً في كثير من الوقائع التي لم نجدها في أيّ مصدرٍ آخر إلى أن يتمّ الكشف عن تلك المصادر التي نقل عنها .

٤ ـ تعاطفه مع سيَر بعض الأعلام الذين يؤرّخ لهم ، كما هو واضح في تأريخه لسيرة «فخر المُلْك بن عمار » والاشارة بموقفه وسياسته الداخلية والخارجية في مواجهته للصليبيين ، وإثبات عبارات صريحة بذلك .

٥ – استخدامه لمنهج المقارنة التاريخية بين حَدث و موقف سياسي ، وحَدث و موقف سياسي آخر . ومن ذلك مقارنته لحال مسلمي طرابلس في عهد «فخر الملك بن عمار » ، وحال المسلمين يام السلطان « ألب أرسلان» ثم حالهم في زمانه هو عندما كان يكتب « الكامل في التاريخ» سنة ٦١٦ هـ.

٦ – وقوع بعض التناقض في التاريخ للأحداث ، حيث يذكر حالة ما في تاريخين مختلفين ، ومن ذلك التناقض في تحديد تأريخ سقوط طرابلس بيد الصليبيين ، وكذلك جَبَلة وجُبَيْل .

٧ – خلطه بين أسماء بعض المدن كما هو الحال في الخلط بين جَبَلة وجُبَيْل، وبين حَلْبا وجَبَلَة ، رغم أنه زار بعضها وهو بصحبة السلطان صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٨٤ هـ .

٨ – إظهاره لروح التهكم والدعابة ، وضربه للأمثال في التعليق على بعض الأخبار بعبارات لطيفة وقصيرة لاتنال من وقار وجدية الموضوع وقيمته التأريخية .

٩ – عدم تحرّيه لأسماء بعض الأعلام ، اذ يخلط بين « ابن الرومي » الشاعر المتوفى سنة ٢٨٣ هـ. و « ابن منير الطرابلسي» المتوفى سنة ٥٤٨ هـ فينسب إلى « ابن الرومي » شعراً قيل بعد وفاته بنحو مائتين وخمسين عاماً. ومن هنا نخلُص إلى تقرير أمرٍ محدّد هو ضرورة إعادة تحقيق هذا السفْر الجليل لتخليصه من بعض الشوائب التي علقت به خطأً من مؤلفه أو من النساخة ، يدلّ على ذلك اختلاف بعض العبارات في النُسَخ المختلفة من الكامل في التاريخ » .

مصادر ومراجع البحث

أ- المخطوطات : -

١ - بغية الطلب في تاريخ حلب - ابن العديم الجلبي - نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية - رقم ٩٢٩ تاريخ.

٢ - تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام - شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - نسخة مصورة بدار الكتب المصرية - رقم ٣٩٦ تاريخ.

٣ - تاريخ دمشق - أبو الحسن علي بن حسن بن عساكر الدمشقي - نسخة مخطوطة بالخزانة التيمورية في دار الكتب المصرية - رقم ١٠٤١ تاريخ، تيمور.

٤ - مرآة الزمان في تاريخ الأعيان - أبو المظفر بن قيزوغلي سبط ابن الجوزى - نسخة مصورة بدار الكتب المصرية - رقم ٥٥١ تاريخ.

ب- المطبوعات :

٥ - تاريخ الدول والملوك - ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات - نشره د. قسطنطين زريق - بيروت ١٩٣٩ .

٦ - تتمة المختصر في تاريخ البشر - الشيخ عمر بن الوردى - مصر ١٢٨٥هـ.

٧ - تكملة تاريخ الطبري - محمد بن عبدالملك الهمداني - تحقيق ألبرت يوسف كنعان بيروت ١٩٦١.

٨ - التنبيه والإشراف - أبو الحسن علي المسعودي - بيروت ١٩٦٨

٩ - تهذيب التاريخ الكبير - ابن عساكر - تحقيق عبدالقادر بدران - دمشق ١٣٣١هـ.

١٠ - ذيل تاريخ دمشق - أبو يعلى حمزة بن القلانسي - نشرة آمدروز بيروت ١٩٠٨.

١١ – ذيل تجارب الأمم – أبو شجاع الروذراوري – تحقيق آمدروز – مصر ١٩١٦.

١٢ – رسائل ابن الأثير – ضياءالدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن الأثير – تحقيق أنيس المقدسي – بيروت ١٩٥٩.

١٣ – الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية – أبو شامه – تحقيق د. محمد حلمي أحمد – مصر ١٩٥٦.

١٤ – صبح الأعشى في صناعة الانشا – أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى – طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣.

١٥ – صلة تاريخ أوتيخا – يحيى بن سعيد الانطاكي – نشره لويس شيخو ملحقاً بالتاريخ المجموع لابن البطريق – بيروت ١٩٠٩، ونسخة نشرها كاراتشوفسكي وفاسيليف – باريس ١٩٢٤ .

١٦ – الفتح القسي في الفتح القدسي – العماد الأصفهاني – تحقيق محمد محمود صُبَيْح – القاهرة ١٩٦٥.

١٧ – فتوح البلدان – البلاذرى – تحقيق د. صحالدين المنجد القاهرة ١٩٥٦.

١٨ – المختصر في أخبار البشر – أبو الفداء – طبعة الحسينية بالقاهرة ١٣٢٥هـ.

١٩ – مروج الذهب ومعادن الجوهر – المسعودي – تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد – القاهرة ١٩٦٤.

٢٠ – معجم البلدان – ياقوت الحموى طبعة دار بيروت

٢١ – مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب – جمالالدين محمد بن سالم بن واصل – تحقيق د. جمالالدين الشيال – القاهرة ١٩٥٧ – و١٩٦٠ و١٩٧٢.

٢٢ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ أبو المحاسن بن تغرى بردى ـ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣.

ج ـ مصدر مترجم :

٢٣ ـ سفرنامه ـ أبو معين ناصر خسرو علوى ـ ترجمة د. يحيى الخشاب

د ـ مصدر أجنبي :

HISTORY OF THE BYZANTINE–GEORGE FINLAY–FROM DCC.
XVI. to MLVII,–BOOK II, ch. ls2–A.D. 886–912 OXFORD 1877.

ضياء الدين وعلم العربية
في الميزان

الدكتور فخر الدين قباوة



ضياء الدين وعلم العربية
في الميزان

الدكتور فخر الدين قباوة

هنا في هذا البلد الكريم ، تلقى علومه أبو الفتح نصرالله ضياء الدين، فحفظ القرآن الكريم ، وكثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة ، ودرس طرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان (١). فهو إذاً ممن تخرج في هذه المدينة المباركة ، ونهل من ينابيعها ضروب العلم والمعرفة ، حتى أصبح من كبار النقاد ، ومن المترسلين الذين تتبادرهم الملوك والأمراء والعظماء .

وقد صنف عدة كتب في أصول البيان العربي منظوماً ومنثوراً ، كان أشهرها « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » لأنه جمع الأصول النظرية لفن الأدب محددة ، مفسرة بالنماذج العملية من شعر ونثر، وبسط القواعد النقدية المتولدة عن تلك الأصول ، مدعومة بالنصوص الأدبية الواقعية، لبيان مافيها من مناح إيجابية وسلبية .

ولما كان علم العربية ، أي النحو ، عنصراً أساسياً في ثقافة من تصدى لصناعة الأدب وجب على ضياء الدين في كتابه هذا أن يعرض له كثيراً، في مراحل التأصيل والتنظير والتطبيق ، ويتبسط في تناول جوانبه المتصلة بالفن الأدبي . وقد رأيت أن أخص هذه الزاوية بدراسة نقدية ، تحدد صلة أبي الفتح بعلم العربية ، ومكانته من هذا العلم ، دون أن أعرض للزوايا الأخرى وسائر كتبه ، لئلا تتسع رقعة البحث وتتعذر النتائج المرجوة .

لقد تعرض نصر الله لعلم العربية كثيراً في « المثل السائر» وجعله أحد العلوم التي يقتضيها علم البيان من المنظوم والمنثور . ولذلك نراه يتتبع أمور

(١) وفيات الأعيان ٥: ٣٨٩. بيروت ١٩٦٨ - ١٩٧١.

النحو في الإعراب والتصريف بين كثير من عناصر النقد والتقويم ، مما يؤكد أنه على صلة واضحة بهذا العلم نظراً وتطبيقاً . وقد حملتْ هذه الجهود أبا الفتح نفسه على الادعاء أنه أحد علماء العربية (١) ، كما حملت بعض الدارسين المعاصرين على تعظيم شأنه والزعم انه (٢) واسع المعرفة بعلوم العربية ،متبحر في فقه اللغة ، عاكف على الأ ضطلاع بجوانب الإ عراب والصرف .

وتلك لعمري دعوة كبيرة جداً ، تقتضي النظر والتأمل . فضياء الدين استفاد حقاً من علم العربية استفادة ظاهرة ، في تأصيله وتفريعه وتحليله ونقده . ولكن هل كان على بصيرة وتمكن ، في كل ماتناول من ذلك ؟

أوهام وتخليط

الحق أن أبا الفتح قد أصاب في عديد ، من نظراته وأحكامه الإ عرابية والصرفية . إلا أن هذه الإ صابة كانت فيما يمس علم العربية مساً رقيقاً ، لايتناول الدقائق والأ عماق . وفي هذا المجال أحسن الأستفادة من مباديء علم العربية ، واستخدمها في عرض أصول البيان وتطبيقاته . بيد أنه كان إذا تعدى هذه الدائرة ، وتصدى لدقيق القواعد والأحكام ، ولطيف الأ سرار والغايات ، خانته براعته ومعارفه ، وسقط في الإحالة أو الجهل أو التخليط .

وأول مايذكر هنا اختلال فهمه لعلم العربية وميادينه . فهو عندما يعرض موضوع علم البين ، يستهويه الأستطراد ، فينص على موضوعات بعض العلوم ، ويذكر فيها أن « موضوع النحو هو الألفاظ والمعاني ، والنحوي يسأل عن أحوالهما في الدلالة من جهة الأوضاع اللغوية ، » ثم

(١) المثل السائر ٢: ٢٥٦-٢٥٧. طبعة دار النهضة المصرية .

(٢) المثل السائر ١: ٥ .

يذكر أنّ «النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي» وهذا (١) — كما ترى — ليس تحديداً صالحاً ، وهو الصق بعلم اللغة منه بعلم النحو (٢) . ذلك لأن موضوع النحو ، وإن اختلف فيه العلماء ، لايخرج على « مايعرض الكلمات العربية في حالة إفرادها وحالة تركيبها»(٣) والفرق كبير جداً بين ماذكره ضياء الدين وما عرفه علماء العربية في هذه النقطـة .

مع علم التصريف :

في حديثه عن التصريف يرى أن الشاعر أو الكاتب (٤) إذا لم يكن عارفاً به لم تفسد عليه معاني كلامه، وإنما تفسد عليه الأوضاع ،وتكون المعاني صحيحة، ثم يضرب أمثلة من التصغير والهمز عسيرة، تحقق ماذهب إليه (٥).

لكأنه لم يدرك حقيقة الأوضاع الصرفية، وعلاقتها بمعاني الكلام. والإ فما رأيه في السؤال عن ميت بقولنا: من المتوفي ؟ أهذا فساد للأوضاع دون المعاني؟ لقد رُوي عن الإمام علي، رضي الله عنه، أنه سمع هذا السؤال في جنازة، فاجاب صاحبه قائلاً: «اللّـهُ تعالـى»، لينبهه إلى خطئه، وكان ذلك من أسباب وضع أصول علم العربية (٦) .

واختصم رجلان إلى عمر بن عبدالعزيز ، فكانا يلحنان في كلامهما، فقال لهما الحاجب: قُما فقد أُوذِيتُما أمير المؤمنين، فقال عمر، رضي الله عنه: أنت والله أشد إيذاء ليّ منهما(٧).

---

(١) المثل السائر ١ :٣٩ .
(٢) الفلك الدائر ص ٣٨ – ٣٩ .
(٣) حاشية الصبان ١ :١٥ .
(٤) المثل السائر ١ :٤٠ .
(٥) المثل السائر ١ :٤٨ – ٥٣ .
(٦) الأشباه والنظائر ٣ :٢٥٦ – ٢٥٧ .
(٧) المحاسن والمساوىء ٢ :١٥٩. وانظر ابن عصفور والتصريف ص١٩ لفخر الدين قباوة

ثم ألم يعلم أن اللحن الصرفي قد يكون أشنع من اللحن الإعرابي، في النصوص الأدبية؟ هذا سابق الأعمى يقرأ الآية الكريمة«...الخالقُ البارىءُ المُصوَرُ» فيلفظ الكلمة الأخيرة بصيغة اسم المفعول. ولذلك كان ابن جابان إذا لقيه قال له (١): ياسابق، مافعل الحرف الذي تشرك فيه بالله؟ وقرأ سابق هذا أيضاً: «ولاتَنكِحوا المُشرِكِينَ حتَى يُؤمِنُوا»، فقال ابن جابان له (٢): وإن آمنوا لم نَنكِحْهم.

فإذا كان مثل هذا الإخلال بالمعاني يولده الجهل بالتصريف وأحكامه حتى ندرك مستويات الإحالة والإيذاء والشرك والمهزلة، ونحن في مجال التعبير اليومي أو القراءة، فما قولك به إذا انتقل إلى ميادين الإبداع الفني من شعر أو نثر؟

ومن هذا القبيل أن أبا الفتح بن الأثير ينظر إلى الإدغام نظرةسطحية، فيرى أن الكاتب ليس في حاجة إلى معرفة أحكامه ، بخلاف الشاعر الذي يضطر إليها لإقامة الميزان الشعري (٣).وهذا رأي منه يدل على جهل بصور الإظهار والإدغام وعلاقتها بالتعبير القويم . فليس الشاعر أحوج إلى تلك الأحكام من الكاتب بل هما فيها سواء (٤)، وكل منهما عرضة للأصابة والخطأ. فمن الصواب أن يقال « أولاهم بالإحسان من لم يَغش ولم يمارقْ ولم يَشَقَ عصاً ولم يشاقِق »فيظهر ويدغم مايجوز فيه ذلك . ومن الخطأ أن يقال « وأخلص بعدما ما نافَق ، واصحَب بعدما شاقَق » فيظهر مالا يجوز فيه الإظهار.

إننا لم نغال حين نسبنا إلى ضياء الدين الجهل بأحكام الإدغام، وهذا تعبيره ينطق بما ذهبنا إليه. فقد جاء فيه « وإنما قَصَدْنا أن يكون الكتاب

---

(١) البيان والتبيين ٢:٢١٩ وعيون الأخبار ٢:١٦٠ .
(٢) البيان والتبيين ٢:٢١١. وانظر ابن عصفور والتصريف ص١٨.
(٣) المثل السائر ١:٥٦ .
(٤) الفلك الدائر ص٤٧ .

الذي يُكتب . . . مشتملاً على الترغيب والترهيب والمسامحة في موضع والمحاقَقَة في موضع » (١). واذا هو يوازن لفظة المسامحة بلفظة المحاققة، ويسهو أن مثل المحاقّة لايجوز فيه الإظهار (٢) . وكأننا نغرق في اللين والتأدب حين ننسب هذا إلى السهو ، لأنه قد ورد مثله منه في وصف بعض الزنادقة حين قال عنهم : « ويقولون جهلاً، وإذا حوققوا عليه ظهر عجزهم وقصورهم » (٣) . فاذا هو يظهر مالايجوز إظهاره ، وليس في الكلام موازنة أو ضرورة لذلك .

وفي معرض تفسيره للمبالغة في «حيّاد» يقول إنه:» من: حيَّد فهو حيّاد ، أي: وجد منه الحيدودة مراراً، كما يقال : قتّل فهو قتال ، اي : وُجد منه القتل مراراً (٤). وهذا قول عجب ليس له من العلمسند. ذلك لان «فعال» مبالغة اسم الفاعل من الفعل (٥) الثلاثي المجرد . فعلاّم من علَم ، وركّاب من ركب ، ومرّار من مرَّ . وقلما ترد هذه الصيغة من غير الثلاثي المجرد ، نحو : درّاك من أدرك ، وجبّار من تجبّر . ومعنى هذا أن « قتّال » من قتَل لا من قتّل ، و « حيّاد » من حاد لا من حيّد ، والا اختلطت المعاني وضاعت دلالة الصيغ على الحدث ، فلو ذهبنا مذهب أبي الفتح بن الأثير لكان العلاّم هو الكثير التعليم لأنه من علّم ، والركّاب هو الكثير التركيب لأنه من ركّب ، والمرّار هو الكثير التمرير لأنه من مرّر ، واللّحان هو الذي يكثر نسبة الناس إلى اللحن ، والشمات هو الذي يكثر تسميت العاطسين ... وهذا من الفساد في منزلة ظاهرة للعيان .

وقد يكون له في النص الواحد عدة سقطات . ومن ذلك أن يذكر، في المنافرة بين الألفاظ ، قسماً يكون تنافره في السبك بين الكلمات ، ويقول :

(١) المثل السائر ١:٧١ .

(٢) الفلك الدائر ص ٥٦ .

(٣) المثل السائر ١:٢٣٠ .

(٤) المثل السائر ٢:٢٥٣ – ٢٥٤ .

(٥) انظر شرح اختيارات المفضل للتبريزي ص١٧. دمشق ١٩٧١ .

« ومن هذا القسم وصل همزة القطع . وهو محسوب من جائزات الشعر التي لاتجوز في الكلام المنثور . وكذلك قطع همزة الوصل ، لكن وصل همزة القطع أقبح ، لأنه أثقل على اللسان . فمما ورد من ذلك قول أبي تمام :

فأصبح يلقاني الزّمانُ ، من آجلهِ

بأعظام مَولُودٍ ، ورأفةِ والدِ

فقوله : من اجله ، وصل لهمزة القطع . وعليه ورد قولُ أبي الطيب المتنبي :

يُوسطُهُ المَفاوِز ، كلَّ يَومٍ

طلابُ الطالبين ، لا الأنتظارُ

فقوله : لا الانتظار ، كلام نافر عن موضعه (١) .

وعندي في هذا الكلام تعقبات :

أولها : أن وصل همزة القطع ليس من ضرائر الشعر ، وهو جائز في الأختيار والاضطرار . بل هو إذا جاء على حدّه صحيح فصيح ، ورد في قراءات القرآن الكريم وعالي الشعر والنثر . أما حدّه فأن تكون الهمزة متحركة بعد حرف ساكن يقبل الحركة ، نحو قوله تعالى : (هل اتى على الإنسانِ حينٌ من الدَّهْرِ) ، وقول النابغة :

أَمن آلِ ميّة رائحٌ ، او مُغتدِي

عَجلان ، ذا زادٍ ، وغير مَزوّدِ

وقول عنترة :

الشّاتمي عرضي ، ولم أشتمْهما

والناذرِيْن ، إذا لم القَهما ، دمي

وإنما تكون قيمته الفنية بحسب موقعه من الكلام . فان ولد اتصالّ حركات متوالية كثيرة ، أو اتصال أحرف عسيرة التواصل في النطق ، كان فيه ثقل ومنافرة . والإ كان وسيلة تعبيرية محمودة، ومظهراً من مظاهر الاقتصاد

(١) المثل السائر ١:٤١٣ .

اللغوي ، لأنه يزيل نبرة الهمزة الجارية مجرى التهوّع ، ويبقي على حركتها المنقولة إلى ماقبلها دليلاً حسياً ظاهراً .

وثانيهما : أن قطع همزة الوصل لابد منه ، إذا بدأ المتكلم أو القارىء بالهمزة ، نحو قوله تعالى (ألحمد للّه ربّ العالمين) ، وقول الشاعر العذري (١)

إستقدرِ الله خيراً ، وارضيَنْ بِه
فبينما العسْرُ إذ دارت مياسيرُ

بل إذا كانت همزة الوصل في أول عجز البيت فان قطعها حسن أيضاً ، كقول أنس ابن العباس بن مرداس (٢)

لانسب اليوم ، ولاخلّة
إتسع الخرقُ ، على الراقع

وثالثها : ان وصل همزة القطع أجود من قطع همزة الوصل ، وهو أخف على اللسان منه ، لما فيه من إزالة النبر ، في حين أن الثاني فيه تثقيل اللفظ باقحام النبر الذي ليس في بنية الكلام .. هذا هو الأصل في الحكم ، ثم تختلف فروعه وصوره ، بحسب موقع كل من الهمزتين في سياق التعبير.

ورابعها : أن ثقل النطق في قول المتنبي «طلاب الطالبين لا الانتظارُ» ليس له علاقة بوصل همزة قطع ، أو قطع همزة وصل . وإنما سببه توالي اللامين في اللفظ متحركتين . والفصيح في مثل هذا كسر الثانية للتخلص من التقاء الساكنين ، وإن كان الفتح جائزاً كما ذكر المتنبي نفسه (٣) .

وكل ما أوردناه حتى الان هو من أوهام ابن الأثير في مجال العرض النظري للبيان الفني . ولكننا إذا انتقلنا إلى المجال النقدي الذي وضع فيه

---

(١) مغني اللبيب ص٨٨ . مطبوعة دمشق .
(٢) مغني اللبيب ص ٢٤٩ .
(٣) ديوان المتنبي ٢ : ١١ . الشرح المنسوب إلى العكبري .

الأدباء والعلماء كانت له سقطات أخر . وها نحن أولاء نذكر طرفاً من ذلك :

إنه يقف عند بيت أبي نواس :

كأنّ صُغْرى ، وكُبْرى ، من فواقعها
حَصْباءُ دُرٍ، على أرضٍ ، من الذهبِ

ليسجل عليه أن «صغرى وكبرى» غير جائزتين فيه. ذلك لأن «فُعْلَى أفعَل» لاتكون إلا معرّفة بالألف واللام أو بالإضافة (١) . وهو ههنا ينقل رأي بعض العلماء، دون أن يتتبع حكم المسألة في لغة العرب . فالصغرى والكبرى في بيتِ أبي نواس، وإن كانتا مؤنث أفعل ، ليس مقصوداً بهما التفضيل. ولذلك جاز استخدامهما نكرتين ، كما قالوا (٢) : دُنيا وأُخرى، وجملة صُغرى، وفاصلة كُبرى (٣) . ومن هذا قول المرقش الأكبر(٤):

وإنْ دعَوتِ إلى جُلىٍ، ومَكرُمَــة
يَوماً ، سَراة خيارِ الناسِ فادعينا

وربما تطاول ضياء الدين في نقده ، ليصل به إلى قرّاء كتاب الله الكريم وحفظته كأن يقول : «ألم تعلم أن نافع بن أبي نعيم، وهو من أكبر القرّاء السبعة قدراً وأفخمهم شأناً ، قال في «مَعايش» : «مَعائش» بالهمز، ولم يعلم الأصل في ذلك، فأوخذ عليه وعيب من أجله ؟ ومن جملة من عابه أبو عثمان المازني ، فقال في كتابه التعريف : إن نافعاً لم يدر ما العربية. وإذا علم حقيقة الأمر في ذلك لم يغلط فيما يوجب قدحاً ولاطعناً . وهذه لفظة معايش لايجوز همزها بإجماع من علماء العربية ... وفي هذا الموضع

(١) المثل السائر ١ :٥٢ .
(٢) الفلك الدائر ص٤٣ .
(٣) تصريف الأسماء والافعال ص١٧٨ فخر الدين قباوة. حلب ١٩٧٧ .
(٤) شرح اختيارات المفضل ص١٠٧٠ .

غلط نافع ، رحمة الله عليه ، لأنه لاشك اعتقد أن مَعيشة بوزن فَعيلة، وجمع فَعيلة هو فَعائلُ ...» (١) .

ان ابن الاثير ضياء الدين بشير في حديثه هذا إلى قول الله تعالى (وَجَعَلْنَا لَكُم فيها معايش) (٢)، ولم ينفرد بالهمز فيه نافع ، وإنما قرأ به أيضاً عبد الرحمن الأعرج (٣) وابن عامر (٤) وزيد بن علي والاعمش (٥) . وقد خرجه المفسرون وبعض علماء العربية ، على أنه من كلام العرب لامن وهم القراء ، قال الإمام الطبري (٦) :« ربما همزتِ العرب جمع مَفْعلة من ذوات الياء والواو ، وإن كان الفصيح من كلامها ترك الهمز فيها إذا جاءت على مَفاعل ، تشبيهاً منهم جمعها بجمع فَعيلة « . وقبله قال الفراء مثل هذا ، وأضاف (٧) « وقد همزتِ العرب المَصائب ، وواحدتها مصيبة» .

وقد وقف أبو حيان النحوي عند هذه المسألة ، يدفع ماذهب إليه البصريون من تخطئة نافع رحمه الله ، فكان مما قال عن هذا الهمز (٨) : « وجاء به نقل القَرأة الثقات : ابن عامر وهو عربي صراح ، وقد أخذ القرآن عن عثمان قبل ظهور اللحن ، والأعرج وهو من كبار قراء التابعين وزيد بن علي وهو من الفصاحة والعلم بالمكان الذي قل أن بدانيه فيه أحد والأعمش وهو من الضبط والاتقان والحفظ والثقة بمكان ، ونافع وهو قد قرأ على سبعين من التابعين ، وهم من الفصاحة والضبط والثقة بالمحل

(١) المثل السائر ١:٥٠-٥١ .
(٢) من الآيتين ٧ في سورة الأعراف و٢٠ في سورة الحجر .
(٣) تفسير الطبري ٨:٣٣ والجامع لأحكام القرآن ٧:١٦٧ .
(٤) الكشاف ٢:٦٨ .
(٥) البحر المحيط ٤:٢٧١ .
(٦) تفسير الطبري ٨:٣٣ .
(٧) معاني القرآن ١:٣٧٣-٣٧٤ .
(٨) البحر المحيط ٤:٢٧١-٢٧٢ .

الذي لايجهل . فوجب قبول مانقلوه إلينا ، ولامبالاة بمخالفة نحاة البصرة في هذا . وأما قول المازني ... إن نافعاً لم يكن يدري ما العربية ،فشهادة على النفي . ولو فرضنا أنه لايدري ما العربية، وهي هذه الصناعة التي يتوصل بها إلى التكلم بلسان العرب ، فهو لايلزمه ذلك ، إذ هو فصيح متكلم بالعربية ، ناقل القراءة عن العرب الفصحاء . وكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراء ، ولايجوز لهم ذلك» .

إن همز «معائش» هو إذاً لغة للعرب صحيحة مألوفة ، يعرفها العلماء ويقرونها ، ويجدون لها نظائر أيضاً في : مَنائر جمع مَنارة ، ومَسائل جمع مَسيل (١) وأقائم جمع أقوام (٢) ، كما يجدون لها شبيهاً في جمع مَصير على مُصران تشبيهاً ببَعير وبُعران .

فأين اذاً إجماع أهل العربية على إنكار الهمز ؟ ثم أين جهل نافع بأصل معيشة ، وتوهمه في صورتها وهمز جمعها ؟ إن القراء ينقلون كلام الله تعالى ، برواياتهم المستندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبألفاظ هي من صحيح كلام العرب سماعاً وأداء . فهل لنا ، بعد هذا ، أن نتهمهم بالجهل والوهم وعدم الدراية ؟ إن قراءة القرآن الكريم هي رواية ودراية وليست بالرأي والروُية والروُيا والأوهام .

مع علم الاعراب

تلك نماذج يسيرة ، من تخليط صاحب « المثل السائر» في علم التصريف . فاذا غادرنا ذلك إلى قسيمه ، وهو علم الإعراب ، لمسنا نماذج أخرى من الوهم والتخليط . فضياء الدين يقصر النحو على الإعراب (٣) ثم يقصر الإعراب على التغيرات الصوتية التي تلحق أواخر الكلمات المعربة ثم يقصر ضرورة الإعراب على بعض الظواهر الملبسة ، بقوله : « فاذا

(١) شعر زهير بن ابي سلمى ص٥٠ للأعلم. بيروت ١٩٨٠ .
(٢) الممتع ص ٣٤٠ لابن عصفور. بيروت ١٨٧٧ .
(٣) المثل السائر ١: ٤٨ .

نظرنا إلى ضرورته وأقسامه المدونة وجدنا أكثرها غير محتاج إليه في إفهام المعاني . ألا ترى أنك لو أمرت رجلاً بالقيام ، فقلت له : قُوْمْ ، باثبات الواو ولم تجزم ، لما اختل من فهم ذلك شيْ . وكذلك الشرط لو قلت: إن تَقُومُ أقُومُ ، ولم تجزم لكان المعنى مفهوماً . والفضلات كلها تجري هذا المجرى ، كالحال والتمييز والاستثناء . فاذا قلت : جاء زيد راكبْ وما في السماء قدر راحة سحاب ، وقام القوم إلا زيدْ ، فلزمت السكون في ذلك كله ، ولم تبين اعراباً ، لما توقف الفهم على نصب الراكب والسحاب ولا على نصب زيد . وهكذا يقال في المجرورات وفي المفعول فيه ، والمفعول به والمفعول له والمفعول معه ، وفي المبتدأ والخبر ، وغير ذلك من أقسام أخر لاحاجة إلى ذكرها . لكن قد خرج على هذه الامثلة مالايفهم إلا بقيود تقيده . وإنما يقع ذلك في الذي تدل صيغته الواحدة على معان مختلفة ..» (١) .

فهو ، لانه يفهم الإعراب فهماً ضيقاً ، يجهل وظيفته في الكلام ثم يخطئ في تحديد أهميته في الدلالة والبيان .إن الاعراب ، في الحقيقة هو التعبير عن الوظائف اللفظية والمعنوية للمفردات والجمل ، وعلاقة بعضها ببعض . وذلك يكون بالصور الصوتية التي تلحق أواخر المفردات المعربة لفظاً أو تقديراً ، وبالانساق والأنماط التي تحددها قوانين العربية للمفردات والجمل . وإغفال الإعراب في الكلام يؤدي إلى اللبس ومخالفة المراد . فقولك « قُومُ» في الأمر هو أقرب — في لفظة — إلى مخاطبة جماعة الذكور منه إلى مخاطبة المفرد . وإذا كان معك جماعة التبس الأمر واختل فهم المقصود . قولك « إنْ تقومُ اقومُ» يفتقد العلاقة الشرطية بين الكلمات ، وقد يفهم منه أنك تسردها دون أن تقصد منها معنى مركباً يعلق قيامك بقيام المخاطَب . ويمكنك أن تلحظ الاختلال الأكبر إذا تصرفت في المفردات والنسق ، وهو جزء أصيل من الإعراب ، فقلت:

---

(١) المثل السائر ١ : ٤٤ — ٤٥ .

تقومُ أقومُ إنْ أقومُ ، تقومُ إنْ أقومُ ، تقومُ إنْ تقومُ .... أما قولك جاء زيدٌ راكبْ» و « مافي السماء قدر راحة سحابْ » فقد يفهم منه أن « راكب» هو فعل أمر للمخاطَب ، وأن السحاب هو الذي يملأ السماء وإذا اخللت بالمفردات والنسق في الجملة الثانية وصلت إلى صور من التخطيط لاتدرك . وعلى هذا نقبس سائر ماذكره من مسائل ، زعم أن عدم الإعراب لايفقدها دقة الدلالة .

لكأن ضياء الدين ألف العامية ورطانات الأعاجم ، وطغت عليه في تفكيره وتعبيره فاصبح ينظر من خلالها إلى وظيفة الإعراب ، ويظن أن العرب كانوا ومازالوا يفكرون كذلك ويعبرون .

كلا ، فالإعراب أعمق صلة وأبعد أثراً مما يظن ويتصور . ولهذا كانت القبائل التي تجري الأسماء الخمسة بالأحرف لاتفَهم ، كما يقول الجاحظ (١) ، معنى « مُكْرَه أخاك لابطل» و « إذا عزّ أخاك فهُنْ». ولهذا أيضاً رأينا البدوي الذي سأله الكسائي : من خَلَقَكْ ؟ بحار في مراد الكسائي ولايجيبه . حتى إذا كرر عليه الكسائي الكلام نفسه قال البدوي : لعلك تريد : من خَلَقَكَ ؟ وهذا اعرابي آخر يُسأل عن أحوال أهله بلفظ مختل ، فيَفهم معنى آخر يناسب السائل ، ويقضي بالحكم العدل . فقد قال له السائل : كيف أهلِك ؟ فاجابه : صَلْباً .

وقد استمر ابو الفتح في فهمه الخاطىء للإعراب ، حتى نقله من المستوى الصوابي إلى المستوى الجمالي، وزعم أن الجهل بالإعراب «لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة، ولكنه يقدح في الجاهل به نفسه، لأنه رسوم قوم تواضعوا عليه، وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم. والدليل على ذلك أن الشاعر لم ينظم شعره وغرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو ما جرى مجراهما. وإنما غرضه إيراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن، المتصفَين بصفة البلاغة والفصاحة. ولهذا لم يكن اللحن قادحاً في حسن الكلام، لأنه إذا قيل : جاء

(١) البيان والتبيين ١ : ١٦٢ - ١٦٤ .

زيد راكبٌ، إن لم يكن حسناً إلا بأن يقال : جاء راكباً، بالنصب لكان (١) النحو شرطاً في حسن الكلام. وليس كذلك. فتبين بهذا أنه ليس الغرض من نظم الشعر إقامة إعراب كلماته. وانما الغرض أمر وراء ذلك. وهكذا يجرى الحكم في الخطب والرسائل من الكلام المنثور» (٢).

إن أبا الفتح كاتب مترسل، وهو يخاطب بكتابه هذا المترسلين والشعراء، ثم تراه يعفيهم من التزام الإعراب ويزعم أن ذلك لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة. وإذا كان هذا حقاً فلماذا تأذّى عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، من حاجبه حين لحن؟ ولماذا كان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يضرب ولده على اللحن، ولا يرى الصلاة خلف لحّان، وإذا سمع رجلاً يلحن ضربه؟ (٣) بل لماذا امر أبا موسى الاشعري أن يضرب كاتبه سوطاً، ويصرفه من عمله، جزاء قوله في كتاب له (٤) : من أبو موسى؟

لقد ثارت ثائرة صلاح الدين الصفدي، لتعنت ابن الأثير وتطرفه في هذا الموضوع ، فقال (٥) : مابقي بعد هذا إلا أن يقول : إن مراعاة الإعراب علة موجبة لقبح الكلام، «ثم انهال عليه بالتعنيف والتجهيل قائلاً (٦) : «ما يورد مثل هذا الاغوام الناس ومن لم يتلبس بالمعرفة ، ولم يَرح رائحة العلم . ألم يعلم أنه إذا صدر عن مترسل كتاب لم يجزم أفعال أمره ، ولا شروطه وجوابها، ولم يرفع فاعله وينصب فضلاته، ولا راعى قواعد إعرابه ... كان ذلك ضُحْكة للمغفلين فضلاً عن العقلاء» ؟

ولست أدري كيف صدر مثل ذلك الكلام عن نصر الله ، وهو الذي يقول : إن الأديب (٧) «إذا كان عارفاً بالمعاني ، مختاراً لها ، قادراً

(١) كذا بإقحام اللام .

(٢) المثل السائر ١ :٥٥ — ٥٦ .

(٣) تلقيح الألباب ص٨ .

(٤) تلقيح الألباب ص٨ .

(٥) نصرة الثائر على المثل السائر ص ٤٢. وانظر النقد اللغوي عند العرب ص١٦٨ .

(٦) نصرة الثائر ص٣٨ — ٣٩. وانظر النقد اللغوي ص١٦٨ .

(٧) المثل السائر :١ :٤٨ — ٤٩ .

على الألفاظ مجيداً فيها ، ولم يكن عارفاً بعلم النحو ، فانه يفسد مايصوغه من الكلام ، ويختل عليه مايقصده من المعاني .» كيف توفق بين هذين المذهبين المتناقضين ، وقد علمنا أنه افتتح حديثه عن علم العربية بقوله: (١) «أما علم النحو فإنه في علم البيان ، من المنظوم والمنثور ، بمنزلة أبجد في تعليم الخط . وهو أول ماينبغي إتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي ، ليأمن معرة اللحن» ؟

ومما يؤخذ على ضياء الدين ، في مجال الإعراب ، أنه يعطي التوكيد معاني كثيرة لاعلاقة لها به (٢) ، ثم يضيق بما حمّله إياه ابن جني من دلالة ، وهو يتحدث في موضوع بياني صرف . ذلك أن ابن جني يذكر قول الله تعالى (فأدخلْناهُ في رحْمتنا) ويجعله من المجاز الذي يضم الاتساع والتشبيه والتوكيد ، ثم يقول : «وأما التوكيد فهو أنه أخبر عما لايُدرك بالحاسة بما يدرك بالحاسة ، تعالياً بالمخبر عنه وتفخيماً له ، إذ صُير بمنزلة مايشاهد ويعاين» . فاذا بابن الأثير يضيّق عليه الخناق ، ويحبسه في حيز من ميدان الإعراب ، فيقول متعقباً له : (٣) «على أن التوكيد ههنا ، على وجه ماأورده في تمثيله لاأعلم ماالذي أراد به ، لأنه لايؤتى به في اللغة العربية إلاّ لمعنيين : أحدهما أنه يرد أبداً فيما استُقري بألفاظ محصورة نحو : نفسه وعينه وكله ، وما أضيف إليها مما استقري. وهو مذكور في كتب النحاة ، وقد كُفيت مؤونته . الآخر : أنه يرد على وجه التكرير نحو : قام زيد قام زيد . كُرّر اللفظ في ذلك تحقيقاً للمعنى المقصود، أي توكيداً» .

فابن الأثير يتجاهل المقصد البياني لابن جني ، مع أن المصطلحات والشاهد كلها بيانية لاصلة لها بالنحو ، ثم يزعم أنه لايكون التوكيد في

---

(١) المثل السائر : ١: ٤٤ .

(٢) المثل السائر : ٢: ١٩٣ و١٩٧ – ١٩٨ والفلك الدائر ص٢٣٠ .

(٣) المثل السائر : ٢: ٨٥ – ٨٦ .

اللغة العربية إلا بمعناه الإعرابي ، وهو التوكيد المعنوي والتوكيد اللفظي. أرأيت كيف يحجر واسعاً حين يطلب التجريح والحجاج ، ويتخطى حدود مصطلح التوكيد حين يتبسط في الحديث ويطيل ؟ إنه يضيّق نطاق التوكيد على ابن جني ههنا ، مع أنه في كتاب «المثل السائر» وحده يذكر بضعة عشر ضرباً منه لاتتصل بما حدوده هنا . وهي (١) التوكيد بـ«إنّ» والتوكيد باللام بعدها ، والتوكيد باللام في جواب «لو» ، والتوكيد بلام الابتداء، والتوكيد بإحدى النونين ، والتوكيد بزيادة في لفظ الفعل ومايشبهه ، والتوكيد بإقامة المصدر مُقام الفعل ، والتوكيد بالإطناب ، والتوكيد بالتقديم والتأخير ، والتوكيد بالاعتراض ، والتوكيد بالقسم ، والتوكيد بذكر آلة الحدث ولوازمه ، والتوكيد بالوصف ، والتوكيد بتنويع ضروب الجمل ، والتوكيد بالإجمال بعد التفصيل ، والتوكيد بذكر المثل والقصد هو الذات ...

بحسبنا ماعرضنا من أوهام وتخليط ، لابن الأثير في ميدان الإعراب، وهو يحلل العناصر البيانية للجمال الفني . ونرى من واجبنا أن نقف عند نظراته النقدية التي ألقاها ، من زاوية الإعراب ، على نتاج الأدباء والعلماء، لنعرض طرفاً من سقطاته .

فهو يتلمس هفوات الأدباء ، ليتخذها نماذج تطبيقية ، توضح ماخالفوا فيه أصول الإعراب، وتقدم الصورة السلبية إزاء الصورة الإيجابية للتعبير القويم . إنه يقرر أن الخروج على قواعد الإعراب ، لدى الأدباء، أكثر من الخروج على قواعد التصريف . وهذا أبو نواس يقول في مدح الأمين :

ياخَيْرَ مَن كانَ ، ومَن يَكُون
إلاّ النَّبيُّ ، الطّاهرُ الميمُونُ

(١) المثل السائر ٢:٢٤٢ و٢٤٤ و٢٤٥ و٢٤٧ و٢٥٠-٢٥٣ و٣٠١-٣٠٢ و٣٥٥ و٣٥٩ و٣٦٢ و٣٦٤ و٣:٩ و٣٠ و٤١-٤٢ و٦١ ...؛

فيخطئ إذ يرفع في الاستثناء من الموجَب (١) ، كما قال ضياء الدين ، وكان عليه النصب . والحق أن الرفع ههنا جائز صحيح ، على تقدير الابتداء وحذف الخبر (٢) ، أي : إلاّ النبي الطاهر الميمون لاتفضله أنت . ومن ذلك (٣) قول الرسول عليه السلام : «كلُّ أُمَّتي مُعافىً إلاّ المُجاهدون».

ويأخذ نصر الله على المتنبي أنه عبّر عن المثنى بالجمع ، في قوله:

وتَكَرَّمَتْ رُكَباتها ، عَن مَبْرَكٍ
تَقَعان فيه ، ولَيس مِسكاً أذفَرا

فجعل للناقة ركبات وليس لها إلا ركبتان (٤) . والمشهور عن العرب (٥) أنهم يتسعون في مثل هذا كثيراً ، كقولهم : « امرأة ذات أوراك» وليس لها الإ وركان ، وكقول زينب بنت الطثرية :

فتى ، قُدَّ قدّ السَيفِ ، لامتَضائلٍ
ولارهلُ لَبّاتُهُ ، وبآدلُهْ

وليس للإنسان إلا لبة واحدة وبأدلتانِ . والبأدلة هي لحمة بين الإبط والترقوة . واللبة هي موضع القلادة من الصدر .

فالتعبير عن الركبتين بالركبات صحيح لاغبار عليه ، وهم يفعلون مثل هذا للمبالغة والتفخيم ، كما رأينا في جمع اللبة والبأدلة ، أو يعبرون عن الشيء به وبما حوله أيضاً (٦) للمبالغة .

وكثيراً ماانـدفع ضياء الدين وراء نزعته النقدية ، يتسقط أقوال علماء العربية وأحكامهم ، لينفذ منها إلى التسفيه والانتقاض ، والتعالم والمباهاة

---

(١) المثل السائر ١ : ٥٤ .
(٢) الفلك الدائر ص٤٦ .
(٣) إعراب الجمل وأشباه الجمل ص ١٨٨ – ١٩٠ لفخر الدين قباوة. بيروت ١٩٨١ .
(٤) المثل السائر ١ : ٥٥ .
(٥) الفلك الدائر ص٤٦ .
(٦) انظر شرح اختيارات المفضل ص٤٦٦ واللسان والتاج (جول) .

ومما أخذه عليهم أنهم يطلقون الأحكام ظناً وتوهماً ، دون تبصير وامعان فيكون فيها خطأ ظاهر وضلال مبين .

فلقد وجدوا «أنْ» ترد بين «لمّا» والفعل في القرآن الكريم وكلام العرب أحياناً ، فظنوا أن المعنى بوجودها كالمعنى بسقوطها ، فقالوا : إنها زائدة (١) . ولو أنهم أمعنوا النظر ودققوا في النصوص لرأوا ، كما يقول نصر الله ، أنّ ورود «لما» بدون «أنْ» يدل على الفور ، واقترانها بها يضمن الفعل تراخياً وابطاء . وهذا مايكشفه قول الله تعالى (٢) (فلمّا أنْ أراد أنْ يّبطش بالّذي هُو عدُوٌّ لهُما قال : يامُوسَى أتُريد أنْ تّقتُلَني كما قتّلْتَ نفساً بالامس) ، لأن «لمّا» فيه مع «أنْ» تدل على أن مسارعة موسى ، عليه السلام ، إلى القتل لم تكن كمسارعته من قبل ، بل كان منه ابطاء في بسط يده وبطشه بالعدو .

ويسجل ضياء الدين بهذا، على النحاة، أنهم غفلوا عن أمرين :

أحدهما: أن هذه اللفظة لو كانت زائدة لكان ذلك قدحاً في كلام الله تعالى. وذاك أنه يكون قد نطق بزيادة في كلامه لا حاجة إليها، والمعنى يتم بدونها. وحينئذ لا يكون كلامه معجزاً، إذ من شرط الإعجاز عدم التطويل الذي لا حاجة إليه. وإن التطويل عيب في الكلام. فكيف يكون ماهو عيب في الكلام من باب الإعجاز؟ هذا محال (٣).

والآخر: أن اللفظة لا يُحكَمُ عليها بالزيادة في الكلام الفصيح البليغ، إلا إذا كان دخولها كخروجها، وقد تبين بعد التنقيب والتنقير أنها لا معنى لها، فكيف يحكم على «أنْ» هذه بالزيادة، وهي تحمل معنى الإبطاء؟ وهذه آية ثانية تثبت ما ذهب إليه وهي قوله تعالى (٤) (فلماَ أنْ جاء البَشيرُ

---

(١) المثل السائر ٣ : ١٣ .
(٢) الآية ١٨ من سورة القصص .
(٣) المثل السائر ٣ : ١٤ .
(٤) الاية ٩٦ من سورة يوسف .

ألقاهُ على وجْهه). فإنه إذا نُظر في قصة يوسف، عليه السلام، مع إخوته من لدن إلقائه في الجبّ إلى مجييء البشير إلى أبيه عليه السلام، وجد أنه كان ثم إبطاء بعيد. ولو لم يكن ثم مدة بعيدة وأمد متطاول لما اقترنت «لما» بـ «أنْ»، ولكانت الآية: فلما جاء البشير ألقاه على وجهه. قال: وهذه دقائق ورموز، لا تؤخذ من النحاة، لأنها ليست من شأنهم.

ولترونّ في مقاله هذا كله ألواناً، من الخطل والتخطيط:

أما الأول فهو الجهل بمصطلح النحاة. ولذلك أخطأ في فهم مقصدهم بالحكم على الحرف بالزيادة. إنه يتوهم أن الحرف الزائد، في علم الإعراب، هو الذي لا يتضمن دلالة معنوية، فوجوده في الكلام كعدمه. وقد أكد هذا التوهم، من قبل، حين نقل حكم الإمام الغزالي على «ما» من قول الله تعالى (١) (فبما رحْمة من الله لنت لَهُمْ) بأنها زائدة لا معنى لها، ثم أنكر عليه الحكم بزيادتها، وزعم أنها وردت تفخيماً لأمر الرحمة، فلو حذفت من الآية لما كانت تلك الفخامة. وقال (٢): «ومن ذهب إلى أن في القرآن لفظاً زائداً لا معنى له فإما أن يكون جاهلاً بهذا القول، وإما أن يكون متسمحاً في دينه واعتقاده».

والتحقيق أن زيادة الحرف لدى النحاة تكون على أنواع. منها التوكيد، وهو شبيه بالتوكيد اللفظي الذي تكرر فيه الجملة. ومنها التقوية، وهي إعانة الحدث على ارتباطه بمعموله. ومنها التزيين اللفظي، وهو إكساب الكلام ضرباً من الجمال التعبيري. ومنها التعميم، وهو تجريد الحدث من تحديده ليدل على العموم. ومنها التنصيص على العموم، وهو تحقيق معنى الشمول. ومنها الكف، وهو منع العامل من العمل لفظاً أو تقديراً. ومنها العوض، وهو النيابة عن الإضافة أو عن كلمة محذوفة. ومنها التوطئة، وهي تهيئة ما يدخل على الأسماء للدخول على الجملة الفعلية. ومنها المُنبِّهة على وصف

(١) الاية ١٥٩ من سورة آل عمران.
(٢) المثل السائر : ٢:٩٣-٩٤.

لائق، كالتعظيم والتحقير والتنويع. وآخرها الإقحام، وهو أن يكون الحرف بلا معنى، فوجوده كعدمه. وهذا مالا يجوز أن يُزعم وقوعه في القرآن الكريم .

ومما مضى ترون ان زيادة «أنْ» بعد «لمّا» هي للتوكيد (١)، فكأن الجملة التي وردت فيها كررت لتثبيت معناها في النفوس. وليس المراد بزيادتها انها لا معنى لها، بل المقصود هو أنها لا عمل لها ولا تحمل معنى من معانيها الخاصة، وإنما تتضمن المعنى العام للحرف الزائد، وهو التوكيد فلو حذفت لزال هذا المعنى من الآية الكريمة.

وكذلك الحكم في زيادة «ما». إنها زائدة للتوكيد (٢)، أغنت عن تكرار الجملة التي هي فيها، لتحقيق معناها وترسيخه في القلوب. والمقصود بالزيادة أيضاً أنها، من الناحية اللفظية، لا تمنع ما قبلها من العمل فيما بعدها، فكأنها ليست في الكلام. وهذا يعني أنها أيضاً ليست للتفخيم، كما زعم ابن الأثير، لأن الواردة للتفخيم تكون بعد المفخمَ لا قبله (٣).

وأما الثاني فهو الزعم أن «لمّا» إذا لم تكن بعدها «أنْ» دلت على معنى الفور ، وإذا كانت بعدها دلت على التراخي والإبطاء . وقد كان على ضياء الدين أن يستقري هذه المسألة ، قبل أن يدلي بالحكم ، ويسفه آراء العلماء . وهانحن أولاء نحتكم إليكم .فهل ترون في قول اللهتعالى(٤) (ولما بَلَغ أشُدَّه آتَيناهُ حُكْماً وعِلْماً) شيئاً من الفور ، مع أنبلوغ يوسف عليه السلام أشدّه كان فيسنوات ؟ أم ترون ذلك في قولزهير(٥):

(١) الجني الداني ص٢٢٢ ومغني اللبيب ص٥٢ – ٥٣ .
(٢) الكتاب ١ : ٩٢ والجنى الداني ص٣٣٢ .
(٣) انظر الجنى الداني ص٣٣٤ .
(٤) الآية ٢٢ من سورة يوسف .
(٥) شعر زهير بن ابي سلمى ص١٠ – ١١ للأعلم. بيروت ١٩٨١ .

فلما عرفتُ الدّار قلتُ، لربعها :

ألا عِمْ صَباحاً ، أيُّها الرَّبْعُ، واسلَمِ

وهو الذي قد صرح بالبطء والتراخي والمعاناة ، قبل هذا البيت ، بقوله:

وقفتُ بها ، من بَعدِ عشرين حجّةً

فلأياً عرَفْتُ الدّار ، بَعد توهُّمِ

أثافي سفْعاً ، في معرَّسِ مرجَلِ

ونُؤْياً ، كجذْمِ الحوْضِ لم يتثلَمِ

فالعرفان كان بعد لأي ، أي جهد وبطء، وبعد توهم بأي تفرس للآثار الباقية . ثم هل ترون ضرباً من التراخي والإبطاء في قول المعري :

ولمّا أنْ تجهمني مُرادي

مشيتُ مع الزّمانِ ، كما أرادا

والمعري لم يستبطىء تجهم مراده وعبوس زمانه ، بل كان يصادفه دائماً وفي كل حين .

ولو نظرنا في قول الله تعالى (١) : (قال : إنّ فيها لوطاً . قالُوا: نحنُ أعلمُ بمَن فيها . لنُنَجّينّهُ وأهلَهُ ، إلاّ امرأتَهُ كانتْ من الغابرين. ولمّا أنْ جاءتْ رُسُلُنا لُوطاً سيءَ بهم وضاق بهم ذرْعاً) لو نظرنا في هاتين الآيتينِ لتبين لنا أن الرسل فاجأت لوطاً عليه السلام ،ولذلك سيء بهم ، وضاق ذرعاً . ولذلك أيضاً ورد المعنى نفسه في آية أخرى بدون «أنْ» ، وهي قوله تعالى (٢) : (ولمّا جاءتْ رُسُلُنا لُوطاً سيءَ بهم وضاق بهم ذرْعاً) . ولو كان في الحدث إبطاء وجب أن ترد «أنْ» في الآية الثانية ، كما كانت في الآية الأولى .

أضف إلى هذا أن من العلماء من ذهب إلى خلاف مازعمه ابن الأثير. ولهذا رأينا الزمخشري يقف عند قصة لوط عليه السلام ، في الآية الأولى

---

(١) الآيتان ٣٢ – ٣٣ من سورة العنكبوت .

(٢) الآية ٧٧ من سورة هود .

ليقول :(١) « أنْ صلة أكدت وجود الفعلين مرتباً أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لافاصل بينهما ، كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان ، كأنه قيل : لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة ، من غير ريث خيفة عليهم من قومه » .

وأما الثالث فهو اضطراب فهمه للعلاقة الزمنية بين فعل الشرط وماقبله ، ولذلك تجدونه يتحدث عن الفعل بعد « لمّا» في قصتي موسى ويوسف ، عليهم السلام ، حديثين مختلفين ، ليس بينهما وحدة أو انسجام يسوّغ إيرادهما في مسألة واحدة . إنه يعلق على قصة موسى بأن مسارعته إلى قتل الثاني لم تكن كمسارعته إلى قتل الأول ، بل كان منه إبطاء في بسط يده إليه . ثم يعلق على قصة يوسف بأن بين إلقائه في الجب ومجيء البشير إلى أبيه مدة بعيدة وأمداً متطاولاً . فاذا هو يخطىء من وجهين : أحدهما أن التراخي يحصره مرة في فعل الشرط وحده ، دون ارتباط بغيره ، ويجعله مرة ثانية في الزمن الفاصل بين حدث مضى وفعل الشرط . والآخر أنه وضّح التراخي في قصة يوسف بالفصل الزمني بين الإلقاء في الجب ومجيء البشير ، مع أن الأول ليس قبيل الثاني في نسق الآيات ، وإنما هو في مستهل السورة ، والآخر في خواتيمها . وكان عليه أن يستعين بحدث آخر ، وارد قبيل مجيء البشير ، ليوضح معنى التراخي بينهما والابطاء.

وأما الرابع فهو زعمه أن الحكم على حرف بالزيادة ، في آية كريمة هو قدح في كلام الله تعالى ، وازالة لصفة الإعجاز عنه ، لأن من شرط الإعجاز عدم التطويل ، والتطويل عيب في الكلام . ولو أنه أدرك معنى الزيادة عند النحاة لعلم أن الحرف الزائد لديهم ليس من باب التطويل وإنما هو لمقصد معنوي متميز ، لايحسن الأخلال به .

(١) الكشاف ٣ : ٤٥٣ .

تلك وقفات متأنية ، تكشف مافي « المثل السائر» من أوهام وتخليط في علم العربية . وهي نماذج قليلة ، اخترتها من عشرات أمثالها ، للدلالة على المظاهر السلبية في ذلك الكتاب . أما المظاهر الإيجابية اللامعة المشرقة فيه ، مما يتعلق بالاعراب والصرف ، فقد تعرضت لها في مجال آخر وليس من الممكن بسطها ههنا ، مع أنها جديرة بالاحترام والتقدير . وأنت لو تتبعت تلك المظاهر المختلفة لتساءلت عن سر هذا التفاوت الكبير ، بين التجويد والتخليط . ولكنك أذا أمعنت النظر عرفت أن تفسير ذلك مايلي:

فضياء الدين تلقى علومه في مستهل العقد الثالث من حياته ، ولم يستطع ان يتابع دقائق علم العربية على أعلام النحاة، ولم يتيسر له دراسة أمهات الكتب النحوية . ولهذا كان إذا عرض للأحكام المشهورة من النحو أجاد وأفاد ، ولكنه عندما يستهويه الاستطراد والتكثر والانتقاص للعلماء والخوض في الأصول الدقيقة ، يقع في المزالق الخطيرة ، ويتجلى ضيق ذات يده ، وتتسرب إليه آراء متطرفة ، وأحكام نقدية سطحية هشة .

ومعنى هذا أن صاحبنا كانت له صلة بعلم العربية ظاهرة، تمده في الكتابة والتصنيف بلمحات ثقافية متفرقة، ليس لها أصالة العلم وعمقه ودقته وشموله . إنه ذو ثقافة نحوية ، يستفيد منها برفق وأناة .وإذا اتكأ عليها بثقل وعنف تهشمت وانكشفت عن نقائص وفجوات .

على أن هذا كله لاينتقص ما لـ« المثل السائر» من أثر كريم في البلاغة والأدب والنقد ، ولايضعف منزلته الرفيعة في عالم الكتب ، ونفوس الباحثين وقديماً قيل :

وَمَنْ ذا الّذي تُرضَى سَجاياهُ ، كُلُّها ؟
كَفَى المَرء ، نُبْلاً ، أنْ تُعَدّ معايبُهُ

منهجية ابن الاثير في كتاب
(الكامل في التاريخ)

محمد جلوب فرحان
كلية التربية / جامعة الموصل

تقديم :

١ – تهدف هذه الدراسة إلى تثبيت الرؤية النظرية، التي أطل منها (ابن الأثير) على التاريخ ، والمنهج الذي اتكأ عليه في اعادة تشكيل المادة التاريخية. ولتحقيق هذا الهدف يسير البحث في اتجاهين :

الأول – مشروع تحليل لمحاولة (ابن الاثير) في ضوء قراءة عصرية تلتزم بطريق الاستقراء التاريخي للجزئيات المبعثرة في ثنايا تأليفاته .

الثاني – محاولة تلمس منهج في كتابته التاريخية من خلال اعادة تركيب تلك الجزئيات المبعثرة في بناء نظري شامل يحقق ويجسد المنهجية المفروضة في الكتابة .

ان العصب الأساس لرؤية (ابن الأثير) هو الدين الإسلامي ، مضافا اليه الموروث الفكري للأمة ، من فقه وعلم بمختلف اتجاهاته ، الموقف السياسي الذي يكشف عن العلاقة التي تشد المؤلف بالمؤسسة السياسية . الدور المؤثر للظروف الطبيعية والأقتصادية ، التي يتحرك الناس والمؤلف واحد منهم تحت ظلها وفي رحمها .

وبحدود هذه الرؤية التي تمثل فلسفة المنهج ، نرى أن كتابة التاريخ عنده ، قد تحددت بنوعين من الأطر ،مترسماً اركان المنهج المستخدم في اعادة تشكيل الأبنية التأريخية :

الأول – الأطار النظري (فلسفة المنهج) «١»

الثاني – الأطار العملي (ممارسة كتابة التاريخ) .

ويتشابك الاطاران في ثنايا تأليفات (ابن الأثير) التأريخية ، يؤلفان نسيجاً معرفياً موحداً ، ومن هنا تأتي مهمة هذه الدراسة ، فهي محاولة تحليل لمكونات هذا النسيج المعرفي ، لتحقيق صورة نظرية دقيقة لرسم حدود وابعاد الأطارين النظري منهما والعلمي .

ان إعادة قراءة كتاب (الكامل في التاريخ) ، في ضوء طريقتي التحليل والتركيب ، أوصلتنا إلى امور عدة ، تخص المسار المنهجي الذي قطعه (ابن الأثير) في تشكيل المادة التاريخية من جديد .

اتجهت الطريقة الأولى تشريح البناء الروائي للتاريخ . وكشف طبيعته ومكوناته الداخلية ، وهي بهذا الحال مجموعة حفرات تقوم بها في أسس البناء الروائي ، قصد وضع اليد على شبكة العلاقات الداخلية التي شدت تركيباته التأريخية (٢) واستهدفت الطريقة التركيبية ، اعادة تشكيل التصميم التأريخي من زاوية جديدة (٣) وبهدي هذه الطريقة تكشف لنا ان هذا التصميم أنطبع بجملة خصائص (٤) .

وبحثنا هنا يتحرك للكشف عن هذه الخصائص وابراز السمات التي أشرتها طريقتا التحليل والتركيب. وبتقديرنا ان هذه الخصائص وتلك السمات مجتمعة تحدد لنا طبيعة الاطار العملي للمنهج (ممارسة كتابة التاريخ).

التمييز بين الواقعة التاريخية والرواية التاريخية :

٢ ــ ان إعادة قراءة مؤلف (ابن الأثير) التأريخي (الكامل) تضعنا امام حقيقة منهجية، تخص وتطبع توليفة (ابن الاثير)التي حققها في كتابه هذا. وهي توليفة (تجميعية ــ تركيبية) شكلت نسقاً يقترب من مواصفاته من نسق(الطبري)، وان اختلفت معه في إيجاز وقطع واستبعاد الكثير من الروايات التي ضمها النسق الروائي للطبري، (٥) مضافاً اليها الكثير من الروايات التي أحتواها التصميم الروائي لمؤلفات تاريخية اخرى، «فلما فرغت منه اخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها وأضفت منها الى مانقلته من تاريخ الطبري ماليس فيه، ووضعت كل شيء منها موضعه، الامايتعلق بما جرى بين اصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأني لم اضف الى مانقله أبو جعفر شيئاً، الاما فيه زيادة بيان، اواسم انسان، او مالايطعن على احد منهم في نقله، وانما اعتمدت عليه من بين المؤرخين، اذ هو الامام المتقن حقاً، الجامع علماً وصحة اعتقاد وصدقاً. » (٦).

نقول: ان إعادة قراءة مؤلف (ابن الاثير)، تضعنا امام حقيقة منهجية، تذهب الى ان الاجزاء السبعة الأولى، هي بناء روائي للتاريخ يفتقر الى المقابل الدلالي، الواقعة التاريخية (الحدث المعاش الملموس المحسوس). وتعني هذه الحقيقة، فيما تعنيه، ان تركيبه هذه الاجزاء، قد حققت بناء روائياً للتاريخ، تظهر على صورة حكاية (اخبار) تاريخية، تسرد وقائع معلقة في الفراغ التأريخي (٧) وبتقديرنا تظل تحتاج الى دعم واسناد الأحداث التي انبثقت في قاعية الحياة البشرية. هذه الاحداث التي (وهذا من المفروض ان يتحقق عبر تدرج مسار المعرفة) تشكلت في البداية، في نمط المدركات الحسية للمؤلف ، لأنه المراقب والمشاهد . وهذه هي الخطوة الاولى في طريق المعرفة التاريخية (أو محاولة وضع نفسه في قبول رواية ما موضع المراقب للأحداث التي تعرضها الرواية كشرط لقبولها)، وتجسدت الخطوة الثانية في انتقال صورة الأحداث على سطح المدركات الحسية ، عبر ممرات الطريق المعرفي لتتحول إلى نمطية المدركات الفكرية (مدركات عقلية)، وهنا قد تحقق عرض للأحداث على سطح جهاز نظرى يتألف من مجموعة من المفاهيم العقلية التي تصف لنا الأحداث على مستوى الفهم (وهذا يؤشر حال المنظر للأحداث) بعد ان سجلت الخطوة الاولى تصويراً للاحداث على مستوى الرزية الحسية(وهذا يرسم حال المراقب أو المشاهد للأحداث) (٨). غير أن وجه هـــذه الحقيقة المنهجية ، أفتراض كبير ، يحتاج الى تفصيل وكشف تطبيقي ، وتفرعات هذا الكتاب تتحمل الرد على هذا الافتراض لترسم سير مخالف لها. ويشمل اقساماً أخرى تقترب من الافتراض وتتساند معه. ويستلزم هذا القيام باعادة قراءة هذه الاجزاء، تتجه في تحقيق فرز معرفي لتشكيل التصاميم للروايات التأريخية، التي تدعم هذا الافتراض، وفي الوقت نفسه تأشير الأبنية الروائية التي ترسم حدود موقف عليه .

وهذه القراءة تمت عبر منهجية نتبناها وتساعدنا في رسم طريق المعرفة التأريخية، اذا أتفقنا، ونحن بتقديري متفقون، على أن التاريخ،

علم له موضوع، وطريقة تتجاوب مع طبيعة هذا الموضوع، وهدف ينشد الوصول اليه. (٩) لذلك حملت كل قراءة عنوانا يناقش مشكلة معرفية، أستقرت في مباني هذا الجزء أو ذلك المجلد الذي تقوم باعادة قراءته.

إشكالية البناء الروائي للتاريخ:

٣– يقع البناء الروائي للتاريخ عند (ابن الاثير) في إشكالية لانجد لها حلاً، إلاعبر عمليات إقتلاع وازاحة للأسس الميتافيزيقية، التي شُيدت عليها هياكل هذا البناء. وللاستدلال نقول: تبدأ الرواية التأريخية عند (ابن الاثير)، بتعريفات للزمان، إدراكاً منه، بل والأصح تسليماً منه بالرأى الذي يذهب إلى إن اتجاهية التاريخ هي (اتجاهية زمانية)، «الزمان عبارة عن ساعات الليل والنهار» (١٠).

وهنا الفهم المعرفي عند (ابن الاثير) جدير بالأهتمام، فهو بناء نظري يقترب من الحدود العلمية، اذ يحدد لنا مقولة علمية اعتماداً على حقائق لها تجسيد في العالم الخارجي (دلالة) وهي الشمس وحركة الارض. وكانت نقطة الانطلاق في تشكيل هذا الفهم النظري لديه، هو الواقع المحسوس الملموس وهذا هو طريق المعرفة الوحيد. وأي قطع أو تعطيل لنشاطية جزء من اجزاء هذا الدرب المعرفي، هو تشكيل بناء معرفي يفتقر الى الدقة والموضوعية ويتحول الى لعبة لفظية يساهم الخيال الانساني في تشكيلها. (١١)

غير انه يورد جملة من الروايات التي ترسم البداية الزمانية وتؤشر نقطة النهاية لحركية التاريخ، ودفاعاً عن هدفية هذا التعريف واساسه الميتافيزيقي، يورد زوايات عدة، وتسجيلاً لكشف تطبيقي حققته قراءتنا، نقول: أورد رواية (سعيد بن جبير)، (١٣) ورواية (ابي جعفر). (١٤) وبعد هذا العرض للابنية الروائية المدافعة عن الأساس الميتافيزيقي لتعريف الزمان، ينتهي الى ترجيح رواية (ابن عمر): «عن النبي، صلى الله عليه وسلم، انه قال: اجلكم في اجل من قبلكم، من صلاة العصر الى مغرب الشمسُ» (١٥).

ورغم هذا الترجيح ، يبدو ان قلقاً فكرياً قد لازم (ابن الاثير) في أمر هذا الترجيح . وهذا مانميل اليه ، وحباً منه للحكايات التاريخية في هذا الاتجاه ، يعود لتسطير وذكر روايات جديدة ، فسجل رواية كل من (أنس) و (ابي سعيد) (١٦) . وكذلك رواية (ابي هريرة) (١٧) واشارة الى روايات (جابر بن سمرة) و(انس) و(سهل بن سعد) و(بريدة) و(المستورد بن شداد) و(أشياخ من الأنصار) ، (١٨) وينتهي بعد هذا الاستطراد في الانعطاف الذي ظهر في حديثه عن تحديد الساحة الزمانية بين حدى، البداية والنهاية ، الى ان هذه الروايات هي (اخبار صحيحة) (١٩).

وبهذا الفهم تتحول المعرفة التاريخية ، من بناء نظرى يصف لنا عبر مفاهيم عقلية ، طبيعية حد واقعي ، تقول تتحول الى خطاب يخبرنا عن حكاية اسهم خيال الانسان في اختراعها (٢٠) . ول(روزنثال) رأي تجاه هذه القضية ، يذهب الى ان النقد التاريخي الحديث ، قد لاحظ «ان مؤرخي الفتوح الأولين ، هم الذين مهدوا الطريق لروايات الفتوح ،كما انهم بعرضهم الروائي الملون للأحداث جعلوا بعض المؤرخين ، كالطبرى يقدرون اعمالهم بأكثر مما تستحق .» (٢١) وقد تابع (ابن الأثير) هذا الاتجاه ، وعمقه في البنية التاريخية .

نحاول ان نقف هنا لنستوضح طبيعة المسار الذي ركبه (ابن الاثير) فقطع به صحة هذه الأخبار التاريخية . ونتساءل ، ماهو الميزان المعتمد في التمييز بين الروايات الصحيحة فيرسم لنا طريق الأخذ بها ، وبين الروايات الكاذبة، ويؤشر لنا معالم المجرى الذي نسلكه لطردها من ساحة البحث؟

بتقديرنا ان الميزان الوحيد ، الذي يفترض ان يعتمد هو الذي يأخذ بنوافذ سبيل المعرفة البشرية (الحواس زائداً الفاعلية العقلية ،مضافاً الى ذلك شهادة الاخرين التي تشكلت عبر هذه النوافذ) . وهذا السبيل يشترط في صحة الخبر، ان تتوفر في تركيبته أواصر تشده بالواقع أو توجد دالة واقعية تقابل البناء النظري للخبر .

وفي ضوء هذا الميزان المعرفي ، نجد ان بنائية (ابن الأثير) لموقفه المعرفي تخرج ، وتتعطل حركية مشروعه الترجيحي للروايات ، وينقطع مسار التصحيح للروايات عنده ، لان المسألة التي ناقشها ، تندرج ضمن ماندعوه اليوم بـ (الفرضيات الميتافيزيقية) وهي ابنية فكرية صنعها الخيال ومساحتها معلقة في الهواء ، وساحتنا المعرفية هي ارض الواقع ، ومن هنا ندرك سبب عجز وسائلنا المعرفية من التحقق ، بل والأرتقاء إلى ساحة الفرضيات الميتافيزيقية لمعرفتها .

وكذلك تتهاوى الدلالات الواقعية الممتدة في العالم الخارجي (البعد المكاني) والمشدود والمرتبط زمانياً ، من دعم حقائق لامكانية لازمانية .

وفي الحقيقة ان (ابن الأثير) لاينفرد في هذه البنائية لوحده ، بل يشاركه أغلب المؤرخين المسلمين . وللاستدلال نجد ، في معالجات (فرانزروزنثال) الأشكالية علم التاريخ عند المسلمين ، إشارة وتوضيحاً لذلك ، اذ يذهب إلى « ان صورة الخبر قد احتفظت منذ عهد سلفها القديم ، قصص الأيام ، بخصائص القصة القصيرة المروية .. وهذا ماينقد المؤرخ من القيام بواجبه الحقيقي ، أي تقديم تحليل واضح التفسير للوضعية ويترك مثل هذا التحليل للقارىء » (٢٢).

وهنا نقف ونتساءل كذلك : اذن كيف تمكن (ابن الأثير) من التحقيق من صحة الاخبار ؟ نقول ان (ابن الاثير) انتقل من طريق المعرفة البشرية ، طريق الحقيقة الزمنية ، الحقيقية التأريخية النسبية ، إلى طريق الايمان ، سبيل الاطلاقية والفعل الفذ ، الحقيقة اللازمنية اللاتاريخية . وكان لأرتباط هذه الأخبار بالحقيقة اللازمنية المطلقة التي صرحت بها اقوال النبي (ص) وتداخلها وتغلفها آيات شريفة عدة .. نقول هي طريق التعويل الوحيد لصحة هذه الأخبار . ويلتقي موقفنا هذا ، بعض الشيء من الحقيقة التي أكدها (روزنثال) بحق منهجية البحث التاريخي عند المسلمين ، وقد يكون من الخطأ اعتبار سيادة الدين في الرواية التأريخية

مجرد نتيجة آلية للاحوال السياسية التاريخية ، ففي العنصر الديني تتلاقى الحياة والقصص وبدونها قد تبدو الروايات للمسلم العادي عقيمة وغير واقعية (٢٣) » .

وهنا نريد أن نسجل رأيا ، تشكل عبر قراءة للمجلد الأول ؛ ان تصميم (ابن الأثير) التاريخي في هذا الجزء ليس هو بناء روائي لواقعة تاريخية بقدر ماهو قراءة لحكاية عن خبر قيل على لسان ناقل او ناشر لرواية خبر ، وقد تسللت إلى داخل منظومتها وتشابكت حقائق اخرى غريبة لاعلاقة لها بالحدث موضوع الخبر .

وكان لنشاط الذاكرة الممزوجة بتصعيد عال للخيال دور في الاضافة والبتر ، وضم الفاظ جديدة خلفها مواقف . وعن هذا الطريق حققت هذه الروايات ابعاد ساحة ابتعدت فيها حكاية خبر الحدث التاريخي عن الخبر الحقيقي .

ونحاول هنا القيام برسم شكل ايضاحي للطريق المعرفي الذي يسلكه المؤرخ .

← معرفة حسية

الحدث ← البناء الفكري للتاريخ

↑

شهادة الاخرين

← (الخبر) ← حكاية الخبر

في الحقيقة إن هناك فرقاً بين المعرفة العلمية ، في الموضوع والبناء والهدف ، عن الحكاية التي تتميز بالمقابل بالعشوائية واللبس وفقدان الدقة . والتاريخ ــ ولاخلاف في ذلك ــ حقل من حقول المعرفة العلمية. وهذا يجرنا الى القول بان الحكاية لاصلة لها بالمعرفة التاريخية . وبهدي هذا التمييز نتمكن ان نقول ، ان (ابن الأثير) في هذا المجلد لم يسلك طريق المعرفة التاريخية العلمية في تشكيل التصاميم النظرية للوقائع والأحداث التاريخية. بل قام بعملية قراءة وعرض لحكايات تنقل الخبر عن الحدث اعتماداً على رواية

بينها وبين زمن الحدث ملايين من السنين . وبهذا المسلك ظل الحدث بعيداً عن متناول يد وسيطرة المعرفي الحقيقي لدى (ابن الأثير) الذي شغل نفسه بالحكايات فقط (٢٤) .

وبتقديرنا ان بنائية (حكاية الخبر) في الشكل الايضاحي من طريق المعرفة التاريخية ، هي محطة تصنيع تصاميم خيالية ، تشكيل فرضيات ميتافيزيقية وبناء حكايات مختلفة .وبهذا الاتجاه يكون (ابن الاثير) قد دشن عملية اعادة تشكيل بناء تاريخي يعرض لحكايات تتحرك للاستشهاد مثلا ، تجاه اخبارنا عن طبيعة انبثاقية الزمان ونقطة بدايته ومحطة نهايته (٢٥) .

ويتوسع (ابن الاثير) في الفهم الميتافيزيقي للزمان ، وهذا التوسيع يتوزع بين الاشارة الى الفهم اليهودي للزمان (٢٦) . والتنقل بين الفهم المسيحي (٢٧) . والمجوسي (٢٨) . ويبقى الاساس في الفهم هو الاساس الميتافيزيقي ، إشكالية الروائي للتاريخ ، فهذا الاساس يتكىء على رؤيةالتوراة والفكر الديني المسيحي والمجوسي، وهذا تحقق عبر عمليات تسريبمارسها وقادها بذكاء ودشنها (وهب بن منبه) .

ومثلما بدأ (ابن الأثير) باساس ميتاقيزيقي للروايات العدة التياوردها انتهى في خاتمة المطاف في بنائية تصميمه التاريخي الى اساس ميتافيزيقي طرحه لتبرير توقفه عن الكلام والانتقال الى الحديث عن مسألة تعكس وجهة اخرى من الاشكالية ، ويظل اساسها ميتافيزيقي هي الاخرى .

« قلت : ثم ذكر أبو جعفر بعد هذا فصولاً تتضمن الدلالة على حدوث الأزمان والأوقات ، وهل خلق الله قبل خلق الزمان شيئاً ام لا ؟ وعلى فناء العالم وان لايبقى الا الله تعالى ، وانه احدث كل شيء ، واستدل على ذلك بأشياء يطول ذكرها ولايليق ذلك بالتواريخ لاسيما المختصرات منه ، فأنه بعلم اولى . وقد فرغ المتكلمون منه في كتبهم فرأينا تركه أولى » (٢٩).

ونقول من وجهة نظر المنهج الابستمولوجي ، ان (ابن الأثير) لم يتمكن في هذا المجلد ، من تشكيل بناء نظري ، يقربه من المعرفة العلمية

الدقيقة التي يفترض ان يتمتع بها علم التاريخ كعلم مثل باقي العلوم . ولم يخضع رواياته إلى عملية امتحان وفحص عبر النوافذ المعرفية ، التي تقرب البناء إلى الموضوعية ، بل مرت عبر نافذة التبني والأختيار لروايات منشورة على سطح مؤلف تاريخي سابق عليه ، مضافاً إلى ممارسة التعثير التي مارستها المظلة (الدينية ـ السياسية ـ الاجتماعية ـ النفسية ـ الأقتصادية) التي استظلت تحتها محاولة (ابن الاثير) ، فقد ساهمت بتشكيل عائق امام اخضاع هذه الروايات الهائلة العدد لقنوات المنهج النقدي الابستمولوجي غير ان (ابن الأثير) بالمقابل سلك طريق التسليم السهل بالروايات كوقائع تاريخية لايمكن أن يقترب منها الشك. وبهذا الأتجاه نستطيع ان نفهم المحركات التي دفعت (ابن الأثير) إلى ضم هذه الروايات كمكونات للتصاميم النظرية للتاريخ ، التي شكلها ، لأنها منظومات فكرية تطرح تفسيراً لحقب وأحداث تأريخية .

وان كنا لانختلف مع (ابن الأثير) في كون شهادة الاخرين تمثل مصدراً معرفياً يمنحنا زاداً اضافياً يساهم في إلقاء ضوء جديد على أحداث لم نعشها ، وربما عاشها الأخرون . غير اننا نفترق عن طريقه ونسلك طريقنا المعرفي الحق ، اذ ان قبول روايات هذا المصدر يجب أن يتم عبر امكانيات البشر ، وجدارة نوافذهم المعرفية ، عبر فاعلية الاختبار والتجريب ، وفي كيفية تصوير الأحداث . وبعكس هذا الطريق المعرفي تتحول إلى روايات معلقة في الهواء ، ويظل تصميمها النظري في درج التاريخ ، يضم حكاية عن اخبار تلك الأحداث ، وعملية ضم هذه الحكاية إلى اركان التصميم، يساهم في استبعاده عن دائرة المعرفة التأريخية ، التي تلح علينا اليوم ان نقربها من حدود الدقة والموضوعية ، الدقة والموضوعية ، وفقاً لأمكانيات النوافذ المعرفية البشرية . ولا نقول دقة وموضوعية العلوم الطبيعية . فهذه مسألة لنا فيها نظر ، يعود إلى الأختلاف والأفتراق بين الموضوع المعالج من قبل الاثنين .

وللاستدلال على هذه الأشكالية (سيطرة الاساس الميتافيزيقي لبنائية الأحداث)، تقول تظل هذه الاشكالية قائمة ومزروعة في ساحة البناء الروائي للتاريخ عند (ابن الأثير) في هذا المجلد . ونحاول هنا ان نشير بايجاز إلى استمرارية هذه الاشكالية ، ففي بنائه لحكاية (ابتداء الخلق) ، (٣٠) يسير على هذا المنهج . فقد كانت نقطة الانطلاق في تشكيل البناء . الاساس المتافيزيقي . والحال كذلك في القول (فيما خلق بعد القلم) (٣١)وحكاية) الليل والنهار((٣٢)وأيهما خلق قبل صاحبه.قصة)ابليس واطغائه آدم)(٣٣). ذكر (خلق آدم) وتفاصيل عن التحولات التي اصابت حياته (٣٤) . عن(شيث بن آدم)ورسم للاحداث التي ارتبطت بعصره(٣٥). وذكر تفاصيل مدعومة بأساس ميتافيزيقي لأحداث انعطاف في مسار حركية الحكاية لتتجه إلى مركزية بناء روائي يدور حول الفرس ، نسبهم ملوكهم نمطية حكمهم.. فهو اساس ميتافيزيقي متهافت ، تمكنت عن طريق هذا الفعل ، في تحريف مسار الحكاية التاريخية وأن يوظف لاسناد مزاجية فارسية مهزومة (٣٦) .

ويواجهنا حديث روائي ، وهذه حالة تتكرر بكثرة ، فيه تفاصيل عجيبة وغريبة تطرح تفسيراً لانبثاقية طوائف دينية (الصابئة مثلا) من رحم الاحداث التي كانت في زمن نوح (٣٧). ونجد هنا جهداً مبذولا لاقحام آيات قرآنية بالقوة ، لتشكيل مسوغ ديني يسند الاساس الميتافيزيقي . وكأن حال البناء الروائي عند (ابن الاثير قد تمثل حاله عنده ، بالضعف في الاقناع والقبول ، ومنها تحرك عبر اقحام الآيات الشريفة ، لفرضه بقوة المبنى الديني بأنه الحكاية المقبولة ، التي لاتمنح فرصة للخروج عليها .

وبتقديري ان هناك نفساً فارسياً يغلف الاساس الميتافيزيقي الذي حرك لتأسيس بناء للحكاية عن هذه الاحداث . ويبدو لي ان سكوت الكتاب الشريف عن التصريح أو اعطاء تفاصيل كاملة عن هذه الاحداث ، قد جعل من المزاجية المهزومة ان تتحرك تجاه تحميل هذه الحكايات أمجاد تليدة تعويضاً عن حالة النكوص والركود على رصيف الحياة التي تعانيها الذات الفارسية المهزومة (٣٨).

والحال كذلك نجده في تشكيلات حكاية الخبر ، حيث يدعم هذه التشكيلات ادخال لآيات قرآنية في البناء ، حيث الافصاح عن موقف ، وفتح بصيص ضوء في شاطيء آخر من الموقف ، يحفز وينشط حركية تأليف حكايات يساهم الخيال في تسطيرها . وهذا الفعل الخيالي متحقق في تفاصيل الاحداث (التي كانت بين نوح وابراهيم) (٣٩). ويظل التوجيه المركزي للحكاية ، روح فارسية مع اقحام لآيات شريفة تدعـــم وتسند الاساس الميتافيزيقي ، وحركية الحكاية تجاهد الوصول اليه،عبر تفاصيل بناء روائي.

يظل بتقديرنا انجاز لفاعلية الذاكرة الانسانية تلك الفاعلية التي امتد عملها إلى الطرف الخيالي، الذي لعب دوراً في اختلاق الكثير من التفاصيل. وهذا واضح في عنوان حكاية (ابراهيم الخليل ومن كان في عصره من ملوك العجم) (٤٠) ويفضح هدف التوجيه الفارسي، بنزع الغلاف الخارجي للحكاية المختلفة، توجيه في مسار الحكاية للدفاع عن أمجاد فارسية مزعومة. وهذا يبرز في اختراع حكاية (هاجر). وكون (هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم) والأشارة المفضوحة للانتقاص من العرب، كون (هاجر) ام العرب وهي جارية، وكون (سارة) ام الفرس، وهي حرة، فلاحظ في بنائية هذه الحكاية الدس الفارسي المهزوم للانتقاص من شخصية الأمة العربية، عبر التحريف في مسار البناء الروائي، واختراع حكايات تحقق هذا الهدف. وهذا الاختراع يقف خلفه عقل ذكي خبيث، حيث تجده يوظف لخدمة الهدف، حديث للرسول (ص) يسير في اتجاه اخر لا علاقة له بهذه المسألة. واضح لدينا هدف هذا التوظيف،وهو إلزام وفرض الحكاية بأنها مقبولة ولا شك فيها، ما دام يقف خلفها ويدعمها حديث نبوي. ونجد اضافة إلى هذا تفريعات من الحكاية، تتوجه حركتها تجاه دعم مركزية الأنطلاق الميتافيزيقي؛ مع اقحام لآيات واحاديث شريفة في أبنية هذه الحكايات الفرعية (٤١). والحال كذلك في حكاية (لوط وقومه)(٤٢).

ونواجه عبر قراءة لأبنية هذه الحكايات، وتأشير لأتجاهية حركتها، نقول نواجه جهداً منظماً غايته اختراع حكايات تنشد تحقيق اهداف مرسومة. وللاستدلال نجد حكاية تتحرك في اتجاه التفصيل في اسباب اختلاف الامم، وتفرع ونشوء الأقوام. وبتقديرنا ان هذه الحكاية تطرح رأياً غريباً، اذا ما نظرنا اليه من وجهة نظر الانثروبولوجين وعلماء الاجناس؛ فالحكاية تقرر بأن الكل المتنوع يرجع إلى ابراهيم. وبفعل فذ يحمل كل قوم هوية تنوعه واختلافه عن الاقوام الأخرى؛ فمع كل ولادة جديدة كان تجسيداً لطبعة خصائص مميزة لفئة من الأقوام. وهنا قد أشارت الحكاية فيما اشارت إلى تعطيل حركية قانون النمو وتطور الخصائص وأثر الظروف والسير التطوري للطبيعة والتاريخ، وهذه الطبعة المميزة للأجناس قد تحققت عبر زواج (إبراهيم) بـ (هاجر) و (سارة) و (قطورا)؛ فالعرب هم من (هاجر)، والفرس من (سارة)، والكنعانيون من (قطورا)، وتفرع عن الكنعانيين البربر والمدين. (٤٣) وكذلك الحال في حكاية أخرى، ذات بناء عجيب غريب، حيث تخبرنا عن نشوء (بني الاصفر) و (الروم) و (بني اسرائيل) من اسحاق بن ابراهيم وابنه يعقوب دفعة واحدة وإلى الابد (٤٤).

وبتقديري ان أبنية هذه الحكايات، هي نتاج اختراعية خيالية خالطتها روح فارسية موجهة لحركية الحكاية نحو تحقيق صورة يشم فيها امجاد فارسية، واستحضار صور تُدافع عن ماضي أقوام اخرى. وكان هدف بناء الحكاية تحريك نشاطية هذه الاقوام لتساهم في نسف مباني الحضارة التي شيدها العرب واقتلاع كل ما أستقر وتوطن في ساحتها من أبنية حضارية ومنظومات ثقافية وتشكيلات علمية. والملاحظ ان نقطة أنطلاق اية حكاية من الحكايات المنشورة على سطح هذا المجلد، نقول ان نقطة أنطلاق أية حكاية هي حلقة مرتبطة بنهاية حلقة الحكاية السابقة عليها؛ فنهاية الحكاية السابقة هي نقطة البداية لحفر مجرى الحكاية اللاحقة. وهذا برأي، يؤشر حقيقة مهمة تخص بناء الحكاية، فهو يشير إلى ادراك واع من العقل الذي ساهم في اختراع

البنـاء الروائي لتفاصيـل الحكاية، فهذا التسلسل المتصل يدعم الاسـاس الميتافيزيقي المختلق، الذي شكل الأرضية التي شُيد عليها البناء النظري لجميع الحكايات اضافة إلى ان هذا البناء يتصف اذا ما أُريد منا ان نصفه، بأن اركانه قد شهدت اقحاماً واضحاً بالقوة لآيات شريفة، لا تلتقي مع مركزية توجه الحكاية وهدفيتها. ويشير إلى ان الحكاية فيها اشارة إلى شخص أو (نبي)، واذا تنتزع الآية او الحديث انتزاعاً، وتقحم هنا، ويبدو للقارىء بأن هذه الآية، او الحديث، هي اقرار على صحة وصدق تفاصيل الحكاية. في ان العكس هو الصحيح .

وللاستدلال نقول ان هذا الحال نجده متجسداً في حكاية (أيوب). (٤٥) وحكاية (يوسف) التي تشير إلى اختراعية حكاية تدعم وتهدف تبرير برنامج تربوي، يخفي اهداف مجتمع ذكوري ويبدد تصورات نسوية ويكافح في أتجاه توطين تصور يُقر بدونية المرأة، التي حصرت خلف جدران معتمة، وتفاصيل عن صراعية بين خطوط تتحرك في رحم المجتمع(٤٦).

وكذلك الحال في حكايتي (شعيب) (٤٧). و (الخضر وخبره مع موسى). (٤٨) ففي الحكاية الثانية تتعطل نشاطية النوافذ المعرفية، اذ الدقائق التي تتحدث عنها الحكاية فوق قدرة وطاقة النشاط المعرفي الانساني،من جهة انها حقائق قد حدثت في عالم غير عالم الانسان وأدواته المعرفية المحددة. وفي هذه الحكاية واضح جهد استحضار الاساس الميتافيزيقي ليدعم اختراعية الحكاية. وتلتقي مع هذه الرؤية قصة (موسى) وتفاصيل الاحداث التي أتجهت في حركيتها نحو المركزية التي تدعم الاساس نفسه. من جهة انها جهد روائي انشغل بتصوير افعال فذة، لا تلتقي مع الحقيقة الانسانية المحددة المشروطة بامكانيات وقدرة الاداة المعرفية التي يملكها الانسان .

وهذه الاداة تظل عاجزة عن طرح أي تفسير أو تعليل لها . وتفاصيل الحكاية وتفرعاتها التي تتحدث عن (بني اسرائيل) ؛ كلها تصب في مجرى الاساس الميتافيزيقي ذاته (٤٩).

ويظل هذا الاساس الميتافيزيقي هو المحرك وراء اختراعية أية حكاية تتدرج تحت مكونات البناء الروائي للتاريخ عند (ابن الأثير)، والحال ذاته بالنسبة للحكايات الباقية ، وهي هائلة العدد ، فالاساس الميتافيزيقي والاختراعية سمتان سائدتان في البناء . ونحاول ان نقف هنا ، ونكتفي بما طرحناه من نماذج تدعم وتسند التنظير الذي شكلناه ودافعنا عنه ، لنتوجه لمناقشة مسألة اخرى تخص الاشكالية التي تواجه البناء الروائي للتاريخ عند (ابن الأثير) .

ونقول ، من الملاحظ ايضاً في هذا المجلد ، ان اختراعية الحكاية بدأت تخف ، كلما قطعنا شوطاً في القراءة وتقليب الاحداث ، وأخذت الحكاية تقترب من الواقعة (الحدث) التاريخي ، الذي حرك العقل تجاه تسجيله ، وتشييد بناء روائي خاص به ، فأقترب من الدقة والموضوعية التي حددت عملية البحث التاريخي .

غير اننا نقول ان الذاكرة الأنسانية لاتحافظ بأمانة على قالبية الحدث التاريخي كما هو ، بل يظهر ، وهذا هو الحال ولاحال غيره ، يدخل عبر توالي السنين وتتداخل احداث جديدة إلى ساحة الذاكرة يؤدي إلى ضياع جزء (اوربما كل) من حكاية الحدث او تتداخل تفاصيلها مع تفاصيل من حكايات اخرى . وهنا ملزمون ايضاً ان نقرر ، بان الحكاية عبر تنقلها الشفهي والانتقال من لسان إلى ذاكرة ، ومن ذاكرة إلى لسان ، ينضاف إلى حكاية من قبل الرواة ، مايتفق مع مزاجهم ، بشكل واع او غير واع ، وضغط الحال التي كانوا فيها ، في اثناء رواية الحدث ، اضافة إلى طبيعة الظرف الذي يروون فيها الحكاية . ونقول ؛ بان بعض الحكايات ظلت محافظة على مركزية الحدث ، الا ان التفاصيل وبعض التفريعات قدأصابها تحريف ، أو ربما قد حدث لها تأسيس جديد يتفق مع مزاجية الرواية، وظروف الفترة الزمنية ، التي أُعيد فيها سرد حكاية هذا الحدث .

ورغم هذا الإقتراب الذي حققته الحكاية من الواقعة التاريخية ، نجد ان الاساس الميتافيزيقي ، وإشكالية البناء الروائي للتاريخ ، ظل محركاً للاختراعية ، في ركن من أركان الحكاية ، والمشجع لأضافة تفاصيل جديدة للتفاصيل الاصلية ، اضافة إلى استمرارية التوظيف للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة في اسناد الموقف الذي تدور حوله الحكاية ، نقول ظل ايضاً سائداً ومسيطراً على أركان البناء الروائي للتاريخ .

وللاستدلال على هذا التحول نشير إلى بنائية حدث (امر الفيل) . (٥٠) و (عود اليمن إلى حمير واخراج الحبشة عنه) (٥١) . والبناء الروائي لحكاية ماقامت به (قريش بعد الفيل) . (٥٢) من اعمال ، وذكر (حلف المطيبين والاحلاف) (٥٣) .

وفي هذا الجزء من المجلد الاول لمؤلف (ابن الأثير) ، قد طبعه بسمة تجدر الاشارة اليها ، فقد اظهر موقف التصادم والمواجهة مع هدفية مشروع الذات الفارسية المهزومة ، وقد تحقق هذا عبر أحداث تنتصر للعرب وتدافع عنهم ، فقد اتجهت حركية البناء الراوئي للتاريخ تجاه تبديد مركزية وهدفية الحكاية ، التي سيطرت عليها روح فارسية ، والتي كانت تجاهد في اتجاه استحضار امجاد فارسية ، تحولت إلى خرائب خاوية واستقرت على شكل أمال في سراديب الذات ، ثم تمظهرت على صورة أحلام تقض مضجع هذه الذات ، وتحركها بحقد للقيام بعملية اجتثاث جذور الامجاد العربية الناجزة والنامية ، والضارية في عمق الساحة التاريخية . وهذا واضح في البناء الروائي الذي كرس ذاته لذكر (مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وتفاصيل عن حياته ، ورصد لمراحل نموه في رحم المجتمع العربي (٥٤). وكذلك رسم تسجيلية تاريخية لذكر (مارأي كسرى من الآيات بسبب رسول الله علية وسلم) (٥٥) . والحال كذلك في البنائية الروائية لواقعة (ذي قار وسببه) (٥٦) .

ان التحول الذي حدث في اتجاهية البناء الروائي ، ليتجه صوب الحديث عن ايام العرب وذكر لصفاتهم وخصائلهم ، كان هدفه الاساس كما يبدو لنا . مجابهة الحكايات المخترعة عن اصول ملوك فارس وخصائصهم. وهذا التحول تجسد في مركزية الحكاية ، فقد اصابها هي الاخرى تحول ، فقد اتجهت صوب الامجاد العربية . على الرغم من محافظتها على الاساس الميتافيزيقي ، الذي يمثل اشكالية البناء الروائي عند (ابن الأثير) . وهذا واضح في الحكايات التي ذكرت (ملوك الحيرة بعدعمرو بن هند)،(٥٧) والحكايات الهائلة العدد التي كرست مهمتها بالحديث عن (ايام العرب في الجاهلية) وتفاصيل عن مشاغلهم الحياتية وحروبهم ونمطية تفكيرهم والجهاز اللغوي المعتمد : اشعارهم ، نثرهم ، ورسم لحالاتهم المزاجية ، وتصوراتهم الكونية وآرائهم الاجتماعية والسياسية المبثوثة عبر منظومات البناء الروائي للاحداث التاريخية (٥٨) .

هذه الاشكالية التي تعرضنا إلى بيانها والتفصيل فيها ، تطرح حقيقة مهمة تخص وتطبع مؤلف (ابن الأثير) ، وكذلك المؤلفات الاسلامية (ومنها الدينية بشكل خاص) ، التاريخية وهي ارتباط الاساس الميتافيزيقي برؤية عالمية (كونية) للاحداث التاريخية . وبهذا الاتجاه شكل (ابن الاثير) في هذا المجلد ، رؤية كونية للعالم ، فمركزية البحث التاريخي هنا تحركت الى البدايات الاولى لنشوء الكون ، وخلق الانسان والكائنات الحية ، وتدرجت بتعرض لتولد الكائنات البشرية من ظهر آدم ، وبروز الامم والاقوام ، المجتمعات ، ظهور التشكيلات والانظمة التي تضبط العلاقات البشرية ، وحديث عن سببية صراعية الامم والاقوام ، قيام الدول ، توزع الامم وانتشارهم في سطح العالم ، وهذا تضمن حديث عن العرب ، الفرس ، الروم وامم اخرى وتفاصيل عن المحركات الحياتية — السياسية — الاجتماعية — الاقتصادية — الدينية لديهم .

كتابة التاريخ من وجهة نظر القرآن :

٤. رسم (ابن الاثير) في مؤلفه هذا مركزية لكتابته، فقد دارت هذه المركزية عن انبثاقية (الاسلام) ، وبقدر ماشكلت رؤيته العالمية الخطوط الاولى للنشوء وبروز عالم البشرية ، فانها حددت المقدمات التي حملت تشكيلاً جنينياً أخذ ينمو لأحتواء حلول سماوية ، وشهدت تلك المرحلة رسائل هداية من السماء ، وكانت الأنسانية ممعنة في غليها ، وواجهت الرسائل واصحابها المحاصرة ، ورغم هذه المحاصرة ، لم ينقطع الرجاء السماوى في هداية البشرية الى الصراط المستقيم ، والواقع ان الاسلام دين يعتبر التاريخ اساسا في عقيدته ، ويعرض فلسفة تضع نظاما وقوانين لسير الانسان وسعادته والمجتمعات وتطوراتها ، والبشرية ومصائرها ، هذا فضلا عن تأكيده على علاقة القرآن بما في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ، وان الاسلام والرسول يتبعان ملة ابراهيم حنيفاً مسلماً،ويؤكد باستمرار على المسلمين بأن ينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم،وينظروا الى مصائر الامم» (٥٩). والبحث هنا توزع في محوريين :

الاول – رسم حدود محاولة (ابن الاثير) في اعادة تركيب المادة التاريخية قبل الاسلام من زاوية القرآن :

ان اختيار القدر الالهي للنبي محمد (ص) ، الذي يعني في الوقت نفسه اختيار للامة العربية لتعيش تجربة روحية جديدة ، مثلما عاشت بعض اركان من ارضها تجارب روحية – سابقة . نقول بفعل هذا الاختيار ، ان تحول البحث التاريخي عند (ابن الاثير) نحو رسم ورصد المراحل الحياتية لرسول الامة ، نسبه ، عشيرته ، مواقفه او بمعنى أخر تشكيل لسيرته الذاتية والتي هي صورة مصغرة لشخصية الامة العربية الجديدة وشخصية الانسان العربي الجديد (٦٠) .

ونجد ان البحث لدى (ابن الاثير) ، من البداية ، نشد وضع رسم للمقدمة السابقة على انبثاقية الاسلام ، وبروز ثقل للمبنى الديني ، يتحرك

في اركان هذه المقدمات التي تعرض الاصول والفروع ، والاشارة الى حالة الضيق والجدب والانتهاء والتلاشي في حياة الرسول (ص) ، فوالد الرسول ، من المفروض كما مقرر واقعيا ان ينحر لنذر في رقبة (عبد المطلب) غير ان الفعل الفذ يتدخل ليفاجىء الاحداث بأنعطاف لصالح الرسالة السماوية فينقذه من الموت :« وكان عبد المطلب نذر حين لقي من قريش العنت في حفر زمزم ، كما نذكره ، لئن ولد له عشرة نفر وبلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن احدهم عند الكعبة لله تعالى : فلما بلغوا عشرة وعرف انهم سيمنعونه أخبرهم بنذره فأطاعوه وقالوا : كيف تصنع ؟ قال : يأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه . ففعلوا وآتوه بالقداح فدخلوا على هبل في جوف الكعبة ، وكان أعظم اصنامهم وهو على بئر يجمع فيه مايهدى الى الكعبة » (٦١) .

وبعد سلسلة عمليات للقدح ، تنتهي كلها بتقرير ذبح (عبد الله) يقترح على (عبد المطلب) بالذهاب لاستشارة كاهنة بالحجر ، فأشارت الكاهنة الى طريق جديد للقدح ، وهو افداء (عبد الله) في كل مرة ، عندما ينتهي القدح عليه بعشرة من الأبل : حتى وصلت الى مئـــة من الأبل ، « ثم ضربوا فخرجت القداح على الابل فقال من حضر: قد رضي ربك ياعبد المطلب . فقال عبد المطلب : لاوالله حتى اضرب ثلاث مرات ، فضربوا ثلاثاً ، فخرجت القداح على الأبل ، فنحرت ثم تركت لايصد عنها أنسان ولاسبع» (٦٢).

ونلحظ هنا ان الاساس الميتافيزيقي اخذ يتغلف بأردية جديدة ، هي أردية دينية تقترب من الفهم الاسلامي ، ويظل الحس المعرفي لعالم الانسان والحقيقة الزمنية محسوس ،وينطلق حس ماورائي يتحرك خلف جملة الأبنية الروائية الممهدة لبروز ونمو الرجل الذي يتحمل مسؤولية نشر الرسالة الجديدة ، والبحث التاريخي في هذا الاتجاه يندرج ، عبر حلقات حياتية يرصد ويؤشر التحولات في حياة (عبد الله) والد الرسول (ص) ، لتنتهي

هذه التحولات وتصب في مجرى المحط الاخير ، الولادة العظيمة ، تزويج عبد الله بن عبد المطلب بآمنة بنت وهب (٦٣) ، « فدخل عبد الله عليها حين ملكها مكانها فوقع عليها فحملت بمحمد، صلى الله عليه وسلم»(٦٤).

وبتحريك الرؤية الدينية يتحول البحث التاريخي الى اعلان وترويج عن حقيقة فوق ادراك البشر ، غير ان قراءة هذه الحقيقة وسير اغوارها كما يوضح الاعلان قد تمت على يد امرأة .

«فدخل عبد الله عليها .. ثم خرج من عندها حتى آتى المرأة التي عرضت عليه نفسها بالامس فقال لها : مالك لاتعرضين عليّ اليوم ماكنت عرضت بالامس ؟ فقالت : فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك اليوم حاجة .» (٦٥) .

ويظل القلق مسيطراً على الحكاية ، لانه بالمقابل توجد حكاية يطرح بنائها الروائي حساً ما ورائياً منظماً ومرتباً ،فهذه المرأة ليست امرأة عادية، بل كاهنة وهذا الامر أصبح ملتصقاً بما ورائية مقبولة من الاساس الميتافيزيقي ، ومدعوماً من المبنى الديني . فهي (كاهنة من خثعم) متهودة «وقالت له : يافتى هل لك ان تقع علي الآن واعطيك مائة من الابل ؟ .. ثم قال لها ، انا مع ابي ولاأقدر ان افارقه : فمضى فزوجه آمنة .. فأقام عندها ثلاثاً ثم أنصرف ، فمر بالخثعمية فدعته نفسه إلى مادعته اليه ، فقال لها : هل لك فيما كنت اردت ؟ فقالت :يافتى ما أنا بصاحبة ريبة ولكني رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون لي ؛ فأبى الله الا أن يجعله حيث اراد » (٦٦) .

ويبدو ان البحث التاريخي عند (ابن الأثير) لم يقطع الصلة بسير الحكاية ، التي سادت في رؤيته العالمية للتاريخ ، وظل روح الصلة محتفظاً باستمرارية في عملية اختراعية للدفاع عن الاساس الميتافيزيقي ، غير ان الهدفية هنا اختلفت حيث اتجهت للدفاع عن حياة وشخصية الرسول (ص)

قبل تحمله مسؤولية الدعوة للدين الاسلامي فهناك رصد للمنحنيات والتعرجات التي سادت في مسار هذه الحياة ، وتأشير لنقاط الضيق والأنفراج التي اسهمت وساعدت في هذه الانبثاقية العظيمة والاختلاف الذي مارسته الذاكرة الانسانية ، ظل هو الاخر له دور في تشكيل الابنية الروائية لاحداث المرحلة ، والحكايات عن واقعة واحدة ، السابقتي الذكر ، مصداقاً على رؤيته .

ويظل سير البحث عند (ابن الأثير) قلقاً ، بسبب الاختلاف والتنوع في مصادر المعرفة وتعدد قنواتها ، وتشمل أقوال متضاربة ومتعارضة . ولم تتهيأ له فرصة ممارسة العمل النقدي تجاه هذه المصادر المعرفية ، وطرق التزويد بالاخبار والحكايات التاريخية ، ولو تمكن من امتلاك تلك الفرصة لتحرك بتشييد بناء روائي للتاريخ يقطع الشكية ويقترب من يقينية تاريخية تجانب تصوير يحمل بعض من سمات الحدث ، وبهذه الممارسة النقدية يتمكن ، في الوقت نفسه من ترجيح الحكاية التي يراها اسلم واقرب إلى الفهم وتنسجم وتتماشى مع مجريات احداث التاريخ وللاستدلال نجد هذا القلق غير المستقر في البحث التاريخي عند (ابن الأثير) واضح في ادراجه لحكايتين تعالجان حدثاً واحداً الاولى « قال الزهري ، ارسل عبد المطلب ابنه عبدالله الى المدينة يمتار لهم تمرا فمات بالمدينة .»(٦٧) . والثانية «وقيل : بل كان في الشام فأقبل في عير قريش فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفي بها ودفن في دار النابغة الجعدي وله خمس وعشرون وتوفي قبل ان يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٦٨) .

وتأخذ تفرعات البحث التاريخي عند (ابن الاثير) منحى غريباً ، وان كانت هذه الحالة لها امثلة ونماذج كثيرة ،تنتشر على سطح تأليفاته التاريخية، حيث يتحول البحث التاريخي عنده الى حكاية يعرض سيرها عن الحقيقة وينشغل بدرج تفاصيل عن حلم رجل نائم .وهكذا تتحول الحقيقة الى حلم يتطاير ويصبح الحلم على يد (ابن الاثير) هو الحقيقة التي تفصح عن الاحداث

ونقول هنا رأى بحق كتابة (ابن الاثير التاريخية ، ان الحس الماورائي المسيطر في كتاباته ، كان موظفاً ، بوعي أم بغير وعي ، لصالح دعم تعتيم الحقيقة أو لفها بضبابية تخدم الغرض الميتافيزيقي ،وتحقق هذا عبر قبول مسار حلم يفتح ضوء لفهم الحقيقة . في حين بتقديرنا ان الطريق المعكوس هو الصحيح والمقبول معرفياً ،وهي ان الحقيقة ترسم لنا طريق فهم المجهول والغامض ، أو على اقل احتمال نتكىء عليها ، وعلى ماتوفر لدينا من فرص فهم لنتمكن من سبر أغوار المجهول ، وفك حجب الغامض ونتعرف على طبيعتها . المسار المعرفي الاخير ظل معطلا عند (ابن الاثير) ومارس وأتكا على المسار الاول (الحلم) : «وكان الى عبد المطلب السقاية والرفادة.. ثم انه حفر زمزم ..وكان سبب حفره اياها انه قال بينا انا نائم بالحجر اذ أتاني آت فقال :أحفر طيبة . قال : قلت فما طيبة ؟ قال :ثم ذهب ، فرجعت الى الغد الى مضجعي فنمت فيه ،فجاءني فقال : احفر برة . قال قلت :وما برّة ؟ قال : ثم ذهب عني ، قال :فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال :احفر المضنونة .قال :قلت :وما المضنونة ؟قال :فذهب عني . فلما كان الغد رجعت الى مضجعي ، فنمت فيه فجاءني فقال : احفر زمزم، انك ان حفرتها لاتندم ،قلت : مازمزم ؟قال تراث من أبيك الاعظم ، لاتنزف ابداً ولا تذم ،تسقي الحجيج الأعظم . »(٦٩).

وأقف هنا لأشير الى حقيقة تخص بناء (ابن الاثير) للتاريخ ، واقول هنا ،وان الدفاع عن الحقيقة الغيبية ، هو الهاجس المسيطر على الرؤية التاريخية عنده ، وهو المحرك لتوظيف حلم رجل نائم، أو درج حديث عن عالم غير عالم الانسان ، والمتقاطع مع الحقيقة الحسية النسبية ، المشروطة بمحدودية الأدوات المعرفية التي يمتلكها الانسان طبيعياً وبتقديري ولي رأى اخر تجاه هذه الدفاعية عن الحقيقة الغيبية وتوظيف الحلم ، وهنا سأفصح عن رأى تجاه التوظيف . لان لي حديث سابق عن الاساس الميتافيزيقي ، ان الحلم بالتفسير السايكو – سوسيولوجي ، هو حالة طبيعة

يمارسها الانسان ، لان الحلم هو الحارس الامين على الاستمرارية في النوم ، فالأنسان يظل مستغرقاً في نومه مادام هو في حالة حلم . والحلم من ناحية اخرى يعكس حالة قد مر بها الانسان او اكثر تفكيره حولها وبتصوري المتساند مع بعض حقائق التاريخ ، ان عبد المطلب ، واحد : كان يفكر في العمل المأساوي الذي اقدمت على ارتكابه قبيلة (جرهم) حين قامت بدفن وردم بئر (زمزم) قاطعة على الناس مصدراً مائياً مهماً تعتمد عليه استمرارية حياتهم وحيواناتهم عليه ، وخاصة في مناسبة الحج واذا ماوضعنا في تصورنا اهمية بئر ماء في محيط صحراوي متحرك لأحتواء الحياة وقتلها . والثاني : ان الأنسان عندما يذهب الى فراش النوم وهو في حالة جوع لايستطيع النوم ، وان فاعلية الحلم تقدم تعويضاً عن هذه الحالة ، فيرى الانسان ، في حلمه انه امام مائدة انتشرت عليها من المأكولات (والمشروبات) مالذ وطاب ..

ورأيي ان (عبد المطلب) كان قد ذهب الى فراشه ، وهو بحاجة الى سد ظمئه ، أو ربما قد هاجمه العطش وهو مستغرق في نومه . وهنا كان الحلم يرصم حالة التعويض ، فالبئر هو وعاء الماء المستمر في العطاء ولاينضب عند العربي ، وبهذا التفسير تبرز لنا حقيقة الحكاية التي أنشغل بها (ابن الاثير) ، أقول ان احلام الانسان كثيرة ، واذا ماجعلنا من هذه الاحلام ، اساس انطلاق لفهم وتفسير مجريات حياتنا ، تعطلت حركية الحياة ، وبدأت حركية الحلم . وهذا بتقديري قد حقق ، بشكل غير واع ، انتصار اخر للخط الماورائي ، الذي يتحرك بشكل ملحوظ في أبنية (ابن الاثير) الروائية للتاريخ ، كما هو الحال في ابنية غيره من المؤرخين المسلمين .

وهذه المرحلة ، اضافة الى هذه الشواهد التي سجلناها ، ترصم لنا حالة الترقب والانتظار ، للتحول الذي بدأت ملامحه تلوح في سماء المجتمع وكذلك بوادر التبديل والتغيير في بنية العلاقات بين الناس ، وضعاً وتفكيراً

ونجد هنا ان (ابن الاثير) يشير الى منظومة فكرية لها اهمية في دعم الحس الماورائي ، فحركة نشاطه وجهوده تتوجه لاستطاق صورة المستقبل ، وليس قراءة الحاضر فقط ، نقول يشير الى منظومة فكرية خطيرة تتعلق بأركان حكاية دارت حول حياة (ابن كعب) الذي مات في عام الفيل، « وكان كعب عظيم في عقد العرب ، فلهذا أرخوا لموته الى عام الفيل ثم أرخوا بالفيل ، وكان يخطب الناس ايام الحج ، وخطبته مشهورة، يخبر فيها بالنبي (ص) » . (٧٠)

من المعروف لدى الجميع، ان النبي محمداً (ص) ولد في هذا العام عام الفيل، هذا جانب والجانب الآخر، ان عملية فك حجب المستقبل وقراءة ساحته، حالة تتساند مع الرزية الميتافيزيقية، التي تركناها، ولم يتركها ويتخل عنها (ابن الاثير). نقول تركناها عند انتهاء مناقشتنا للفقرة السابقة اشكالية البناء الروائي للتاريخ .

في مناقشة هذه المسألة، التي يتداخل في شبكتها الجانبين السابقين، نبدأ برأي يطرح على شكل تساؤل، يفصح عن ماهيته على شكل مشروع للأجابة؛ من أين جاءت هذه القوة الذهنية الخارقة لدى (ابن كعب) ، ليتمكن ، ولكنه من سبر اغوار ساحة سنين عدة، تمتد إلى (٤٠ سنة) لقراءة ما سيحدث وراء عالم مليء بتحولات لم يرها ولم يعش في رحمها؟

تتحدد الاجابة بأن هذه القوة لم تكن متوفرة لديه، لان صورة حياة الرجل لا تخرج على الحدود الطبيعية، ولم تتحرك لتغادر ساحة البشر، بل نقول للتوضيح ظل رجلا يحمل عقل انسان وتلك نوافذ معرفية محدودة ، هي ادوات معرفية انسانية، رغم العظمة التي ميزته، لأنه سيد قوم، وان هذه العظمة لم تخرج على حدود وتنشيط جيد لحركية النوافذ المعرفية .

هذا الوجه الاول من الاجابة، اما الوجه الآخر، فإنه يشير، ويتساند مع رأينا الذي يذهب إلى ان قراءة هذه المرحلة الزمنية، قد تمت في ضوء وجهة نظر التحول الذي حدث في حياة النبي محمد (ص)، فقد اختاره

القدر الالهي ليكون نبي هذه الأمة، وليتحمل مسؤولية نشر نظرية الحياة الجديدة، ويدافع عنها، ويساهم في التفتيش والبحث عن أدوات تنفيذ، ويوفر اجواء، تحقق ترجمة حياتية امينة لها. من هذه الزاوية قد أنجز مشروع قراءة للحكايات التاريخية عن الاحداث السابقة على الاسلام. لتحقق سير لها وتوجيه لحركتها لتصب في مجرى التحولات التي حدثت، انبثاقية الاسلام، تحمل الرسول مسؤولية الدعوة له، تسهيل مهمة انتشاره ايجاد ترجمة امينة له. وهذا الحال نجده متحققاً في حكاية (وقود النار بالمزدلفة) (٧١)

وكذلك الحكاية التي تروى عن النبي (ص): «لا تسبوا مضراً وربيعة فإنهما مسلمان» (٧٢) والحال كذلك في حكاية (نسب النبي محمد صلى الله عليه وسلم)، «لا يختلف الناسبون فيه إلى معد بن عدنان، على ما ذكرت، ويختلفون فيما بعد ذلك اختلافاً عظيماً لا يحصل منه على غرض، فتارة يجعل بعضهم بين عدنان وبين اسماعيل ،عليه السلام، اربعة آباء، ويجعل آخر بينهما اربعين أبا، ويختلفون ايضاً في الأسماء اشد من اختلافهم في العدد .. ومنهم من يروي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، في نسبه حديثاً يصله باسماعيل ..». (٧٣)

والحال كذلك في حكاية (رحلة عم النبي ابا طالب إلى الشام) ، ففيها توجيه بنفس قرآني ، لتسير الاحداث كلها نحو الحقيقة الجوهرية، التي سيعلن عنها الرسول (ص) ، لانه الشخصية المهيئة ، من كل النواحي، لتحمل الاعلان من الرسالة ، اضافة إلى ان الارضية التي يتحرك عليها الرسول ، حُبلى بكل ماتحتاج اليها انبثاقية الرسالة ، «فلما اراد المسير لزمه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فرق له واخذه معه ، ولرسول الله، صلى الله عليه وسلم ، تسع سنين . فلما نزل الركب بصري من ارض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له . وكان ذا علم من النصرانية. فلما رآهم بحيرا صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك لانه رأى على رسول الله غمامة تظله من بين القوم ، ثم نزلوا في ظل شجرة قريبة منه ، فنظر

إلى الشجرة وقد هصرت اغصانها حتى استظل بها ، فنزل اليهم من صومعته ودعاهم . فلما رأى بحيرا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى اشياء من جسده كان يجدها من صفته .

فلما فرغ القوم من الطعام وتفرقوا ، سأل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عن اشياء من حاله في يقظته ونومه فوجدها بحيرا موافقة لما عنده من صفته ، ثم نظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه ، ثم قال بحيرا لعمه (ابي طالب) ماهذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال : ماينبغي ان يكون ابوه حياً . قال : فأنه ابن أخي مات ابوه وامه حبلى به . قال : صدقت ، ارجع به إلى بلدك واحذر عليه .. فأنه كائن له شأن عظيم .» . (٧٤)

وكذلك الحال في ذكر (نكاح النبي ، صلى الله عليه وسلم ، خديجة)، «أن خديجة .. كانت امرأة تاجرة .. فلما بلغها عن رسول الله .. ارسلت اليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجرا .. فأجابها وخرج معه ميسرة .. فنزل.. في ظل شجرة قريباً في صومعة راهب ، فأطلع الراهب رأسه على ميسرة فقال : من هذا ؟ قال ميسرة : هذا رجل من قريش . فقال الراهب : مانزل تحت هذه الشجرة الا نبي .. فلما قدم مكة ربحت خديجة ربحاً كثيراً ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ومارأى من اظلال الملكين اياه.. فأرسلت إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فعرضت عليه نفسها .. فتزوجها ..» . (٧٥)

وحكاية (حلف الفضول): «فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وشهده رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال حين ارسله الله تعالى: لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النّعم ولو دعيت به في الاسلام لأجبت.». (٧٦) وكذلك حكاية (الحجر الاسود) وتنازع القبائل العربية في امر رفعه، فاقترح (ابو امية بن المغيرة)، وكان اسن قريش عليهم، «اجعلوا بينكم اول من يدخل من باب المسجد يقضي بينكم، فكان اول من دخل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فلما

رأوه قالوا: هذا الامين قد رضينا به. واخبروه الخبر فقال: هلموا الي ثوباً، فأتى به، فأخذ الحجر الاسود فوضعه فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا: فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بني عليه» . (٧٧)

الثاني ـ اعادة كتابة المادة التاريخية التي تكشف المسارات التي قطعتها الدعوة الاسلامية

لقد حقق (ابن الاثير) مشروع قراءة للاحداث التاريخية والحكايات عن الفترة السابقة على الاسلام، من زاوية القرآن وخطوط الدعوة الاسلامية واتجاهاتها، اما فترة انبثاق الاسلام، فلنا فيها رأي آخر يخص معالجات (ابن الاثير)، وهذا الرأي يتحدد، بان البحث التاريخي تعطل على يده من كل مشاغل، اذ لا شغل لديه، سوى الانصراف إلى رصد مسارات الدعوة الاسلامية، منها التي تخص الرسول (ص) ورسم المتحولات التي كانت تحدث في شخصه لتقربه من مسؤولية تحمل اعباء الرسالة السماوية ، او تخص قضية الانبثاق وتأشير مرحلتي النشر والتثقيف الاسلامي السرية منها والعلنية .. (٧٨)

ونقول هنا، ان سير البحث تسجيلي عند (ابن الاثير)، يرصد مسيرة التحولات التي احدثها الاسلام، والتناقضات التي فجرها، والأطر التي الغاها، مرحلة بدء بالنزول، وبالمقابل رسم حالة انحسار النماذج المتخلفة من الحياة العربية، وبيان اثر الصدمة التي حققها الاسلام في ساحة القوى التي تسلطت على خطوط الحياة دون ان تمتلك شرعية السيطرة، وحركة المسلمين لاعادة ترتيب الحياة من جديد .

وهنا تركز البحث، ضمن اهتماماته بتأشير حدود المعاناة التي كانت تعيشها طليعة الامة بصمت لا يحتمل، ورسم لابعاد المشكلات والمواجهات الحياتية التي كانت تهددها، والاشارة إلى معالم الطريق المسلوك ومجرى الكيفية التي تعاملوا بها.

الأولى – تحليلي ، تحليل مكونات البناء التاريخي عند (ابن الأثير) .
الثاني – تركيبي ، نشدنا بركوبه اعادة تركيب المادة التاريخية من جديد لبيان واظهار أثر (القرآن) وخطوط الدعوة الاسلامية ، في رسم مسارات الأحداث التاريخية لديه .

واحاول ان أقف هنا لاوضح ابعاد حقيقة منهجية تخص ابحاث المؤرخين المسلمين عموماً ، وبحث (ابن الأثير) خصوصاً ، الحقيقة التي انتشرت على سطح تساؤل واجابة عليه ، هل لدينا تفسير للتاريخ العربي ؟ تقول الاجابة ، «لقد قدم المؤرخون القدامى بعض التفاسير ومن ذلك ان التاريخ البشري ، بما فيه تاريخ العرب ، تعبير عن المشيئة الالهية المتمثلة في توالي الرسالات ، واخرها واكملها الاسلام . واصبح بعد ظهور الاسلام تاريخ امة هي الامة الاسلامية ومحورها العرب. » . (٧٩)

وللاستدلال على منهجية (ابن الأثير) ، نشير إلى الوقائع التاريخية، المنشورة على سطح الابنية الروائية للتاريخ ، والتي نجد فيها دعماً واسناداً للتنظير الاستقرائي ، الذي شكلناه ، فهناك ذكر للوقت (الذي ارسل فيه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم) . (٨٠) ونجد ان منهجية (ابن الأثير) هنا ، كما دعودتنا ، واعتدناها ، قلقة لاتستقر على حال ، او تقطع برأي، فهي تنقل لنا روايات متعددة تجاه هذه الواقعة التاريخية العظيمة، وللاستشهاد نشير إلى تعددية واختلافية الروايات :

الاولى – «قال ابن عباس .. ان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بعث وانزل عليه الوحي وهو ابن اربعين سنة» . (٨١)
الثانية – «وقال ابن عباس .. انه انزل عليه ، صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ثلاث واربعين سنة ..» . (٨٢)

و (ابن الأثير) لايتوقف عن دفاعيته عن الحس الماورائي ، بل يجد في الجو الجديد الذي وفره المبنى الديني ، طريقاً لقبول الحكايات دون

تمحيص ، نقول ان دفاعيته عن الحس الماورائي ، هو منهج سار عليه ، ولم يتمكن الخلاص منه ، بل ان الحس الماورائي وجد نبضات نمو له في رحم هذا المنهج ، فبدأ يحرك الاشياء ويوجهها وفقاً لهدفيته ، وهذا الدفاع جاء مدعوماً بتفاصيل حكاية ، تدور احداثها على ساحة فوق تصورات البشر ، وتتجاوز وتتخطى قدراتهم المعرفية ، وتتضمن تأشيراً لمسار فكر طفولي جنيني ، تركته البشرية وراءها في مرحلة الطفولة ، وهو تأنيس الأشجار والأحجار ومنحها حساً انسانياً خالصاً : «ومن ذلك انه كان لايمر بحجر ولاشجر الا سلم عليه فكان يلتفت يميناً وشمالاً فلايرى احد ..» . (٨٣)

وكذلك الحال في الواقعة التاريخية التي تنشغل برسم مراحل تحمل النبي محمد (ص) مسؤولية الرسالة السماوية الجديدة، فهي تشير إلى ان (عائشة قد أخبرتنا بخطابها، الذي ينقله (ابن الاثير)، كان اول ما أبتدى به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من الوحي الرؤيا الصادقة، كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثم حبب اليه الخلاء، فكان بغار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ثم يرجع إلى اهله فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق فأتاه جبرائيل فقال: يا محمد انت رسول الله ..» (٨٤) .

والحال ايضاً في الحدث التاريخي، الذي يمثل نهاية لفترة بكاملها، وبداية مرحلة تاريخية جديدة، كل الجدة، «فلما أمر الله نبيه، صلى الله عليه وسلم، أن ينذر قومه، عذاب الله على ما هم عليه من عبادة الاصنام دون الله، الذي خلقهم ورزقهم وان يحدث بنعمة ربه عليه، فكان يذكر ذلك سراً لمن يطمئن اليه من اهله، فكان اول من آمن به وصدقه من خلق الله تعالى خديجة بنت خويلد زوجته.» (٨٥) .

وهذا التحول يقتضي التغيير والتبديل في شبكة الحياة، واعادة ترتيب خارطتها وفقاً لهدفية الدين الجديد (نظرية الحياة الجديدة). ويستلزم هذا برنامج تربوي صارم، ينطلق من ساحة الذات، فيعيد تأسيسها من جديد،

وهذا التأسيس يرسم ملامح تشكيل مصغر لشخصية الامة الجديدة، والذي اتجه كفاح النبي (ص) إلى اعادة ولادتها من جديد (٨٦) .والولادة هذه تقتضي اعلى درجات الانضباطية في السلوك، وتحقيق ترجمة صحيحة للمبنى الديني الذي دعى اليه الاسلام: «ثم كان اول شيء فرض الله من شرائع الاسلام عليه بعد الاقرار بالتوحيد والبراءة من الاوثان الصلاة ..» (٨٧). وذكر حادثة «المعراج برسول الله، صلى الله عليه وسلم» (٨٨) .

وتحقيقاً لهدفية التغيير أخذت تتشكل الخلايا السرية الاولى للدعوة الاسلامية وكان لهذا التشكيل أهميته على عدة مستويات، فهو رسم لصورة جديدة للأمة، تستظل تحت راية جديدة، هي التوحيد، وهو من ناحية ثانية بداية تشكيل للمؤسسة الثقافية الدينية، التي توجه الحركة، ففي داخل اجواء هذا التشكيل المصغريتم مناقشة تحديد الاهداف الأولية والملحة التي يجب التوجيه إلى تحقيقها، عبر الالتزام بالخطاب الديني الموجه من قبل الرسول.

ونقول، هنا قد تحققت أول عملية تثقيف ديني شملت مجموعة الخلايا لرفع معنوياتها ولتكون بمستوى عالٍ ، قادرة على تحقيق عملية التغيير في الواقع الحياتي للناس، وفي الوقت نفسه، عبر هذه العملية، ترسم الطريق للأخرين للاقتداء بهم والانسحاب الى ساحة الدين الجديد، وكل حركة وكسب جديدين، تؤشر في ساحة الطرف (النقيض) لحركة الاسلام، نقطة انحسار وتلاشي للشخصية القديمة للأمة العربية، وفي ساحة الاسلام تحقيق امتداد وانتشار لملامح الشخصية الجديدة، التي ولدت مع ولادة الاسلام. و(ابن الاثير) كعادته، يورد روايات كثيرة متضاربة ومتقاطعة في تأكيد الاخبار التي تدعم الحقيقة. غير اننا عولنا على رواية (ابن اسحاق) التي نقلها ضمن مجموعة الروايات ، للاستدلال ودعم التدرج في سير البحث، وتأشير المنهجية المفروضة في كتابته التاريخية، رغم التفريعات الكثيرة التي ترسم محطات ضياع لهذه المنهجية، «اول ذكر اسلم من بعد النبي علّي وزيد بن حارثة ثم اسلم ابو بكر..فأسلم على يديه عثمان بن عفان

والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيدالله، فجاء بهم الى النبي، صلى الله عليه وسلم، حين استجابوا له فاسلموا وصلوا، وكان هؤلاء النفر هم الذين سبقوا الى الاسلام، ثم تتابع الناس في الاسلام، حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحدث به الناس.» (٨٩).

ويأخذ البحث التأريخي على عاتقه مهمة رسم ملامح المرحلة الجديدة، وان كانت هذه المرحلة لاتقطع الصلة، بل تتساند وتتواصل مع كل ماهو مجيد في المرحلة السابقة، ورغم هذا التواصل فهي تحمل خصائص جديدة، أثارت في ساحتها تناقضات من نوع مختلف، وأفرزت وحركت الى اصطفاف قوى، لم تكن في السابق، في موقع معارضة، فأتجهت حركتها الى تصفية الاسلام بقوة السلاح احياناً، واحياناً اخرى سلكت طريق المساومة، ان وجدت القوة لاتحقق الاغراض.

نقول: ان هذه المرحلة هي المحطة التاريخية الخطيرة في الاسلام، فهي مرحلة الاعلان التاريخي جهاراً عن ولادة الاسلام، النظرية الجديدة للحياة العربية التي ترفض الواقع المشتت الممزق، وتدعوالى التوحيد ولمّ شتات الذات العربية، وترفض التمحور للقوى، ونمطية الصراعية التي تشتت الامة الى جزر متناثرة، وهذا الرفض يتضمن تدمير كل الانماط الفكرية والدينية والاجتماعية، التي وطنت هذا التمزق ودافعت عنه، وساهمت في تأييد هذه الصراعية في القاع الحياتي للامة. هذا الدرب الذي سلكه الاسلام هو الذي حدد خطورة المواجهات التي تحركت لأيقاف حركته، لان فاعلية رؤيته هزت المركزية للقوى التي كانت من مصلحتها ان تظل الاوضاع قائمة بحالها.

ورصم اعلان النظرية الاسلامية برنامجاً تدرجياً في مواجهة الاوضاع، البداية كانت بالتحرك على (الاقربين)، لأنهم، بافتراض الجسور المقامة بينهم لصلة الرحم، ربما أهون وأخف من تحملهم وأحتوائهم للصدمة التي يحدثها الأعلان .. بعد ذلك الانفتاح إلى الخارج نحو الناس أجمعين

ويواجهنا حال (ابن الأثير) كذلك، فهناك تعددية واختلافية في مسار الروايات التي يوردها، ولخدمة الغرض التي ننشد تحقيقه، نختار رواية (جعفر بن عبدالله بن ابي الحكم): «لما انزل الله على رسوله «وانذر عشيرتك الاقربين»، أشتد ذلك عليه وضاق به ذرعاً، فجلس في بيته كالمريض، فأتته عماته يعدنه، فقال، مااشتكيت شيئاً ولكن الله أمرني ان انذر عشيرتي الأقربين، فقلن له: فأدعهم ولاتدع ابا لهب فيهم فأنه غير مجيبك. فدعاهم، صلى الله عليه وسلم، فحضروا ومعهم نفر من بني عبد المطلب بن عبد مناف، فكانوا خمسة وأربعين رجلا ، فبادره أبو لهب وقال : هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصبّاة، وأعلم انه ليس لقومك في العرب قاطبة طاقة، وان أحق من اخذك فحبسك بنو ابيك، وان أقمت على ماأنت عليه فهو أيسر عليهم من يثب بك بطون قريش وتمدّهم العرب، فما رأيت أحداً جاء على بني ابيه بشر مما جئتهم به. فسكت رسول الله، صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم في ذلك المجلس، ثم دعاهم ثانية. وقال: الحمد لله، احمده واستعينه وأومن به وأتوكل عليه واشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له ، ثم قال: ان الرائد لايكذب أهله، والله الذي لااله الاهو اني رسول الله اليكم خاصة وإلى الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ، وأنها الجنة ابدا أو النار ابدا.». (٩٠) و«امر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ان يصدع بما جاء من عند الله وان يبادىء الناس بأمره ويدعوهم إلى الله.» .(٩١)

وبهذا الاعلان اشر الرسول (ص) نهاية مرحلة المعاقل السريّة للدعوة الاسلامية وفتح ساحة مرحلة الافصاح والاعلان بوضوح عن مبادىء الدعوة وهدفيتها، ليؤشر بداية مرحلة جديدة من حياة الامة العربية. وخط المنهجية عند (ابن الاثير) يسير في هذا الاتجاه، فيتدرج زمنياً مع تدرج الانتصاترات الجديدة التي تحرزها نظرية الحياة العربية. ويرصد حالات الضيق والمحاصرة التي تواجهها، وهذا السير موجه كما هو واضح بحركية الاسلام،

وللاستدلال على هذه الحال أشير الى المواجهة بين الاسلام ورجالات قريش: « يا أبا طالب: ان ابن اخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا وضلل اباءنا، فأما ان تكفه عنا وأما ان تخلي بيننا وبينه.» (٩٢). وعاودوا طرح القضية مرة اخرى: «يا أبا طالب ان لك سناً وشرفاً. وانا اشتهيناك ان تنهي ابن اخيك.» (٩٣).

وجاءت اجابة الرسول لعمه في العرض المطروح عليه، لتبدد احلام الشرك، وترسم معالم طريق الدعوة الاسلامية، طريق المبادىء والصلابة والحق والمسؤولية التأريخية: «ياعماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر، حتى يظهره الله أو اهلك فيه ماتركته» (٩٤).

ان اجابة الرسول، التي رسمت ستراتيجية الدعوة الاسلامية، وفشل المحاولات اللاحقة، والمساومات والتنازلات التي قدمها الطرف المعادي. (٩٥) حرك المشركين لتصعيد طريق المواجهة، وجعل هذا الطريق نمطين من المواجهة، عملية تصفية المسلمين بأسلوب التعذيب، جسدياً، «وثبت كل قبيلة على من فيها من مستضعفي المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ورمضاء مكة، والنار ليفتنوهم عن دينهم.». (٩٦) وركوب طريق «التشهير والاستهزاء» برسول الامة (ص) (٩٧).

ان الفكرة التي تحدث انقلابا في واقع ما، وتحمل شرعية التغيير وقيادة الواقع، لجدارتها وانها بمستوى المشكلة التي يعانيها الواقع تقتضي من القيادة الموجة لحركة التغيير، التوقف والتبصر فيما قطعته الحركة، وتأشير التوقفات التي اصابت حركتها، وتعيين الاساليب والادوات التي تقضيها كل مرحلة في المواجهة. وجدير ان نشير الى ان (ابن الاثير) قد ناقش هذه المسألة باسلوبه الروائي المعتاد ونقول بلغتنا قد طرح ايضاحاً فكرياً واستدلالاً عليه، فقد ذهب الى ان الرسول بذكاء ثاقب أدرك بأن حماية الاسلام تقتضي تحصين المسلمين وحماية ارواحهم من اعتداءات الطرف المعادي، فأقترح الهجرة، فأصبحت الهجرة جزءاً اساساً من مسالك الحماية والتحصين للدفاع

عن العقيدة الجديدة. (٩٨) وتبدد، في هذا الاتجاه، الاسلوب الذي ركبه اعداء العقيدة، في تحريك (النجاشي) لتسليم المسلمين اليهم، وعقد معاهدة معه لأنهاء اصوات الحق، عبر التصفية الجسدية لهم (٩٩) .

نقول تبددت هذه الأساليب ، ولم تحقق امراً ، سوى امر واحد هو انتصار النظرية الجديدة التي نشرها الأسلام ، وحققت انتصاراً للاسلام في طرف اخر ، لم يكن ورد ضمن حساباتهم ، اذ مال اعداد من العرب ، اصحاب الفضائل والعقول ، إلى صفوف المسلمين ، لتعاطفهم مع المسلمين ورفضهم الاساليب اللانسانية ، التعذيب والتشهير ، وأنفتاح أستنتاج عقلي نير في أذهانهم بأن هؤلاء على حق وأن القضية التي يدافعون عنها ، حتى الأستشهاد قضية عادلة ، وبهذا الطريق ضمّ الاسلام إلى صفوفه عقول الكثيرين ممن كانوا خارج دائرة الاسلام ، وللاستدلال يشير (ابن الأثير) إلى اسلام (حمزة بن عبدالمطلب) (١٠٠) واسلام (عمر بن الخطاب) (١٠١)

وترسم لنا منهجية (ابن الأثير) الملتزمة بحركية مسارات الدعوة الأسلامية ، ابعاد مرحلة جديدة من المراحل التأريخية للتدرج الزمني لحركية برامج العقيدة الأسلامية المتجهة إلى تركيز اقدامها ، وضرب جذور عميقة في التراب العربي ، وهذا الجانب أفقد الأعداء صوابهم ، وحرك حقدهم لركوب اسلوب جديد ، تمثل بأقدام الطرف المعادي على محاصرة الأسلام، عبر محاصرة بيت الرسول (بني هاشم وبني المطلب) ، و (ابن الاثير) يقدم لنا هذا الايضاح للمحاصرة، « ولما رأت قريش ان الأسلام يفشو ويزيد .. أئتمروا في ان يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على ان لاينكحوا بني هاشم وبني المطلب ولاينكحوا اليهم ولا يبيعوا ولايبتاعوا منهم شيئا .. فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا » (١٠٢) .

وقد حققت هذه المحاصرة أنتصاراً جديداً للاسلام يضاف إلى قائمة الأنتصارات ، وهذا ركن لم يتمكن الطرف المعادي من تقديره، فقد انحاز

الهاشميون والمطلبيون كلياً إلى ساحة الأسلام . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى كشفت للأعداء خطأ حساباتهم وتصوراتهم وعدم جدارة اساليبهم ، اذ ان صلابة المسلمين وجلدهم وعدالة قضيتهم ، حولت صحيفة المحاضرة إلى صحيفة انتصار ولصالحهم ، اذ اصبحت ورقة معلقة لافائدة لها ، مما جعل نفراً من قريش ، لأنهم وجدوا فيها اجحاف وتعسف ، يتحرك تجاه نقض الصحيفة والأقدام على تمزيقها (١٠٣).

ويرصد سير البحث عند (ابن الاثير) المراحل الصعبة ، التي انتشرت على سطح تاريخية الدعوة الأسلامية ، وما خلقته من معاناة للرسول (ص) حملها في داخله هذا جانب ، ودور هذه المعاناة من جانب آخر في تنشيط حركية الدعوة وبلا هوادة في مقارعة مراكز الباطل وتصفيتها ، من أجل حسم الانتصار الكامل لنظرة الحياة العربية ، اذ مصلحة الامة والمجموع فوق أي مصلحة ذاتية ، وهذه المحن تمثلت بفقدان ركنين كان الرسول يستظل بهما ، وفاة (خديجة) (١٠٤). و (ابي طالب) (١٠٥) .

ورغم هذه الحالات من الضيق التي مرت بها مسيرة الدعوة الاسلامية، ترصد لنا منهجية (ابن الأثير) حالات الانفراج الجديدة ، وتجديد انتشارية الاسلام في دوائر واسعة من التراب العربي ، اسلام الانصار (١٠٦) . بيعة العقبة الأولى . (١٠٧) بيعة العقبة الثانية . (١٠٨) وتؤشر لنا التحول الذي حدث في الأسلوب أمد روح الأنتصار باستمرارية جديدة ، فهي ترسم لنا معالم السلوك الجديد الذي سلكه الرسول تجاه تحقيق انتشارية جديدة لنظرية الحياة العربية ، واضافة امكانات اخرى تحقق انتصاراً مركزياً كبيراً . ينهي إلى الأبد ، ويسحق جميع القلاع الخاوية ، التي جسدت حالة تعويق لحركة انتشار الأسلام ، و (ابن الأثير) يعطينا ايضاحاً عن هذه التحولات ؛ هجرة النبي إلى المدينة . (١٠٩) بناء المسجد المؤسسة الأولى للاسلام . (١١٠) وجسد هذا البناء روحا جديدة لشخصية الأمة ، وهي التعاون والتساند لبناء واستكمال تشكيل المؤسسات اللاحقة . واكتمال

الوجه الآخر لشخصية الرسول (ص)، تحقق عن طريق رفض الواقع ، فهو رجل الدين الأول ، واصبح الرجل الأول المنظم لشؤون الحياة العربية، « فأجتمع بنو النجار وطلبوا من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يقيم لهم نقيباً (بعد وفاة نقيبهم) فقال لهم : انتم أخواني وأنا نقيبكم ، فكان فضيلة لهم ». (١١١) رسم البرامج السياسية الأولى للاسلام ، في معالجة المسائل الخاصة ، والعامة ، وقد رسمت هذه البرامج خطبة الرسول عندما نزل المدينة . (١١٢) وتشكيل مكونات المؤسسة العسكرية للأسلام ، «وفيها .. عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه حمزة لواء أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعرضوا عبر قريش .» (١١٣) وعقد « لواء لعبيدة بن الحارث بن المطلب . فألتقى هو والمشركون ..» .(١١٤) وعقد « لواء لسعد بن ابي وقاص وسيره إلى الأبواء . » (١١٥)

وبعد هذا التشكيل لمؤسسات الأسلام ، نجد المؤسسة الفكرية (الثقافية) وفي الوقت نفسه تمارس دور المؤسسة السياسية ، وتنظيم تشكيلات المؤسسة العسكرية ، بدأت مرحلة الأحتكاك مع الأطراف المعادية المحلية ، واخذت قلاع هذه الأطراف تتهاوى الواحدة بعد الأخرى ، وفي الشاطيء الاخر يحقق الأسلام امتداداً وشخصية الأمة العربية الجديدة تمتد معه ، والحياة المعتمة المظلمة تنحسر وتضيق .

كانت البداية ، مرحلة اختبار الذات وكشف القدرة القتالية لديهم ولدى الأعداء ، وتجسدت هذه المرحلة واقعياً ، في (غزوة بواط) (١١٦) . و (غزوة العشيرة) (١١٧) . وفي الحقيقة لم يحدث فيهما احتكاك عسكري ، بل كانتا اشبه بمناورات قامت بها المؤسسة العسكرية الأسلامية ، لأختبار القدرة القتالية وأرهاب وأثارة الذعر في الطرف الاخر .

وبدأت المرحلة الجديدة ، والحاسمة في تاريخ الأسلام ، وهي مرحلة الأحتكاك العسكري ، وتحملت هذه المهمة (سرية عبدالله بن جحش) التي ترقبت تجارة قريش ، « وانقضت على عير يحمل زبيباً لقريش ، وكانت أول غنيمة غنمها المسلمون .» . (١١٨) تبعتها (غزوة بدر) التي

رسمت اوضاعاً جديدة ، فقد كان لأنتصار المسلمين فرصة مكنتهم من التحرك ، بشكل أكثر حرية ، في أعادة ترتيب الأمور لصالحهم ، في حين زرعت في الطرف المعادي الأنكسار ، وأصاب المواثيق والأحلاف مع اطراف اخرى الخلل والفتور ، وأعادة نظر ، وأنفلتت الفرص المتاحة من يد الأعداء لرص الصفوف لمواجهة السيل الذي اخذ بأجتياح قلاعهم، ويمد مركزيته في أركان جديد من التراب العربي ، ليثبت جدارة قيادته وتوجيهه لأمور الحياة العربية ، عبر الالتزام باشتراطات النظرية التي طرحها الكتاب الشريف وتوجيهات الرسول (ص) (١١٩) . وتلاحقت الانتصارات، وللاستدلال يشير (ابن الأثير) إلى (غزوة بني القينقاع) (١٢٠) . وفي (غزوة الكدر). (١٢١)

ورغم الهزائم والانكسارات في ساحة الطرف المعادي ، نجده لايكف او يفتر عنده التفكير ، او توظيف ظروف ، لأيجاد فرصة يبني عليها آمال جديدة تعيد ماء الوجه وبعض من الهيبة التي هتكت . وتحول الحقد هنا صوب البحث والتفتيش عن أساليب جديدة تقوض الانتصار الأسلامي ، وأخيرا اهتدوا إلى اسلوب التخريب ، وقد حسمت مجابهة المسلمين لهذا الأسلوب لصالحهم وتجسد هذا ، كما يخبر نا (ابن الأثير) في (غزوة السويق) وهروب المخربين بجلودهم. (١٢٢) وفي غزوة (بني سليم بجران)

ولم يتوقف الطرف المعادي عن محاولاته، ويصيبه اليأس ، بل ظل يبحث عن ورقة رابحة جديدة ، وبدأ يعيد ترتيب أوضاعه ، ويعقد الاحلاف ويجهز لواقعة تحسم الأمور فيها لصالحه ، وكانت (غزوة أحد) التي حققت انتصاراً جزئيا للاعداء تنفسوا ، عن سبيله ، الصعداء (١٢٤) .

وان خلقت (غزوة احد) انكساراً نفسياً لدى المسلمين، غير أنها بتقديرنا وعبر الخطاب التاريخي اللاحق لابن الأثير ،كشفت لهم، بأنه اذا كان للأنتصار ثمن فأن المحافظة على روح النصر تستلزم دفع ثمن أكبر، وبدأت محاولات المسلمين لترجيح كفة النصر لصالحهم، وتجسد هذا في

(غزوة حمراء الاسد) التي ثبت فيها المسلمون على موقفهم الصلب، فأما النصر والدفاع عن القضية العادلة ، وأما الموت والاستشهاد (١٢٥) وظلت محاولات المسلمين للبحث عن فرص جديدة ، والتوظيف للظروف المتوفرة، والأدوات والاساليب المتاحة لصالحهم لتعزيز الانتصار .وبالمقابل خلق حالة تيئيس للطرف المعادي وزرع الفشل وتعميق وتوطين الاندحار في ساحته، واضطراره الى الاستسلام. وتوزعت هنا الغزوات ، بين رد على موقف معادي ، او تعزيز لروح النصر . وللاستدلال يقدم لنا (ابن الأثير) قائمة من الشواهد في هذا الأتجاه ، (غزوة الرجيع). (١٢٦) توجيه من قبل الرسول (ص) الى قتل (ابي سفيان) .(١٢٧) حادثة (بئر معونة). (١٢٨) (اجلاء بني النضير) .(١٢٩) (غزوة ذات الرّقاع) .(١٣٠) غزوة بدر الثانية(. (١٣١) (غزوة دومة الجندل). (١٣٢) (غزوة الخندق) .(١٣٣) (غزوة بني قريظة) . (١٣٤) (غزوة بني لحيان). (١٣٥) (غزوة ذى قرد). (١٣٦) (غزوة بني المصطلق من خزاعة) (١٣٧) .

عززت هذه الانتصارات ، الدفاعية منها والهجومية، مواقف المسلمين ورجحت الأقرار بقوتهم الضاربة، مما حملت الطرف المعادى الى سلوك طريق المعاهدات ، فكان (صلح الحديبية) . (١٣٨) ليمنحه فرصة راحة واسترخاء يراجع فيها حساباته ، بعد رحلة تعب وعناء طويلة ، لم يحصد فيها سوى الفشل والاندحار والهزيمة . وبالمقابل منح المسلمين الحرية، ووفر لهم اجواء امتلاك الارادة والقرار دون حواجز وقيود.

مكنت الاجواء التي وفرها (صلح الحديبية)، نقول مكنت المسلمين الحركة لضم واحتواء جيوش من الناس الى صفوفهم (١٣٩) وهنا قد حدثت نقطة تحول مركزية في حركة المسلمين ، تمثلت بمكاتبة (رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، الملوك(فبعث الرسل الى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس ،وكذلك الملوك المحلين في المنطقة العربية (١٤٠) . وهذا التحول في مركزية حركة الدعوة الاسلامية، لم يكن توجهاً طارئاً بل

يعكس هوية الدعوة (القومية — الانسانية) ، فالرسالة من ناحية ركزت على الحل القومي لمشكلات الواقع العربي . عبر توجه الى احداث التغيير، ورفض التشتت وخلق امة موحدة. وانسانية ، لأنها مسؤولة عن ايقاف النزف والأضطهاد والقهر السائد في خارطة العالم ، عبر ايقاف التسلط الممارس على البشرية من قبل التشكيلات السياسيةالسائدة في العالم ، لذلك وقف الاسلام موقفاً انسانياً تجاه شعوب العالم .

ورسمت أجواء الحديبية حركة لاطراف وقوى ، شعرت وأحست ، أن قبول المسلمين بالصلح، يعني ضعفهم ، وبهذا الاتجاه تحركوا لجس نبض المسلمين ، فكانت تحرشات لليهود، وتمكنت جحافل المسلمين من حسم هذه المسألة ومعالجتها في (غزوة خيبر) (١٤١) وعزز المسلمون موقفهم في هذا الاتجاه ، في (غزوة وادى القرى) (١٤٢). وفي (فدك). (١٤٣) وفي (غزوة غالب بن عبد الله الليثي بن الملوح) . (١٤٤) وتعزز موقف المسلمين وقوتهم المادية والمعنوية باسلام (خالد بن الوليد) و(عمرو بن العاص) و(عثمان بن طلحة) (١٤٥). وفي (غزوة ذات السلاسل). (١٤٦ و(غزوة الخبط) واحداث فرعية متصلة بالدفاع عن روح النصر وتوسيعه. (١٤٧) وفي (غزوة مؤتة) (١٤٨) . وقد مكنت هذه الانتصارات من تحقيق الانتصار الكبير ، الذي أنهى والى الأبد آخر القلاع الداخلية (فتح مكة)، وسيطرة المسلمين على مركزية التوجية السياسي والفكري والثقافي ، ومهمة التأسيس الاجتماعي من جديد للمجتمع العربي ، وتوظيف البعد الاقتصادي لصالح الجماهير الغفيرة من المستضعفين ، والدفاع عن العقيدة وحمايتها ومدها نحو ساحات جديدة (١٤٩) .

وان حسمت القضية المركزية لصالح الامة العربية ونظريتها الحياتية، فأن هنالك مواقع هامشية، اخذت تهوى الواحدة بعد الاخرى ، وتحقق هذا في (غزوة خالد بن الوليد بني جذيمة) (١٥٠) و(غزوة هوازن بحنين) (١٥١) وفي (حصار الطائف) (١٥٢) وبعد سقوط هذه القلاع بدأت مرحلة

جديدة هي مرحلة التحرير العربية للتراب العربي والذى ضمته عدوانا مراكز سياسية محيطة بالوطن العربي ، في الفترات الحرجة التي تمر بها الامـــة العربية ، وبهذا الاتجاه كانت (غزوة تبوك) هذا من جهة ومن جهة اخرى اتجهت حركة الاسلام الى حسم المشاكل التي انبثقت في ساحة التجربة العربية الجديدة ، لاسباب اثارتها تشنجات ترجع الى متوطنات في الذات ترتبط وتتصل بتفكير وسلوك الجاهلية ، فكان توجه الرسول (ص) الواعي لطرح حلول لها، وتعامله معها بمستوى روح النصر ، وهدفية الرسالـــة الاسلامية. وفي هذا الاتجاه نذكر حادثة (قدوم عروة بن مسعود الثقفي) (١٥٤) و(قدوم وفد ثقيف) . (١٥٥) و(غزوة طيء واسلام عدى بن حاتم) .(١٥٦) و(قدوم الوفود على رسول الله ،صلى الله عليه وسلم(.(١٥٧) وقدوم وفد نجران(مع العاقب والسيد) . (١٥٨) و(اسلام همدان) (١٥٩)

بعد هذه الانتصارات وسقوط القلاع الداخلية،أخذت تستمر تشكيلات المؤسسة العربية ، السياسية – الاقتصادية – الاجتماعية ومايرتبط بها من مؤسسات فرعية، ثقافية – عسكرية ، والرسول (ص) وجه هنا تشكيل خلايا العمال ، وقام بتوزيعهم على الاقاليم ، لتوجيه العملية بشكل منظم يحافظ على روح الاسلام ، ورسم برامج ترسم وتوطن احكام وضوابط الشريعة وتمارس هذه الخلايا دور المسؤول السياسي والديني والاقتصادي، الممثل للرسول في هذه الاقاليم (١٦٠) . وبهذا التوجيه من قبل الرسول (ص) رسم أول تشكيل لمؤسسة الخلافة الاسلامية وللاستدلال على ذلك توجيهاته في حجة الوداع (١٦١) . وهذه المؤسسة ستتخذ على عاتقها مهمة تحرير التراب العربي، وتحقيق انتشارية جديدة للعقيدة، وتحرير الشعوب ، وقد شارك الرسول برسم خطط التحرير ، فقد أوعز ل(اسامة بن زيد)ان يجهز حملة الى الشام وارض فلسطين (١٦٢) .

وانتهت هذه الفترة التاريخية، كما انتهى فيها خط المنهجية عند (ابن الاثير)بمرض الرسول (ص) ووفاته (١٦٣) . نقول انتهى خط المنهجية

في اعادة كتابة المادة التاريخية من زاوية القرآن ومسارات خطوط الدعوة الاسلامية. ليبدأ خطاً آخر من المنهجية، يحمل خصائص وسمات المرحلة الجديدة ، وما أفرزته محركاتها من قوى جديدة ومشكلات جديدة، وهذا الخط لنا حديث عنه في بحث لاحق .

النهج الاستقرائي في البحث التاريخي :

٥ ـ أحاول أن أقف هنا لأشير الى مسألة ، كانت ومازالت في غاية الاهمية، وكم نحن الآن محتاجون للسير عليها في البحث التاريخي ، الا وهي طريقة الاستقراء التاريخي ، وهذه تتحد بشكلها البسيط بأنها: سبيل نعتمد عليه في تأشير وتشخيص الجزيئات التي ترتبط بواقعة أوحدث ثم الانطلاق منها لأعادة تشكيل الرؤية النظرية التي تسندها وتدعمها هذه الجزيئات ، وكان (ابن الاثير) قريب من هذه الطريقة العلمية ، فقد روى وأدرج حكاية (الاخوة : مضر وربيعة واياد وانمار) اولاد (نزار بن معد) وتفاصيل هذه الحكاية تحدد الطريقة الاستقرائية . غير ان (ابن الاثير) لم يلتفت اليها رغم أعادة قراءتها ، وروايتها من قبله، ومن قبل الكثير من المؤرخين الاسلاميين.

وهنا أطلقُ دعوى لقيام وأنشاء طريقة استقراء تاريخي. (١٦٤)او بمعنى آخر اعادة تأسيس علم التاريخ على منهج استقرائي، عند قراءة الحكايات والروايات التأريخية ، فمن الجدير بالذكر ان علم الفقه الاسلامي. قد تبنى هذه الطريقة منهجاً، وعمقها علماء الفقه لتتجاوب مع موضوع بحثه، فظهر لنا منهج استقرائي للفقه، او بمعنى آخر اعادة تأسيس علم الفقه على أسس استقرائية (١٦٥). واحاول هنا ان اشير الى خطوات الطريقة عبر دعم وأسناد تفاصيل الحكاية لهذا التحديد للخطوات:

الاولىـ ترسم لنا انتهاء العملية الاستقرائية ، إلى استصدار حكم (صيغة كلية) مدعوم من قبل الجزئيات المحسوسة المرئية ، ويمثل هذا الحكم تفسير وتعليل للحالة موضوع الدراسة والبحث . وأن بناء هذا الحكم أعتمد على

نشاط عقلي قام بتجميع الجرئيات وربطها برابط موجود في الجزئيات جميعاً «..فبينما هم يسيرون في مسيرهم اذ رأى مضر كلأ قد رعي، فقال: ان البعير الذي رعى هذا الكلأ لأعور . وقال ربيعة : هو أزور . وقال اياد : هو أبتر وقال انمار : هو شرود. فلم يسيروا الا قليلاَ حتى لقيهم رجل توضع به راحلته ، فسألهم عن البعير ، فقال مضر : هو أعور ؟ قال : نعم . قال ربيعة : هو أزور ؟ قال نعم. وقال اياد : هو أبتر ؟ قال: نعم . وقال انمار : هو شرود ؟ قال : نعم ، هذه صفة بعيري، دلوني عليه ، فحلفوا له مارأوه ، فلزمهم ، وقال : كيف أصدقكم وهذه صفة بعيرى» (١٦٦).

الثانية — ملاحظة ورصد الجزئيات المبعثرة ، والتي تربطها وتشدها علاقات تجمعها تحت سقف نظري واحد ، وأن ادراك هذه العلاقات الثابتة بين الجزئيات هو الذي يرسم الطريق لصياغة الحكم من ناحية ، وهو طريق التحقق من صحة وصدق الحكم من ناحية ثانية (فساروا جميعاً حتى قدموا) نجران فنزلوا على الأفعى الجرهمّي ، فقص عليه صاحب البعير حديثه، فقال لهم الجرهمّي : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ قال مضر : رأيته يرعى جانباً ويدع جانباً فعرفت انه أعور . وقال ربيعة : رأيت أحدى يديه ثابتة والأخرى فاسدة الأثر فعرفت انه أزور . وقال اياد : عرفت أنه أبتربأجتماع بعره ولو كان أذنب لمضع به . وقال انمار : عرفت انه شرود لأنه يرعى المكان الملتّف نبته ثم يجوزه إلى مكان أرق منه نبتاً وأخبث . فقال الجرهمّي ليسوا بأصحاب بعيرك فأطلبه (١٦٧) .

واذا افترضنا ان (ابن الأثير) قد سار على هدى هذه الطريقة لفتح ابواب جديدة في البحث التاريخي، لم يصل اليها علماء التاريخ الا في العصر الحديث (١٦٨) . انها ملاحظة جديرة بالاهتمام اردنا ان نسجلها بحق (ابن الاثير) في هذا الجانب من منهجيته .

تعقيب نهائي :

٦ — هذه قراءآت دقيقة ، قمنا بها لتحقيق رسم لملامح الخط المنهجي الذي اعتمده (ابن الاثير) في ممارسته الكتابية التاريخية . وهذه القراءآت توزعت بين قراءة ذات رؤية أبستمولوجية ، كشفت محركات البناء الروائي للتاريخ ، عبر عملية التمييز التي قمنا بها بين الواقعة التاريخية لأنها امتداد زماني — مكاني ، والرواية التاريخيـة لأنهـا صياغة عقلية تتأثـر بمزاجية الراوي وارتباطاته السياسية ، الأجتماعية ، منظورة للحياة ، رؤيته الكونية ، ثقافته العلمية . وحققنا نقداً ، في ضوء هذا التمييز ، وجدنا تسجيله على منهجية (ابن الاثير). وقراءة ذات رؤية ايدولوجية ، كشفت فيها المؤشرات التي أملت على (ابن الاثير) أعادة كتابة التاريخ من وجهة نظر (القرآن) ، وأخيراً قراءة منهجية ، دعت وتمنت إلى تبني النهج الاستقرائي في البحث التاريخي . وفي هذه القراءآت نتمنى بحدود متواضعة قد أسهمنا في التنبيه ، على أقل احتمال ، إلى أهمية القراءآت ، الأبستمولوجية الأيديولوجية المنهجية ، لأعادة قراءة تراثنا الفكري ، وبشكل خاص فكرنا التاريخي.

هوامش وتعليقـــات:

(١) قمنا بنشر الجزء الاول، الخاص بـ(الاطار النظري: فلسفة الملهج) في مجلة الفكر العربي المعاصر / يصدرها مركز الانماء القومي، بيروت / العدد (١٢) أيار ١٩٨١، ص‌ص١٤٩ — ١٥٨

(٢) اعتمدنا هذه الطريقة على، هيوج . أتكن، دراسة التاريخ وعلاقته بالعلوم الاجتماعية، ترجمة د. محمود زايد، تقديمد. قسطنطين زريق، بيروت ١٩٦٣ ص‌ص١٦١ — ١٦٥

(٣) تبني الباحث هذه الطريقة، المصدر السابق، ص‌ص١٨٧ — ١٨٩

(٤) ومحاولتي هذه تطرح كشفاً تجريبياً لدعوة الدكتور عبدالعزيز الدورى، التي تلح على دراسة «تاريخنا بروح النقد والتفهم في آن واحد. فنحن لا نريد أضفاء صفة القدسية عليه، فهو تاريخ بشر، ولكننا كذلك لا يمكننا هدم وتقويض حقائقه على مذبح الشك الساخر، ولا نريد، في الوقت نفسه، اضفاء صفة الرومانتيكية عليه بدراسة كتاريخ بطولات.»

أنظر، د. عبدالعزيز الدورى: التاريخ والحاضر، مقالة منشورة ضمن مجموعة مقالة في كتاب، تفسير التاريخ، بغداد (بلا تاريخ) ص١٢

«وخير سبيل لدراسة التاريخ العربي هو ان يبحث على اسس حديثة، ولكنني لاأرى أصول البحث التاريخي الغربي وافية، بل من الضرورى ان نكون مصطلحاً تاريخياً يلائم طبيعة أصول التاريخ العربي» المصدر السابق ص١٣

(٥) انظر، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (بلا تاريخ) المجلد الاول، ص٣

(٦) المصدر السابق

(٧) طرحنا هذا الرأى مقتفين اثر رأى:

ا — د.عبدالعزيز الدورى، «اننا لانريد اخضاع تاريخنا لفرضيات ووجهات بعيدة عنه، بل الأجدر بنا ان تكون فرضياتنا مشتقة من هذا التاريخ ومن محاولاتنا لفهمه..»، المصدر الابق، ص١٢

ب — د. صالح أحمد العلي، «انه لا بد لدارس التاريخ من ان يستعمل ذهنه وافكاره الخاصة لفهم حوادث الماضي، وكتابته عن أية حادثة اذاً لاتتوقف على الحادثة فقط، بل على فكر المؤرخ نفسه ايضا، ومن المعلوم ان المؤرخ قد يتأثر بأوضاعه الذهنية الخاصة في الحكم على الاشياء».

انظر: د. صالح أحمد العلي، تفسير التاريخ، مقالة منشورة في الكتاب السابق، ص٢٤

(٨) ونحاول ان نقترب من رأي الدكتور صالح أحمد العلي، في معالجته لمشكلات التاريخ العربي، وللاستدلال نشير اليه: «وعلى هذا فلا بد لدراسة التاريخ من أتباع طريقة غير مباشرة، وذلك بالأعتماد على ماكتبه أو تركه الذين شاهدوا الاشياء التي نريددراستها،

وهذه الكتابات والمخلفات ماهي الا رموز تتطلب الفهم والتفسير، فضلا عن النقد للتحقق من صحة ماتدعيه هذه الكتابات» المصدر السابق، ص٢٢

(٩) ننشد هنا عقد دراسة جزئية تطرح تخطيطا، لمعالجة قضية (علمية التاريخ). وبدء نقول، سادت في ساحة البحث التاريخي وجهات نظر عدة، توزعت في النظر الى التاريخ، انه:

أولا .«البحث عن الحقائق الثابته وتدوينها.».

ثانياً .«تفسير الحقائق وربطها، فالمؤرخ يختار الحقائق، أو بالأحرى يبحث عن حقائق معينه ويجمعها، وهذه هي مادته الأولية، ثم يكسبها مفهومها التاريخي.».

ثالثاً .«فهم أي تاريخ يتطلب فهم المؤرخ واتجاهاته ونظراته.».

رابعاً .«عملية متصلة للتفاعل بين المؤرخ وحقائقه أو حوار متصل بين الماضي والحاضر.».
أنظر مقالة الدكتور عبدالعزيز الدوري، المصدر السابق، ص٣

خامساً .«ان أعتبار التاريخ علم أدى بالمؤرخين الى الدقة والحذر في التثبت من الحقائق وصياغتها والتأكد الدقيق من صحة كل نقطة، وفحص مختلف الأدلة بغية الوصول الى نتائج مضبوطة كما أدى الى تضييق نطاق التحيز.».
انظر مقالة الدكتور أحمد صالح العلي، المصدر السابق، ص٢١

سادساً .«والغاية من وراء البحث في العلم كله هي المعرفة أو فهم العلائق، ومثل هذا الفهم يقتضي في البحث التاريخي شيئاً أكثر بكثير من مجرد ترتيب الحوادث على النحو الذي وقعت فيه زمنياً..» انظر، هيوج. اتكسن المصدر السابق، ص١١

(١٠) ابن الاثير، ج ٢، المصدر السابق، ص١٣

(١١) مناقشة البعد الزماني وربطه بالبحث التاريخي، أحيل القارىء الى مراجعــة:
آ — أنظر مناقشات، الدكتور عفت محمد الشرقاوي، أدب التاريخ عند العرب، بيروت (بلا تاريخ)، ص‌ص١٨٣ — ١٨٩، مناقشات تطفح بالبعد الميتافيزيقي للزمان وفكرته، في القرآن وفي الفكر الأسلامي.
ب — أنظر، الدكتور نزار عبداللطيف، اراء في كتابة التاريخ العربي، بحث منشور في كتاب (حول كتابة التاريخ) بغداد، ١٩٧٩، ص‌ص١١٥— ١١٦ وأنظر ربط الزمن بعملية الوعي بالتجدد، ص١١١

(١٢) أنظر، ابن الاثير، ج ٢، المصدر السابق، ص١٣

(١٣) المصدر السابق

(١٤) المصدر السابق

(١٥) المصدر السابق

(١٦) المصدر السابق

(١٧) المصدر السابق، ص‌ص١٣ — ١٤

(١٨) المصدر السابق، ص١٤
(١٩) المصدر السابق
(٢٠) وزيادة في الاطلاع على التحليل الابستمولوجي (المعرفي) للفكر التاريخي نقترح على القارىء مراجعة كتاب، هيوج. أتكن، دراسة التاريخ وعلاقته بالعلوم الاجتماعية، ص ص ١٩٠ – ١٨١
(٢١) فرانزروزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، مراجعة محمد توفيق حسين، بغداد ١٩٦٣، ص٢٦١
(٢٢) المصدر السابق ، ص٩٦
(٢٣) المصدر السابق، ص٢٦٣
(٢٣) أنشد هنا وضع أيضاح عن المنهجية في مباحث المسلمين التاريخية بشكل عام، ومنهجية (ابن الاثير) بشكل خاص، قائلا : ان نشأة علم التاريخ عند المسلمين اختلطت «بعلم الحديث من حيث موضوع البحث ومنهجه. أما الموضوع فقد كان يدور حول رواية أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، ومغازى المسلمين وسيرهم وأما المنهج فهو العناية بذكر الاسانيد وتوثيق الرواية عند سرد كل خبر.
أنظر، د. عفت محمد الشرقاوى، أدب التاريخ عند العرب ، ص٢٥٤
وعلى مثل هذا المنهج الرواتي سار (الطبري) و«المنهج التأريخي الذي يقوم على الرواية وحدها، قد يثير عدداً من المشكلات فيما يتشل بمصادر البحث ، فاذا كان الطبري حريصاً على اثبات اسانيده ني كل حال، فليس كل الحقائق التاريخية التي أوردها مما يمكن تتبعه خلال سلسلة من السند الضابط الى وقت حدوثه في عهود بالغة القدم . ومن ذلك مثلا أحداث التاريخ قبل ظهور الاسلام التي رواها الطبري ، والتي لم يجد لها مصادر موثقة غير النصوص القرآنية والنبوية».
أنظر المصدر السابق، ص٢٦٨
وفي هذا الاتجاه سار (ابن الاثير)، فقد ظل «منهج الطبرى وتصوره للتاريخ لهما تأثير كبير على بعض المؤرخين اصحاب التواريخ العامة من أمثال ابن الاثير صاحب الكامـــل».
أنظر، أحمد أمين، ظهر الاسلام، الجزء الثالث، القاهرة ١٩٦٦، ص٢٧٥
(٢٥) أنظر ابن الاثير، المصدر السابق، ص ص١٣ – ١٥
(٢٦) المصدر السابق، ص١٤
(٢٧) المصدر السابق
(٢٨) المصدر السابق
(٢٩) المصدر السابق ،ص١٥
(٣٠) المصدر السابق، ص١٦

(٣١) المصدر السابق، ص‌ص١٦ — ١٠
(٣٢) المصدر السابق، ص‌ص٢٠ — ٢٢
(٣٣) المصدر السابق، ص‌ص٢٣ — ٢٦
(٣٤) المصدر السابق، ص‌ص٢٧ — ٥٣
(٣٥) المصدر السابق، ص‌ص٤٥ — ٥٥
(٣٦) المصدر السابق، ص‌ص٥٦ — ٦٦
(٣٧) المصدر السابق، ص‌ص٦٧ — ٨٢
(٣٨) المصدر السابق، ص‌ص٨٣ — ٨٤
(٣٩) المصدر السابق، ص‌ص٨٥ — ٩٤
(٤٠) المصدر السابق، ص‌ص٩٤ — ١٠١
(٤١) المصدر السابق، ص‌ص١٠٢ — ١٠٧
(٤٢) المصدر السابق، ص‌ص١٠٨ — ١١٢
(٤٣) المصدر السابق، ص١٢٣
(٤٣) المصدر السابق، ص١٢٦
(٤٥) المصدر السابق، ص‌ص١٢٨ — ١٣٦
(٣٦) المصدر السابق، ص‌ص١٣٧ — ١٥٦
(٤٧) المصدر السابق، ص‌ص١٥٧ — ١٥٩
(٤٨) المصدر السابق، ص‌ص١٦٠ — ١٦٣
(٣٩) المصدر السابق، ص‌ص١٦٩ — ٢٠٦
(٥٠) المصدر السابق، ص‌ص٤٤٢ — ٤٤٧
(٥١) المصدر السابق، ص‌ص٤٣٧ — ٣٥١
(٥٢) المصدر السابق، ص‌ص٤٥١ — ٤٥٣
(٥٣) المصدر السابق، ص‌ص٤٥٣ — ٤٥٤
(٥٤) المصدر السابق، ص‌ص٤٥٨ — ٤٦٧
(٥٥) المصدر السابق، ص‌ص٤٨٠ — ٤٨٢
(٥٦) المصدر السابق، ص‌ص٤٨٢ — ٤٨٠
(٥٧) المصدر السابق، ص٤٩١
(٥٨) المصدر السابق، ص‌ص٥٠٢ — ٦٨٤
(٥٩) الدكتور صالح أحمد العلي، تفسير التاريخ، الكتاب السابق، ص١٨ ودعماً لموقفنا نشير إلى الرأيين الآتيين؛ «بظهور الاسلام.. أخذت بواكير الشعور التأريخي طريقها إلى ضمير المسلم، فشرع المسلمون في الاهتمام بالتاريخ تدريجياً، ثم تزايدت عنايتهم به بعد ذلك لاسباب متعددة.»

أنظر الدكتور عفت محمد الشرقاوى، أدب التاريخ عند العرب ،ص١٣٤

«تقوم فكرة التاريخ في القرآن الكريم على ان للتاريخ معنى اخلاقياً وروحياً مؤسسا على علاقة الألوهية بالعلم، ونور الانسان فيه، بوصفه خليقة الله في ارضه. وكثير من النصوص القرآنية تؤكد هذا المعنى في مناسبات مخلاقفة، فهى تحص الانسان على الاقبال على الحياة والعمل، ولكنها تحذره في الوقت نفسه من غرور يتهدده فيكون مصيره الهلاك كما حدث لكثير من الامم من قبل».

أنظر، ١ – المصدر السابق ، ص٢١٠

التاريخ ٢ – عبد الحميد صديقي ، تفسير التاريخ، ترجمة كاظم الجوادى ، الكويت (بلا تاريخ) ص ص١٣١ – ١٤٢

(٦٠) أنظر دعماً لموقف قراءتنا لنصوص (ابن الاثير) بهذه الاتجاهية:

آ – مقال الدكتور عبدالعزيز الدورى، التاريخ والحاضر، الكتاب السابق، ص١٢

«اذكر ان فكرة الامة تسود جل تاريخ العرب ، وان توسعهم وحضارتهم استنداً الى رسالة تاريخية حملوها، وانهم خرجوا بقيم خلقية وأنسانية لعبت دورها في تطورهم وأثرهم في سير المدينة.

ب – الدكتور نزار عبد اللطيف ، الفكرة التاريخية في القرآن (مقال منشور في كتاب حول كتابة التاريخ ، بغداد ١٩٧٩) ص ص ١١٦ – ١١٧

«وردت كلمة (امة) في القرآن اربع وستين آية..غير أن القاسم المشترك فيها أنها تعبير عن سيادة اجتماعية أوسع من (القبيلة) ».

ج – محمد جلوب فرحان، دور الاسلام في تطور الفكر العربي ، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت (عدد خاص بمناسبة دخول القرن الهجرى الخامس عشر) صيف ١٩٨١، ص٦٨

(٦١) ابن الاثير، المصدر السابق، المجلد الثاني ، ص٥

(٦٢) المصدر السابق، ص٧

(٦٣) المصدر السابق

(٦٤) المصدر السابق، ص٨

(٦٥) المصدر السابق

(٦٦) المصدر السابق، ص ص٨ – ٩

(٦٧) المصدر السابق، ص١٠

(٦٨) المصدر السابق

(٦٩) المصدر السابق، ص١٢

(٠٨) المصدر السابق، ص٢٥

(٧١) المصدر السابق، ص٢٧

(٧٢) المصدر السابق، ص٣٢
(٧٣) المصدر السابق، ص٣٣
(٧٤) المصدر السابق، ص٣٧
(٧٥) المصدر فسابق، ص ص٣٩ — ٣٠
(٧٦) المصدر السابق، ص٤١
(٧٧) المصدر السابق، ص٤٥
(٧٨) نلتقي في قراءتنا هذه لنصوص (ابن الاثير) مع اراء:
آ — د.نزار عبداللطيف، التي وردت في بحثه الموسوم «تكوين الشخصية النضالية في التاريخ العربي» المنشور في كتاب «حول كتابة التاريخ» ص ص١٢٢ — ١٣٢
ب — د. عزمي محمد شفيق، كتابة التاريخ ضرورة علمية وثورية (الكتاب السابق) ص ص١٦٥ — ١٦٩
(٧٩) الدكتور عبد العزيز الدورى، المصدر السابق، ص٩
(٨٠) ابن الاثير، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص٤٦
(٨١) المصدر السابق
(٨٢) المصدر السابق
(٨٣) المصدر السابق
(٨٤) المصدر السابق، ص٤٨
(٨٥) المصدر السابق، ص٥٠—
(٨٦) أنظر محمد جلوب فرحان، مشروع قراءة لموقف القرآن من الجهاد، القسم الاول، البنائية الفكرية للجهاد النفسي، بحث اشترك به الباحث في المؤتمر العلمي الاول لجمعية المؤرخين والاثاريين العراقيـــة.
(٨٧) ابن الاثير، المصدر السابق، ص٥٠
(٨٨) المصدر السابق، ص ص٥١ — ٥٧
(٨٩) المصدر السابق، ص٥٩
(٩٠) المصدر السابق، ص٦١
(٩١) المصدر السابق، ص٦٣
(٩٢) المصدر السابق
(٩٣) المصدر السابق، ص٦٤
(٩٣) المصدر السابق
(٩٥) المصدر السابق، ص٦٥
(٩٦) المصدر السابق، ص ص٦٦ — ٧٠
(٩٧) المصدر السابق، ص ص٧٠ — ٧٦

(٩٨) المصدر السابق، ص‌ص٧٦ – ٧٩
(٩٩) المصدر السابق، ص‌ص٧٩ – ٨٢
(١٠٠) للتفاصيل أنظر، المصدر السابق، ص‌ص٨٣ – ٨٤
(١٠١) المصدر السابق، ص‌ص٨٤ – ٨٧ التفاصيل كاملة
(١٠٢) المصدر السابق، ص٨٧
(١٠٣) للتفاصيل راجع، المصدر السابق، ص‌ص٨٨ – ٩٠
(١٠٣) المصدر السابق، ص٩٠
(١٠٥) المصدر السابق، ص٩١
(١٠٦) المصدر السابق، ص‌ص٩٤ – ٩٥
(١٠٧) المصدر السابق، ص‌ص٩٥ – ٩٨
(١٠٨) المصدر السابق، ص‌ص٩٨ – ١٠١
(١٠٩) المصدر السابق، ص١٠٩
(١١٠) المصدر السابق
(١١١) المصدر السابق، ص١١٠ مابين قوسين كبيرين من عندنا
(١١٢) المصدر السابق، ص١٠٩
(١١٣) المصدر السابق، ص١٠١
(١١٣) المصدر السابق
(١١٥) المصدر السابق
(١١٦) للتفاصيل راجع، المصدر السابق ص١١٢
(١١٧) المصدر السابق
(١١٨) للتفاصيل راجع، المصدر السابق، ص‌ص١١٣ – ١١٤
(١١٨) للتفاصيل راجع، المصدر السابق، ص‌ص١١٦ – ١٣٧
(١٢٠) التفاصيل، المصدر السابق، ص‌ص١٣٧ – ١٣٩
(١٢١) المصدر السابق، ص١٣٩
(١٢٢) التفاصيل، المصدر السابق، ص‌ص١٣٩ – ١٤١
(١٢٣) المصدر السابق، ص١٤٢
(١٢٤) للتفاصيل راجع، المصدر السابق، ص‌ص١٤٨ – ١٦٣
(١٢٥) للتفاصيل، المصدر السابق، ص‌ص١٦٤ – ١٦٥
(١٢٦) للتفاصيل، المصدر السابق، ص‌ص١٦٧ – ١٦٨
(١٢٧) التفاصيل، المصدر السابق، ص‌ص١٦٩ – ١٧٠
(١٢٨) المصدر السابق، ص‌ص١٧١ – ١٧٢
(١٢٩) المصدر السابق، ص‌ص١٧٣ – ١٧٤

(١٣٠) المصدر السابق، ص‌ص١٧٤ – ١٧٥
(١٣١) المصدر السابق، ص‌ص١٧٥ – ١٧٦
(١٣٢) المصدر السابق، ص‌ص١٧٧ – ١٧٨
(١٣٣) المصدر السابق، ص‌ص١٧٨ – ١٧٩
(١٣٤) المصدر السابق، ص‌ص١٨٥ – ١٨٧
(١٣٥) المصدر السابق، ص١٨٨
(١٣٦) المصدر السابق، ص‌ص١٨٨ – ١٩١
(١٣٧) المصدر السابق، ص‌ص١٩٢ – ١٩٤
(١٣٨) التفاصيل، المصدر السابق، ص‌ص٢٠٠ – ٢٠٦
(١٣٩) المصدر السابق، ص‌ص٢٠٦ – ٢١٠
(١٤٠) للتفاصيل راجع، المصدر السابق، ص‌ص٢١٠ – ٢١٥
(١٤١) للتفاصيل راجع، المصدر السابق، ص‌ص٢١٦ – ٢٢٢
(١٤٢) المصدر السابق، ص‌ص٢٢٢ – ٢٢٣
(١٤٣) المصدر السابق، ص‌ص٢١٣ – ٢٢٦
(١٤٤) المصدر السابق، ص‌ص٢٢٩ – ٢٣٠
(١٤٥) المصدر السابق، ص‌ص٢٣٠ – ٢٣١
(١٤٦) المصدر السابق، ص٢٣٢
(١٣٧) المصدر السابق، ص‌ص٢٣٢ – ٢٣٤
(١٤٨) المصدر السابق، ص‌ص٢٣٤ – ٢٣٨
(١٤٩) للتفاصيل راجع، المصدر السابق، ص‌ص٢٣٩ – ٢٥٣
(١٥٠) المصدر السابق، ص‌ص٢٥٥ – ٢٦٠
(١٥١) المصدر السابق، ص‌ص٢٦١ – ٢٦٦
(١٥٢) المصدر السابق، ص‌ص٢٦٦ – ٢٦٨
(١٥٣) المصدر السابق، ص‌ص٢٧٦ – ٢٨٢
(١٥٤) المصدر السابق، ص٢٨٣
(١٥٥) المصدر السابق، ص‌ص٢٨٣ – ٢٨٣
(١٥٦) المصدر السابق، ص‌ص٢٨٥ – ٢٨٦
(١٥٧) المصدر السابق، ص‌ص٢٨٦ – ٢٩٠
(١٥٨) المصدر السابق، ص‌ص٢٩٣ – ٣٠٠
(١٥٩) المصدر السابق، ص٣٠٠
(١٦٠) المصدر السابق، ص٣٠١
(١٦١) المصدر السابق، ص‌ص٣٠٢ – ٣٠٣

(١٦٢) المصدر السابق، ص٣١٧

(١٦٣) المصدر السابق، ص ص٣١٧ – ٢٢٣

(١٦٤) تلتقي وجهة نظرنا مع رأيد. عبدالعزيز الدوري: المصدر السابق، ص٧ الرأى الذي يذهب، «ان ننظر الى التاريخ بذهن مفتوح وان نحاول استقراره للتوصل الى النتائج وهذه حالة لا تفترض ذهناً خالياً تماماً، بل أن الانسان جزء من مجتمع له مشاكله وثقافته وتياراته، وارثه الحضارى وهذه كلها تؤثر في تفكير المؤرخ، ولعلها تكون لديه بعض الفرضيات والمفاهيم العامة. ».

(١٦٥) أنظر، محمد جلوب فرحان، مقدمة في دراسة تأسيس منطقي لعلم الفقه عند (ابن رشد) بحث مقبول للنشر في العدد الخامس من مجلة التربية والعلم، كلية التربية في جامعة الموصل.

(١٦٦) ابن الاثير، المصدر السابق، ص٣٠

(١٦٧) المصدر السابق

(١٦٨) ومن الجدير بالذكر قد أرتبطت الطريقة الاستقرائية في التاريخ بـ«لا مبرخت» الذي عرض هذه الطريقة عام ١٨٠٣، والحقيقة نقول إنه حاول في الاخير تحويل «نظريته الاستقرائية الى نظرية استنباطية».

أنظر، ارنست كاسيرر، في المعرفة التأريخية، ترجمة أحمد حمدى محمود، مراجعة على أدهم، نشر وزارة الثقافة والأرشاد القومي المصرية (بلا تاريخ) ص ص ٩٨ – ١٠٠

مجد الدين بن الاثير
وجهوده في علم غريب الحديث

الدكتور محمود محمد الطناحي
الاستاذ المشارك بقسم الدراسات
العليا العربية كلية اللغة العربية
جامعة ام القرى ـ مكة المكرمة



بسم الله الرحمن الرحيم

مجد الدين بن الأثير
وجهوده في علم غريب الحديث

من العلوم التي نشأت حول حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: علم غريب الحديث، وقد افرد له الحاكم النيسابوری النوع الثاني والعشرين من علوم الحديث.

قال رحمه الله :

«هذا النوع منه معرفة الالفاظ الغريبة في المتون. وهذا علم قد تكلم فيه جماعة من اتباع التابعين، منهم مالك والثوری وشعبة، فمن بعدهم»(١).

وقد اتسعت دائرة هذا العلم لتشمل ايضا شرح الغريب الوارد في كلام الصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم اجمعين.

معنى الغريب :

اورد الامام أبو سليمان الخطابي في مقدمة كتابه «غريب الحديث» كلاما نفيسا في معنى الغريب والغرابة. قال رحمه الله:

«الغريب من الكلام انما هو الغامض البعيد من الفهم، كالغريب من الناس انما هو البعيد عن الوطن، المنقطع عن الاهل، ومنه قولك للرجل اذا نحيته واقصيته: اغرب عني، ای ابعد، ومن هذا قولهم: نوى غربة، ای بعيدة وشاؤ مغرب، وعنقاء مغرب: ای جائبة من بعد، وكل هذا مأخوذ بعضه من بعض، وانما يختلف في المصادر، فيقال: غرب الرجل يغرب غربا: اذا تنحى وذهب،وغرب غربة اذا انقطع عن اهله، وغربُت .

---

(١) معرفة علوم الحديث ص٨٨ .

الكلمة غرابة ،وغَرَبت الشمس غروبا .

ثم ان الغريب من الكلام يقال به على وجهين :

احدهما ان يراد به بعيد المعنى غامضه ، لايتناوله الفهم الاعن بعد ومعاناة فكر .

والوجه الآخر : أن يراد به كلام من بعدت به الدار ، ونأى به المحلّ من شواذ قبائل العرب ، فإذا وقعت الينا الكلمة من لغاتهم استغربناها وانما هي كلام القوم وبيانهم وعلى هـذا ماجاء عن بعضهم ، وقال لـه قائل : اسألك عن حرف من الغريب ، فقال : هو كلام القوم ، انما الغريب انت وامثالك من الدخلاء فيه (١) .

ثم اخذ الخطابي يعلل مجيء الغريب في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

« انه صلى الله عليه وسلم بعث مبلغاً ومعلماً ، فهو لايزال في كل مقام يقومه ، وموطن يشهده ، يأمر بمعروف ، وينهى عن منكر ، ويشرع في حادثة ويفتي في نازلة ، والاسماع اليه مصغية ،والقلوب لما يرد عليها من قوله واعية ،وقد تختلف عنها عباراته ، ويتكرر فيها بيانه ، ليكون اوقع للسامعين ، واقرب إلى فهم من كان منهم اقل فقهاً ، واقرب بالاسلام عهداً ، واولو الحفظ والاتقان من فقهاء الصحابة يرعونها كلها سمعاً ، ويستوفونها حفظاً ، ويؤدونها على اختلاف جهاتها ، فيجتمع لذلك في القضية الواحدة عدة الفاظ تحتها معنى واحد ، وذلك كقوله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وفي رواية أخرى: «وللعاهر الإثلب»، وقد مرّ بمسامعي لم يثبت عندي :«وللعاهر الكثكث».

(١) غريب الحديث ورقة ١٣ – مخطوطة المكتبة السليمانية باستانبول .

وقد يتكلم صلى الله عليه وسلم ، في بعض النوازل، وبحضرته اخلاط من الناس قبائلهم شتى ، ولغاتهم مختلفة، ومراتبهم في الحفظ والاتقان غير متساوية ،وليس كلهم يتيسر لضبط اللفظ وحصره، او يتعمد لحفظه ووعيه ،وانما يستدرك المراد بالفحوى ، ويتعلق منه بالمعنى ، ثم يؤديه بلغته ، ويعبر عنه بلسان قبيلته ، فيجتمع في الحديث الواحد اذا انشعبت طرقه عدة الفاظ مختلفة ، موجبها شيء واحد ، وهذا كما يروى ان رجلا كان يهدى إلى رسول الله كل عام راوية خمر ، فاهداها عام حرمت فقال: انها حرمت ، فاستأذنه في بيعها ، فقال له : ان الذي حرم شربها حرم بيعها .

قال : فما اصنع بها ؟ قال : سُنّها في الطحاء . قال : فَسَنّها . وجاء في رواية أخرى : فَهتّها» .وفي رواية أخرى : فَبَعّها ، والمعنى واحد .

ولكثرة مايرد من هذا ومن نظائره ، يقول أبو عبيدة معمر بن المثنى: «أعيانا ان نعرف ، او نحصي غريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم».

هذا كلام الخطابي ، وقد اورد ابن الاثير كلاماً جيداً عن نشأة علم الغريب ، ودواعي التأليف فيه ، تراه في مقدمة النهاية .

. . .

ولا بد من التنبه الى ان هناك الفاظاً لم تعرف الا في الحديث ، ولم تدر في كلام العرب ولا في اشعارها ، ومن ثم فقد جاء شرح هذه الالفاظ موصولاً بالحديث .

فمن ذلك ماأورده ابو عبيد القاسم بن سلام في تفسير حديث النبي صلى الله عليه وسلم : «ماذا في الامرّين من الشفاء ، الصبر والثفاء».

(١) المرجع السابق – ورقة ١٢

قال ابو عبيد :

«يقال ان الثّفاء هو الحرُف (١) ، والتفسير هو في هذا الحديث ، ولم اسمعه في غير هذا الموضع ، وقد رويت أشياء في مثل هذا لم نسمعها في اشعارهم ، ولا في كلامهم ، الا ان التفسير في الحديث ، منه قوله : «انه نهي عن كسب الزمارة» وتفسيره في الحديث : الزانية ، ومنه حديث سالم بن عبد الله : «انه مربه رجل معه صير ، فذاق منه ثم سأله : كيف يبيعه «تفسيره في الحديث «انه الصحناة» (٢) .

وكذلك حديثه الآخر : «من اطلع من صير باب ففقئت عينه فهي هدر» فتفسيره في الحديث ان الصير هو الشق في الباب .

ومن ذلك حديث عمر رضي الله عنه ، حين سأل المفقود الذي كانت الجن استهوته : «ماكان شرابهم ؟ فقال : الجدف» ، وتفسيره في الحديث انه مالا يغطى . ويقال : انه نبات يكون باليمن ، لايحتاج الذي يأكله إلى ان يشرب عليه الماء . وفي هذا احاديث كثيرة» (٣) .

وقال ابو عبيد في تفسير هذا الحديث مرة أخرى : «قوله في تفسير «الجدف» لم اسمعه الا في هذا الحديث ، وما جاء الا وله اصل ، ولكن ذهب من كان يعرفه، ويتكلم به، كما قد ذهب من كلامهم شيً (كثير) (٤).

وانبّه هنا ايضاً الى ان اهل الحديث يختلفون احياناً في ضبط بعض الكلمات عن اهل اللغة ، وقد رأيت من ذلك شواهد عدة ، اكتفى منها باختلافهم في دال «دومة الجندل» فأهل اللغة يضمون الدال من «دومة» واصحاب الحديث يفتحونها (٥) .

---

(١) بضم الحاء المهملة، وسكون الراء، وهو حب معروف. ويسمى حب الرشاد . القاموس (حرف) وانظر الفائق ١٦٨/١

(٢) هو ادام يتخذ من السمك الصغار، مصلح للمعدة. القاموس (صحن)

(٣) غريب الحديث ٤١/٢

(٤) المرجع السابق ٣٨١/٣، وانظر الغريبين ٣٢٩/١، وانظر أيضا غريب الحديث لابي عبيد ٢٢٧/٢ .

(٥) منال الطالب ٦٥/١

وايضا اختلافهم في ضبط الأسماء المختومة بويه ، نحو : سيبويه، ونفطويه ، وراهويه » فاللغويون يضبطون كل ماورد من ذلك بفتح الحرف الذي قبل الواو ، والمحدّثون يضمونه . قال السيوطي في ترجمة «نفطويه» وذكر هذا الخلاف : هذا اصطلاح لاهل الحديث ، في كل اسم بهذه الصيغة ، وانما عدلوا إلى ذلك ، لحديث ورد : ان « ويه» اسم شيطان ، فعدلوا عنه كراهة له » (١) .

وقد وقفت على نص لابي عبيد القاسم بن سلام ، يصرح بهذه التفرقة بين لغة أهل الحديث ، وأهل اللغة :

وهذا النص اورده الحافظ أبو موسى المديني الأصبهاني ، في مقدمة كتابه المغيث في غريب القرآن والحديث (مخطوطة مكتبة فيض الله افندي باستانبول).

يقول أبو موسى « وروِى لنا عن أبي عبيد، باسناد لم يحضرني في الحال ، قال : لاهل الحديث لغة ، ولاهل العربية لغة ، ولغة أهل العربية أقيس ، ولابد من اتباع لغة أهل الحديث » .

ومن هنا تأتي أهمية كتب غريب الحديث في الدرس اللغوي ، إلى ما تضمه هذه الكتب من لغات القبائل ولهجاتها .

بدايات التأليف في غريب الحديث

يكاد الأجماع ينعقد على أن اول من صنف في غريب الحديث : هو أبو عبيدة معمر بن المثنى ، التيمي بالولاء المتوفى سنة (٢١٠) ، الا ماذهب اليه الأمام أبو عبدالله الحاكم النيسابورى ، فانه ذكر ان أول من صنف في غريب الحديث : النضر بن شميل ، المتوفى سنة (٢٠٣) ، قال الحاكم : « فاول من صنف الغريب في الأسلام النضر بن شميل ، له فيه كتاب ، هو عندنا بلا سماع » (٢).

---

(١) بغية الوعاة ٣٢٨/١، وانظر معجم الادباء ٢٥٥/١.

(٢) معرفة علوم الحديث ص٨٨، وانظر مقدمة تحقيقي للنهاية، ومنال الطالب.

بن المثنى كما روى . وفي ذلك الزمان صنف ايضا في غريب الحديث : محمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة (٢٠٦) ، والا صمعي ، عبدالملك بن قريب المتوفى سنة (٢١٦) ، وشمر بن حمرويه المتوفى سنة (٢٥٥) ، وغير هؤلاء من علماء ذلك القرن . لكن هذه الكتب على كثرة عددها اذا حصلت كان مآلها كالكتاب الواحد ، كما يقول الخطابي (١) .

البداية الحقيقية للتصنيف في غريب الحديث جاءت على يد الامام الجليل ابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى بمكة ام القرى سنة (٢٢٤) .

لقد احتشد أبو عبيد لهذا العمل احتشادا عظيماً ، وروى عنه أن قال : « مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة ، وربما كنت استفيد الفائدة من افواه الرجال فاضعها في موضعها من الكتاب ، فابيت ساهرا فرحا مني بتلك الفائدة (٢) ».

مناهج المؤلفين في غريب الحديث :

اختلفت مصنفات العلماء في هذا العلم شرعة ومنهاجا : فقد عمد بعضهم إلى شرح مافي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الغريب ، جملة ، ثم قفى بشرح غريب احاديث الصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وعلى ذلك جاءت الكتب الرائدة في هذا الفن ، وهي كتب ابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة (٢٢٤) وابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة (٢٧٦) وابي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى سنة (٣٨٨). وهذه الكتب الثلاثة عمدة هذا الفن ، وقد دارت دورانا عظيما في كتب المتأخرين .

وفريق ثان انتزع الاحاديث المشتملة على الغريب ، ونسقها على حروف المعجم ثم شرحها وفق الحروف الهجائية ، وهذه الطريقة أقرب تناولا ،

(١) غريب الحديث. ورقة ٤

(٢) المرجع السابق. ورقة ١٣، ووفيات الاعيان ٦١/٤

وأيسر سبيلا ، ثم هي اجدى نفعا في الدراسات اللغوية ، حيث تفيد في تتبع اللفظ ، ومعرفة دورانه وتطوره الدلالي .

ومن هذه الكتب : الغريبين لابي عبيد أحمد بن محمد الهروى المتوفى سنة (٤٠١) والفائق (١) لجارالله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨). ثم (النهاية) لصاحبنامجد الدين بن الأثير المتوفى سنة (٦٠٦).

وطائفة ثالثة جردت احاديث بعينها ، وافردتها بالشرح ، من ذلك صنيع ابي بكر محمد بن القاسم بن الأنباري المتوفى سنة (٣٢٨) حين شرح حديث السيدة عائشة في صفة ابيها ابي بكر الصديق ، رضى الله عنهما (٢) .

وهذه ايضا كتاب «بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد»(٣) للقاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة (٥٤٤) .

ويمثل كتاب « منال الطالب في شرح طوال الغرائب » لصاحبنا مجد الدين بن الأثير ، منهجا رابعا من مناهج التصنيف في غريب الحديث ، وهو جمع وشرح الأحاديث الطويلة ، المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين ، رضي الله عنهم أجمعين .

وبعد : فهذه لمحة موجزة عن علم غريب الحديث : معناه، وبدايات التأليف فيه، ومناهج المؤلفين لكتبه . وضعتها بين يدى حديثي عن ابن الاثير ، وجهوده في هذا العلم .

ولقد تجلى نشاط ابن الاثير في علم الغريب في كتابين « النهاية في غريب الحديث والاثر ».و« منال الطالب في شرح طوال الغرائب» .بالاضافة

(١) في طريقة الزمخشري في ترتيب الاحاديث بعض العسر، وقد اشرت إلى ذلك في مقدمة تحقيقي لكتاب منال الطالب ص٥ .

(٢) نشر هذا الشرح بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، بالمجلد السابع والثلاثين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

(٣) نشر هذا الكتاب بالرباط، بالمغرب الاقصى سنة ١٣٩٥ - ١٩٧٥ ، ونشر معه تفسير الحافظ السيوطي للحديث نفسه

الى مانثره في كتابه الكبير «جامع الاصول في احاديث الرسول» . وكتابه «الشافي في شرح مسند الشافعي» . ويأتي الحديث عن الغريب في هذه الكتب ان شاء الله .

اما «النهاية» فهي اشهر كتاب ، وأسيَر مصنف في علم غريب الحديث وقد عرف ابن الاثير بها ، وانتسب اليها . يقول القائل في ابناء الاثير الثلاثة :

وبنـــو الأثـــيـــر ثـــلاثـــة
قد حـــاز كـــل مفتـــخـــر

فمـــؤرخ جمـــــع العـــلـــو
م وآخـــر ولـــي الـــوزر

ومحـــدث كتـــب الحـديـــ
ث لـــه النهايـــة في الاثـــر (١)

وقد رزقت «النهاية» الحظوة والقبول عند الناس، فغطت شهرتها على ماسبقها من تصنيف ، واعجزت من اتى بعدها من المصنفين ، فاقتصرت جهودهم على الاختصار والتذييل .

لقد انتهى الى ابن الاثير حصاد طيب ، في شرح غريب الحديث ، افاد منه واربى عليه، وجمع واستقصى ، ولم تند عنه الا احاديث يسيرة يأتي الكلام عليها .

وترى في صدر «النهاية» مقدمة نفيسة ، تكلم فيها ابن الاثير عن نشأة علم غريب الحديث ، وبدايات التأليف فيه ، ومراحل نموه وتطوره ، ومناهج المصنفين فيه وطرائقهم، ناقلا من كلام هؤلاء المصنفين مايبين عن منهجهم، ناقدا لهم، كاشفا عن مواطن القوة والضعف عندهم ، وهو بذلك الصنيع يدلك على المفيد من هذه الكتب ، فاذا صعب عليك جمعها كلها ، سهل عليك ان تختار بعضها ، لتجد فيه مقنعا وبلاغا .

---

(١) الاول هو عزالدين، صاحب الكامل، واللباب، والثاني هو ضياء الدين، صاحب المثل السائر . والثالث مجد الدين صاحبنا. وانظر مقدمة تحقيقي لمنال الطالب .

وقد نظر ابن الاثير في مناهج من سبقوه ، ثم اختار منها منهج ابي عبيد الهروي ، وابي موسى المديني الاصبهاني ، من حيث ايراد المواد اللغوية ، وترتيبها وفق الحرف الاول والثاني والثالث . ثم انه ادار كتابه «النهاية» على هذين الكتابين ، فجعل الحرف (ه) علامة النقل عن الهروي، والحرف (س) علامة النقل عن ابي موسى .

قال رحمه الله : «سلكت طريق الكتابين، في الترتيب الذي اشتملا عليه ، والوضع الذي حوياه ، من التقفية على حروف المعجم ، بالتزام الحرف الأول والثاني من كل كلمة ، واتباعها بالحرف الثالث منها ، على سياق الحروف ، الا اني وجدت في الحديث كلمات كثيرة ، في اوائلها حروف زائدة ، قد بنيت الكلمة عليها ، حتى صارت كأنها من نفسها ، وكان يلتبس موضعها الاصلي على طالبها لاسيما واكثر طلبة غريب الحديث ، لايكادون يفرقون بين الاصلي والزائد ، فرأيت ان اثبتها في باب الحرف الذي هو في اولها ، وان لم يكن اصلياً ، ونبهت عند ذكره على زيادته ، لئلا يراها احد في غير بابها ، فيظن اني وضعتها فيه للجهل بها ، فلا انسب إلى ذلك ولا اكون قد عرضت الواقف عليها للغيبة وسوء الظن» (١).

هذا منهج ابن الاثير ، وتلك سبيله ، التزم الترتيب وفق الحرف الاول، والثاني والثالث ، ثم اورد الكلمات على ظاهر لفظها ، دون ان يجردها من الزيادة ، طلباً لليسر والسهولة ، واتقاءً للسهو او الغفلة .

ويظهر اثر هذا المنهج واضحاً في (باب الهمزة)، وهو اول ابواب الكتاب . وابن الاثير حريص على ان يذكر اصل الكلمة ، بعد ان يوردها على ظاهر لفظها ، فقد ذكر كلمة «حدة» في باب الحاء والدال : قال في شرح حديث جابر —رض— ودفن أبيه : «فجعلته في قبر على حدة» : أي منفرداً وحده . قال : «واصلها من الواو، فحذفت من اولها ،وعوض

---

(١) النهاية ١١/١

عنها الهاء في آخرها ، كعدة ، وزنة ، من الوعد ، والوزن (١)».

وكأنما احس ابن الاثير احيانا بان النص على اصل الكلمة ،حين يذكرها على ظاهر لفظها ، لايغني عن وضعها في حق موضعها ، فذكرها مرتين : مرة على ظاهر اللفظ ، ومرة على حق اللفظ :

فمثلاً ذكر في مادة (أبض) (٢) حديث «ان النبي صلى الله عليه وسلم بال قائما لعلة بمأبضيه» : المأبض: باطن الركبة هاهنا، وهو من الاباض الحبل الذي يشد به رسغ البعير الى عضده ... وسيجيء في حرف الميم » . وقد اعاده على ظاهر لفظه ، في باب الميم مع الهمزة (مأبض)(٣).

وكذلك (الافكل) ذكره في باب الهمزة مع الفاء ، على ظاهر لفظه، ثم اعاده في باب الفاء مع الكاف ، وهو حق موضعه (٤).

ولم يلتزم ابن الاثير هذا المنهج تماما في ابواب الكتاب ، فمثلا ذكر حديث علي بن ابي طالب ، رضي الله عنه «زعم ابن النابغة اني تلعابة تمراحة» ذكر هذا الحديث في مادتي (تلعب — تمرح) على ظاهر لفظه ، ثم اعاد ذكره في (لعب) وهو حق لفظ «تلعابة» ، لكنه لم يعده في (مرح) على حق لفظ «تمراحة» بل هو لم يذكر مادة (مرح اصلا) (٥) .

والحديث اورده ابن منظور في اللسان ، مادة (مرح) ، وذكر ان ابن الاثير اتى به في حرف التاء ، حملا على ظاهر لفظه .

وقد خالف ابن الأثير منهجه في ايراد المواد على ظاهر لفظها ، وذلك حين شغل بالكلام على التصريف ، قال في باب الذال مع الخاء

---

(١) النهاية: (حدة) ٣٥٥/١، وانظر ايضاً لهذا المنهج: (ابرز) ١٤/١، (تتر) ١٨١/١، (تجف) ١٨٢/١، (تح) ١٨٣/١، (ترث) ١٨٦/١، (تلعب – تمرح) ١٩٤/١، ١٩٦.

(٢) النهاية ١٥/١

(٣) النهاية ٢٨٨/٤

(٤) النهاية ٥٦/١، ٤٦٦/٣

(٥) النهاية ١٩٤/١، ١٩٦، ٢٥٢/٤

المعجمتين : «وفي حديث اصحاب المائدة : امروا ان لايدخروا فادخروا». قال : هذه اللفظة هكذا ينطق بها بالدال المهملة ، ولو حملناها على لفظها لذكرناها في حرف الذال ، وحيث كان المراد من ذكرها معرفة تصريفها، لامعناها ، ذكرناها في حرف الذال ، واصل الادخار اذتخار ، وهو افتعال من الذخر» (١) ثم اخذ في ذكر ماعرض لهذه الكلمة من تغييرات صرفية .

وقد يعد من مخالفة المنهج ايضاً ذكره لكلمة (جمجم) (٢) بعد (جمل) وقبل (جمم) ، وحقها ان تسبق جميع ماتقدمها من المواد ، وتأتي في اول كلمات الجيم مع الميم .

هذا ، وقد بالغ ابن الأثير احياناً في ايراد المواد على ظاهر لفظها، حتى انه اعتبر كاف التشبيه مع «ما» كلمة واحدة ، وذكرها في آخر (باب الكاف مع الميم) وشرح عليها حديثين ، الاول : «من حلف بملة غير ملة الاسلام كاذباً فهو كما قال» ، ثم قال في شرحه : هو ان يقول للانسان في يمينه : ان كان كذا وكذا فانا كافر او يهودي ، او نصراني، او بريء من الاسلام ، ويكون كاذباً في قوله ، فانه يصير إلى ماقاله من الكفر ، وغيره . وهذا وان كان ينعقد به يمين عند ابي حنيفة ، فانهلايوجب فيه الا كفارة اليمين ، واما الشافعي فلا يعده يميناً ، ولا كفارة فيه عنده».

والحديث الثاني ، هو حديث الرؤية ، ونصه : «فانكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» . قال : قد يخيل إلى بعض السامعين ان الكاف كاف التشبيه للمرئي ، وانما هي للرؤية ، وهي فعل الرائي ، ومعناه انكم ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك ، كرؤيتكم القمر ليلة البدر ، لاترتابون فيه ، ولاتمترون ».

---

(١) النهاية ٢/١٥٥

(٢) النهاية ١/٢٩٩

ثم قال : وهذا الحديث ، والذي قبله ، ليس هذا موضعهما ، لأن الكاف زائدة على «ما» ، وانما ذكرناهما لاجل لفظهما» (١) .

وواضح ان هذا الكلام كله انما هو شرح معنى وحكم ، لاشرح لفظ ولغة .

هذا ، وقد تابع ابن منظور ابن الأثير ، في ذكر هذين الحديثين ، في مادة «(كمى) من اللسان» (٢) ، ثم قال : «وذكرهما ابن الأثير لاجل لفظهما، وذكرناهما نحن حفظاً لذكرهما ، حتى لانخل بشيء من الاصول».

وايضاً فقد ذكر ابن الأثير ، بعد مادة (ملا) من باب الميم مع اللام، وقبل مادة (منا) من باب الميم مع النون ، ذكر (مم) واورد فيها حديثاً واحداً ، هو حديث كتابه صلى الله عليه وسلم ، لوائل بن حجر : «من زنى مم بكر ، ومن زنى مم ثيب» ، ثم قال : «اي من بكر ، ومن ثيب، فقلب النون ميماً ، اما مع «بكر» فلان النون اذا سكنت قبل الباء ، فانها تقلب ميماً في النطق ، نحو عنبر ، وشنباء ، واما مع غير الباء ، فانها لغة يمانية ، كما يبدلون الميم من لام التعريف» (٣) .

وقد اورد ابن منظور ، هذا الحديث ، عن ابن الأثير ، في مادة (موم) (٤) وهذا كله — كما قلت من قبل — مبالغة من ابن الأثير ، في ايراد المواد التي على ظاهر لفظها .

وبعد :

فهل يعد ابن الأثير بهذا المنهج سابقاً على المعاصرين من اللغويين، الذين ينادون بصنع معجم لغوي يراعى ظاهر اللفظ ، ولايرد الكلمات إلى اصولها وذلك تلبية لحاجات العصر ، وطلباً لليسر والسهولة ؟ .

---

(١) النهاية ٢٠١/٤، ٢٠٢، وانظر جامع الاصول ٥٥٨/١٠

(٢) اللسان (كمى) ٩٨/٢٠

(٣) النهاية ٣٦٣/٤

(٤) اللسان (موم) ٤٣/١٦

هل استقصى ابن الاثير كل احاديث الغريب ؟

قلت من قبل ان ابن الاثير قد اربى وزاد ، على ماانتهى اليه من مصنفات في غريب الحديث ، لكني في اثناء عملي في تحقيق « النهاية» وقفت على بعض احاديث ندّت عنه ، وبعض مواد اغفلها جملة .

فمن ذلك انه لم يذكر في مادة (جشم) حديث عمر بن الخطاب، رضى الله عنه « جشمت اليك عرق القربة» مع ذكره له في مادة (عرق) (١)

وفي مادة (حمت) ذكر « الحميت» وهو كما شرحه : « النحى والزق الذي يكون فيه السمن ، والرب ، ونحوهما « ، ولم يذكر من احاديثه حديث عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، واتاه رجل يسأله ، فقال له : هلكت وأهلكتُ ، فقال له عمر : اسكت ! أهلكتَ وانت تَنِثّ نَثيت الحَميت؟ . وقد ذكر ابن الاثير هذا الحديث ، في كتابه « منال الطالب في شرح طوال الغرائب» ضمن احاديث عمر بن الخطاب .

والعجيب ان ابن الاثير ذكر الحديث ، في مادة (نثث) ، وقال في شرحه : « نث الزق ينث ، بالكسر : اذا رشح بما فيه من السمن . اراد اتهلك وجسدك كأنه يقطر دسما » (٢) .

فانت ترى ان الحديث لم يسقط عليه اصلا ، وانما هو قد اغفل ذكره في مادة (حمت) ، وذكره في مادة (نثث) مع ان منهجه ان يذكر الحديث في جميع المواد التي تتضمن الغريب .

ومن ذلك ايضا ما اورده السيوطي، في الدر النثير — وهو تلخيص النهاية — في اخر مادة (دخل) ، قال حكاية عن ابن الجوزي : « في الدخيل صدقة : هو الجاورس » (٣). انتهى مازاده السيوطي .

---

(١) النهاية ٢٧٤/١، ٢٢٠/٣

(٢) النهاية ٤٣٦/١، ١٤/٥

(٣) النهاية ١٠٨/٢، وبحاشيته الدر النثير .

والجاورس - بفتح الواو - حب يشبه الذرة ، وهو اصغر منها (١)

ومنه ايضا ماذكره السيوطي ، في آخر احاديث مادة (رجل) ، قال « قال الفارسي : وكان ابليس ثنى رجلا . معناه اتكل على ذلك ومال ، طمعا في ان يرحم ، ويعتق من النار » (٢) .

والفارسي هذا : ارجح انه ابو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل بن عبد الغافر ، المتوفى سنة (٥٢٩) ، وله كتاب في غريب الحديث . اسمه : مجمع الغرائب في غريب الحديث (٣) .

وايضا زاد السيوطي في آخر احاديث مادة (رهن) ، قال : « وقال ابن الجوزى في حديث ام معبد » فغادرها رهناً « اي خلف الشاة عندها مرتهنة بان تدر » (٤) .

وفي مادة (سخم) لم يذكر ابن الاثير حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد اورده الهروى في الغريبين : والسيوطي في الدر النثير ، حكاية عن ابن الجوزى ، ونصه كما ذكره الهروى : « في حديث عمر رضي الله عنه ، في شاهد الزور : يسخم وجهه» قال الهروى : اي يسود وقال الاصمعي : السخام : الفحم ، ومنه قيل : سخم الله وجهه . قال شمر : السخام : سواد القدر » (٥) .

وفي مادة (عود) زاد السيوطي ، قال : « وكان له قدح من عيدان يبول فيه » . قال : « بفتح العين المهملة ، وهي النخل الطوال المنجردة: الواحدة عيدانة » (٦) .

---

(١) المصباح المنير (جرس) .

(٢) الدر النثير ، بحاشية النهاية ٢٠٥/٢

(٣) انظر مقدمتي لتحقيق النهاية ص٦

(٤) الدر النثير بحاشية النهاية ٢٨٥/٢

(٥) الغريبين (سخم)، والدر النثير، بحاشية النهاية ٣٥٠/٢، وانظر الحديث ايضاً في اللسان (سخم) .

(٦) الدر النثير بحاشية النهاية ٣١٨/٣، وانظر اللسان (عود - عيد - عدن) .

ورأيت في مادة (نخس) من اللسان، والتاج، حديثاً لم يذكره ابن الاثير في المادة، ونص الحديث: «إذا صُبَّ لبن الضأن على لبن الماعز فهو النخيسة».

وفي مادة (نصح) اسقط ابن الاثير حديثاً، اثبته الهروى، قال في الغريبين: «وفي حديث عبد الرحمن بن عوف، في الشورى، قال: وان جُرْعة شَروبٍ أَنصح لكم من عَذْب مُوبٍ» ثم حكى الهروي عن الاصمعي قال: اذا شرب دون الري، قال: نضحت الري، بالضاد معجمة فإن شرب حتى يروى، قال: نصحت الري، بالصاد غير معجمة، نصحاً، ونصعت، ونقعت، وقد انصعني، وانقعني».

وقد ذكر ابن الاثير هذا الحديث، في مادتي (شرب ـ ريا) برواية «جرعة شروب انفع من عذب موب» و «انفع» بالفاء (١).

وايضاً لم يذكر في هذه المادة، حديثاً، اشتمل على كلمة منها، وقد اورده في مادة (كبن)، ونصه: «انه امر بفلان وهو ساجد وقد كبن ضفيرتيه، وشدهما بنصاح» (٢).

لم يذكر ابن الاثير هذه الكلمة «نصاح» في مادتها. والنصاح، بكسر النون، بوزن كتاب: الخيط والسلك. ذكره صاحب القاموس.

ولم يذكر في اثناء مادة (سوق) كلمة «السويق» وهو ما يعمل من الحنطة والشعير، وفي الكلمة حديث ذكره صاحب تاج العروس، قال: «وفي الحديث: فلم يجد الا سويقاً فلاك منه».

* * *

هذا، وقد فات ابن الاثير ذكر بعض المواد المشتملة على كلمات من غريب الحديث:

---

(١) النهاية ٢/٤٥٥، ٥/١٤٥

(٢) النهاية ٤/١٤٥

فمنه ما ذكره السيوطي، في الدر النثير، قال: «وفات المصنف مادة (جرل)، وفي السير، في غزوة الحديبية: » سلك بهم طريقاً وعراً اجرل «اي كثير الحجارة والجرل – بفتحتين – والجرول : الحجارة » (١) .

ولم يذكر مادة (حربش)، وفيها حديث اورده في مادة (فشش) قال، بعد ان ذكر ان الفشيش: الصوت: ومنه حديث ابي الموالي: «فاتت جارية، فأقبلت وادبرت، واني لاسمع بين فخذيها من لففها مثل فشيش الحرابش». قال: الحرابش: جنس من الحيات، واحدها: حربش» (٢).

وايضاً لم يترجم ابن الاثير لمادة (نفط) مع مجيء كلمة غريبة منها في حديث حذيفة، اورده ابن الاثير في مادة (نبر)، قال: «وحديث حذيفة: كجمر دحرجته على رجلك فنفط، فتراه منتبرا» (٣) .

لم يشرح ابن الاثير كلمة «نفط» هذه، بل هو لم يترجم للمادة اصلا.

وقال الامام النووي: «نفط، بفتح النون وكسر الفاء، ويقال: تنفط، بمعناه، والتنفط: الذي يصير في اليد من العمل بفأس، او نحوها، ويصير كالقبة فيه ماء قليل» (٤) .

ملاحظات اخرى حول منهج ابن الاثير :

درج ابن الاثير، في شرحه للكلمة الغريبة، على ان يشير إلى الرواية الأخرى، سابقة كانت او لاحقة، وكذلك اذا تعددت الروايات، بشرح كل رواية في مكانها، ثم يحيل على بقية الروايات في مواضعها .

ولكن مع اتساع مادة الكتاب، وغزارة احاديثه، جاءت مواضع لم يلتزم فيها ابن الاثير هذا المنهج:

---

(١) الدر النثير، بحاشية اللهاية ٢٦٢/١

(٢) النهاية ٤٤٨/٣، ومكان هذه المادة الساقطة في ٣٦٨/١، واللف، واللفف: تداني الفخذين من السمن، والمرأة لفاء. النهاية ٢٦١/٣.

(٣) النهاية ٨/٥، ومنتبرا: اي مرتفعاً .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (باب رفع الامانة والايمان من بعض القلوب. من كتاب الايمان ١٦٩/١ .

فمن ذلك انه ذكر في مادة (جلا) حديث العقبة: «انكم تبايعون محمداً على ان تحاربوا العرب والعجم مجلية» اي حرباً مجلية، مخرجة عن الدار والمال .

وهذا الحديث روى من قبل ، في مادة (جلب) : «مجلبة» ، واشار هناك إلى انه يروى بالياء التحتية ، لكن فاته ان يذكر هنا انه سبق بالباء الموحدة ، وفق منهجه (١) .

ومن ذلك ايضاً ماجاء في مادة (جيش) ، ذكر الحديث : «جاؤا بلحم فتجيشت انفس اصحابه منه «اي غثت» ، وهو من الارتفاع ، كأن مافي بطونهم ارتفع إلى حلوقهم ، فحصل الغثي .

وقد اعاد الحديث في مادة (حيش) ، وقد «تحيشت » اي نفرت، ثم قال : «ويروى بالجيم ، وقد تقدم» لكنه لم يشر عند ذكره في باب الجيم ، إلى انه سيأتي بالحاء المهملة ، على جاري عادته (٢) .

ومنه ايضاً انه ذكر رواية ، ولم يشر إلى الاخرى ، ذكر في مادة (خبر) : «وفي حديث ابي هريرة : حين لآكل الخبير» ثم قال : «هكذا جاء في رواية اي الخبز المأدوم ، والخبير ، والخبرة : الادام» (٣) .

هذا كلامه ، ولم يشر إلى الرواية الاخرى ، وقد ذكرها الزمخشري، قال : «وروى الخمير» (٤) .

واشد من كل هذا ، انه ذكر حديثاً في موضعين ، بروايتين مختلفتين ، وسكت عن ذكر الرواية الاخرى في كل موضع :

---

(١) النهاية ٢٨٢/١، ٢٩٠

(٢) النهاية ٣٢٤/١، ٣٦٧، وانظر أيضاً مثالا لهذه الظاهرة في حديث انس رض الله عنه، في صفة خميصة النبي صلى الله عليه وسلم ، في المواد (جون – حتك – حوت) ٣١٨/١، ٣٣٨، ٣٥٦ .

(٣) النهاية ٧/٢، وانظر ايضاً مثالا آخر في مادتي (جفأ – جفا) ٢٧٧/١، ٢٨١ حديث حنين.

(٤) الفائق ٣٥٣/١

وذلك حديث خزيمة بن ثابت السلمي ، في ذكر السنة : تركت المخ رزاما» .

قال ابن الاثير : ان صحت الرواية ، فيكون على حذف مضاف ، تقديره : تركت ذوات المخ رزاما ، ويكون رزاما جمع رازم » (١) . انتهى كلامه . والناقة الرازم هي التي لاتتحرك من الهزال .

وقد اعاد الحديث في مادة (رير) برواية : « تركت المخ رارا» ، ثم قال في شرحه : « اي ذائبا رقيقا ، للهزال ، وشدة الجدب» (٢) .

ولم يشر ابن الاثير في كلا الموضعين الى الرواية الاخرى

* * *

ولئن كان ابن الاثير – رحمه الله – قد التزم في كتابه كله ، ان ينتزع من الحديث اللفظة الغريبة وحدها ويشرحها ، دون ان يذكر الحديث كله ، فانه قد اضطرّ في بعض الاحيان ان يجانب هذا المنهج ، حفاظا على روح الحديث المشروع ومعناه :

قال في اول مادة (خضر) : فيه : ان اخوف ما اخاف عليكم بعدي مايخرج الله لكم من زهرة الدنيا ، وذكر الحديث ، ثم قال : ان الخير لايأتي الا بالخير ، وان مما ينبت الربيع مايقتل حبطا او يلم ، الا آكلة الخضر .. الحديث » قال ابن الاثير : هذا الحديث يحتاج الى شرح الفاظه مجتمعة ، فانـــه اذا فرق لايكاد يفهـــم الغرض منه » . ثم اخذ في شرح طويل (٣) .

وقال نحـــوا من هذا الكلام في مـــادة (حبط) ، قال هناك : ولهذا الحديث شرح يجيء في موضعه ، فانه حديث طويل ، لايكاد يفهم اذا فرق » (٤) .

---

(١) النهاية ٢/٢٢٠
(٢) النهاية ٢/٢٨٨
(٣) النهاية ٢/٤٠
(٤) النهاية ١/٣٣١

لكن فات ابن الاثير — رحمه الله — ان يذكر اين يجيء موضع الشرح المشار اليه ، فان في الحديث الفاظا غريبة كثيرة .

* * *

ومما ينبغي التنبه له انه ليس كل مافي « النهاية » غريبا ، فقد يذكر ابن الاثير الكلمة الواضحة الظاهرة ، لغرض اخر ، غير الغرابة :

ذكر في مادة (زبل) ، قال : « في حديث عمر رضى الله عنه ، ان امرأة نشزت على زوجها ، فحبسها في بيت الزبل» : هو بالكسر : السرجين وبالفتح : مصدر زبلت الارض : اذا اصلحتها بالزبل» .

ثم قال : « وانما ذكرنا هذه اللفظة ، مع ظهورها ، لئلا تصحف بغيرها ، فانها بمكان من الاشتباه » (١) .

* * *

ولم يقف ابن الاثير عند حدود الشرح اللغوي لغريب الاحاديث ، فنراه يعني بالتوفيق بين الاحاديث المتعارضة في الظاهر :

ومن ذلك توفيقه بين قوله صلى الله عليه وسلم : « كل محدثة بدعة» وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حين جمع الناس على قيام رمضان وندبهم اليه : « نعمت البدعة هذه » (٢) .

ومنه التوفيق بين الاحاديث التي جوزت الرقية ، والاحاديث التي نهت عنها (٣) .

ومن ذلك ايضا التوفيق بين قوله صلى الله عليه وسلم :« لاتكتبوا عني غير القرآن» ، وبين اذنه في كتابة الحديث عنه (٤) .

* * *

---

(١) النهاية ٢/٢٩٤

(٢) النهاية ١/١٠٦، ١٠٧

(٣) النهاية ٢/٢٥٤، ٢٥٥

(٤) النهاية ٤/١٤٨

وقد ظهرت ثقافة ابن الاثير الفقهية واضحة بينة في « النهاية» فقد عرض لمسائل كثيرة ، من ابواب الفقه ، كالزكاة ، والحدود ، والبيوع وغيرها من المعاملات (١) ثم ذكر شيئا من اختلاف الفقهاء ، كاختلافهم في من يعتق ، من قوله صلى الله عليه وسلم :« من ملك ذا رحم محرم فهو حر » (٢) .

وكاختلاف مالك ، والشافعي ، رضى الله عنهما ، في الصلاة في جلود السباع (٣) ومنه اختلاف ابي حنيفة ، والشافعي ، رضي الله عنهما في تأويل حديث « لايقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد في عهده ...» الحديث (٤) .

واختلاف الائمة والفقهاء ، في تفسير التفرق ، في قوله صلى الله عليه وسلم : « البيعّان بالخيار مالم يتفرقا » (٥) .

ومن هنا فاني احمد الله حمدا كثيرا ان وفقني وأعانني على صنع فهارس للاعلام التي وردت في جميع اجزاء النهاية ، فعن طريق هذه الفهارس يمكن للدارس ان يجمع آراء العلماء ، ومواضع اتفاقهم واختلافهم

* * *

وقد اهتم ابن الاثير كثيرا في « النهاية» بمسائل النحو والصرف توجيها واعرابا ، وكذلك صنع في كتابه « منال الطالب» على مايأتي ان شاء الله . واشتغال ابن الاثير بالنحو والصرف معروف ، وله في النحو ثلاثة مصنفات : الباهر في الفروق ، والبديع ، وهو شرح فصول ابن الدهان

(١) النهاية ٣٩٨/١، ٣٩٩، ٤١٦، ٢٠/٢، ٦٢، ٦٣، ٦٣، ٢٠١، في المواد (حضـ حقل - خرج - خلط - رجع) .
(٢) النهاية ٢١٠/٢، ٢١١ (رحم)
(٣) النهاية ٣٣٧/٢ (سبع)
(٤) النهاية ٣٢٥/٣ (عهد)
(٥) النهاية ٤٣٨/٣ (فرق)

وتهذيب فصول ابن الدهان (١) .

ومع عناية ابن الاثير بالنحو ، وتوجيه بعض مسائله في النهاية : فقد روى حديثا على وجه مخالف لما عليه جمهور النحاة ، ولم ينص على تلك المخالفة :

وذلك ما اورده في مادتي (جوب — نمر) : «فجاءه قوم مجتابي النمار» (٢).
ووجه مخالفة هذا لما عليه جمهور النحاة انه اتى بالحال، وهو «مجتابي» من النكرة، وهي «قوم». والحال لا تأتي من النكرة الا بوجود مسوغ ، على ما هو مبسوط في كتب النحو (٣) ، ولا وجود لمسوغ في هذه الرواية .
وجاءت الرواية في الفائق: «ج» جاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أزرا بينهم عامتهم من مضر ... » قال الزمخشري: «أزرا بينهم : انتصابه على الحال من الضمير في «عراة»، وجعله حالا من «قوم» غير ضعيف ، لانه موصوف » (٤) .

ومثل ذلك جاءت الرواية بوصف النكرة، في جامع الاصول ، للمؤلف بلفظ «فجاءه قوم عراة مجتابي النمار»، وصحيح مسلم ، ومسند احمد بن حنبل (٥) .

ولعله من المفيد ان اشير إلى قصة طريفة، حول هذا الحديث ، بين قاسم بن اصبغ ، وبكر بن حماد التاهرتي، أوردها القرطبي، في تفسيره ،

---

(١) راجع مقدمتي لتحقيق النهاية، ومنال الطالب .
(٢) الهاية: ٣١٠/١، ١١٨/٥
(٣) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ٦٣٣/١، وقد اجاز بعض النحاة مجيء الحال من النكرة مع عدم وجود المسوغ. واستدلوا على ذلك بحديث: صلى الله عليه وسلم قاعداً، وصلى وراءه رجال قياما» .
(٤) الفائق ٢٤٣/١
(٥) جامع الاصول ٤٥٧/٦، وصحيح مسلم (باب الحديث على الصدقة، من كتاب الزكاة) ص٧٠٥، ومسند احمد ٣٥٨/٤، (من حديث جرير بن عبد الله البجلي) ويلاحظ ان هناك رواية أخرى في صحيح مسلم ص ٧٠٦ تتفق مع رواية ابن الاثير في النهاية .

وحكاها عنه المقري ، في نفح الطيب (١) . فاطلبها في هذين الكتابين .

بعض مآخذ في النهاية :

استشهد ابن الاثير كثيراً، بامثال العرب، واقوالها الحكيمة، على ما اورده من شروح لغوية. لكنه رحمه الله، وهم ، حين اورد بعض الامثال على انه حديث: قال في مادة (خلب): «ومنه الحديث»: اذا لم تغلب فاخلب» ، اي اذا اعياك الامر مغالبة فاطلبه مخادعة» (٢) .

ولاشك ان هذا سهو من ابن الأثير رحمه الله ، فمحال ان يصدر هذا الكلام عن المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو المبعوث ليتمم مكارم الاخلاق — ويبعد ايضاً ان يقوله واحد من الصحابة او التابعين رضوان الله عليهم اجمعين .

ولايصح ان يقال : لعل مراد ابن الأثير بالحديث مطلق القول ، فليس هذا اصطلاحه ، كما ذكره في مقدمة النهاية .

وقد نص الهروي في الغريبين ، على ان هذا الكلام مثل ، وكذلك جاء في لسان العرب ، وتاج العروس ، وعليه جاء في كتب الامثال (٣) .

وقال ابو هلال في شرحه : «معناه اذا لم تدرك الحاجة بالغلبة والاستعلاء فاطلبها بالرفق والمداراة ، واصل الخلابة : الخداع ، ومنه قيل : برق خلب : اذا ومض من غير مطر ، كأنه يخدع الشائم ، وبه سميت المرأة خلوبا .

قال : وله وجه اخر : وهو ان يريد : اذا لم تغلب عدوك بجلدك وقوتك : فاخدعه وامكر به ، فان المماكرة في الحرب ابلغ من المكاثرة والجلد» (٤) .

---

(١) تفسير القرطبي ٢٨٧/١، في تفسير قوله تعالى: (قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا) سورة البقرة، آية ٣٢ ونفح الطيب ٤٨/٢، في ترجمة قاسم بن اصبغ»

(٢) النهاية ٥٩/٢

(٣) راجع الامثال لابي عبيد ص ١٥٦، وجمهرة الامثال ٦٦/١، ومجمع الامثال ٣٣/١

(٤) الموضع السابق من جمهورة الامثال .

ومن المآخذ على ابن الأثير ، ماذكره في مادة (زبا) ، قال : «فيه انه نهى عن مزابي القبور» . وقال في شرحه : «هي مايندب به الميت ، ويناح به عليه ، من قولهم : مازباهم إلى هذا ؟ اي مادعاهم ؟ وقيل : هي جمع مزباة ، من الزبية ، وهي الحفرة ، كأنه . والله اعلم — كره ان يشق القبر ضريحاً ، كالزبية ولايلحد .

ويعضده قوله : «اللحد لنا والشق لغيرنا ،» وقد صحفه بعضهم فقال : عن مراثي القبور» (١) .

قال السيوطي : «المصتف انعكس عليه الامر ، فان الاول التصحيف ، والثاني هو المحفوظ ، كذا ذكره الخطابي ، والفارسي ، قالا : وانما كره من المراثي النياحة على مذهب الجاهلية» (٢) .

والامر على ماقال السيوطي ، في غريب الحديث للخطابي :

قال الخطابي رحمه الله في شرح الحديث : «المزابي ان كانت محفوظة ، فاني لا اعلمها الا من الزبية ، قال ابو زيد : الزبية : بئر تحفر للاسد في رابية ، لايعلوها الماء ، كره — والله اعلم — ان يشق القبر ضريحاً كالزبية ، لايلحد ، وهذا كقوله : «اللحد لنا والشق لغيرنا» . وما ارى هذا محفوظاً ، فقد حدثنا احمد بن ابراهيم ابن مالك ، حدثنا بشر ، حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا ابراهيم بن مسلم الهجري ، عن ابن ابي اوفى ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن المراثي ، فأرى هذا ذاك بعينه ، صحّفه بعض الرواة» (٣) .

ومن سهوه رحمه الله ، ماذكره في شرح «لهبرة» الواردة في الحديث : «لاتتزوجن لهبرة» ، حيث قال : «هي الطويلة الهزيلة » (٤) .

---

(١) النهاية ٢/٣٨٥

(٢) الدر النثير ، بحاشية الموضع السابق من النهاية

(٣) غريب الحديث — مخطوطة المكتبة السليمانية باستانبول — ورقة ٢٤٣

(٤) النهاية ٤/٢٨٠

وتابعه على هذا صاحب اللسان (١) . والذي في القاموس ، والفائق ان الهبرة : القصيرة الدميمة (٢) .

اما قول ابن الأثير : الطويلة الهزيلة «فهو شرح» النهبرة» ، كما في الفائق ، وكما ذكره المصنف في مادة (نهبر) (٣) .

ومما غفل عنه ، رحمه الله، ما اورده في باب اللام مع الباء، قال: وفي حديث الزبير: «اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبة» قال ابن الاثير: «هو اسم موضع بالحجاز، وقد تقدم في اللام والواو» (٤).

هذا قوله، ولم تتقدم «لبة» في هذا الموضع الذي اشار اليه، ولم اجدها الا عرضا في موضعين، في اثناء مادة (بحر) ومادة (نخب) (٥) .

هذا، وقد الزم ابن الاثير نفسه بمنهج الايجاز والاختصار، ولكن هذا الايجاز قد اخذ عليه، ومن الايجاز ما يكون مخلا بالمعنى المراد .

قال في مادة (جبه) : «في حديث الزكاة» :ليس في الجبهة صدقة» الجبهة: الخيل، وقال ابو سعيد الضرير قولا فيه بعد وتعسف» (٦) .

وقد اخذ السيوطي على المصنف انه لم يبين هذا القول الذي قاله ابو سعيد الضرير. وقد نقلت ما قاله ابو سعيد في حواشي تحقيقي على النهاية(٧).

ومما يتصل بالاخلال ما وجدته من بياض في اثناء مادة (ورع) في تفسير الحديث: «ملاك الدين الورع». قال رحمه الله: الورع في الأصل:

---

(١) اللسان (هبر) آخر مادة في الجزء السادس. ولم يذكر ابن منظور في المادة غير هذا الحديث وشرحه .

(٢) الفائق ٢/٢٧٢

(٣) الموضع السابق من الفائق، والنهاية ٥/١٣٣

(٤) النهاية: ٤/٢٨٧

(٥) النهاية: ١/١٠٠، ٥/٣١

(٦) النهاية: ١/٢٣٧

(٧) الدر النثير بحاشية النهاية – الموضع السابق – وانظر الغريبين ١/٣١٥

الكف عن المحارم، والتحرج منه ... ثم استعير للكف عن المباح والحلال، وينقسم إلى (١)

وهنا وقف الكلام في جميع نسخ النهاية المخطوطة التي وقفت عليها، وكذلك جاء في الطبعة العثمانية من النهاية، وهي من ادق الطبعات قبل طبعتي، وقال مصححها اجزل الله له الثواب: «هكذا بياض في جميع النسخ».

وفيما نقله ابن منظور في اللسان عن النهاية، وقف الكلام هناك عند كلمة «والحلال» .

وقد كنت كتبت في تحقيقي على هذا الموضع ما صورته : «والحديث وان كان في كتاب ابي موسى ، كما رمز اليه المصنف، الا اني لم اجد هذا الشرح في كتاب ابي موسى، المسمى المغيث في غريب القرآن والحديث» المحفوظ بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، برقم (٥٠٠) حديث).

موارد ابن الاثير في النهاية :

قلت من قبل انه قد انتهى إلى ابن الاثير، حصاد طيب في شرح غريب الحديث، وقد نظر ابن الاثير في هذا الذي انتهى اليه، وافاد منه كثيراً.

وفي المقدمة النفيسة التي صدر بها كتابه «النهاية» وتكلم فيها فيما تكلم عن مناهج المصنفين في غريب الحديث: يتضح اجلاله لمصنفات هؤلاء الائمة دون غيرها من المصنفات، واعني مصنفات: ابي عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة، والخطابي، والهروي، والزمخشري، والحافظ ابي موسى المديني الاصبهاني .

وقد صرح ابن الاثير نفسه، بانه ادار كتابه «النهاية» على كتابي ابي عبيد الهروي، وابي موسى المديني. ولكني بعد طول معايشة ومدارسة لكتب الغريب ، ولكتابي ابن الأثير « النهاية» و « منال الطالب» ظهر لي أن ابن الأثير ، رحمه الله ، قد عول كثيراً على الخطابي ، والز مخشري ، ويتضح

---

(١) النهاية: ١٧٤/٥

هذا من المواضع التي ذكر فيها اسم هذين العالمين الجليلين ، وقد احصيتها عددا في فهرس الأعلام ، الذي صنعته مع ما صنعت من فهارس للنهاية. وفيما وراء ذلك رأيته يعول عليهما كثيراً دون أن يصرح بالنقل عنهما . وقد ظهر لي ذلك بالنسبة للخطابي ، حين عهد إلى مركز البحث العلمي ، بكلية الشريعة ، بمكة المكرمة ، بمراجعة الجزء الأول من كتابه « غريب الحديث» وقد رأيت أثر الخطابي واضحاً جدا في « النهاية» ولاسبيل إلى ذكر مواضع الألتقاء والتشابه بين الكتابين ، لأن كتاب الخطابي لم يطبع بعد .

ومهما يكن من امر فقد رأيت في بعض مانقله ابن الأثير عن الخطابي، توثيقاً لكلام الخطابي ، وضبطا له ، فمن ذلك :

تفسير « صيرة» في قوله صلى الله عليه وسلم : « مامن امتي احد الا وانا اعرفه يوم القيامة. قالوا : وكيف تعرفهم مع كثرة الخلائق ؟ قال : ارأيت لو دخلت صَيرة فيها خيل دهم ، وفيها فرس اغر محجل ، اما كنت تعرفه منها» .

قال الخطابي : قال ابو عبيد : صَيْرة ، وهو غلط ، والصواب: صِيرة ، وهي كالحظيرة تتخذ للدواب من الحجارة واغصان الشجر».

هذا ماذكره الخطابي في غريب الحديث ، وقد حكاه عنه ابن الاثير في النهاية ، وجاء الكلام فيها مقيداً هكذا : « قال ابو عبيد : صَيرة بالفتح وهو غلط » (١) . فأنت ترى ان هذا التقييد « بالفتح» لم يرد عند الخطابي

ويبقى ان اشير الى انني لم اجد هذا الحديث ، ولاشرحه ، في غريب الحديث المطبوع لابي عبيد القاسم بن سلام .

ومنه ايضا ، ماذكره ابن الاثير ، في شرح حديث عمر بن العاص رضى الله عنه : « انظروا لنا رجلا يتجنب بنا الطريق ، فقالوا : مانعلم الا فلانا ، فانه كان ربيلا في الجاهلية » .

---

(١) النهاية: ٦٦/٣

قال ابن الاثير : الربيل : اللص الذي يغزو القوم وحده ، ورآبلة العرب هم الخبثاء المتلصصون على اسؤقهم . هكذا قال الهروى ، وقال الخطابي : هكذا جاء به المحدّث ، بالباء الموحدة قبل الياء ، قال : واراه: الريبل ، الحرف المعتل قبل الحرف الصحيح ، يقال : ذئب ريبال ، ولص ريبال ، وسمي الاسد ريبالا ، لانه يغير وحده ، والياء زائدة ، وقد يهمز ولايهمز» (١) .

هذا كلام ابن الاثير، وهذه حكايته عن الخطابي، وقد قابلت هذا الكلام على كلام الخطابي نفسه في غريب الحديث، فوقفت على امرين:

الاول: ان الخطابي يقول: «الباء قبل الياء»، ولم يذكر كلمة الموحدة التي قيد بها ابن الاثير.

والثاني : ان الخطابي يقول في تقييد «الريبال» : الحرف السقيم قبل الحرف الصحيح.

وليس يخفى ان لفظ «المعتل» الذي اثبته ابن الاثير ، هو الشائع المصطلح عليه عند علماء الصرف، خاصة المتأخرين . وهذا يكشف عن جانب ملحوظ عند ابن الاثير، وهو ميله الى اليسر والسهولة ، في اختيار الالفاظ الدالة على المعاني . ومن هنا رأيته يعمد كثيرا الى تغيير العبارات الغريبة المطرحة الى عبارات مألوفة مأنوسة. ويظهر هذا اكثر مايظهر فيما أخذه من الزمخشري.

وهذا مدخل صالح إن شاء الله،للحديث عن اثر الزمخشري في ابن الاثير، رحمهما اللـــه .

الزمخشري امام من ائمة العربية ، وكتابه «الفائق» من اصول علم الغريب الحديث ، وقد اثنى عليه ابن الاثير في مقدمة «النهاية» فقال : لقد صادف هذا الاسم مسمى، وكشف من غريب الحديث كل معمى».

---

(١) النهاية: ١٩١/٢

وقد افاد منه ابن الاثير كثيرا ، في كتابيه «النهاية» و«منال الطالب» مصرحا بالاخذ منه، غير اني رأيته في مواطن كثيرة جدا ، يستاف كلام الزمخشري، ويصنع منه حججه، ويدير عليه تأويلاته ، دون ان يصرح بالنقل عنه: والعزو اليه، وهذا فاش مستفيض في النهاية ، ولا سبيل الى ذكر امثلته والتدليل عليه، فهذا محوج الى صفحات كثيرة ، وانما اكتفى هنا ببعض الامثلة:

ماذكره في تفسير حديث ابن مسعود، رضى الله عنه: « جردوا القرآن ليربو فيه صغيركم، ولا ينأى عنه كبيركم »(١).

وماذكــره في تفسير النهـى عن بيع حبل الحبلـة (٢).

وما اورده في شرح حديث «تزوجوا في الحجز الصالح فان العرق دساس »(٣)

وما ذكره في تفسير حديث بلال رضي الله عنه: «انه مر عليه ورقة بن نوفل ، وهو يعذب، فقال: والله لئن قتلتموه لأتـّخـذنـّه حناناً»(٤).

وماذكره في شرح حديث: « الاختصار في الصلاة راحة اهل النار» (٥)

وما اورده في شرح حديث: « بادروا بالاعمال ستا: الدجال، وكذا وكذا، وخويصة احدكم »(٦).

وماذكره في شرح حديث ابن مسعود، رضى الله عنه: «ان طول الصلاة وقصر الخطبة مَئِنـّةٌ من فقه الرجل» (٧)

---

(١) النهاية ١/٢٥٦، ويقارن بما في الفائق ١/٢٠٥، ٢٠٦

(٢) النهاية ١/٣٣٤، والفائق ١/٢٥١، وانظر كلاما نفيسا عن معنى «حبل الحبلة» للسهيلي، في الروض الانف ١/٢٦٠، ٢٦١ .

(٣) النهاية ١/٣٤٥، والفائق ١/٢٦٣

(٤) النهاية ١/٤٥٢، والفائق ١/٣٢٦

(٥) النهاية ١/٤٥٢، والفائق ١/٣٢٦

(٦) النهاية: ٢/٣٧، والفائق ١/٣٧٤

(٧) النهاية ٤/٢٩٠، والفائق ١/٦٣، ٦٤

هذه مثل بسيرة مما اخذه ابن الاثير من الزمخشري، ولم يعزه اليه.
ومن وراء ذلك فقد حكى ابن الاثير عن الزمخشري، شيئا لم يقله:

وذلك ماذكره في شرح حديث: «ان الحكم بن ابي العاص كان خلف النبي صلى الله عليه وسلم، يلمصه، فالتفت اليه فقال: كن كذلك».
قال ابن الاثير: «يلمصه: اى يحكيه، ويريد عيبه بذلك». قاله الزمخشري (١).

ولم يذكر الزمخشري الحديث بهذا السياق، بل انه لم يترجم اصلا لمادة (لمص) والذي وجدته في الفائق: «مر بالحكم بن مروان، فجعل الحكم يغمز النبي صلى الله عليه وسلم، ويشير باصبعه، فالتفت اليه، فقال: اللهم اجعل به وزغا، فرجف مكانه، وروى انه قال: كذلك فلتكن، فأصابه مكانه وزغ لم يفارقه» (٢).

والحديث بهذا السياق، ذكره ابن الاثير ايضاً، في مادة (وزغ)(٣).
والوزغ ــ بسكون الزاى ــ: الرعشة. والتقييد بالسكون لابن الاثير.
ويتصل بهذا ايضا، ماذكره ابن الاثير، في مادة (نبد)، بالنون والباء الموحدة. قال: «في حديث عمر: جاءته جارية بسويق، فجعل اذا حركته ثار له قشار، واذا تركته نبد» اى سكن وركد. قاله الزمخشري» (٤).

وهذا الحديث لم يذكره الزمخشري في مادة (نبد)، وانما ذكره في (نثد) بالنون والثاء المثلثة، وحكاه عنه ابن الاثير ايضا في هذه المادة (٥).
ومن هذا ايضا ماجاء في مادة (لمه)، فقد خلط ابن الاثير كلام الجوهري بكلام الزمخشري، وجعله كله من كلام الجوهري، وذلك

(١) النهاية ٢٧١/٤
(٢) الفائق ٥٧/٤، ٥٨
(٣) النهاية ١٨١/٥
(٤) النهاية ٦/٥
(٥) الفائق ٨٤/٤، والنهاية ١٤/٥

ماذكره في شرح حديث فاطمة رضى الله عنها: «انها خرجت في لمة من نسائها، تتوطأ ذيلها، الي ابي بكر، فعاتبته». اى في جماعة من نسائها، قيل: هن مابين الثلاثة الى العشرة، وقيل: اللمة: المثل في السن، والترب».

قال ابن الاثير: قال الجوهرى: الهاء عوض من الهمزة الذاهبة من وسطه، وهو مما اخذت عينه، كسه، ومذ، واصلها: فعلة، من الملاءمة، وهي الموافقة» (١).

هذه حكاية ابن الاثير، عن الجوهرى: وقد راجعت الكلام على كتاب الجوهرى «الصحاح» فلم اجده زادعلى قوله: «الهاء عوض» شيئا اما بقية الكلام فهو للزمخشري، في الفائق (٢).

والعجب من ابن منظور(٣)، ينقل عن ابن الاثير، نسبة هذا الكلام كله، الى الجوهرى، ولايعقب، مع ان كتاب الجوهرى «الصحاح» من مراجع ابن منظور الخمسة، فكان الاولى به ان يرجع اليه، ويتأكد من وجود هذا الكلام فيه.

هذا، وقد حكى ابن الاثير، عن الزمخشري، بعض شروحه اللغوية وذكر انها مما انفرد به الزمخشري، وذلك ما اورده في تفسير حديث: «اتاكم اهل اليمن، هم ارق قلوبا وابخع طاعة».

قال ابن الاثير: «اى ابلغ، وانصح في الطاعة من غيرهم، كأنهم بالغوا في بخع انفسهم، اي قهرها، واذلالها بالطاعة».

ثم قال: «قال الزمخشري: هو من بخع الذبيحة: اذا بالغ في ذبحها وهو ان يقطع عظم رقبتها، ويبلغ بالذبح البخاع – بالباء – وهو العرق الذي في الصلب والنخع، بالنون، دون ذلك، وهو ان يبلغ بالذبح النخاع، وهو الخيط الابيض، الذي يجري في الرقبة، هذا اصله، ثم كثر حتى استعمل

---

(١) النهاية ٤/٢٧٤

(٢) الصحاح (لمى)، والفائق ٣/٣٣٠

(٣) اللسان (لما)

في كل مبالغه . هذا ذكره في كتاب الفائق في غريب الحديث، وكتاب الكشاف في تفسير القرآن، ولم اجده لغيره، وطالما بحثت عنه في كتب اللغة والطب، والتشريع، فلم اجد البخاع بالباء مذكورا في شيء منها» (١).

هذا كلام ابن الاثير، والامر على ماقال في كتابي الزمخشري: الفائق والكشاف، وايضا جاء بعضه في اساس البلاغة (٢).

واقول: هذا الذي تعقّب به ابن الاثير الزمخشري، قد شاع في كتب اصحاب المعاجم المتأخرين: ابن منظور صاحب اللسان، والفيروز ابادى صاحب القاموس، والمرتضى الزبيدي صاحب التاج. ويدل سياق هؤلاء جميعاً في كتبهم، على ان الزمخشري منفرد، دون اللغويين، بذكر «البخاع» بالباء الموحدة. حتى ليقول الزبيدي في التاج، بعد حكاية كلام ابن الاثير، والفيروز ابادى،: قال شيخنا (٣) وقد تعقب ابن الاثير قومٌ بأن الزمخشري ثقة ثابت، واسع الاطلاع، فهو مقدم».

فهذا كلام دال بوضوح، على أن الزمخشري، منفرد بذكر هذا القول، وان انفراده به لايطعن فيه، لانه ثقة مأمون.

وقد وقعت على نص عال موثق، يدلُّ على أن هذه التفرقة بين «البخاع» بالباء الموحدة، و «النخاع» بالنون، تفرقة قديمة سابقة على الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨) وذلك ماذكره ابن فارس المتوفى سنة (٣٩٥)، في كتابه معجم مقاييس اللغة. قال رحمه الله:

قال أبو علي الأصفهاني، فيما حدثنا به أبو الفضل محمد بن العميد، عن أبي بكر الخياط، عنه، قال: قال الضبي: بخعت الذبيحة: اذا

---

(١) النهاية ١٠٢/١

(٢) الفائق ٨٢/١، ٨٣، والكشاف ٣٣٥/٢، في تفسير الاية الثالثة من سورة الشعراء ونصها: (لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين)، والاساس (بخع).

(٣) هو محمد بن الطيب محمد الفاسي المالكي، كان علامة باللغة والادب، مولده، بفاس سنة ١١١٠، ووفاته بالمدينة المنورة، سنة ١١٧٠. الاعلام للزركلي ١٧٧/٦، ١٧٨.

قطعت عظم رقبتها ، فهي مبخوعة ، ونخعتها، دون ذلك ، لان النخاع : الخيط الأبيض الذي يجري في الرقبة وفقار الظهر ، والبخاع ، بالباء : العرق الذي في الصلب » (١) .

فانت ترى أن الزمخشري مسبوق فيما ذهب اليه ، بهذا الذي حكاه ابن فارس ، باسناده إلى الضبى ، وقد خفي هذا على ابن الأثير ، وما جاء بعده : ابن منظور ، والفيروزابادى ، والمرتضى الزبيدي ، وشيخه محمد بن الطيب الفاسي ، وان كان هذا قد اعترف للزمخشري بالامامة والتقدم .

وبعد : فهذا حديث ابن الأثير مع الزمخشري ، وسأزيده بيانا ، ان شاء الله ، عند كلامي على « منال الطالب » .

ومن علماء الغريب الأولين ، الذين افاد منهم ابن الأثير : الامام الجليل ابراهيم بن اسحاق الحربي المتوفى سنة (٢٨٥) .

وقد ذكره ابن الأثير في مقدمة النهاية ، واورد رأيه في كتابه .

قال : وقد كان في زمانه (يعني زمان ابن قتيبة) الامام ابراهيم بن اسحاق الحربي ، رحمه الله، وجمع كتابه المشهور في غريب الحديث ، وهو كتاب كبير ، ذو مجلدات (٢) عدة ، جمع فيه ، وبسط القول ، وشرح ، واستقصى الأحاديث بطرق اسانيدها ، وأطال بذكر متونها والفاظها ، وان لم يكن فيها الا كلمة واحدة غريبة : فطال لذلك كتابه ، وبسبب طوله ترك وهجر ، وان كان كثير الفوائد ، جم المنافع ، فان الرجل كان اماما حافظاً متقنا ، عارفا بالفقه والحديث ، واللغة والأدب ، رحمة الله عليه ».

(١) معجم مقاييس اللغة ٢٠٦/١ ، ٢٠٧

(٢) لا يعرف من هذه المجلدات إلى الان، الا المجلدة الخامسة ، وهي اخر الكتاب ،وهي بخط قديم، وتحتفظ بنسختها المكتبة الظاهرية بدمشق، ويعكف عليها طالب نابه من اهل العلم، هو الشيخ سليمان بن ابراهيم العابد، ويقيم عليها درساً للدكتوراه باشرافي، بكلية الشريعة – جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

وقد نقل ابن الأثير ، عن الحربي ، في مواضع من النهاية ، ثم نقده وناقشه في شرح حديث عمر بن الخطاب ، رض الله عنه ، : « فيم الرملان والكشف عن المناكب وقد اطّأ الله الاسلام ؟ » .

قال ابن الأثير : يكثر مجيىء المصدر على هذا الوزن ، في انواع الحركة ، كالنزوان ، والنسلان ، والرسفان ، واشباه ذلك . وحكى الحربي فيه قولاً غريبا.قال : انه تثنية الرمل ، وليس مصدرا ، وهو ان يهز منكبيه، ولا يسرع ، والسعي ان يسرع في المشي ، واراد بالرملين الرمل والسعي ، قال : وجاز ان يقال للرمل والسعي : الرملان لانه لما خف اسم الرمل ، وثقل اسم السعي ، غلب الاخف ، فقيل : الرملان ، كما قالوا القمران ، والعمران .

وهذا القول من ذلك الأمام كما تراه ، فان الحال التي شرع فيها رمل الطواف ، وقول عمر فيه ما قال، يشهد بخلافه ، لأن رمل الطواف هو الذي امر به النبي صلى الله عليه وسلم .، اصحابه في عمرة القضاء ، ليرى المشركين قوتهم ، حيث قالوا : وهنتهم حمى يثرب . وهو مسنون في بعض الاطواف دون البعض ، واما السعي بين الصفا والمروة فهو شعار قديم ، من عهد هاجرام اسماعيل عليهما السلام فاذا المراد بقول عمر : رملان الطواف وحده الذي سن لأجل الكفار ، وهو مصدر ، وكذلك شرحه اهل العلم ، لاخلاف بينهم فيه ، فليس للتثنية وجه ، والله اعلم (١) ».

ومن علماء الغريب الذين ناقشهم ابن الاثير ايضا: الحافظ ابو موسى المديني الاصبهاني وكتابه احد مصدرين ادار عليهما ابن الاثير كتابه «النهاية» كما سبق :

قال في شرح حديث عمرو ابن العاص، رضى الله عنه، اردت ان تبلغ الناس عني مقالة يزعنون اليها «اي يميلون اليها، يقال: زعن الى الشيء

(١) النهاية ٢/٢٦٥

اذا مال اليه . قال ابو موسى : اظنه «يركنون اليها» فصحف . قلت : الاقرب الى التصحيف ان يكون «يذعنون» من الاذعان، وهو الانقياد، فعداها بالي، بمعنى اللام ، واما «يركنون» فما ابعدها من «يزعنون» (١).

ومن علماء اللغة الذين اكثر ابن الاثير من النقل عنهم : الجوهري، اسماعيل بن حماد، صاحب «الصحاح» المتوفى سنة (٣٩٣)، وابو منصور الازهري، محمد بن احمد صاحب «تهذيب اللغة» المتوفى سنة (٣٧٠).

فقد حكى عن هذين العالمين كثيرا، فيما رأيته من كتبه : النهاية، ومنال الطالب ، وجامع الاصول.

وفيما عدا ذلك ، فقال كان ابن الاثير ، رحمه الله، قليل العزو، والتصريح باسماء العلماء الذين ينقل عنهم، فما اكثر ماكان يقول: «قال بعض المتأخرين ، و« في كتب بعض المتأخرين» و«رواه بعض المتأخرين» و«احسن ماسمعت» (٢) .

ماكتب حول النهاية :

شغل العلماء بالنهاية : تذييلا ، واختصارا ، ونظما :

فمن ذيل عليها صفى الدين محمود بن ابي بكر بن محمود الارموى القرافي، المتوفى سنة (٧٢٣). قال الوادى آشي: «وله ذيل كبير على النهاية لابن الاثير (٣) » .

وممن اختصرها الشيخ علي حسام الدين الهندي ، الشهير بالمتقي المتوفى سنة (٩٧٥) .

---

(١) النهاية ٢/٣٠٣

(٢) راجع النهاية (جزا) ١/٢٧٠، (حرث) ١/٣٦٠، (حرجم) ١/٣٦٢، (حقل) ١/٣١٦، (غذم) ٣/٣٤٧، (غرر) ٣/٣٥٧، (غمز) ٣/٣٨٦، (غيط) ٣/٤٠٢ (فقر) ٣/٤٦٤، (نسج) ٥/٤٧، (نقط) ٥/١٠٨، (نكه) ٥/١١٧.

(٣) برنامج الوادي آشي ص ٨٩، وكشف الظنون ص ١٩٨٩ .

وعيسى بن محمد الصفوي، المتوفى سنة (٩٥٣) في قريب من نصف حجمها (١). والحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١)، وقد صنع السيوطي رحمه الله حول النهاية مختصرا، وذيلا، ويسمى الاول: «الدر النثير تلخيص نهاية ابن الاثير» وسمي الثاني: «التذييل والتذنيب على نهاية الغريب». وقد طبع الدر بهامش الطبعة العثمانية (٢) من النهاية. وحين اخرجت طبعتي من النهاية التقطت فوائد وزيادات الدر النثير، ووضعتها في حواشي الطبعة (٣).

اما التذييل والتذنيب، فهو صغير، يقع في سبع ورقات. ومنه عدة نسخ مخطوطة (٤).

وقد نظم «النهاية» شعرا: عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن محمد بن بردس البعلي الحنبلي الحافظ، المتوفى سنة (٧٨٥)، ومن هذا النظم نسخة بمكتبة برلين، تحت رقم (١٦٥٩) باسم «الكفاية في نظم النهاية» (٥).

هذا وقد افادني بعض طلبة العلم بمكة المكرمة وقد غاب عني اسمه افادني ان بمكتبة عارف حكمة (٦) بالمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة

---

(١) كشف الظنون: الموضع السابق.

(٢) بالقاهرة سنة ١٣١١.

(٣) صدرت هذه الطبعة عن مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة عام ١٣٨٣-١٩٦٣م في خمسة أجزاء. وقد اصاب هذه الطبعة ما اصاب غيرها من عيون كتب التراث، فقد اغار عليها مصوروا الكتب في بيروت، واصدروا منها طبعتين، دون اخذ اذن مني، ففوتوا علي بذلك فرصة استدراك ما فرط مني من هنات وزلات، فلقد كان عملي في هذا الكتاب من اوائل اشتغالي بالعلم. لكني احمد الله ان وفقني لصنع فهارس جامعة لذلك الكتاب العظيم، وفي هذه الفهارس خير كثير ان شاء الله وقد أفاد منها كثير من طلبة العلم.

(٤) راجع مقدمة تحقيقي للنهاية ص٨

(٥) تاريخ الادب العربي لبروكلمان ٣٥٧/١، وملحق الجزء الاول ص ٦٠٧.

(٦) آثرت كتابة التاء مربوطة كما ترى، لان كتابتها مفتوحة (حكمت) انما هو اثر من آثار النطق التركي لمثل هذه الكلمات نحو (عزت وبهجت ورأفت) وانما هذه كلها: عزة وبهجة، ورأفة

وازكى السلام كتابا اسمه قاموس البحر ونبراس الفجر، وهو في اختصار النهاية لابن الاثير . لمؤلف اسمه ابراهيم بن علي النووي ، وتاريخ نسخ هذا الكتاب المخطوط سنة (٧٩٧) ورقمه في المكتبة ٢٣٧٧ (٨٠، ٢١).

ولست احق هذا كله. ولعلي ارى هذه المخطوطة بنفسي فيما استقبل من ايامي ان شاء الله.

اثر النهاية في كتب العربية :

قلت من قبل «ان النهاية» قد رزقت الحظوة والقبول عند الناس، وقد غطت شهرتها على كل كتاب صنف في غريب الحديث، فقل ان تجد كتابا في اللغة او التفسير او الحديث، لم يأخذ النهاية في مصادره، ولم يعتدها من مراجعه.

ومن اشهر من عوّل على «النهاية» من اصحاب المعاجم: ابن منظور صاحب لسان العرب، المتوفى سنة (٧١١) فقد صرح في مقدمة اللسان بانه صنعه من كتب خمسة: تهذيب اللغة للازهري، والمحكم لابن سيده والصحاح للجوهري، وحواشيه لابن برى، والنهاية لأبن الاثير. وهذه عبارة ابن منظور عن النهاية: «فرأيت ابا السعادات المبارك بن محمد بن الاثير الجزري، قد جاء في ذلك النهاية، وجاوز في الجودة حد الغاية . الى آخر ماقال (١).

ومن الذين افادوا من النهاية كثيرا الامام النووي المتوفى سنة (٦٧٦) وترى ذلك في قسم اللغات من كتابه تهذيب الاسماء واللغات، ثم في شرحه على صحيح مسلم .

وكذلك الفيومي المتوفى سنة (٧٧٠) في معجمه المختصر المفيد «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير». وقد ذكر النهاية في ثبت مصادره، في آخر الكتاب.

---

(١) لسان العرب ١/٣

ثم خاتمة اصحاب المعالم : المرتضى الزبيدي المتوفى سنة (١٢٠٥) في معجمه العظيم: تاج العروس في شرح القاموس .

ولا سبيل الى استقصاء الكتب التي افادت من «النهاية» فهي الى الكثرة ماهي ...

والكتاب الثاني الذي شارك به ابن الأثير في علم غريب الحديث هو كتاب « منال الطالب » .

واليك حديثه :

منال الطالب في شرح طوال الغرائب

لا أعلم لهذا الكتاب سمياً في مناهج (١) من صنفوا في غريب الحديث، فقد جرّد ابن الأثير الأحاديث الطويلة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين — جرد ابن الأثير هذه الأحاديث من كتب السنة والسيرة ، وافرد لشرحها هذا الكتاب.

وقد قسم ابن الأثير الكتاب إلى قسمين : الأول في احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما له فيه كلام او ذكر سبق الحديث له ، او بنى عليه ، ومعظم احاديث هذا القسم يدور على أحاديث الوفود التي وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحاديث المولد والمبعث ، ودلائل النبوة ، وخصائصه صلى الله عليه وسلم .

والقسم الثاني في آثار جماعة من اصحابه وبعض التابعين لهم باحسان رض الله عنهم أجمعين .

منهج ابن الاثير في ايراد الاحاديث وشرحها

صدّر ابن الأثير كتابه بمقدمة كاشفة ، ابان فيها عن منهجه ، وسبيله في اختيار الاحاديث وشرحها ، ويبقى ان اذكر أشياء حول هذا المنهج ،

(١) راجع ما سبق في صدر هذا البحث .

تكشف عن خصائصه ، ثم تنزل الكتاب منزلته من كتب العربية ، فاقول وبالله التوفيق :

جري ابن الأثير على ان يورد الحديث كاملا ، ثم يذكر في آخره من اخرجه من علماء الحديث والغريب ، ويعقّب بما قيل في الحديث جرحا وتعديلا ، وقبولا وردا .

وكثير من هذه الاحاديث الطوال قد تكلم فيها علماء الجرح والتعديل وضعفوا طرقها، ووهنوا رواتها، ولم يعب هذا عن ابن الاثير ، وهو المحدث الكثير ، صاحب « جامع الاصول » وشارح « مسند الشافعي » فيقول في اخر حديث قس بن ساعدة الايادي : «حديث قس بن ساعدة على كثرة رواياته واختلاف طرقه، حديث مشهور متداول بين رواة الحديث وائمته ، وقد ذكر بعض الحفاظ انه موضوع .

فاما الرواية الاولى فهي معروفة بمحمد بن الحجاج اللخمي، عن مجاهد بن سعيد عن الشعبي، عن ابن عباس، وقد اخرجها ابو القاسم البغوى، وابو القاسم الطبراني وغيرهما.

واما الرواية الثانية فمعروفة من رواية بشر بن نمير، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال ابو موسى : وهو غريب من هذا الوجه، وقد روى عن ابن عباس من غير وجه، وروى عن انس بن مالك وابي لبابة وكأن الفاظها مصنوعة ملفقة، لكن هكذا يروى ، على انا قد تركنا بعض الفاظه التي إطالوه بها اختصارا، والله اعلم (١)»

وأبين من هذا في الدلالة على رأى ابن الاثير في الاحايث الطوال ماذكره في آخر حديث فدك، عن السيدة فاطمة الزهراء، رضي الله عنها.

قال رحمه الله: «هذا الحديث اكثر مايروى من طريق اهل البيت ، وان كان قد روى من طرق اخرى اطول من هذا واكثر، واهل الحديث

---

(١) منال الطالب ١/١١٩، ١٢٠

يقولون: انه موضوع على فاطمة.

وقال ابن قتيبة: قد كنت كتبته وانا ارى ان له اصلا، وسألت عنه رجال الحديث فقال لي بعض نقله الاخبار: انا اسن من هذا الحديث، واعرف من عمله.

قلت: هذا الحديث وان كان موضوعا كما ذكر، فهو من افصح الكلام واحسنه مأخذا واحتجاجا، ولعل واضعه لاينقص درجة عن الحجاج بن يوسف الثقفي. وكتب غريب الحديث مصحوبة بشرح كلامه وخطبه، فلا بأس ان يجري هذا الحديث مجراها في شرح غريبه ومعانيه، ولعل اكثر مايروى من احاديث الغريب الطوال جارية هذا المجرى في التصنع والله اعلم (١).

وهذا الكلام صريح الدلالة على ان الغاية التي تغيّاها ابن الاثير من وضع هذا الكتاب انما هي غاية لغوية. وهذا شأن كتب غريب الحديث تدور كلها في فلك اللغة: معاني واشتقاقا ودلالات، الا ماقد تراه عند الامام الجليل ابي عبيدة القاسم بن سلام، من آراء فقهية نثرها في كتابه «غريب الحديث».

وقد يزيد هذا الامر وضوحا ماذكره في آخر احاديث علي بن ابي طالب كرم الله وجهه، فقد اورد له احد عشر حديثا، ثم قال في آخرها: «كلام علي بن ابي طالب، كرم الله وجهه، الكثير الغريب، كثير، وقد اوردنا منه هذه الاطراف اليسيرة مناسبة لما اودعناه في هذا الكتاب من الاختصار، ومن اراد الوقوف على كلامه فليطلبه من مظانّه».

فابن الاثير رحمه الله انما استكثر من حديث علي بن ابي طالب، رضي الله عنه، لما اشتمل عليه من غريب اللغة، ليس غير.

---

(١) هذا في الجزء الثاني من المنال، ولا يزال مخطوطا.

على ان ابن الاثير قد يشرح بعض الاحاديث ، لا لغريب الفاظها ، بل لاشكال معناها ، كما صنع ، ي حديث معاوية بن ابي سفيان وحواره مع عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهم ، فانه قال في آخر ذلك الحديث ، « اخرجه القتيبي، وانما ذكرناه مع قلة غريبه لاشكال معناه».

ومما يتصل بالمعاني ماذكره في حديث وائل بن حجر الحضرمي، من اختلاف ابي حنيفة والشافعي،رضي الله عنهما، في مسألة الخلاط في الزكاة(١)

ومنه ايضا توفيقه بين الاحاديث التي قد تبدو متعارضة، كما تراه في حديث صفة النبي صلى الله عليه وسلم،المروى عن هند بن ابي هالة، وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه (٢) .

النحو في الكتاب

عرض ابن الأثير لمسائل كثيرة من علم النحو ، توجيها واعرابا ، وترى ذلك في احاديث ذى المشعار مالك بن نمط الهمداني ، والاستسقاء، ولقمان بن عادة ولقيط بن عامر العقيلي ، وابن زمل الجهني ، وقس بن ساعدة الايادي ، وأبي بكر الصديق ، وحديث عائشة بنت ابي بكر الصديق، المتضمن حديث ام زرع .

وقد رأيته يجري على قواعد البصريين ، ومن ذلك توجيهه لقوله تعالى : « وما منا الا له مقام معلوم » بانه على حذفِ الموصوف ، وقد اثبت في تعليقاتي ان هذا هو رأى البصريين (٣) .

الشواهد الشعرية في الكتاب :

ابن الأثير مقل من الأستشهاد بالشعر ، ترى ذلك في هذا الكتاب ، كما تراه في كتابه « النهاية» . مع ان ابا عبيد ، وابن قتيبة ، والخطابي - وهم الرواد الأوائل في علم غريب الحديث — قد استكثروا في كتبهم من شواهد الشعر .

---

(١) منال الطالب ٧٨/١

(٢) منال الطالب ١٦٨/١

(٣) منال الطالب ٨٣/١

وقد ترك ابن الأثير ابياتا ذوات عدد دون نسبة ، كما اضطرب في نسبة هذا الشاهد :

اذا قصرت اسيافنا كان وصلها ... خطانا إلى اعدائنا فنضارب

فنسبه في الحديث العاشر من أحاديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، إلى قيس بن الخطيم ، على حين نسبه في حديث الحجاج بن يوسف الثقفي إلى ابن حطان .

موارد ابن الاثير في الكتاب :

افاد ابن الأثير من جهود العلماء الذين سبقوه إلى التصنيف في غريب الحديث ، وصرح بالنقل عنهم ، وذكر في آخر كل حديث من اخرجه منهم ، ثم ذكر من الكتب :

الصحيحين للبخارى ومسلم ، والطبقات الكبير لابن سعد ، والمغازى لمحمد بن إسحاق ، والسيرة لعبد الملك بن هشام ، والمعجم الكبير للطبراني ، ومعجم الحافظ ابي احمد العسال(١) ، والاكمال لابن ماكولا ، والحلية لابي نعيم الاصبهاني ، وماقالت القرابة في الصحابة ، والمؤتلف والمختلف ، كلاهما للدار قطني .

وقد رأيت ابن الاثير يدور في فلك اربعة من العلماء : ابن قتيبة والخطابي والزمخشري ، وابي موسى المديني الاصبهاني . وقد افاد ابن الاثير من كتب هؤلاء العلماء في غريب الحديث افادة بالغة ، وعوّل عليهم كثيرا ، كما صنع في «النهاية» .

ويذكر ابن الاثير في آخر حديث طهفة بن ابي زهير النهدى ، انه وجد فيه زيادة لم يجدها في كتب هؤلاء الاربعة ، ووجدته انا قد زاد على ماذكره ابن قتيبة والزمخشري في الرواية والشرح (٢) ، لكن تظل كتب

(١) نقل عنه من طريق الحافظ ابي موسى المديني الاصبهاني . (انظر حديث ام معبد) ١٥١/١ .

(٢) كما في حديث وائل بن حجر ، وحديث ابن زمل الجهني ٧٤/١ ، ١٩٦ ، وحديث طهفة في ٣٥/١

هؤلاء الاعلام العماد والاساس لكتاب ابن الاثير.

وبعد ماحكاه ابن الاثير عن (غريب الحديث) لابن قتيبه توثيقا مهما له، فقد اورد اربعة احاديث في الجزء الاول، وذكر ان ابن قتيبة اخرجها في كتابه، وهي احاديث: طهفة بن ابي زهير النهدى، وقطن بن حارثة، واستسقاء النبي صلى الله عليه وسلم، وكتاب قريش والانصار.

ولم اجد هذه الاحاديث في (غريب الحديث) لابن قتيبة الذي حققه ونشره الاخ الاستاذ الدكتور عبدالله الجبوري، ببغداد سنة ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧.

ومعروف انه لاتوجد نسخة كاملة من غريب ابن قتيبة هذا، ونشرة الاخ الدكتور الجبوري انما هي عن اجزاء من نسخ مختلفة.

وهذا الذي حكاه ابن الاثير عن ابن قتيبة يدل على ان هناك نقصا في الكتاب، وبخاصة في الجزء الاول المتضمن احاديث رسول صلى الله عليه وسلم (١).

وليس ابن الاثير وحده هو الذي ذكر ان ابن قتيبة قد اخرج حديثي طهفة بن ابي زهير، وقطن بن حارثة، فقد ذكر ذلك ايضا ابو عبيد الهروى في (الغريبين) والحافظ ابن حجر العسقلاني في (الاصابة) وقد اشرت الى ذلك في موضعه من التحقيق.

ابن الاثير والزمخشري :

قلت من قبل : ان الزمخشرى امام من ائمة العربية ، وكتابه (الفائق) من اصول علم غريب الحديث ، وقد افاد منه ابن الاثير كثيرا في كتابيه (النهاية) و(منال الطالب) مصرحا بالاخذ عنه، غير اني رأيته في مواطن

(١) لقد أحسن الاخ الدكتور عبدالله الجبوري كل الاحسان حين جمع اجزاء هذا الكتاب العظيم من مختلف مكتبات العالم ، ثم اقام عليه درسا علميا للدكتوراه ، وحققه تحقيقا جيدا ، ولعل الله ييسر له نسخه كاملة من الكتاب .

كثيرة جدا يستاق كلام الزمخشري ، دون ان يصرح بالنقل عنه ،والعزو اليه، وقد سبق شيء من هذا في حديثي عن «النهاية» وانا ذاكر هنا بحول الله اثر الزمخشري في المنال ، فاقول :

لقد اودع ابن الاثير كتابه هذا كثيرا من شروح الزمخشري وتوجيهاته التي سلخها من (الفائق) ، ولاسبيل الى ذكر كل ماوقعت عليه، فهو الى الكثرة ماهو ، وانا اكتفى ببعض الامثلة ، كما صنعت في حديثي عن النهاية :

ماتراه في شرح حديث طهفة بن ابي زهير النهدي ، وكذلك ماذكره في توجيه التأنيث في (مطهرة» من حديث لقيط بن عامر العقيلي، ومثلهما مافي حديث لقمان بن عاد، وام معبد ، وقد نبهت على ذلك في حواشي التحقيق .

على اني وجدت ابن الاثير يغير على شرح الزمخشري كله في بعض الاحاديث ، مع تغيير بعض عبارات الزمخشري الجاسية (١) الموغلة في الغرابة الى الفاظ مألوفة مأنوسة فمن ذلك :

يقول الزمخشري في حديث «لقمان بن عاد» : اراد ان عيشه عيش الصعاليك ان ظفر بشيء ألمأ عليه ، والا فهو موّطن نفسه على معاناة جشونة الحال وشظف العيش .

ويقول ابن الاثير : اراد ان عيشه عيش الصعاليك ، ان ظفر بشيء اخذه، والا فهو موطن نفسه على معاناة خشونة الحال ،وشدة العيش (٢).

أرأيت الى «ألمأ» و«أخذ» «شظف» و«شدة» ؟

---

(١) أي الصلبة . يقال : جسا ، أي : صلب . ومن تعبيراتهم القديمة : «في ألفاظ فلان جسو ونكارة » .

(٢) منال الطالب (حديث لقمان بن عاد ١/١١٥ والفائض ١/٧٨ ، ويقال : الما عليه : ذهب به خفية .

ويقول الزمخشري: البوغاء : دقاق التراب الهافي في الهواء ... وارتفعت بوغاء الطيب : اذا سطعت سواطع فوحه .

ويقول ابن الاثير : البوغاء: دقاق التراب الطائر في الهواء وارتفعت بوغاء الطيب : اذا سطعت رائحته (١) .

وتأمل : «الهافي في الهواء »و«الطائر في الهواء» و«سطعت سواطع فوحه » و«سطعت رائحته» .

ويقول الزمخشري: المرمل: الذي نفد زاده ، فرقت حاله وسخفت، من الرمل وهو نسج شخيف .

ويقول ابن الاثير: المرمل : الذي نفد زاده فرقت حاله، وضعفت، من الرمل، وهو نسج ضعيف خفيف (٢) .

ويقول الزمخشري : والضليع في الاصل : الذي عظمت اضلاعه ووفرت ، فاجفر جنباه ، ثم استعمل في موضع العظيم ، وان لم يكن ثم اضلاع .

ويقول ابن الاثير : والضليع في الاصل : الذي عظمت اضلاعه ، واتسع جنباه ، ثم اتسع فيه ، فاستعمل في كل عظيم ، وان لم يكن ثم اضلاع (٣) .

وقول الزمخشري : «أجفر جنباه» بمعنى« اتسع جنباه» التي اثبتها ابن الاثير ورحم الله ابا حيان النحوي ، فانه لو وقعت له «اجفر» هذه، لقال فيها مايقوله في بعض كلام الزمخشري الذي يناقشه في (البحر المحيط) فانه يقول في مثل هذا الموطن : «وفيه عجرفية العجم » .

ويقول الزمخشري : الدليف: هو المشي الرويد ، والتقدم في رفق .

---

(١) منال الطالب (حديث سطيح) ١/١٤٠ والفائص ٢/٤٢ .
(٢) منال الطالب (حديث ام معبد) ١/١٤٩ والفائص ١/٩٦ .
(٣) منال الطالب (حديث هند بن ابي هالة) ١/١٦٦ والفائص ٢/٢٢٩ .

ويقول ابن الاثير : الدليف: المشي المتأنى ، والتقدم في رفق (١).
وحسبك هذا ، فهو كاف في الدلالة على ماذهبت اليه .

هذا ، وقد تعقب ابن الاثير الزمخشرى في اشياء : فاشار الى انه يذكر الاحاديث بغير اسناد. فيقول في آخر حديث صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، المروى عن علي بن ابي طالب ، رضى الله عنه : «واخرج الزمخشرى اكثره بغير اسناد ، على عادته (٢) .

وضعف ، ماذهب اليه في تأويل هذا البيت الذي يروى في حديث سطيح : ازرق ممهى الناب صرّار الاذن

فقال : «ورواه الزمخشرى «مهمى الناب» ،وقال : هو مقلوب من الممهى : المحدد والظاهر — والله اعلم — انه تصحيف ، قد وقع اليه كذا ، فاحتال لتأويله وجها» .

هذا كلام ابن الاثير ، وقد علقت عليه في تحقيقي (٣) ،بان الذي في (الفائق) المطبوع : «ممهى » بميمين بعدهما هاء ، وقال الزمخشرى : «وهو من المهى ،مقلوب » ،وكذلك حكاه عنه ابن الاثير في النهاية ، ترجمة (مهم) .

ومما يتصل بهذا ماحكاه ابن الاثير عن الزمخشرى ، في شرح حديث عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، قال ابن الاثير: «وانصاح: مطاوع صاحه يصوحه : اذاشقّه .. هكذا شرحه الزمخشرى ، وقال : ذكره الهروى في الضاد والخاء المعجمتين ، وهو تصحيف منكر ».

قلت: الذي وجدته في (الفائق) (٤): «ومنضاخ. بالضاد والخاء

---

(١) ملال الطالب (حديث رقية بنت ابي صيفي) ٢٠٥/١ ، والفائص ٦١/٣ ، وانظر ايضا في هذا الموضع من الكتابين تفسير « الصحل» .
(٢) منال الطالب ١٧٥/١ .
(٣) منال الطالب ١٤٠/١ .
(٤) الفائص ٣١/٢ .

المعجمين تصحيف منكر». لم يزد الزمخشري على هذا، ولم يذكر الهروي ولا غيره.

بين المنال والنهاية

صرح ابن الاثير في مقدمة (منال الطالب) بأنه اخذ في تصنيفه بعد كتابه (النهاية في غريب الحديث والاثر) الذي فرق فيه الغريب على حروف الهجاء، وقد اقتضاه هذا ان ينتزع من الحديث الجزء المشتمل على الغريب وحده، قال رحمه الله عن كتاب (النهاية): «فلا تكاد تجد فيه حديثا تاما وان قل كلمه، ولا أثرا متسقاً وان استقل منتظمه (١)» «فهو كتاب لغة كما ترى.

اما كتاب (المنال) فقد جمع فيه الاحاديث والاثار الطوال والاوساط بتمامها، واخذ في شرحها، فهو كتاب حديث ولغة، وان كانت الغاية التي تغياها من وضع الكتاب لغوية، كما اسلفت القول.

ولما كانت (النهاية) بهذه المثابة فقد كثرت المادة اللغوية فيها وغزرت، ولم يتسع القول فيها لبسط الشرح، وتعدد الروايات ومناقشتها على نحو ماجاء في (منال الطالب).

فقد بسط ابن الاثير في (المنال) مااختصره في (النهاية) فمن ذلك: تفسيره لوضائع الملك، في حديث طهفة بن ابي زهير النهدي، فقد عرض في (المنال) لرأى ابن قتيبة، وذكر رد أبي موسى المديني عليه، ثم تكلم على المعنى بفتح الميم وكسر اللام، وبضمها وسكون اللام في «الملك» وقد اختصر كل ذلك في (النهاية) اختصارا. (٢)

ومن ذلك ايضا ماجاء في حديث قطن بن حارثة، في تفسير «الهمولة» قال في المنال: «الهمولة: الابل التي اهملت للرعي، وتركت حيث شاءت ولاتستعمل فعولة بمعنى مفعلة، ولهذا اكدها بالراعية».

---

(١) مقدمة منال الطالب. وراجع ماكتبته من قبل من منهج ابن الأثير في ايراد الاحاديث وشرحها.

(٢) المنال (حديث طهفة) والنهاية (وضع) ١٩٨/٥

وقال في (النهاية) في تفسير الهمولة : «هي التي اهملت ، ترعى بانفسها ولا تستعمل فعولة بمعنى مفعولة» (١).

ومنه شرح «النصية» في حديث ذي المشعار مالك بن نمط الهمداني، فقد اوجزه في (النهاية) وبسطه في (المنال) (٢) .

ولم يحتفل ابن الاثير بتعدد الروايات كثيرا في (النهاية) كما فعل في (المنال) فمن ذلك ماذكره في تفسير «العجالة» في حديث خزيمة ، قال في (النهاية): هي لبن يحمله الراعي من المرعى الى أصحاب الغنم قبل ان تروح عليهم» .

وقال في (المنال) : «العجالة ، بالضم: اللبن الذي يحمله الراعي من المرعى الى اصحاب الغنم قبل ان تصدر، وانما يفعل ذلك اذا كثر اللبن عليه، فيحلبها في المرعى . ويروى «العجالة» بالكسر ، وهي مايحمل الراعي عليه زاده كالتيس والكبش وقيل هما بالضم والكسر مايتعجله الانسان (٣) .

منه ماذكره في تفسير « عليه مسحة ملك » من حديث جرير بن عبد الله البجلي، فقد ذكر في (المنال) ان قوله : «ملك » يروى بفتح الميم واللام ويروى بضم الميم وسكون اللام ، ولم يشرح في (النهاية) الا على الرواية الاولى (٤) .

ومن ذلك ايضا ماذكره في حديث ام معبد، وقولها في رسول الله صلى الله عليه وسلم: «محفود محشود» . فقد قال في (المنال): « المحشود الذي يجتمع الناس حوله، يعني ان اصحابه يحوطون به ، ويجتمعون على خدمته من الحشد: الجمع . ويروى بالسين المهملة ، من الحسد ، فان صح فمن اولى بان يحسد ممن تكاملت فيه مثل هذه الاخلاق المرضية؟

---

(١) المنال (حديث قطن بن حارثة) والنهاية (همل) ٢٧٤/٥ ، وقوله في النهاية : «مفعولة» خطأ ، وكذلك جاء في اللسان (همل) والصواب : «مفعلة» كما في المنال .

(٢) المنال (حديث ذى المشعار) والنهاية (نص) ٦٨/٥ .

(٣) المنال (حديث خزيمة بن ثابت السلمي) والنهاية (عجل) ١٨٧/٣ .

(٤) المنال (حديث جرير بن عبدالله البجلي) والنهاية (ملك) ٣٥٩/٤ .

ولم يشر في (النهاية) إلى رواية «محسود» بالسين المهملة ، ثم لم يزد في شرح «محشود» على قوله: «أي ان اصحابه يخدمونه ويجتمعون اليه»(١).

وفي حديث ام معبد ايضاً ، وذكر هزال ابلها ، اورد ابن الاثير في (المنال) اربع روايات في هزال الابل وضعفها : «تشاركن هزلا ، وتساوكن ، وتساوقن وتتاركن » وهذه الرواية الاخيرة لم يذكرها في (النهاية)، لافي مادة (ترك) ولا في غيرها .

ومنه ايضاً ماذكره في شرح قوله: «حتى اذا القت السماء بأوراقها قال في (النهاية) : «ان بجميع مافيها من الماء ، والاوراق : الاثقال ، اراد مياهها المثقلة للسحاب» .

هذا قوله في (النهاية) ،وقال في (المنال) :«وقوله : « حتى التقت السماء بأوراقها» يريد بالسماء هاهنا السحاب. أي ألقت بجميع مافيها من الماء ، والاوراق : الاثقال ، كأنه قال : القت السماء بمائها الكثير المثقل للسحاب . وقيل : اراد بأوراقها مياهها الصافية ،من راق الماء : اذا صفا ، ويجوز ان يريد بالسماء السماء الحقيقية ، لاالسحاب ، لأن المطر انما يجيء من جهة السماء . وفي رواية :«حتى اذا القت السماءبأوراقها «من الالقاء ، والباء زائدة» (٢)

وقد ناقش ابن الاثير بعض الروايات اللغوية في (المنال) ،على حين اكتفى بعرضها في (النهاية) .ومن ذلك شرحه للمؤزلة في حديث طهفة، قال في (المنال) :«والمؤزلة ، هكذا تروى بهمزة ساكنة وكسر الزاي الخفيفة وفسرت انها الجائية بالازل ، والازل : الضيق . يقال : ازله يأزله ازلا : اذا حبسه وضيق عليه ، والرواية لاتنتظم مع هذا التصريف ، لأن المؤزلة من آزلت ، بالمد ، فان صحت الرواية فيكون قد عدى الفعل بالهمزة ، يقال : ازل الامر يأزل : اذا ضاق واشتد وآزله غيره . وفي كتاب

---

(١) المنال ام معبد) والنهاية (حشد) ٣٨٨/١ .

(٢) المنال (حديث الاستسقاء) والنهاية (روق) ٢٧٨/٢ .

الزمخشري : المؤزلة» بفتح الهمزة وتشديد الزاي (١) ، فان صحت الرواية فيكون قد عدى الفعل بالتشديد للتكثير» .

هذا كلامه في (المنال)، ولم يزد في (النهاية) ، على قوله: «اي: آتية بالازل، ويروى: «مؤزلة» بالتشديد، على التكثير» (٢).

هذا وقد تكلم ابن الاثير في (المنال) على اشياء لم يعرض لها في (النهاية) فمن ذلك كلامه على اصل «النهنهة»، قال: «والاصل فيه: نهه، بثلاث هاءات، فابدلوا من الهاء الوسطى نونا للفرق بين فعلل وفعل . ولم يذكر هذا في (النهاية) (٣) .

ثم رأيته يقيد بعض الالفاظ بالعبارة في (المنال) ، ويهمل ذلك في (النهاية)، فمن ذلك ضبطه للحورى في حديث ذي المشعار. قال في (المنال) «الحورى: منسوب الى الحور ، بفتح الحاء والواو، وهي الجلود المتخذة من جلود الغنم: مصبوغة بحمرة»

ولم يقيد هذا التقييد في (النهاية) (٤) وان كان قد ذكر هنالك عبارة صرفية تؤول الى ماذكره في (المنال)، قال: «وهو احد ماجاء على اصله، ولم يعلّ كما اعل ناب». فان هذا يعطي ان «الحور» بفتح الحاء والواو.

ومن ذلك تقييده في (المنال) «عرضان» بكسر العين وضمها. واهمال ذلك في (النهاية) (٥) .

وقد وقفت على شيء من الخلاف بين (المنال والنهاية) وذلك ماذكره ابن الاثير في ضبط «الحوب» ، فقد قال في (المنال): «الحوب: الاثم ، وتضم حاؤه وتفتح فالضم لغة الحجاز، والفتح لغة تميم» .

---

(١) ذكرت في تعليقي على هذا الموضع ان الذي في (الفائق) المطبوع ، بسكون الهمزة وكسر الزاي مخففا ، بضبط القلم ، ولم يقيده الزمخشري بالعبارة .

(٢) المنال (حديث طهفة بن ابي زهير النهدى والنهاية (ازل) ١/٤٦

(٣) المنال (حديث خزيمة بن ثابت السلمي) والنهاية (نهنه) ٥/١٣٩

(٤) المنال (حديث ذى المشعار مالك بن نمط الهمداني) والنهاية (حور) ١/٤٥٩

(٥) المنال (حديث وائل بن حجر)، والنهاية (عرض) ٣/٢١٤ .

وجاء عكس هذا في (النهاية) ، وقلت في تعليقي على هذا الموضوع «وكذا قال الفيومي في المصباح ، وعكس المصنف في (النهاية) فجعل الفتح لغة الحجاز، والضم لغة تميم، ومثله في اللسان والتاج» (١).

وبعد: فلعل في هذا الذي ذكرت ، دليلا على فرق مابين الكتابين، وانه لايغني كتاب عن كتاب شيئاً .

توثيق نسبة الكتاب الى ابن الاثير

على كثرة من ترجموا لابن الاثير، لم اجد من ذكر له هذا الكتاب الا ابن الشعار الموصلي، المتوفى سنة (٦٥٤)، وتاج الدين السبكي المتوفى سنة (٧٧١) (٢) .

وابن الشعار يسمي الكتاب: «منال الطالب في شرح الغرائب» ، ثم يقول: «وهي الاحاديث المطولات» .

وابن السبكي يسميه: «شرح غريب الطوال» ، وهذه تسمية موهمة، كما ترى، فاكثر مايطلق لفظ «الطوال» على القصائد السبع الجاهلية المعروفة .

وقد نظرت في كتاب «كشف الظنون» في جميع مظانه، فلم اجد فيه ذكرا لهذا الكتاب، ثم رأيت اسماعيل باشا البغدادي المتوفى سنة (١٣٣٩) في كتابه «ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٣)» يذكر عنوان الكتاب «منال الطالب في شرح طوال الغرائب» ، ولم يزد على ذكر العنوان شيئا البتة .

وفيما عدا هؤلاء الثلاثة ، لم أجد من ذكر الكتاب ، او اشار اليه ، او نقل عنه .

---

(١) المنال (حديث جرير بن عبدالله البجلي) والنهاية (حوب) ١/٣٥٥

(٢) راجع عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (الجزء السادس من مخطوطة اسعد افندي) وطبقات الشافعية الكبرى ٨/٣٦٧ .

(٣) ايضاح المكنون ٢/٥٦٢ ، واشير هنا إلى ان اسماعيل البغدادي ، حين ترجم لا بن الأ ثير في كتابه هدية العارفين ٢/٢ ، ٣ لم يذكر له هذا الكتاب .

وقد حاك في صدري ان الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفي سنة (٨٥٢) ربما يكون قد اطلع على (منال الطالب)، وذلك ان ابن الاثير ذكر في حديث اكيدر، قال: «ومن الناس من يقول: انه اسلم، والأول اصح» وقد حكى ابن حجر هذه العباراة عن المصنف، في ترجمة اكيدر من (الاصابة) (١)، فقال: وقال ابو السعادات ابن الاثير — أخو مصنف اسد الغابة —: من الناس من يقول: ان أُكَيدِر اسلم، وليس بصحيح». فهل نقل ابن حجر هذا الكلام من (منال الطالب) او من كتاب آخر من مصنفات ابن الاثير ؟.

ومهما يكن من امر، فنحن نحمد الله تعالى ان سلمت لنا مقدمة الكتاب التي ذكر فيها ابن الاثير غرضه من تأليف الكتاب، ومنهجه فيه، وعنوانه الذي اختاره له، ولولا ذلك كله لكنا من هذا الكتاب في امر مريج.

ولعل جهالة هذا الكتاب عند القدامى ترجع إلى انه من آخر تصانيف ابن الاثير — في اكبر الظن — اذ كان تاريخ الانتهاء من نسخه وقراءته على مصنفه (٢) سنة (٦٠٦هـ) والمصنف رحمه الله توفى في سلخ ذي الحجة من السنة نفسها.

نسخة الكتاب

هي نسخة وحيدة احتفظت بها الخزانة العامة بمدينة الرباط، عاصمة المغرب الأقصى — صانه الله من الآفات والمحن — وكم من المخطوطات الفريدة النادرة، احتفظت بها مكتبات المغرب العزيز، الذي ظل عربيّ الوجه واليد واللسان، برغم عوامل القهر فلقد عرفوا قيمة هذا الارث الجليل الذي آل اليهم، فحفظوه وصانوه، كما يصون كرام الابناء ودائع الآباء.

(١) الاصابة ١٣١/١.
(٢) سيأتي الكلام على ذلك في وصف نسخة الكتاب.

والمشتغلون بالتراث ونشر النصوص يذكرون للمكتبة المغربية انها احتفظت بنسخ وحيدة من كتب ذوات عدد ، اذكر منها على سبيل التمثيل لاالحصر : حذف من نسب قريش ، لمؤرخ السدوسي ، والفرق في اللغة، لثابت بن ابي ثابت ، ورّاق ابي عبيد القاسم بن سلام ،والبرصان والعرجان، للجاحظ والصاهل والشاحج ، لابي العلاء المعري ، والوسيط في الامثال للواحدي ، والموفقي في النحو ، لابن كيسان ، وكتاباً صغيراً في النحو، للحسن بن عبد الله المعروف بلغدة الاصبهاني (١).

وأعود إلى الحديث عن نسخة (منال الطالب) ،فأقول : لقد جهدت في الظفر بسخة ثانية من هذا الكتاب ، فلم اوفق.

ومن نعم الله تعالى علينا ان هذه النسخة المغربية غير هي محوجة إلى غيرها فهي إلى النفاسة ماهي . ولقد جمعت النسخة كل اسباب القبول والتوثيق التي يعرفها المشتغلون بعلم المخطوطات .

فخطها نسخي نفيس جداً ، مضبوط ضبطاً كاملا ، مع وضع علامات الاهمال تحت الحروف المهملة

وناسخها هو : شرف الدين محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ، وهو ابن أخي المصنف ، والده : نصر الله بن الاثير ، صاحب كتاب (المثل السائر) ، وقد فرغ شرف الدين من نسخ الكتاب سنة (٦٠٦) ه وكتب في آخر النسخة :

«تم كتاب منال الطالب في شرح طوال الغرائب ، وذلك في سنة ست وستماتة . كتبه محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ، ولد أخي المصنف ، حامداً لله تعالى (٢) على نعمه ، ومصلياً على رسوله (٣) مسلّماً . ولحمد لله رب العالمين »

---

(١) لعل الايام تظهر نسخا اخرى من هذه الكتب ، ولكن إلى الان لم تعرف هذه الكتب الا من قبل المغاوبة . وله كتبت عن علماء المغرب في حفظ التراث الاسلامي قديما وحديثا ، منذ نحو اربع سنوات ، في مجلة الثقافة المصرية ، ودعوة الحق المغربية .

(٢) هكذا بكسر اللام في لفظ الجلالة .

(٣) هكذا بغير واو العطف

وقد سمع محمد النسخة وقرأها على عمه المصنف .وكتب السماع عمّه الثاني عزالدين علي بن محمد ،ابن الاثير المؤرخ، صاحب كتاب (الكامل) وهذه صورة السماع وتاريخه، كما جاءت على صفحة العنوان:

سمع جميع كتاب (منال الطالب في شرح طوال الغرائب، من اوله إلى آخره، على مصنفه المولى الاخ (السعيد) (١) مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد ابن عبد الكريم ،املاء من لفظه ولد (الاخ) (٢) الولد الاعز شرف الدين محمد بن نصرالله بن محمد بن عبدالكريم ، في عدة مجالس، في شهور سنة ست وستمائة . كتبه علي بن محمد ابن عبد الكريم، في جمادي الاول (٣) (هكذا) من سنة ست وستمائة ،حامدا لله تعالى، ومصليا على رسوله محمد وآله ومسلما».

وترى اثر هذا السماع على حواشي النسخة في آخر الاحاديث.

وهذه النسخة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط، برقم (١٨٢) اوقاف. وقد نسختها بيدي. وفرغت من تحقيقها. وصدر الجزء الاول في عام ١٤٠٠=١٩٨٠ عن مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بكلية الشريعة ــ بمكة المكرمة.

واذ قد فرغت من الكلام على الكتابين اللذين افردهما ابن الاثير، لغريب الحديث، وهما «النهاية» و«منال الطالب» فاني ذاكر كلمة موجزة عما نثره من شرح لغريب الحديث في كتابيه : «جامع الاصول» وشرح مسند الشافعي« .

---

(١) جاءت هذه الكلمة غامضة ، ولقد اجتهدت في قراءتها كما ترى .

(٢) مكان هذه الكلمة بياض : ولقد رجحت انها هكذا .

(٣) هكذا جاء ، والمعروف ان جمادى مؤنثة ، قال الفراء : « الشهور كلها مذكرة الا جماديين فانهما .. ثم قال : فان » فان سمعت تذكير جمادى فانما يذهب إلى الشهر وانظر اللسان (جمد) .

جامع الاصول في احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

جمع ابن الاثير ، رحمه الله ، في هذا الكتاب ، الاصول الستة : الموطأ ، والبخاري ، ومسلم ، وابو داود ، والترمذي ، والنسائـي .

وقد عني ابن الاثير ، في كتابه هذا ، بشرح الغريب ، عناية بالغة وقد ذكر منهجه في ذلك ، وابان عنه في مقدمته ، قال رحمه الله في الفصل الخامس من المقدمة في بيان الغريب والشرح :

« لما اردنا ان نذكر شرح لفظ الحديث ومعناه ، كان الاولى بنا ان نذكره عقيب كل حديث ، فانه اقرب تناولا ، واسهل مأخذا ، لكنا رأينا ان ذلك يتكرر تكررا زائدا ، لاشتراك الاحاديث في المعنى الواحد مع تقارب الالفاظ ، بل اتحادها ، فان ذكرنا شرح الحديث الواحد ، واذا جاء مثله احلنا عليه ، احتاج الطالب الى كلفة عظيمة ، حتى يجد الغرض ، وكان الكتاب يطول بكثرة الاحالات ، وان نحن اوردناه آخر كل فصل او باب جاء من التكرار مايقارب الاول ، وان نحن افردنا للشرح كتابا مستقلا بنفسه — كما فعله الحميدي ، رحمه الله في « غريب كتابه» — صار ذلك الكتاب مفردا وحده ، لاعلاقة بين الاصل وبينه فمن شاء نسخه ، ومن شاء تركه ، فكانت الفائدة تذهب ، ويزول الغرض ويبقى الكتاب خاليا من الشرح والتفسير الذي قصدنا اليه .

فأدى النظر الى ان ذكرناه في اخر كل حرف من حروف (أ ب ت ث) على ترتيب الكتب التي في كل حرف ، وسياق الاحاديث التي في كل كتاب ..

ثم قال رحمه الله :

وعولت في الشرح على كتب ائمة اللغة ، وكتب غريب الحديث، وكتب الفقه ، وغيرها .

فمن كتب اللغة : كتاب « التهذيب» لابي منصور محمد بن احمد الازهري ، وكتاب « لغة الفقه » له ، وكتاب » صحاح اللغة « لابي نصر

اسماعيل بن حماد الجوهري ، وكتاب « المجمل » لابي الحسين احمد بن فارس .

ومن كتب الغريب : كتاب « غريب الحديث » لابي عبيد القاسم بن سلام وكتاب غريب الحديث » لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وكتاب « مختلف الحديث » له وكتاب غريب الحديث » لابي سليمان حمد بن محمد الخطابي ، وكتاب « معالم السنن » له ، وكتاب « شأن الدعاء » له ، وكتاب « الجمع بين الغريبين » لابي عبيد الروى ، وكتاب « الفائق » لابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، وكتاب « غريب الحديث » لابي عبد الله الحميدي » (١) .

هذا منهج ابن الاثير ، وتلك خطته في شرح غريب الحديث الوارد في الكتاب ، ولكن المحقق رأى ان يبدل هذه الطريقة ويثبت غريب كل حديث وشرحه ، عليه ، تسهيلا للقارى — هكذا قال — .

وهذه طريقة غير مرضية ، وهي مظمنة خطأ ، وموضع سهو ، وكثيرا ماتوقع في اضطراب . وقد وقع شيء من ذلك في الكتاب (٢) .

وما ينبغي لمحقق ان يستجيز لنفسه تغيير نظام كتاب ، اراد مؤلفه ان يكون ، ومن اراد التسهيل على القارىء ففي الفهارس الفنية غنية وكفاية

***

ومهما يكن من امر ، فقد اورد ابن الاثير في كتابه هذا مادة لغوية غزيرة جدا ، وفي اكبر ظني ان هذه المادة اللغوية . لو افردت في كتاب لجاء في نصف « النهاية »

---

(١) جامع الاصول ١/٦٤ — ٦٧ .

(٢) راجع الجزء الرابع ، صفحات ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، وقال المحقق في الموضع الأول ، عن الحديث المشروح : « سقط غريبه والثلاثة الذين بعده في محله سهوا ، استدركناه هنا لقربه » .

ويختلف منهج ابن الاثير ، في شرحه للغريب ، في هذا الكتاب عن منهجه في « النهاية» فهو في « النهاية» يوجز القول ايجازا ، على حين نراه هنا يتوسع في الشرح ، وفي ذكر الروايات .

واضرب لذلك مثلا بما ذكره في شرح حديث : « وكان منها اجادب امسكت الماء » (١) .

وكذلك الخلاف بين الافتراق والتفرق (٢) .

وما اورده في شرح حديث عائشة رضى الله عنها :« نصبت على باب حجرتي عباءة مقدمه من غزاة خيبر او تبوك ، فهتك العرض حتى وقع بالارض « . والخلاف في « العرض » هل هو بالصاد المهملة ، او بالضاد المعجمة (٣) .

وماذكره في حديث المسح على الخفين» فادرعهما ادراعا » (٤) .

وماذكره في شرح حديث الحيض : « خذي فرصة ممسكة فتطهري بها » (٥) .

ومنه ماورده في شرح حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، في امر الكعبة : « فرق لي رأى فيها » (٦) .

وماذكره في شرح حديث :« ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه » (٧)

وماورده في حديث اشراط الساعة : « ويلقى الشح » (٨) .

---

(١) جامع الأصول ٢٨٦/١ ، وقارن بما في النهاية ٢٤٣/١

(٢) جامع الاصول ٥٧٨/١ ، والنهاية ٤٣٩/٣ .

(٣) جامع الاصول ٨٠٦/٣، والنهاية ٢٠٨/٣ .

(٤) جامع الاصول ٧)٢٣٣، والنهاية ١٥٨/٢ .

(٥) جامع الاصول ٣٢٠/٧، والنهاية ٤٣١/٣ .

(٦) جامع الأصول ٣٠٠/٩، والنهاية ٤٤٠/٣ .

(٧) جامع الأصول ٥٤١/٩، والنهاية ١٢٣/٣ .

(٨) ٤٠٩/١٠ ، واللهاية ٢٦٨/٤

وفي حديث الصراط : « ومنهم مكدوس في النار » (١) .

وفي حديث عائشة ، رضى الله عنها ، وذكرت نساء الانصار : « عمدن الى حجور او حجوز ، فشققنهن فاتخذنهن خمرا » (٢) .

ففي كل هذه الامثلة ، ترى توسعا وبسطا في الشرح ، في جامع الاصول ، وترى وجازة واختصاراً في النهاية .

ومع ان ابن الأثير ، رحمه الله ، قد شرط في مقدمته الا يكرر شرح الكلمات الغريبة ، اعتماداً على ماسبق ذكره ، فانه كرر شرح بعض الكلمات كثيراً ، ولعل ذلك لطول الكلام بين الموضوعين ، كما ذكر رحمه الله . ومن ذلك كلمات :

«قسط واقسط ، والاوثان ، والعجوة ، والعير ، وآنفاً ، والعقال ، والاريكة ، والوسادة وبني باهله ، ونشدتك الله ، واملا ، والظعينة ، وعنبة طافية ، والراحلة ، ووهم ، والسرية والسرايا ، والموجدة ، والخلة ، والثياب المعافرية ، والموجدة ، والاقط ، والداجن ، والثوب القطري ، والتحرج ، والدباء ، وأوجب ، والاحتباء . وقوله صلى الله عليه وسلم : ان من البيان لسحرا» .

* * *

ولم يقف ابن الأثير عند حدود الشرح اللغوي للفظ الغريب ، بل عمد إلى شرح المعاني ، واشار إلى اختلاف العلماء في الاحكام :

ومن هذا شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم : «من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد اخطأ» . وقد اورد ابن الأثير على هذا الحديث كلاماً جيداً (٣) .

(١) جامع الاصول ١/٤٥٤ ، والنهاية ٤/١٥٥ .
(٢) جامع الاصول ١٠/٦٤٤ ، والنهاية ١/٣٤٤ .
(٣) جامع الاصول ٢/٣ – ٦ .

وماذكره في شرح قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» (١) . والكلام الذي قاله ابن الأثير حول هذا الحديث ، عال سديد .

هذا ، وقد ذكر ابن الأثير ، رحمه الله ، شرحاً طيباً ، لقول الله تعالى ، فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الصوم لي وانا اجزى به» .

وقد عزى ابن الاثير هذا الشرح للامير مجاهد الدين قايماز بن عبد الله ، ثم افاد ان هذا الفهم لمعنى الحديث مما انفرد به ذلك الامير ، وانه لم يقع لاحد قبله .

واني استجيز لنفسي ان انقل كلامه كله — مع طوله — لما فيه من الفائدة والغرابة .

قال رحمه الله :

«انما خص الصوم ، والجزاء عليه ، بنفسه عز وجل ، وان كانت العبادات كلها له ، وجزاؤها منه ، لان جميع العبادات التي يتقرب بها العباد إلى الله عز وجل ، من صلاة ، وحج ، وصدقة ، وتبتل ، واعتكاف ، ودعاء ، وقربان ، وهدى ، وغير ذلك من انواع العبادات ، قد عبد المشركون بها آلهتهم ، وما كانوا يتخذونه من دون الله اندادا ، ولم يسمع ان طائفة من طوائف المشركين في الازمان القديمة عبدت الهتها بالصوم ، ولاتقربت اليها به ، ولادانتها به ، ولاعرف الصوم في العبادات الا من جهة الشرائع فلذلك قال الله عز وجل : «الصوم لي» . اي لم يشاركني فيه احد ، ولاعبد به غيري ، فانا حينئذ اجزى به على قدر اختصاصه بي ، وانا اتولى الجزاء عليه بنفسي ، لاأكلُه إلى احد (غيري) من ملك مقرب ، او غيره .

---

(١) جامع الاصول ١١/٣٢٠ — ٣٣٤ .

ثم قال : وقد ذكر العلماء في معنى هذا الحديث ، وجوهاً من التأويل، لاتداني هذا القول ، ولاتقاربه ، اذ مامن قول منها الا وباقي العبادات تشاركه فيه . وهذا القول اخبرني به الامير مجاهد الدين ابو منصور قايماز بن عبد الله — ادام الله سعادته — وذكر انه مما وقع له ابتكاراً ، ولم يسمعه من احد، ولا وقف عليه في كتاب ، ولم اسمعه انا من غيره ، ولقد اصاب فيما وقع له ، واحسن ، وفقه الله بعرفانه» (١) .

هذا كلام ابن الأثير ، وهو رحمه الله غير متّهم في دينه وورعه ، ولم يعرف عنه انه كان يصانع الحكام ، او يتقرب اليهم ، فقوله هذا ، ونقله عن الامير مجاهد الدين ، مرضي ومقبول ، ان شاء الله .

والامير مجاهد الدين هذا : هو ابو منصور قايماز بن عبد الله الزيني ، تولى نيابة الحكم لسيف الدين غازي ، بالموصل ، وكان كثير الخير والصلاح ، وكان ابن الأثير كاتبه ومنشئ الرسائل عنه إلى الملوك . توفي سنة (٥٩٥) (٢) .

ولم يخل ابن الاثير كتابه من بعض مسائل النحو والصرف، على عادته في كل مصنفاته (٣).

وتتجلى امانة ابن الاثير العلمية، فيما اورده في شرح حديث الاستسقاء وقول الاعرابي: «فألف الله بين السحاب وملاءتنا» .

قال رحمه الله: «الذي جاء في كتاب الحميدي: «ملاءتنا» ، وفي كتاب مسلم: «ملتنا» ،ولم يتعرض الحميدي في غريبه لشرحها، والذي جاء في كتاب رزين: «هلتنا» يعني السحاب ،وهو اقرب إلى المعنى. والله اعلم».

(١) جامع الاصول ٤٥٣/٩، ويلاحظ ان ابن الاثير ، قد ذكر هذا الرأي في توجيه الحديث ، في النهاية ٢٧٠/١، ولم يعزه إلى أحد . بل قال : « واحسن ماسمعت في تأويل هذا الحديث الـ. وذكر ما ذكر .

(٢) وفيات الاعيان ٨٣/٤ .

(٣) انظر مثلا : جامع الاصول ٣٦٢/٢، ٢٣٧/٨، ١٢٣/٩ .

ثم قال: «وهذه اللفضة لم تجيء الا في رواية مسلم، و« اعرف معناها، ونحن نرويها كما سمعناها، إلى ان نعرف لها معنى» (١)

موارد ابن الاثير قي الكتاب :

هي نفس الموارد التي تراها في كتابيه: النهاية، والمنال، وقد نقلت لك قريبا كلامه عن العلماء الذين افاد منهم، ونقل عنهم، ويظهر في هذا الكتاب تعويله على الخطابي وحكايته عنه كثيرا، وكذلك الحميدي، ونقل عنه نقلا عزيزا ،في جمع فعلة –بكسر الفاء– على افعلاء وذكر انه لم يعرفه، ولم يجده في كتب اللغة والنحو (٢).

غير اننا نجد ابن الاثير في هذا الكتاب، ينقل عن بعض العلماء الذين لم ينقل عنهم في النهاية ،مثل الميداني، صاحب الامثال (٣).

هذا، وقد جرى ابن الاثير في الجامع، على ما جرى عليه في النهاية من الابهام في بعض المواضع، وعدم التصريح بذكر من ينقل عنهم، كقوله، «رأيت بعض اكابر العلماء» .«وقال بعضم» (٤).

---

(١) جامع الاصول ٢٠٤/٦ .

(٢) جامع الاصول ١٢٣/١٩ (حديث فضل ام المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها) .

(٣) جامع ٦٧/٩ ، وقارن بما في النهاية ٢٧/٤ .

(٤) جامع الاصول ٣٩٣/٥، ٥٠٢/٧ ، وقد اورد في الموضع الأول ، كلاما نفيسا ، عن هذا الذي لم يصرح باسمه من اكابرا العلماء ، في شرح حديث : « اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقويتك » .

الشافي في شرح مسند الشافعي

وهذا هو الكتاب الرابع من كتب ابن الاثير الذي عني فيه بغريب الحديث .

والكتاب لايزال مخطوطا. وقد قال في مقدمته ،فيما قال :

«ثم أنا بعد ذكر الاسانيد والروايات ،نشرع في ذكر مافي الحديث ، مما تدعو الحاجة إلى بيانه، وجرت العادة بشرح مايتعلق به من اسناد، ورجال ، وغريب ،ولغة، ونحو، واعراب، وتصريف، واشتقاق، ومعنى ، وفقه، واصول فقه، وعلم كلام، واصول حديث .... «إلى اخر ماقال (١) .

وبعد:

فارجو ان اكون قد وفقت فيما قصدت اليه من الابانة عن جهود ابن الاثير، في شرح غريب الحديث، والكشف عن موارده ،واثره في الخالفين. والحمدلله فاتحة كل خير، وتمام كل نعمة.

٧ من ذي القعدة ١٤٠١هـ

٥ من سبتمبر ١٩٨١م.

---

(١)الشافعي ، ورقة ٦ .

مصادر ومراجع البحث

١. اساس البلاغة للزمخشري. دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٧٢م.

٢. الاعلام، للاستاذ خير الدين الزركلي. الطبعة الرابعة — دار العلم للملايين — بيروت ١٩٧٩ .

٣. الامثال ،لابي عبيد القاسم بن سلام. تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش — مركز البحث العلمي والتراث الاسلامي بكلية الشريعة — مكة المكرمة ١٤٠٠=١٩٨٠

٤. ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. لاسماعيل باشا البغدادي. استانبول ١٩٤٥م.

٥. برنامج الوادي آشي . تحقيق محمد محفوظ. دار الغرب الاسلامي. بيروت ١٤٠٠=١٩٨٠م.

٦. بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد .للقاضي عياض. تحقيق صلاح الدين بن احمد الادلبي ، ومحمد الحسن اجانف ، ومحمد عبد السلام الشرقاوي — الرباط بالمغرب الاقصى ١٣٩٥=١٩٧٥م.

٧. بغية الوعاة، للسيوطي. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. عيسى الحلبي. القاهرة ١٩٦٤م.

٨. تاريخ الادب العربي. لبروكلمان. الطبعة الالمانية.

٩. تفسير القرطبي. دار الكتب المصرية. القاهرة ١٣٧٢.

١٠. جامع الاصول. لابن الاثير. تحقيق الشيخ عبد القادر الارناؤوط . دمشق ١٣٨٩=١٩٦٩م.

١١. جمهرة الامثال لابي هلال العسكري .تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، والدكتور عبد المجيد قطامش المؤسسة العربية الحديثة — القاهرة ١٣٨٤=١٩٦٤م.

١٢. الدر النثير تلخيص نهاية ابن الاثير. للسيوطي. طبع بهامش النهاية. العثمانية .القاهرة ١٣١١

١٣. الروض الانف للسهيلي. الجمالية. القاهرة ١٣٣٢=١٩١٤م.
١٤. الشافي في شرح مسند الشافعي. لمجد الدين بن الاثير. مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٣٠٦ حديث.
١٥. شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك. تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد. الطبعة الخامسة عشرة. دار الفكر بيروت ١٣٩٢= ١٩٧٢م، مصورة عن طبعة السعادة بالقاهرة.
١٦. شرح النووي على صحيح مسلم. المطبعة المصرية القاهرة ١٩٢٩م.
١٧. الصحاح للجوهري. تحقيق احمد عبد الغفور عطار. دار الكتاب العربي. القاهرة ١٩٥٦م.
١٨. صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. عيسى البابي الحلبي. القاهرة ١٣٧٤.
١٩. طبقات الشافعية الكبرى. لابن السبكي. تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو والدكتور محمود محمد الطناحي. عيسى البابي الحلبي. القاهرة ١٣٨٣=١٩٦٤م
٢٠. عقود الجمان في شعراء هذا الزمان. لابن الشعار الموصلي. مخطوطة بمكتبة اسعد افندي باستانبول. ومنها صورة بمعهد المخطوطات برقم (٣٣٩) تاريخ
٢١. غريب الحديث للخطابي. مخطوطة المكتبة السليمانية، ورجعت إلى مصورة منها بمركز البحث العلمي. بكلية الشريعة ــ مكة المكرمة.
٢٢. غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام. تصحيح محمد عظيم الدين. ومراجعة الدكتور محمد عبد المعيد خان ــ حيدر آباد الدكن. الهند ١٣٨٤=١٩٦٤م.
٢٣. غريب الحديث لابن قتيبة. تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري. وزارة الاوقاف ــ بغداد ١٣٩٧=١٩٧٧م.

٢٤. الغريبين (غريبي القرآن والحديث) تحقيق الدكتور محمود محمدالطناحي
المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية . القاهرة ١٣٩٠
٢٥. الفائق في غريب الحديث للزمخشري وتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم،
ومحمد علي البجاوي . عيسى البابي الحلبي . الطبعة الثانية ١٩٧١م.
٢٦. القاموس المحيط . للفيروز ابادى . المطبعة الحسينية المصرية . القاهرة
١٣٤٤ .
٢٧. الكشاف عن حقائق التنزيل . للزمخشري . المطبعة الاميرية بالقاهرة
١٣١٨ .
٢٨. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون . للحاج خليفة . استانبول
١٩٤١م
٢٩. لسان العرب . لابن منظور . المطبعة الاميرية . بولاق . القاهرة١٣٠٠
٣٠. مجمع الامثال . للميداني . تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.
مطبعة السنة المحمدية . القاهرة ١٣٧٤=١٩٥٥م .
٣١. مسند احمد بن حنبل القاهرة ١٣١٣
٣٢. المصباح المنير في الشرح الكبير للفيومي . تصحيح مصطفى السقا .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي . القاهرة ١٣٦٩=١٩٥٠م
٣٣. معجم الادباء . لياقوت الحموي . دار المأمون . القاهرة١٩٣٦م .
٣٤. معجم مقاييس اللغة لابن فارس . تحقيق استاذنا عبد السلام محمد
هارون . عيسى البابي الحلبي . القاهرة ١٣٦٦ .
٣٥. معرفة علوم الحديث . للحاكم النيسابورى . تصحيح الدكتور السيد
معظم حسين .
المكتب التجاري للطباعة . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٧٧م
٣٦. المغيث في غريب القرآن والحديث . لابي موسى المديني الاصبهاني
مخطوطة بمكتبة فيض الله افندي باستانبول . ورجعت الى صورة

منها بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم (٥٠٠ حديث) .
- مقاييس اللغة = معجم مقاييس اللغة .
٣٧. منال الطالب في شرح طوال الغرائب . لمجد الدين بن الاثير . تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي . نشر مركز البحث العلمي والتراث الاسلامي بمكة المكرمة ١٤٠٠ = ١٩٨٠م
٣٨. نفح الطيب للمقرى . تحقيق الدكتور احسان عباس . دار صادر - بيروت ١٣٨٨ = ١٩٦٨م
٣٩. النهاية في غريب الحديث والاثر . لمجد الدين بن الاثير . تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي . عيسى البابي الحلبي . القاهرة ١٣٨٣ = ١٩٦٣م
٤٠. هدية العارفين . لاسماعيل باشا البغدادي . استانبول ١٩٥١م .
٤١. وفيات الاعيان . لابن خلكان . تحقيق الدكتور احسان عباس . دار صادر - بيروت ١٣٩٨ = ١٩٧٨م

ملخص عن مخطوطة فريدة للجزء الثاني من
ديوان رسائل ضياء الدين بن الاثير

اعـــداد
الاستاذ هلال ناجي

ملخص عن مخطوطة فريدة للجزء الثاني من

ديوان رسائل ضياء الدين بن الاثير

حديث عن المخطوطة :

مخطوطة هذه الرسائل التي ننشرها اليوم أول مرة ، محفوظ أصلها الفريد في مكتبة يافت بالجامعة الامريكية في بيروت تحت رقم MS89 – 2 – 76062 FAV.Z كانت من كتب ابي بكر بن رستم بن احمد الشيرواني وعليها تملك باسمه . وعدة اوراقها ١١٥ ورقة (٣٢٠ صحيفة) معدل سطور الصحيفة الواحدة ١٥ سطرا ، وفيها سقط واحد بين الصحيفتين ٢٢و ٢٣ ذهبت به بقية الرسالة السابعة واول الثامنة .

وقد كتب على الصحيفة الاولى بخط مختلف عبارة « الجزء الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين » . وكتب على الورقة ١١٥ بخط مماثل لخط الاصل عبارة :« تم الجزء الثاني من ترسل المولى الصاحب ضياء الدين رحمه الله بتاريخ غرة صفر من سنة ست وخمسين وستمائة » . ويليها محو وبعده عبارة « كتاب كتبه الى بعض غلمانه وقد ارسل على يده كتابا فغرق في الفرات » ويتلوها بعد ذلك تحميد هذا نصه « والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ».

ويغلب على الظن ان عبارة « كتاب كتبه الى بعض غلمانه ... الخ» تخص الجزء الثالث من ديوان رسائله ، وادرجها الناسخ هنا سهوا ، وان في موضع المحو بداية الجزء الثالث .

وعلى الرغم من اثبات اسم المصنف في آخر المخطوط بخط مماثل للاصل ، فان مقتضيات البحث العلمي كانت توجب التثبت من صحة نسبته اليه . ان دراسة النص من الداخل انتهت بي الى الجزم بان هذا المخطوط

هو جزء من ديوان رسائل ضياء الدين بن الاثير الذي اكد ابن خلكان انه يقع في عدة مجلدات والادلة على ذلك كثيرة منها :

١. ان استقراء مناسبات هذه الرسائل يرسم لنا صورة للحياة السياسية والاجتماعية والادبية التي عاشها ضياء الدين ابن الأثير ، وهي صورة لاتختلط بغيرها من حيث الشخوص والاحداث والمضامين ، وتقطع بنسبة هذه الرسائل اليه .

٢. ممايعزز نسبة هذا المخطوط لضياء الدين بن الاثير الرسالة المرقمة ٤١ وقد كتبها الى اخيه مجد الدين ابي السعادات يعزيه بسقط .
ومعلوم ان المحدّث الكبير مجد الدين بن الاثير هو الاخ الاكبر لضياء الديـن .

٣. من الادلة القاطعة ان نقولاً من هذه الرسائل قد اثبتها ابن الاثير في كتابه الشهير « المثل السائر» ونسبها فيه لنفسه صراحة ، فمن ذلك :

أ ــ قطعة من الرسالة رقم ٤٠ وهي تقليد بولاية مدينة دمشق ، صرح ابن الاثير بنسبتها لنفسه في المثل السائر ٣/١١٠ ــ ١١١ .

ب ــ قطعة من الرسالة رقم ١٤ في وصف البرد ، صرح ابن الاثير بنسبتها لنفسه في المثل السائر ٣/٧٩ .

٤. ان الرسائل المرقمات ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥ موجودة في نشرة (القيسي ــ هلال) الثابتة النسبة الى ضياء الدين بن الاثير والتي لايثور شك في انها جزء من ديوان رسائله .

وهذه الادلة في مجموعتها تقطع كل شك ، وترد كل شبهه في صحة نسبة المخطوطة الى ضياء الدين بن الاثير .

وقد كانت في الاصل المخطوط بياضات قليلة في بعض المواضع أشرنا اليها والى مقاديرها في مواضعها من نشرتنا هذه ، كما كانت هنالك كلمات نادرة مبهمة اشرنا اليها في مواضعها .

ولقد اعتمدنا في تحقيق هذا المخطوط الفريد . القواعد التي جرينا عليها في تحقيقاتنا السابقة والمؤتلفة مع قواعد تحقيق النصوص التي وضعتها لجنة « وضع قواعد تحقيق التراث» المنعقدة في بغداد في أيار من عام ١٩٨٠ باشراف واختيار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وكان المحقق من اعضائها .

وتضم المخطوطة خمسا وخمسين رسالة من انشاء ضياء الدين بن الاثير ، ورسالة واحدة من انشاء الملك الافضل .

وليس في المجموعة التي نشرها الاستاذ انيس المقدسي بعنوان رسائل ابن الاثير - في بيروت عام ١٩٥٩ اية رسالة منها .

غير ان المجموعة التي نشرتها بمشاركة الدكتور نوري القيسي من رسائل ابن الاثير تلتقي مع مجموعتنا هذه في خمس رسائل فقط .

ان استقلال كل مجموعة من هذه المجاميع الثلاث عن بعضها ، وعدم تكرر الرسائل بينها - الا في النادر - لايمكن ان يأتي اعتباطاً او محض صدفة ، وهو يقودنا إلى استنتاج حقيقة بالغة الاهمية هي : ان هذه المجاميع الثلاث تمثل ثلاث مجلدات متفرقة من ديوان رسائل ابن الأثير الذي ذكر مترجموه انه في عدة مجلدات .

ولعل الزمن يكشف عن اجزاء مازالت طي الخبيء المجهول من مخطوطاتنا العربية المتناثرة عبر العالم .

تضيف رسائل هذه المخطوطة اشياء كثيرة إلى جوانب من تاريخنا وادبنا ، وتلقي اضواء على زوايا غامضة او غير معروفة فيها .

ففي الجانب التاريخي مثلا تؤرخ الرسائل ١٠و١١ و١٢ للصحيفة الاخيرة من الصراع بين الملكين الافضل والعادل الايوبيين ، بعد استقرار الافضل في سميساط وهي صحيفة مجهولة لفقدان وثائقها . ولكن مجموعتنا هذه تقدم - وللمرة الاولى - الرسائل المؤرخة لها والتي تنفرد بحفظها .

كما تؤرخ الرسالة ١٥ صحيفة من صحائف الصراع الذي دار بين حكام الموصل وحكام الجزيرة عام ستمائة هجرية .

وتكشف الرسالة ٥٠ جانباً من العلاقات بين حاكم سنجار علاء الدين محمود بن مجاهد الدين العمادي ، والسلطان الاشرف الايوبي .

وتصوب الرسالة السادسة وَهْماً وقع فيه بعض مترجمي مجاهد الدين قايماز حاكم الموصل ، اذ ذكرت تلك المصادر انه مات في سجنه ، وهو وهم جَلَتْهُ هذه الرسالة واكدت انه قد اطلق سراحه واعيد إلى مناصبه بعد ان تكشفت براءته . وتكشف الرسالة الرابعة والثلاثون امراً بالغ الاهمية تم عام ٦٠٨هـ وهو اعلان الطائفة الاسماعيلية المعتصمة بحصون الموت من بلاد العجم اسلامها وانتهاء الصراع بينها وبين الدولة العباسية .

وتؤكد الرسائل المرقمات ١٧ و١٩ و٢١ و٢٢ و٣٨ و٤٤ و٤٧ ، نزعة الخير عند ابن الأثير ، وحبه المعروف ، وعمق انسانيته ، في تشفعه للناس رداً لما لحقهم من مظالم ، او انصافاً لهم من زمنهم ، او درءاً للعوز عن بعضهم .

واذا كانت رسائل الوصف في الادب العربي قليلة عموماً ، فان هذه المخطوطة تقدم في الرسالتين المرقمتين ٣٥ و٣٦ نماذج قلمية نثرية رائعة ترقى إلى اجود ماحفظه لنا الادب العربي من رسائل الوصف . واذا كان وصفه للبستان والدار والروض والازهار له نظائر في النثر العربي القديم ، الا ان وصفه للشطرنج عجيب في بابه وينم عن اصالة وبلاغة وتفرد في ابتكار المعاني والاوصاف والتشبيهات ، فمما قاله في الشطرنج: «ومما حضرنا بعد ذلك انه جيء بلعبة عجماء للناس بها غرام ، وهي جديدة لديهم على قدم الايام ، ومما توصف به انها حلال واخوها حرام . وقد وضعت على ارض استوت طولا وعرضاً ، وسوّيت جوانبها فلا رفعاً ولا عرضاً ، وبها فريقان من خيل ورجل قد اختلفا شعاراً ، كما اختلفا نجاراً ، وسواء لديهم الحرب ليلا ونهاراً ، وما منهم الا من يحمل على

قرنه حمل الشجاع ، ولايفر لخوف القتل ولايمل لتعب القراع . ومن شأنهم ان يقاتلوا بلا سلاح ، ولايرضوا من الغنيمة الا بالارواح ، فقتلاهم لاتوارى في القبور ، ولاتترك طعاماً للثعالب ولا للنسور ، لكن لها في كل ساعة قتل ونشور . ومن اعجب مافيهم انهم يركضون من غير عثار ، ولا اثارة غبار ، وكلما اخمدت لهم نار حرب عادوا إلى اشعال تلك النار.»

ارأيت إلى هذه اللوحة الفنية التي صيرت لعبة الشطرنج ساحة قتال، ثم انعطفت تقارن وتوازن لتصل إلى ادق الفروق والمفارقات .

وبمثل هذه القدرة الابداعية وصف ابن الأثير فصل الشتاء اثناء مسيره رسولا عن الملك الافضل إلى صاحب الروم من حصن سميساط فذكر : «انه سار عن الخدْمة في يوم ضرب الغيث فيه مضاربه ، واسبل عليه ذوائبه ، وجعل كل ربوة حفيراً ، وكل قرارة غديراً ، وخط بكل ارض خطاً ، وغادر كل جانب شطاً» حتى قال : «ثم استمر المملوك في مسيره يقاسي الارض ووحلها ، والسماء ووبلها ، ولقد جاد حتى اكثر، وواصل حتى اضجر ، واسرف حتى التحق بره بالعقوق ، وماكان المملوك ليخاف لمع البوارق كما خاف لمع البروق ، فلم يزل من مواقع نظره في حرب ، ومن شدة برده في كرب .

وكتابه هذا صدر في مدينة «ملطية» وهي اول بلاد الروم مقاماً ، ولم يمض عليه الا ثلاثة ايام وكل يوم يجن عاماً . لكن شوقه قد انتهى إلى مداه ، وتمكنت من القلب يداه ... ولايقابل نار شوقه في ايقاد ضرمها، واشتداد المها ، الا مايجده من البرد الذي الحق الحيوان بالجماد ، وفعل في باطن القلوب مافعله في ظاهر الاجساد . فهو من ملابسة هذين الحالين في جانبي اضرار ، وليس شبيهه الا الملك الذي نصفه من ثلج ونصفه من نار . ومن صفات هذا البرد انه يعقد الدر في خلفه ، والدمع في طرفه . ولربما تعدى إلى قليب الخاطر فأجنّه ان يجري بوصفه ، فالشمس في قيده مأسورة ، والنار بقرّه مقرورة ، والارض شهباء الا انها حولية لم

ترض . ومسيلات الجبال أنهار الا انها جامدة لم تخض ، والثلج قد ملأ الفضاء ، وابرز الموت الاحمر في صورة بيضاء ... وهناك لوحات فنية اخرى في الشيب وفي الورد وفي القلم وغير ذلك .

وتجلو المخطوطة في بعض رسائلها جوانب من صلات ابن الاثير باعلام عصره كالقاضي المؤرخ بهاء الدين ابن شداد رفيق السلطان صلاح الدين الايوبي ومصنف كتاب «النوادر السلطانية(١)» ،وكتاج الدين الكندي الذي انتهى اليه علم النحو واللغة والقراءات في زمنه (٢)، وكالامير سيف الدين محمد بن تميرك(٣) ،وسواهم .كما تكشف الرسالة ٤٣ عن ابن عم له اسمه شمس الدين علي كان كاتبا للسلطان القاهر عز الدين مسعود صاحب الموصل عام ٦١٢هـ. وشمس الدين علي هذا هو ذاته الشمس علي بن احمد الذي ذكر في نشرة المقدسي ص٢٦٠ ولابن الاثير رسالة في ذمّه.

والرسالة التاسعة في هذا المخطوط انموذج رائع للعدل وخيفة الله وتوخي الحاكم التخفيف عن الرعية، وهي جديرة بالوقوف عندها لانها تجسّد اهتمام الحاكم بالشعب ايام الافضل بن صلاح الدين الايوبي .

وجوهر هذه الرسالة «توقيع» اصدره الملك الافضل بالغاء المكوس في مملكة دمشق والتوقيع في تلك الايام يقابل مانسميه بمرسوم جمهوري في زمننا هذا .

فمما جاء في هذا التوقيع قوله: «لما عرضت علينا المكوس بدمشق المحروسة وجدناها تخفف موازين الاعمال، وان كانت تثقل موازين الاموال، وعلمنا انها لاتربو عند الله وان ربت عند الناس، وصاحبها وان أثْرَتْ منها يده فهو في عدم ذوى الافلاس، ولاخير فيما يبقى أصرا على حامليه، ويفتقر في الدنيا إلى عاملين لحسابه وهو في الآخرة حساب على عامليه.

وكما يسود صحائف الدواوين باثبات اقلامه، فكذلك يسود صحائف السيئات باثبات آثامه. وقد أمرنا بمحو رسمه ، وازالة اسمه ، وان يبدل عرفه

---

(١) انظر الرسالتين ١٨ و٢٢ .

(٢) انظر الرسالة الثانية .

(٣) انظر الرسالتين ٤٨ و٤٩ .

بالانكار، ويتوقى ذكره توقي الاعمار، وينسخ كما نسخت «البقرة» وآل عمران» عفت الديار.

حتى قال: «ولامنة لنا على الرعايا برفع ظلامة إن رفعت كان لنا اجرها، وان تركت كان علينا وزرها. «يمنون عليك ان اسلموا، قل لاتمنوا علي اسلامكم، بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان».

وقد اجزل الله لنا العطاء من نعمه التي تضطرب في طولها وعرضها، ووهب لنا الدنيا افلا نشتري نفوسنا ببعضها ؟!، ومن اخسر صفقة ممن ترك تجارة اخراه الخالدة، ورغب في عاجلة اولاه البائدة ... الخ.

وإلى جانب هذا التوقيع الفريد في بابه، تنهض الرسالة الاربعون في المخطوطة دستوراً اسلاميا رفيعا في توجيه الولاة عند توليتهم. وماحسبني ظفرت بمثلها في كل تقاليد الولاة، بل هي تعيد إلى الاذهان عهود خلفائنا العظام إلى ولاتهم وقضاتهم كعهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إن ابي موسى الاشعري، وعهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - إلى النخعي.

وهذه الرسالة في واقعها تقليد كتبه ابن الاثير عن ديوان الملك الافضل عيّن أحدهم بموجبه واليا على دمشق، والافضل في هذا التقليد يرسم للوالي معالم الطريق ويلزمه بجملة وصايا.

والمنشئ يحس منذ البداية انه يشق دربا جديدة في فن التقليدات، ويسن سنة لم تطرق فيقول:

«كانت التقليدات تفتح بكلام ليس بذى شأن، ولايجتنى من افنان، ولايوضع في ميزان، وغاية مايقال: هذا ماعهد فلان إلى فلان، وتلك فاتحة لم تكن جديدة فتخاق بتطاول الايام، ولاحسنة النظم فتضاهى بمثلها من النظام».

ولقد تحدث في صدر التقليد بعد التحميد عن مصاعب الامرة فقال:

«فأن الامرة وان درت اخلافها، وطاب مرتبعها ومصطافها، فانها مرة الفطام، كثيرة الآثام، تصبح غدا وهي لصاحبها خصيمة واليه ذميمة، والسعيد من اذا جاءته اتخذ التقوى عليها ظهيرا، وقال بالقول النبوي (افلحت ياقديم ان لم تكن اميرا)

ثم ينتقل إلى امتداح الوالي فيقول: ولولا انك من الرجال الذين سلمت فطرته صغيرا، وهذبته الرياضة كبيرا، لأمرناك ان تمشي على السنن، وان تأخذ بالحسن وان تستجن بمخافة الله التي هي من اوقى الجنن ، فمن ذلك ان تلزم نفسك اناة ولسانك صدقا، وقلبك خشية ويدك رفقا، واذا غضبت فلاتكن في القول فاحشا، واذا قدرت فلاتكن بالقدرة باطشا،وان تلبس للناس هيئة من غض التواضع طرفه ،لاهيئة من لوى التكبر عطفه، وان تخالق السنة المطلوبة، وتقوم بقضاء حقوقه عليك وهي خمسة مكتوبة. حتى قال: وهذه الوصايا قد كنا نوردها على سواك، ونعلم ان هواه غير مأمون عليه وانت مأمون على هواك، وقد صرفناها عن سمعك، ورفعناك عنها، وانت حقيق برفعك. إلى ان قال :

واول مانأمرك به ان تجعل بابك مسلوكا، وحجابك متروكا ، وان تجلس للخصوم جلوسا لايشان بملل ولاعجل ، وتستمع إلى اقوالهم استماعا يرويهم من العلل بعد النهل ... وان تسوّي في الحكام بين بعيدك وقريبك، وبغيضك وحبيبك، حتى لايمتاز ذو الفاقة من ذوي اليسار، ولا الاجانب عن ذوي الشركة في لحمة النجار، وهذا مقام زلت عنه رواسخ الاقدام، ولايملك المرء فيه قلبه فان ملك القلوب غير ملك الاجسام. ثم قال: واذا رفعت اليك الظلامات فنقب فيها عن الباطن والظاهر ، ولاتقض للاول حتى تسمع من الآخر، فكثيرا مايصرّى الضرع في مثل ذلك حتى يظن حافلا ، ويقال هذا صاحب حق ثم لم يلبث حقه ان يعود باطلا. ولاتزال الريبة الا أن يستبرىء شهادة واقرارا، وتأنى في فَصْلها احتياطاً واستظهاراً. وهذه الكلمات على ايجازها تمثل ارقى ماوصلت اليه قواعد العدالة في زمنناهذا.

وفي التخويف من هدر الدماء يمضي إلى القول : وقد جعل الله الانسان من اشرف خلقه الذين كرمهم بفضله، ولم يجعله كغيره من الحيوان المعرض لذبحه وقتله، وقطرة الدم المراقة ظلما لاتزال تستغيث على مريقها ، وهي والكفرسيان في رفع المغفرة وانسداد طريقها ، قال النبي — صلعم (كل ذنب عسى الله ان يغفره الا الرجل يقتل مؤمنا، او الرجل يموت كافرا). فتأمل ماروويناه لك في هذا الخبر، واجعله منك مكان السمع والبصر، ولايحملك التعمق في السياسة على القاء نفسك في حفرة من الحفر، ومتى لاحت لك شبهة فاستمسك بها في درء الحدود وكن بالناس رؤوفاً رحيما لتقرّ بالزلفى من الرحيم الودود، وهب ان الجاني أساء في الاجترام، فما يجوز لك أنت أن تسيء في الانتقام.

ثم هو يقف عند اهل الذمة وقفة كلها انسانية وكلها احترام لحرية الاديان فيقول:

«ومن الرعية الذين تحت يدك اهل الذمة وهم قوم بذلوا الجزية فعصموا بها مياح الدماء والاموال ،فعليك بان تملي عليهم ظل المعدلة ، وتنزلهم حيث انزلهم الله ورسوله من المنزلة، وان تحفظ كلا منهم في نفسه وعرضه، ولاتحمله ثقلا يخف عليه حمل بعضه، وان تحفظ عليه عهده من النقض الا في سبب يحكم بنقضه، ومن احسان السيرة فيهم الاتطلب الجزية من راهب انقطع في صومعته، ولامن شيخ حال الضعف بينه وبين الانتفاع به كما حال بينه وبين منفعته»

وتتجلى روعة السماحة في هذا العهد (التقليد) حين نراه يحترم حرية الاديان ويسقط الضريبة عن المتفرغ لشؤون دينه من الرهبان المنقطعين او الشيوخ العاجزين عن الكسب، في وقت كانت اوربا فيه توغل في تعصبها الديني فتشن الغارات الصليبية وتشكل محاكم التفتيش — السيئة الصيت — في غير مكان.

ثم هو يجسد الالتفات والاهتمام بشؤون الفقراء والمعوزين من افراد شعبه بقوله: «وقد اجرينا على فقراء هذه البلدة صدقات تطوعنا ببذلها، واقررناها عند اهلها، ولم تكن لبسط يد في طلبها ولالتقدم نذر سبق منّابها، وخليقة التطوع تأبى ان تكون صادرة على اسباب، ونحن نخشى ان حبّنا للعطايا يخرجنا منها بغير ثواب. والذي نوصيك ان تجري هذه المكرمة مأدومة بالاعجال، محمية من كدر المطال، ولايطلع هلال شهر من الشهور الا وقد تردّد بها طلوع ذلك الهلال. فحال الفقراء ارقّ من ان يضيق الرزق عليهم بتعريفه، وهي كالثوب الخلق الذي يغلب صاحبه بتمزيقه، وصاحب العافية يغتر بالسهول والحزون، والدعة والسكون، ومن لم تظمأ كبده ولاجاعت بطنه لم يدر ماظمأ الأكباد وجوع البطون».

وكما تشرّع الحكومات الثورية في عصرنا هذا اقسى العقوبات لجريمة الرشوة باعتبارها داءً اجتماعيا وبيلا، فان الايوبيين قبل ثمانية قرون قد التفتوا إلى خطورة هذا الداء فوضعوا له الدواء، فنرى «الافضل» في عهده هذا يقرر مامثاله: «وهاهنا كبيرة هي من اعظم الكبائر، وقد فشت في الناس حتى صارت صغيرة من الصغائر، وذاك ان ولاة السوء قد الفوا تناول الرشوة التي تغير حكما، وتختم على القلوب ختما، وسماها الله سحتاً واثما، وانت يمنعك عنها دينك الذي هو عصمة امرك، وعلو نفسك الذي يقضي بعلو قدرك، ولكن ربما استنزل الهوى بعض أصحابك فملأ عينه، وحال بين الحق وبينه، فاحص على هؤلاء الانفاس عددا، واسلك بين ايديهم ومن خلفهم رصدا، وكن كالطائر الحذر الذي يظن ان كل شيء حجرا ويدا ...».

ثم هو يحث واليه على جباية الاموال من طرق الحلال فقط: «فليس بنا حاجة إلى استزادة المحصولات من غير معادنها، والتعرض إلى قاذوراتها في ملاعنها، فان الدرهم الحرام مرتعه إلى وخامة، وعقباه إلى ندامة، وجمعه إلى التكسير لاإلى السلامة، والكفاية ليست في الظلم الذي يأخذ الالوف

من موضع الآحاد، ويستأصل البطون الناتجة قبل الميلاد. ولايظن ظان انه يَتَحَبَب الينا بتحصيل المال من وجوه الطاعة، وحصده من الارض التي ليست بذات زراعة، وانه يراجعنا فيه مراجعة من يقول: كلمة الشيخ مطاعة، فنحن مانريد الاموال الا لنفيضها على ايدينا التي هي كالبحور، وليست عندنا من الذخائر التي تكوى بها الجباه والجنوب والظهور».

وبعد: فان التقليد المذكور جدير ان تفرد له دراسة خاصة، تجلو الفاظه وتجتلي معانيه، وتوضح سننه ومقاصده، وتكشف اصالته وسبقه، ومدى اتصال وصاياه بجوهر الاسلام الحنيف، ومدى زيادته في عصره وفي العصور التي تلته.

وهو جانب واحد من جوانب جمة تزخر بها هذه المخطوطة، يؤكد اهمية نشرها وبعثها.

وبعد: فَعَلَيَّ في هذا الكتاب فضلان : فضل الباحثة الجليلة الأدبية العربية الكبيرة الدكتورة ثريا عبد الفتاح ملحس، التي تكرمت مشكورة فبذلت من جهدها ووقتها في تصوير مخطوطة هذه الرسائل الفريدة وابرادها هدية منها على الأين، في وقت تئن فيه بيروت بما ينظر له القلب وتسحّ له العين، مايجعلني عاجزا عن ايفاء مالها عليّ من يدٍ ودين.

وفضل الاخ الجليل الدكتور محمد السعيد رئيس جامعة الموصل الذي تبنى نشر هذا الكتاب ضمن مطبوعات ندوة ابناء الاثير، هو وصحبه الميامين اعضاء اللجنة التحضيرية للندوة وفي مقدمتهم الدكتور خضر جاسم عميد كلية الاداب في جامعة الموصل. فلهم جميعا فضل الشاكر الذاكر المعتز بثقتهم الغالية .وبعد: فأني اسأل الله — تعالى — أن يمدني بعون من عنده لمواصلة نشر فرائد تراث هذه الامة العربية رافعة النبراس، التي شهد الله لها في قرآنه العظيم بانها (خير امة اخرجت للناس) . والحمد لله على ماأنعم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هلال ناجي
الاعظمية صندوق البريد ٤٠٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مع «المرصع»

في الآباء والامهات والبنين والبنات والاذواء والذوات

لمجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الاثير (١)

د. ابراهيم السامرائي

اذا كان «النهاية في غريب الحديث والاثر» قد عرّف بمجد الدين وخلد اسمه مع اخويه الشهيرين ، فان كتاب «المرصع »ليضفي عليهصفات اخرى هي جملة مايحتاج اليه اللغوى الضليع من العلم اللغوى بالعربية معاني وابنية ودلالات خاصة ،ومن العلم باشتات مفيدة تتصل بالانسان وعاداته وسلوكه وعلاقته بالبيئة .

وقد يبدو هذا الذي اثبته غريبا على الصفوة القليلة من الدارسين لهذا الكتاب الذين انتهوا الى انه معجم خاص يشتمل على فوائد معينة يضبطها نهج معين سار عليه مجد الدين بن الاثير . اقول : لو ان هذا النفر القليل ممن عرف الكتاب قد سبر الغور ولم النظر لانتهى الى شيء مما ذهبت اليه،ولركن بعد طول المسيرة الى كنف الحقيقة العلمية في هذا السفر العظيم.

(١) انظر ترجمته في (١) بغية الوعاة للسيوطي ٢٨٥ — ٢٨٦ .
(٢) وفيات الاعيان لابن خلكان ٤٤١/١ (ط. محمد محيي الدين عبدالحميد)
(٣) الكامل لابن الأثير ١١٣/١٢ .
(٤) انباه الرواة للقفطي ٢٥٧/٣ — ٢٦٠ .
(٥) معجم الأدباء لياقوت ١٧/ ٧١ — ٧٧ .
(٦) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٥٣/٥٠ — ١٥٤ .
(٧) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٩٨/٦ — ١٩٩.
(٨) شذرات الذهب لابن العماد الحلبلي ٢٢/٥ — ٢٣ .

قلت في مقدمة الكتاب (١) : انه نمط طريف من التأليف المعجمي يشتمل على مادة لغوية واخرى ادبية تتصل بتاريخ العربية منذ اقدم عصورها. انه معجم خاص من المعجمات التي عقدها اصحابها على «المعاني» ثم انه خاص بين هذه المعجمات الخاصة ، فهو يتناول الاسماء التي صدرت بـ «ابو» و «ام» و«ابن» و «بنت» و« ذو » و«ذات» . ومن اجل ذلك وسمه المصنف بـ «المرصع في الاباء والامهات والبنين والبنات والاذواء والذوات».

لقد اشتمل الكتاب على مقدمة عرض المصنف فيها للغرض الذي قصد اليه من تصنيفه فقال في ذلك .

اما بعد فان العلماء في سالف الدهر وآنفه مازالوا مختلفي الاغراض في ما ألفوه متبايني المقاصد في ماصنفوه من انواع العلوم على كثرتها، وفنون المعارف على سعتها ، لايكاد يحد اغراضها حد، ولايجمع افرادها عدّ، لكثرة المطالب الباعثة عليها ، وسعة المباغي الداعية اليها ، وما احد حاول تصنيف كتاب الا وقد خصّه بوصف يغلب على ظنه انه لم يسبق اليه وانه لظن يخطىء ولايكاد يصيب ، ومع هذا فان دواعي التأليف لاتنقطع والهمم فيه دائما لاتمتنع .

ولقدوقفت بعض الايام في بعض كتب العربية على تمثيل اسماء مثل بها مصنفه، وفي جملتها «ام رباح» ولم يقيد لها لفظا ولابناء، ولاذكر لها مسمى ، فاشتبه امرها فتطلبتها في ماحضرني من كتب العربية لغة ونحوا فلم اجدها ، وسألت عنها فلم اجد فيها شافيا فمن قائل : انها براءمكسورة وتاء من فوقها نقطتان وجيم ، ومن قائل انها براء مكسورة وياء تحتها نقطتان وحاء ، جمع ريح ،ومن قائل انها براء مفتوحة وباء تحتها نقطة

(١) كنت قد حققت كتاب « المرصع» معتمدا اصولا ثلاثة من المخطوطات بينها نسخة قرئت على المصنف وهي نسخة خزانة وزارة الأوقاف ببغداد ، ونشر الكتاب في منشورات الوزارة نفسها سنة ١٣٩١ هـ .

وحاء ، وهو الصحيح ثم جهل مسماها فمن قائل انها الشمس ..... ومن قائل انها الريح . . . .

فلم تقع الثقة بشيء من هذه الاقوال لاختلافها، ولم ازل اتتبع مواقعها واتطلبها من مظانها الى ان وجدتها في كتاب «الطير» لابي حاتم السجستاني — رحمه الله — وقد ضبطها بالراء المفتوحة وبالباء الموحدة والحاء المهملة وقال :

هي طائر احمر الجناحين والظهر يأكل العنب .فحيث حصل اليقين وثلج الصدر وسكون النفس الى معرفة هذه الكلمة التي خلا أكثر كتب العربية عنها ، وناهيك ان «تهذيب» الازهرى و« صحاح » الجوهرى — رحمهما الله — على عظمهما في كتب اللغة لم ترد فيهما ، انصرفت الهمة حينئذ الى تتبع امثال هذه اللفظة ومايجرى مجراها من الكنى والانباء فتطلبت ماجمع في ذلك من الكتب فوقفت على تصانيف قديمة وحديثة قد تصدّى فيها مؤلفوها لجمع ماورد في اللسان العربي من الكنى والاباء والامهات لغير الاناسي ، وماورد فيه من التسمية باضافة البنين والبنات ، والذوين والذوات ، فرأيتهم — رحمة الله عليهم — قد مهدوا فيه طريقاً وسعياً، وجمعوا منه اسماء كثيرة وابقوا لمن بعدهم كثيراً .

ووجدتها مع ذلك على اختلافها غير مقيدة بترتيب حاصر يجمع شواردها، وينظم بدائدها ، حتى اذا طلب الانسان منها كلمة وجدها بادنى تأمل، ورأيتهم قد اضافوا اليها جماعة من المشهورين بالكنى والابناء والاذواء من الناس ممن ضرب به مثل اوكان دائرا في كثير من الخطاب فابقوا لهم من ذلك كل ذكر جميل ، وشرعوا للدارسين اوضح سبيل، فجمعته ، والى مانثروه فيها فنظمته ، واضفت اليه ماوجدته خارجا عنها، ولم يشتمل عليه واحد منها مما عثرت عليه في كتب اللغة والنحو والاشعار والانساب والامثال والمجاميع والتواريخ وغير ذلك من كتب الادب، وما ورد من الكنى المحدثة ، ورتبت ذلك جميعه على حروف المعجم

ليكون اسهل مأخذا واقرب متناولا ، وجعلت التقفية للاسم المضاف اليه دون المضاف . والتزمت في الترتيب الحرف الثاني والثالث لئلا يقع فيه تصحيف . واعتمدت على ذكر الحرف الذي في اول الكلمة زائداً كان او اصلياً . ولم اسقط منها الا الالف واللام التي للتعريف .

ثم بدأت في كل حرف من حروف المعجم بذكر مافيه من الكنى بالآباء وبعده مافيه من الكنى بالامهات ، ثم بما فيه من الاضافة بالابناء، وبعده مافيه من اضافة البنات ، ثم بما فيه من الاضافة بالاذواء ،وبعده مافيه من اضافة الذوات فيجتمع في كل حرف ستة أنواع ،وربما سقط من بعض الحروف بعض الانواع حيث لم يرد فيه شيء فإذا اراد الانسان كلمة طلبها في نوعها من حرفها فيظفر بها سريعاً من غير تعب .

على اني لم ارد في هذا الفن كتاباً مؤلفاً على الحروف الا ماجمعه ابو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي فإنه جمع كتاباً كبيراً في هذا الفن وقفاه على أواخر الاسماء ولم يلتزم فيه ترتيب الكلمات في مواضعها على التقديم والتأخير ، ثم عاد فنقض هذا الالتزام فحصل في طلب الكلمة منه تعب ومشقة .

وسأذكر عند انتهاء الحروف باباً يشتمل على الاسماء المترادفة على مسمى واحد مما جرى ذكره في الحروف مفصلا على سياقها ليكون الكتاب جامعاً لنوعي التأليف ، فانحصر الغرض منه في ثلاثة ابواب .

وحيث كان مدار هذا الكتاب على ذكر الكنايات والاضافات بالأولاد والاذواء والذوات لغير الناس لم نذكر فيه من اسماء الناس الا بعض من اشتهر منهم فضرب به مثل ، او لم يعرف بغير كنيته او اضافته ممن غلبت عليه الكنى والاضافات ، فإن اسماء الناس من الأولين والآخرين وخصوصاً الصحابة والتابعين قد جمعت اسماؤهم في كتب المعارف والأنساب وصنفت فيها التصانيف الكثيرة فلا حاجة إلى ذكرها في هذا المختصر الا

على سبيل الشذوذ والندور كما ذكرنا ، وسميته كتاب «المرصع» وبالله التوفيق .

اننا ندرك من هذه المقدمة التعليمية ان مجد الدين بن الاثير من المصنفين الذين نضج لديهم البحث العلمي فصار المصنف يسير على هدى من منهج علمي يقوم على البحث والجمع والتنقيح والترتيب والاعتماد على المصادر المختلفة والافادة من جملة هذه المواد صنعة المصنف المنظم مما يدخل في «منهج البحث» الذي اصطلح عليه في عصرنا هذا .

قيمة الكتاب ومكانته :

ان قيمة الكتاب لاتقوم على انه معجم من معجمات المعاني الخاصة، بل تتجاوز ذلك فتتضح في ان هذا المصنف يكشف عن مادة لغوية لانجدها في كثير من كتب اللغة . ثم ان هذه المادة اللغوية تظهر لنا طرائق العرب الا قدمين في اطلاق العلم والشهرة ، كما تكشف عن نظرتهم الى اعيان الطبيعة البدوية من حيوان ونبات وموضع سهلا كان او جبلا وعما يضطرب في تلك البيئة ويتعاورها مما يعرض من سحاب ومطر وبرق ورعد وريح .

ومن المفيد ان اشير الى ان في هذه المادة اللغوية نمطا من تفكيرهم الاجتماعي من حيث علاقة الانسان باخيه الانسان، ثم بالبيئة التي يعيش فيها. وبسبب من ذلك نستطيع ان ندرك من اشتات مادة الكتاب طرفاً من العادات والتقاليد العربية القديمة. اننا نتبين من الكتاب على سبيل المثال كيف تصور العرب «الداهية» هذا الكيان المجهول المتخيل على هيئات مختلفة، فهو تارة انسي من الاناسي اتصف بالشجاعة والقوة والمكر والخديعة وحسن التخلص في الصعاب، وجماع كل هذا استحق ان يكون احد داهية من دهاة العرب، وقد الصقت هذه الصفة بجملة من الرجال كان من بينهم مثلا عمرو بن العاص.

وقد تكون الداهية شيئا اخر من حيوان لانعرف من حقيقته الا صفات متوهمة لاوجود له الا في اخيلة الاقدمين، كما تكون شيئا اخر من شخوص الطبيعة الحية.

وقد يتبين الدارس لأشتات هذه المواد اللغوية علاقة الانسان بالحياة منبوذة حقيرة في انها «دنيا» فانية لحمتها وسداها الشر والخبث.

وعلى هذا لاتكون مادة «المرصع» مما يخص الدارس اللغوي، بل انها تخص جمهرة كبيرة من الدارسين في اللغة والتطور اللغوي وما يدعى بـ «علم اللغة الاجتماعي» وما يتصل باختصاصات علم الانسان من حيث انك واجد في هذه المادة العتيقة نماذج من عادات وسلوك وصلة هذا الانسان العربي القديم ببيئته وكيف يتعامل مع اشتات تلك البيئة البدوية القديمة.

ولنعرض لشيء من مادة الكتاب فنقف على ذلك وقفات مقيدة معلقين بفوائد مما تمليه علينا تلك الثروة اللغوية. وعلى ان هذا الكتاب معجم كما اشرنا الا أن المصنف قد بسط بعد مقدمته التي عرضنا لها مادة علمية تتصل بالاسم والكنية واللقب في العربية غير تلك النبذ اليسيرة التي نجدها في كتب النحو، وقد جاء هذا في الباب الاول وفيه مقدمات وفصول فقال: (١)

فصل: .

اعلم ان الاسماء انما وضعت في اول الامر دلالة على مسمياتها لتعرف بها اذا ذكرت ويشار اليها في ماينتظم به الكلام من خبر واستخبار وامر ونهي وغير ذلك من انواع الكلام الجارية في الخطاب فكانت الموجودات كلها سماؤها وارضها ومافيهما وبينهما محتاجة اليها لضرورة التفاهم، وكان الاولى ان يكون لكل عمل مسمى اسم يخصه كالانسان والفرس والبعير، ولكنهم عدلوا عن ذلك في بعض المسميات، فمنها ما جعلوا له اسماء كثيرة كالسيف والخمر، ومنها ماجعلوه لمسميات كثيرة اسما واحدا كالعين والمولى، فالاول يقال له: «الاسماء المتباينة» والثاني يقال له: «الاسماء المترادفة» والثالث يقال له: «الاسماء المشتركة».

وانما فعلوا ذلك لان القسمة الحاصرة ادت اليه فانه لايخلو ان يكون للذات الواحدة اسم واحد او اكثر من اسم او يشارك ذاتا اخرى في اسمها.

---

(١) المرصع ٣٧ – ٣٩ .

وقد كان القياس ان تسمى الذوات بالاسماء المفردة لانها اول بالوضع ولكنهم توسعوا فيها فسموها بغير المفرد.

والاسماء على اختلاف إنواعها لاتخلو ان تكون منردة اومركبة فالمفرد نحـــو...

والمركب لايخلو ان يكون جملة مفيدة او غير جملة. فالجملة نحو تأبط شرا و....

وغير الجملة لايخلو ان يكون مضافا او غير مضاف ......

والمضاف لايخلو ان يكون ابا نحو : ابي محمد، او أماً نحو: ام ثأر، او ابنا نحو ابن دأية، او بنتا نحو: بنت الارض، او «ذو» الذي بمعنى صاحب نحو: ذو يزن. او مؤنثة نحو : ذات أوشال .....

وكل هذه الانواع هي اسماء موضوعة للدلالة على مسمياتها ولايتعلق لنا بها غرض في هذا الكتاب الا في احد انواع المضاف وهو ماسمي بالاباء والامهات والبنين والبنات والاذواء و الذوات.

فصل :

اصل اسماء الاعلام ان تكون لمن يعقل، لانهم الذين يخبر عنهم ويخاطبون. ثم انهم اطلقوها على غير العقلاء من الحيوان والجماد مجازا واتساعا فسموها ما يقتنونه او يألفونه من خيل وابل وغنم وكلاب وغير ذلك باعلام تنزلت عندهم منزلة العقلاء نحو: اعوج ولاحق وضمران. وتعدوا ذلك الى مالايقتنى ولا يؤلف فسموه باعلام فرّقوا بها بين اجناسه نحو: اسامة وابي الحارث وثعالة، وابي الحصين. ثم تعدوا الذوات الى المعاني فاجروها مجرى الاعيان نحو شعوب وام قشعم، وكيسان. وانما كثر الاتساع في هذه الاسامي بقدر ملابستهم لها، وكثرة ذكرهم اياها، واخبارهم عنها في مايقتنى ولا يقتنى كالفرس والبعير والكلب حيث كانت الغالبة على اموالهم.

وكالاسد والثعلب والضبع والذئب فان لها عندهم آثارا يكثر بها اخبارهم عنها، فكثرت لذلك اسماؤها وكناها واسماء اجناسها، ولانهم باقامتهم في البوادي قد يشاهدون من حيوانها سباعها وأحناشها وهوامها وطيرها اشياء غريبة وليس لها عندهم اسم موضوع فيسمونه باسماء اوكنى يشتقونها من خلقتها او فعلها او بعض مايشبهها كما قيل للخليل — عليه السلام — ابو الاضياف ، وللبرغوث ابو طامر وابن طامر، والطمور الوثوب، فجرى لها مجرى الاعلام والالقاب على ماتراه مفصلا في مواضعه.

فصل:

مدار هذا الكتاب على ستة اسماء هي الاب والام والابن والبنت وذو وذات.

اقـول: في هذا الفصل كلام على اشتقاق الاسم من السمو عند البصريين، ومن السمة عند الكوفيين وهذا معروف سطره الانبارى في كتاب «الانصاف» وطلاب النحو على معرفة به. ثم كلام على ان الكنية من الكناية وهو ان تتكلم بالشيء وتريد به غيره تقول: كنيت وكنوت بكذا عن كذا كُنية وكِنية ، والجمع الكنى، واكتنى فلان بابي محمد...

فصل:

لما كان اصل الكنية ان تكون بالاولاد تعين ان يكون بالذين ولدوهم كابي الحسن في كنية علي بن ابي طالب — كرم الله وجهه — فمن لم يكن له ابن وكان له بنت كنوه بها كما قيل للمسروق بن الاجدع: أبوعائشة .

ومن لم يكن له ابن ولابنت كنوه باقرب الناس اليه كما كنى النبي — صلى الله عليه وسلم — عبدالله بن الزبير وهو صبي بابي بكر وهو جده لامه اسماء. ثم لما ولد له ولد سماه خبيبا وتكنى به فصار له كنيتان .

وجروا في كنى النساء بالامهات هذا المجرى فقالوا: ام سلمة ، وام زينب في الكنى بالاولاد، وام عبدالله في كنية عائشة ام المؤمنين يعنون : عبدالله بن الزبير، وهو ابن اختها اسماء حيث لم يكن لها ولد.

ثم لما شارك الناس في الولادة باقي الحيوانات كنوا ماكنوا منها بالاباء والامهات كابي الحارث للاسد، وام عامر للضبع، واجروها في ذلك مجرى الاناسي. وكـذلك فعلوا في اضافة الابناء والبنات إكراما واحتراما لهـم باضافتهم الى ابائهم مع ترك اسمائهم فقالوا ابن عباس وابن عمر لما كانا أشرف من ابنيهما. وكذلك كانوا يقولون للحسين بن علي: يا ابن بنت رسول الله كرامة له بامه.

واجروا غير الاناسي مجراها في ذلك فقالوا: ابن قترة للحية، وبنت حذف لضرب من غنم الحجاز فلما تجوزوا في اجراء الحيوانات العجم مع الناس في الكنى والابناء حملوا عليها بعض الجمادات فاجروها مجراها، فقالوا: ابو جابر للخبز وام قار للداهية وابن ذكاء للصبح، وبنت ارض للحصاة ثم انهم لم يجروه على سنن واحد فكنوا بالاباء مذكرا على الاصل فقالوا للذئب: ابو جعدة، وللنمر او جهل. وكنوا مؤنثا من الجمادات فقالوا للنار: ابو سريع ، وابو حباحب.

وكذلك في الامهات فقالوا للقوس: ام السهام، ولحبل معروف: ام سحيل. واجروا في البنين والبنات هذا المجرى فقالوا للغراب: ابن دأية، ولطائر: بنت الماء، فلم يجروا التسمية في ذلك على القياس اتساعا.

فصـــل :

قد جروا في الأسماء والكنى على قسمين ، معتادا ونادراً . فمن المعتاد الكنية بالأولاد كما سبق ومنه قولهم : آدم أبو البشر ، والنادر كقولهم في كنية علي بن أبي طالب أبو تراب ، وكنية عائشة ام المؤمنين . وهو كثير في غير الاناسي واستعملوا هذين القسمين في الأبناء كابن كراع وابن رألان وكابن عرس وابن آوى .

واستعملوها ايضا في « ذى » و « ذات » فمن المعتاد : ذو الجلال ، وذات البروج ، للزوم هذه الصفة . ومن النادر تسمية يونس — عليه السلام ذا النون ، وتسمية « أسماء » بنت أبي بكر: ذات النطاقين .

ومن هذه الكنى والابناء ماجعل علما للمسمى لا لمعنى فيه ، ومنها ما جعل صفة لمعنى فيه فيعرف وينكر .

فصــل :

ماسموه من هذه الأسماء والكنايات والأضافات ينقسم ثلاثة أقسام :

الأول : مايلزمه الالف واللام كابي الحارث للأسد وأبي الحصين للثعلب.

والثاني : لايدخله الألف واللام كابي جعدة للذئب ، وام عامر للضبع وابن دأية للغراب ، وبنت طبق للحية .

والثالث : مايجوز دخولهما فيه واسقاطهما كابي مضاء للفرس ، وام ريال للنعامة، وابن ماء لطير الماء لانها اعلام للاجناس فوقعت على الواحد والجمع وقوع الدرهم والدينار عليهما . وقد اتسعوا في الام اكثر من اتساعهم في الأب فاستعملوها اكثر منه فقالوا : ويل امه (ويلمه) ، ولا ام له، وهوت امه ، وثكلته امه ، ولأمه الهبل ، ويا ابن ام ، ولم يكادوا يستعملون الأب في هذا واشباهه الا نادرا ، فلهذا الأتساع كانت كنى غير الاناسي بالامهات اكثر من كناها بالاباء .

ثم انهم اتسعوا في الأبن والبنت اكثر من اتساعهم في الام حتى قالوا للقصيدة من الشعر : هي ابنة ليلتها ، وفلان ابن بطنه وابن فرجه اذا كان همه فيهما، وابن يومه اي لايفكر في غده وقالوا : هؤلاء ابناء فارس والروم وابناء مكة وخراسان ، ولم يستعملوا هذا في الاباء والامهات .

فصــل :

لم يقصروا هذا التوسع على هذه الأسماء خاصة ، بل اجروه في غيرها فقالوا لمن صاحب شيئا او رافقه او اكثر من استعماله : هو اخوه واخته، ومنه قوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم » ، وقوله صلى الله عليه وسلم – « المسلم أخو المسلم » ، وقول الشاعر :

اخـا الحـرب لبـاساً اليهـا جـلالـها

وليـس بـولاج الـخوالـف اعـزلا

وقول ابي الاسود الدؤلي في الخمر والنبيذ :

فـــالا يكنـــــه او تكنـــــه فانـه
اخـــوهـــا غـــذتـــه امـــه بلبـــانهـــا

ومنه قوله تعالى: «ياأخت هرون ماكان ابوك امرأ سوء»، وقوله تعالى: «وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها» .

ومنه قولهم: هذا الكلام اخو ذلك الكلام، وهذا المعنى اخو ذلك المعنى. وانما يريدون بهذا الاتساع انهما متجانسان ومتشاكلان في الصفة والحال على المجاز والتشبيه. ومن هذا الاتساع تسميتهم الرجل والمرأة الغريبين بالعم والعمة، والخال والخالة، وحتى سموا النخلة عمة، ومنه الحديث، «اكرموا عمتكم النخلة».

فصل:

بعض المسمين من الحيوان والجماد يكون لهما اسم ولاكنية له وهم الاكثر. وبعضهم يكون له اسم وكنية وهم دون الاول في الكثرة كعلي وابي الحسن، والداهية وام قار. وبعضهم يكون له علم وكنية واسم جنس كأسامة وابي الحارث والاسد. وبعضهم يكون له كنية وليس له اسم غيرها كابي براقش وام رباح.

وبعضهم يكون له كنيتان في حالين كعامر بن الطفيل يكنى في السلم بابي علي، وفي الحرب بابي عقيل. وبعضهم يكون له كنيتان او اكثر في حال واحدة وهم كثير في الناس وغيرهم.

فصل:

ماأضيف من الابناء والبنات لغير الاناسي سواء كان لحيوان او جماد فانه يجمع مذكره ومؤنثه على «بنات»، فيقال في «ابن اللبون» و «ابن المخاض» و «ابن آوى» و «ابن عرس» و «ابن دأية» و «ابن الطود»:

«بنات اللبون» و «بنات المخاض» و «بنات آوى» و «بنات عرس» و «بنات الطود»، لان الجموع كلها مؤنثة. ولايجمع «الابن» في هذا النوع على «بنين» الا ماجاء شاذاً نحو: «بني نعش» في «بنات نعش» و «بني برح» في «بنات برح» وهي الداهية ، وان كان القياس يقتضي خلاف ذلك، ولكن الاستعمال العرفي يمنع منه.

وهذا احد ماغلب فيه المؤنث المذكر فان الاصل: اذا اجتمع مذكر ومؤنث ان يغلب المذكر المؤنث. ألا تراهم قالوا: ابن عرس و «ابن آوى» ولم يقولوا: «بنت عرس، ولا «بنت آوى» كما قالوا: «بنت لبون» و «بنت مخاض» لان هذه مما يؤلف ويقتنى فاحتاجوا الى فارق بين الذكر والانثى، وتلك حيث لم تؤلف ولم تقتن لم يحتاجوا الى معرفة بعضها من بعض فقالوا في الواحد« ابن كذا» وكان لفظ التذكير اخف عليهم فاذا جمعوا انثوا الجمع فقالوا: «بنات كذا». (١)

ولنعرض لمادة الكتاب فنقف على جملة مسائل كان للعربية فيها كلام كثير يظهر شيئـــا من عاداتهـــم وسلوكهم وعلاقتهم بما يضطرب في بيئتهم البدوية .

ان مادة الكتاب قد اشتملت على جملة كبيرة من الحيوان المعروف وغير المعروف في بلاد العرب ، وعلى طائفة من الشجر والنبات والثمار كما اشتملت على الفاظ تكشف عن تصوراتهم وافكارهم في الدنيا ومشكلاتها، على أنك واجد فيها اشتاتاً من الطعام والشراب مما يحتاج اليه .

قلت : وفي مجموع ذلك فوائد عدة لغوية واجتماعية سنأتي عليها، ولنبدأ بالحيوان والطير وما يتصل بها : الابل وفيه نقرأ مواد هي :

(١) لم اذكر من الفصول التي تصدرت مادة « المرصع » الفصل السابق للاخير وذلك لا شتماله على فوائد صرفية تتصل بالا شتقاق والنسب والا فراد والتثنية والجمع لهذه المواد وهي الاب والا م والا بن والبنت وذوات ، وذلك لا نه مشهور عرض له النحاة في مباحثهم الصرفيـــة .

أبو كامل ، ابن الخلية ، بنـات الارحبي ، بنات الجديل ، بنات الداعرى ، بنات الدو ، بنات السير ، بنات شدقم ، بنات العسجد ، بنات العيد ، بنات الغريرى ، بنات الفحل ، بنات القراقر ، بنات الليل ، بنات المفاوز ، بنات ملموسة ، بنات وطاء ، بنات دهاس .

تعليـق :

لقد عني اللغويون الأوائل بمادة « الأبل» حتى أفردوا لها رسائل وكتبا تشتمل على لغة هذه المادة وما يتصل بهـا من فوائد أدبية وتاريخية .

غير أن شيئاً من هذه الفوائد التي ذكرها ابن الأثير يصعب ان تجده في تلك المظان ولا في المطولات من المعجمات وكتب اللغة ، ولعل هذه الشوارد مما يلحقه المعربون في حديثهم اتساعاً وافتناناً بطرائق التعبير في لغتهم السائرة. ومثل هذا يحدث كثيراً ، ألا ترى ان العامة في عصرنا تلصق الاب او الابن بكثير من الأفراد ارادة التعريف بهم واشارة لنوع من الأختصاص او الوصف فهم يقولون مثلا : أبو اللحم للجزار ، وأبو الثلج لبائع الثلج وأبو الحليب لبائع الحليب ، وام اللبن لبائعة اللبن ، وابو الكباب لصاحب الكباب ، ومثل هذا كثير ، ثم انك قد تسمعهم يصفون احدهم بانه نشيط يحسن الأفادة من الظروف بأنه : « ابن الدنيا» واخر معوز محتاج يتصرف تصرفا خاصا بانه : ابن عازة (كذا) كما يقولون للشرير : ابن شر وللكريم الخير : ابن خير ، ومن الطريف ان نشير إلى أنهم ينعتون الحيية المصونة بانها : بنت فراش وغطاء او بنت بيت كما يقال للمترفين من الأولاد « ابناء ذوات » و « بنات عوائل (كذا) .

ولنعد إلى هذه الأشتات التي نعتت بها الأبل فنجد ان ابا كامل شيء لاوجود في غير « المرصع» ولعل سبب هذه الكنية انهم رأوا « الجمل» وحسبوه ما يمكن ان يتصف بما اتصف به الاناسي من الصفات فلم لايكون « كاملا» فيستحق هذه الكنية « الكاملة» الا ترى أنهم احلوا هذا الحيوان محل الأناسي في خطابهم واشعارهم وارجازهم ، ولا حصر للامثلة في ذلك ؟ .

اما (ابن الخلية) « للجمل فكلمة مفيدة ايما فائدة ، فهي تكشف عن نمط من عاداتهم في عيشهم وكيف يسلكون مع هذا الحيوان .

والخلية هي التي خلت عن ولدها بموت او نحر فتستدر بولد غيرها تعطف عليـــــه من غير ان ترضعه ، فسميت خلية لانها لاترضع ولدها ولا غيره . وعلى هذا يكون ابن الخلية ماكان صفته كذا .

واما بنات الارحبي هي ابل منسوبة إلى فحل منجب،وقيل إلى رجل من همدان اسمه ارحب .

قال الليث : ارحب حي او موضع ينسب اليه النجائب الارحبية.

اقول : كأن هذه التسمية تشير إلى مدح هذا النوع من النجائب.

ومثل هذا قولهم : بنات الجديل فهي نوق منجبة كانت للنعمان . ومثله: بنات شدقم وشدقم فحل من كرام الابل ، وكذلك : بنات العبد ،وبنات عسجد ومن هذا ايضاً «بنات الداعري» فداعر اسم فحل منجب تنسب اليه الداعرية من الابل ،ومنه ايضاً بنات الفحل .

اما بنات السير وبنات الدو وبنات القراقر وبنات الليل وبنات المفاوز وبنات ملموسة فإنها تشير إلى أن الابل مما مرنت على السير وجدت فيه وانها تقطع الليل سيراً في المفاوز والبوادي .

وقالوا : بنات وطاء وبنات دهاس للابل ، غير انك لاتجد شيئاً من ذلك في المعجمات اللغوية ، كما انك لاتعرف عن بنات عسجد وبنات العبد وبنات الغريري ، واكبر الظن انها منسوبة إلى ماأضيفت اليه اشارة الى انها من نجائب الابل مثلا .

واذا كان للأسد في العربية عشرات الاسماء فقد كان له من باب الكنى قدر آخر يشير إلى شجاعته وبأسه ، فقد ورد : ابو الابطال وابو العباس وابو الضيم وابو النخس ، كما ان له من ذلك مايشير إلى موضعه كالعرين

ونحوه ومن ذلك ابو العرين وابو الاخياس وابو التامور وابو النخس وابو فراس .

وقد تعجب انهم كنوا عن الاسد بأنه ابو الوليد وابو العباس وكلاهما من كنى الآدميين. ومن هذا قالوا في «ابن آوى» ابو ذؤيب وابو كعب وابو معاوية وابو وائل وكلها كنى نجد امثالها في كنى الاناسي ماعدا «ابا ذؤيب» .

وقد خصوا الحمار بطائفة من الكنى والفاظ الشهرة الاخرى منها: ابو صابر لانهم لمحوا فيه صفة الصبر ، ومنها ماكانت كنى يصح ان تكون من كنى الاناسي مثل : ابو محمود وابو نافع وابو زياد .

وقالوا في الحمارة: ام الجحش وام حلس وام الهنبر، وقد جاء من هذا مايصح ان يكون للأناسي نحو: ام ضبة وام المثنى وام نافع وام وهب ....

وقالوا في الحمام: ابو العرق، وابو عكرمة وابو الهديل وابو مهدي ، كما قالوا: ام الهديل. وقالوا: بنات الهديل كما في قول ابي العلاء المعري :

أبنات الهديل اسعدن اوعد ... ن قليل العزاء بالاسعاد

وقالوا في الحيات: ابو البحتري وابو الربيع وابو عثمان وابو القاضي وابو وثاب وابو اليقظان وهكذا نحس انهم في هذه الكنى المحوا إلى شيء من صفات الحية كاليقظة والوثوب، ولاندرى لم كان «ابو البحتري» و«ابو عثمان».

واذا جئنا إلى الخيل وجدناهم يقولون: ابن اعوج وبنات اعوج، واعوج فحل تنسب اليه كرائم الخيل كما قالوا «بنات صهال» اشارة إلى الصهيل كما قالوا في البغال :بنات شحاج. وقد حفل الفرس بجملة كنى هي من كنى الاناسي ومنها: ابو شجاع وابو طالب، وابو مدرك وابو المضاء وابو المنجي وابو منقذ (١).

---

(١) وام الفرس : جواد معروف كانت لا تلد غير جواد . وفي المثل : ليس بطيء من بني ام الفرس . يضرب لبني الكرام اي : من ولدته الكرام لا يكون لئيما كما ان « ابن ام الفرس» لا يكون بطيئا . مجمع الامثال ٢٠٦/٢ .

ولعل مشاركة هذه الوحوش للانسان في هذا الباب من الوصف بالكنى وغيرها من الفاظ الشهرة تأتي من نظرتهم العالية إلى هذه المخلوقات وقيمتها ومكانتها في ذلك المجتمع العربي القديم . وكنت قد أشرت إلى انهم قد خصوا بكناهم حيوانات يندر وجودها في البيئة العربية القديمة ومنها الفيل والدب والطاووس وغيرها.

وفي هذا القدر من عالم الحيوان كفاية للدارس ليتبين طرائق العرب في مواجهة الحيوان ومعايشته، وماظن ان امة من الامم يقول شاعرها مخاطبا الحيوان كالشاعر البدوي القديم وهو يخاطب الجمل:

شكا الي جملي طول السرى

يا جملي ليس الي المشتكى

صبرا جميلا فكلانا مبتلى

ولنعرض لشي مما يتصل بالشجر والنبات فنجد:

«البقل» وهو ابو جميل وابو الخضر، وابن الارض، وبنت الارض وهذه الكنى تشير إلى نظرتهم لكل شيء اخضر فيه عيشهم ورفههم، وهو ابن الارض وبنتها لانه يخرج منها . وكذلك « الريحان » . وهو ابو الاخضر وابو المزين وابو النضر وابن المسرة ، وكلها يشير إلى تشوفهم لكل شيء اخضر مما تنبت الارض. واذا عرفنا ان البيئة البدوية قاسية تسودها الفلوات القاحلة ادركنا كيف يتوجه اهل تلك البيئة القديمة إلى الخضرة والماء، ولهذا كان «النبات» ابن الارض وبنت الارض عندهم.

ومن ذلك «الكمأة» فهي ام اوبر وابن اوبر وبنات اوبر . وهو ضرب من الكمأة صغار سريعة الخروج في رؤوس الآكام سريعة الهيج مزغبة ، ولعلها سميت بـ«اوبر» لمكان الزغب فيها اي كالوبر.

وقد نظروا إلى الطعام فخصوه بشيء من هذه الفوائد اللغوية ومن ذلك: «الثريد» وهو ابو نافع، وابو رزين (١).

و«الخبز» وهو ابو جابر، وابو حبيب ،وابو نعيم، وام جابر ، وفي هذا وضع للخبز في موضعه من انه «جابر» للصدع اي الجوع ، «حبيب» لديهم ، وهو دليل «النعيم» وهو ابن برة وابن حبة اشارة إلى اصله وهو البر اي الحنطة، كما انه «بنات التنانير» ومن الطعام «الخبيص» وهو ابو رزين وابو الشهي وابو صالح وابو الطيب وكلها يشير إلى فضله عندهم وقيمته الغذائية، وهو ابو الاصفر من حيث لونه ، وابو الخليط لانه مصنوع من عدة اجناس .وقالوا في «الفالوذج» ابو سائغ وابو العلاء استحسانا وقبولا . ومن طعامهم «الهريسة » وهي ام الفضل وهذا مما نجد سبيلا إلى ادراكه وفهمه، ولكنها ايضا «ام ابي هريرة» وهو الشيء لم اهتد اليه بعد التنقير والبحث.

ولعل من المناسب ان ادرج ماجاء في «القدر » في هذا الموضع من ذكر الاطعمة فهي: ام العيال وام غياث ، وفي هذا اشارة إلى قيمة القدر ومكانه في تهيئة الطعام للعيال وانه «غياث» لهم، وهو من «بنات الغلي» وقال الشاعر:

تسامى بنات الغلي في حجراتها
تسامي عتاق الخيل وردا واشهبا

و«بنات الغلي» في هذا البيت تفيد قطع اللحم اي ان منها نضيجا ومنها نيئا تشبهها بخيل شقر وشهب.

والقدر: ابو الادهم (٢) لمكان السواد في لونه الخارجي . و«ام بيضاء» اشارة إلى السواد من باب التسمية بالضد كما وصف المتنبي كافورا فكناه بـ «ابي البيضاء» لسواد لونه، وذلك في قوله:

---

(١) ابن نارين هو الخبز يثرد في سمن ولبن قد اغلي غلية ثم يساط كما تساط العصيدة ويسمونها المعذبة لأنها تعذب في النار مرتين ، ويقال لها ايضا : بنت نارين .

(٢) القدر في العربية مؤنثة وكان حقها ان تكون « ام الادهم » يدل على ذلك قولهم : « ام بيضاء» ولعل مجيء هذه الكنية على التذكير من لغة العامة ، ويقوى ذلك عندي ان القدر مذكر في عامية عصرنا .

ماكنت احسبني احيا إلى زمن
يسيء بي فيه كلب وهو محمود
ولاتوهمت ان الناس قد فقدوا
وان مثل «ابي البيضاء» موجود

والقدر «ام دسمة» وهذا معروف.

ولكننا نجد في القدر «ام عقبة» و«ام كعيبة» و«ام غيار» ولانستطيع ان نتوجه بشيء في تفسير ذلك الا ان يكون في «عقبة» اشارة إلى مايبقى في القدر من فضلة طعام !! ولعلنا ندرك بيسر لم كان الملح ابا صابر وابا عون، وابا الطيب.

ومن المناسب ان نعقب الكلام على الطعام بالكلام على الشراب فنجدان «الماء» في رأس هذا الصنف أو للماء في لغة العرب وادبهم مكان اي مكان فهو مما يفتقرون اليه اشد الافتقار في فلواتهم وبواديهم. ومن اجل ذلك نظروا إلى الماء نظرة خاصة فكان عنوان الخير والخصب والنعيم ثم الحسن والجمال فقالوا: ماء الجمال وماء الحسن.

وكان للماء من كناهم واقوالهم نصيب يشير إلى الحياة والوفرة والجمال فهو ابو الحياة وابو حيان، وابو الغياث، وام الحياة، وابو حباب، وابن درار ......
وكانت الغدران: بنات الارض وواحدها ابن الارض، وبنات المزن (١).

ثم كان المطر ابن السحاب ،وبنات البكر هي الامطار، والبكر السحاب اول ماينشأ قال الشاعر:

وذات عين وقرن لادماغ لها
وقرنها ليس منها ذلك العجب

(١) قال أبو العميثل : وأصحت بنات المزن زرقا كأنها سلوقية الا بدان شيفت سرودها
المرصع ص ٣١٧ .

اخــرجــت منـــها بنـــات البــكر ضاحية
بـكل ابـــرق مـــن امـــاته العطـــب (١)

يصف بشرا، وعينها: ماؤها، وقرنها: مايبنى على رأسها لتوضع البكرة عليه، والعطب القطن. يقول: استقيت منها الماء الذي صار فيها من السحاب، وعنى بالابرق حبلا مفتولا من قطن وغيره، وجعل القطن أماً له لانه عمل منها ومن غيرها.

وكذلك «بنات بخر» ويقال: «بنات مخر» وهن سحائب بيض يأتين في قبل الصيف. وقيل تنشأ بالبادية من قبل البحر بعضها اكثر ماء من بعض...(٢) وقد يعجب الانسان وهو يدرس اوابد العربية من تدقيق العرب في ضبط مايعرض لهم في بيئتهم مما يتصل بالسحاب والبرق والمطر والريح، ومن اجل ذلك نشط اللغويون الاوائل في ضبط هذه الاشتات في «رسائل» خاصة.

وقد كان للخل عندهم كنى هي ابو عامر وابو ثقيف وابو عون وابو نافع وهي كلها تشير إلى فائدة الخل ومكانه من طعامهم فهو عامر وعون ونفع، اما قولهم: ابو ثقيف «فيشير إلى الحقيقة وهي: ثقف الخل وثقف بمعنى حذق وخمص فهو ثقيف.

ولنعرض للخمر وماورد فيها من كنى واقوال مشهورة مأثورة:
ام الاثام، ام الخبائث، ام الكبائر، ام الشر.

اقول: من غير شك ان هذه النعوت للخمر قد ولدت في العصور الاسلامية وذلك لان الاسلام حرّم الخمر ونبذها بقوله تعالى: «انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان» س.٩ سورة المائدة.

---

(١) المرصع ص ١٠٠

(٢) وانشد ابن الاعرابي (المرصع ص ٣١٦)

كـأن بنـات المخمر في كـرز قـنبـر بواسق يحدوهـن بالغور شمأل

ولكنهم قالوا في «الخمر» انها بنت الدن وابنة الزرجون وبنت العنقود وبنت الكرم اشارة إلى اصلها وموضعها، وقولهم: «بنات مسيع» وهي ضرب من الخمر منسوبة إلى الزق، و«المسيع» هو الزق المطلي بالسياع وهو الشحم (١) قال الاعشى:

من خمر بابل معرقاً بمزاجها
اوخمر عانة اوبنات مسيعا

وقالوا انها ام الحنين وام طرب وام زنبق استحسانا ، ولاادري مام العبائر وكما استحسنوا الخمر وقالوا فيها قالوا في « القدح » : ابو الانوار لسطوعه ولونه وابو دارة وكأن ذلك اشارة إلى انه يدور بين الشرب ، ولا ادري ماوجه ابو صابر وابو القيد وابو النوم !!

وقالوا في «الطست» ابو الانيس وابو كامل وابو مالك!!

وكنت اشرت في اول هذا الفصل ان «الداهية» شغلت مكانا في لغة العرب، على اننا نجهل الكثير من دلالات الكلم الذي اطلق على «الداهية» وكأن هذا الكلم المعمى مقصود، ذلك ان «الداهية» شيء غامض فقد يكون تيهاء مخوفة كما يكون حيوانا مفترسا غريبا اوعفريتا من العفاريت او شخصا من شخوص الجن.

واليك هذه المجموعة من الكلم الغريب التي اريد بها «الداهية»

ام ادراص، ام الأربى، ام الاريق، ام الازلم، ام البليق، ام العليل ، امالجبل، ام الجذع ، ام الجلوبق، ام جندب ، ام الحنين، ام حبوكر، ام خشفين، ام الخلقف، ام الخلفق، امحنشفير ، ام الخنفق، ام خنور، ام خنثور ، ام خشاف، ام درخمين، ام الدهاريس، ام الذقى، ام الدهيم، ام الربيس، ام الربيق، ام رشم، ام الرقبوت، ام الرقون، ام الرقم، ام زنقل، أم زوبر، ام صبار،

(١) جاء في « المرصع» ان « بنات مسيع » خمرة منسوبة إلى موضع يقال له « مسيع » والوجه ما اشرنا اليه .

ام صبور، ام زيت، ام ضيغم، ام طبق، ام عبيد، ام العريط، ام الغتيم، ام عنتم، ام قار، ام قسطل، ام قشعم، ام قوب، ام كلبة، ام كلواذ، ام اللهيم، ام اللهيمي، ام مرزم، ام ملدم، ام المليق، امنآد، ام الهربذيّ، ام يستعور، ام يقصوم، ابن احداها، ابن برح، ابن بريح، بنوبرح ، بنو بيش، ابنة الجبل، ابنة رشم، ابنة معير، بنت احداها، بنات برح، بنت الرقم، بنات اودك، بنات بثيس، بنات الدهر، بنات صمام ،بنات طبل، بنات عين، بنات العنقفيز، بنات غير، بنات معير، احدى بنات طبق، ذات العراقي.

قلت : قد يتجه لناوجه في « بنات الدهر» و « بنات غير » ولكننا نقف حيارى أمام بنات العنقفيز ، وام يستعور ، وام الهريذي وام الجلاويق وام الخلفق وغير ذلك كثير ، وكأنهم اخترعوا هذه الأسماء لتكون معبرة عن « الداهية » العجيب امرها ، ارادة التعمية لينسجم اللفظ مع المعنى الغائم الخفي.

وقد نجد بعضها مشيراً إلى علم ما نحو: ام عبيد وام قشعم وام ملدم، ولعل ذلك خاص بحكاية او خبر على غرار مانجد في المثل القديم .

ومن المفيد ان نعرض لمادة اخرى قريبة من « الداهية» من حيث انها منبوزة ، تلكم هي « الدنيا» ، والدنيا بخيرها وشرها لصيقة بالمكان والزمان. وقد ذم العرب الدنيا كما برموا بالزمان طوال العصور المتتابعة فلن تجد شاعرا الا شكا الزمان وذم الدنيا .

ومن أجل ذلك كانت الدنيا ام خنور وام قشعم وهما يفيدان « الداهية» كما أشرنا ، على انها ام درن أي انها قذرة ،ومثلها ام دفر وام ذفر وام زافرة، وكلها يشير إلى وسخها ووضرها ، وهي ام وافرة وام وافذة وام سلمة وام حباحب .

وهي ايضا ام الغول ، والغول معروف من حيوانهم الخرافي وام الفناء وفي هذه الاخيرة وصف للدنيا بـ « الفانية » وهي تقابل الحياة الباقية وهي الاخرة التي آمن بها المسلمون وحفلت آيات القرآن بذكرها .

ومن الطريف ان نشير ان اغلب ما جاء في وصف « الداهية» و « الدنيا » كان باضافة كلمة « ام » إلى الكلمة بعدها ليتكون من المركب الاضافي الاسم المراد ، وكأن هاتين المادتين لصيقتان بفكرة الأمومة وقلما يأتيان باضافة « الاب » إلى الكلمة بعدها .

أقول : لعل هذا حاصل من ان لفظ « الداهية» مؤنث فهي مؤنث في اللفظ ، وكذلك « الدنيا» هي مؤنث « الأ دنى » .

وجاء في القول على « ابليس » بانه : ابو الكروس « ابو ليلى ، أبو مخلد ، ابو مرة ، وهو أشهرها ، وابو قترة ، وابو الجن. ولبس فيها مايوحي إلى الشر والخبث ، وهذا امر غريب . وقد ارتبط « الباطل » في هذه المسميات بما لايعرف فقالوا : ابن الألال ، وابن التلال وابن بهلل وابن تهلل ، وابن سبهلل ، وابن فهلل ، وبنيات الطريق ، وبنات غير ، ومن أجل ذلك نجد طائفة من هذه الالفاظ مذكورة في « الرجل المجهول وهي :

الضلال بن الالال ، والضلال بن التلال ، وابن بهلل وابن تهلل ، وابن ثهلل ، وهي بن هي ، وابن صبح ، وضل بن ضل ، وطامر بن طامر ، وابن فهلل ، وابن قلمعة ، ودقة بن جرعب ، وقال ابو نخيلة : ا

اصبحت تنهض في ضلالك سادرا

يا ابن الضلال بن الالال فاقصر(١)

أقول : كأن « الباطل » او « الرجل المجهول » مما لايفهم فاختير له من اللفظ ماعدم المعنى ! !

ولا بد ان نعطف على هذه الفوائد ماجاء في الساقط والخامل » وهو : حارض بن حارض ، وذل بن ذل ، وضل بن ضل ، وقل بن قل ، وابن درك وابن عود ، وابناء درزة .

---

(١) المرصع : ص ٦٩

وابن درزة كان مما نبزت به الدنيا ، والدرزة الخياطة ، ولا ادري اكانت الخياطة من حيث كونها مهنة قد نبزت ام ....

واذا كنا في حيّز اللفظ الذي ينصرف إلى «الساقط والخامل» فمن المفيد ان نعرض لالفاظ «السب والذم» وهي ابو الجلوبق ، قال الشاعر :

يلقن بنات ابي الجلوبق مزّعا

محض القيون وما بهن نفار(١)

وابو حاجب : هو سب يسب به الانسان يراد به انه ولد زنية لان أمه اشير اليها بالحاجب لاجل الزنا .

قال ابو سهل : ويحتمل ان يكون بالجيم قبل الخاء من قولهم : رجل جخابة اي لاخير فيه (٢) .

اقول : ولما كان ابن الأثير قد اتى برأي اخر احتمالي لابي سهل وهو من اخذ ابن الأثير من كتابه كما اشار في «المقدمة» فالموضوع عندي يثير النظر ، فقد يكون «ابن حاجب» شيئاً غير ماورد في تفسير ابن الأثير.

وابن حباحب : وقد اختلف فيه فقيل : هو رجل من بني محارب بن خصفة يضرب به المثل في البخل واخفاء النار مخافة الطراق ، وقيل هو اسم ابن لكلب بن وبرة ، وقيل هو سب يسب به الرجل .

وفي المثل : اخلف من نار ابي حباحب (٣) .

وابن استها : يقال لمن سب ويصغر امره ، قال :

تعادوننا يا ابن استها وبني الخنا

واستاهكم عما تريدون اضيق (٤)

---

(١) المرصع ١٢٠

(٢) المرصع ١٢٦

(٣) مجمع الأمثال ٢٥٣/١

(٤) المرصع ٦٧ .

وابن آكلة البرير ، والبرير الاراك ، وكأن اكل الاراك دليل على ان آكله معوز لاغناء فيه .

وابن امة : يطلقونه في معرض الذم ، وفي المثل :

«انا عذلة وانت خذلة ولسنا بابني امة» اي انا اعذلك وانت تخذلني ولم نؤت من قبل امنا .

وابن ترنى : في لغة معدّ الامة ، وفي لغة اهل اليمن الفاجرة ، قال ابو ذؤيب :

فـان ابـن تـرنـى اذا جئتـكـم
يـدافـع عـنـي قـولا بـريـحا(١)

وهو ذم للرجل من جهة امه .

ومن ذلك ابن ثأداء وابن ثأطاء للسب والذم ، والثأطة الحمأة ، فكأن ابن ثأطاء الفاسد .

وابن ثغر الكلب ذم وسب ، والثغر فرج السباع وكل ذات مخلب ، قال الاخطل :

اصخ ياابـن ثغر الكلب عـن آل دارم
فانك لن تستطيع تلك الذوائبـا (٢)

ومن ذلك : ابن حمراء العجان ، كلمة يسب بها ، والعجان يراد به الاست ، وهو في الاصل مابين الدبر والخصية ، قال الفرزدق :

اذا مـا قـلـت قـافـيـة شـروداً
تنخلهـا ابـن حمراء العجـان (٣)

---

(١) شرح اشعار الهذليين ١/٣ .

(٢) المرصع ١١٥

(٣) المرصع ١٤٥

ومن ذلك ابن داثاء أي ابن الأمة ، والدأثاء الامة ، قال الكميت :

وما كنا بني دأثاء حتى
شفينا بالاسنة كل وتر (١)

ويقال : ما فلان بابن دأثاء ، اذا لم يكن عاجزا في الامور .

ويقال ذلك لمن يذم من قبل امه ، وهو ابن ثأداء ايضا .

وابن الدموك : هو ولد الزنا ، والدموك كل شيء سريع المر ، ورحى دموك: سريعة الطحن وربما كانت الزانية دموكاً لهذه العلاقة من المشابهة الخفية .

وابن دمن الأرض ، وهو سب وذم ، من الدمن وهو البعر ، قال الفرزدق :

كذبت ابن دمن الأرض وابن مراغها
لآل تميم بالسيوف الصوارم (٢)

وابن الدموك : ولد الزنا .

وابن ذات الراية وهو سب وشتم ، وذات الراية هي الخمارة كانت تعلق على بابها راية او رايات لتعرف .

اقول : وفي ذلك فائدة اجتماعية تاريخية لهذا النمط من النمط التجاري.

ومثله : ابن ذات الفلس وهو سب وذم قاله جرير للاخطل .

جزعت ابن ذات الفلس لما تداكأت
من الحرب انياب عليك وكلكل

وقد كان الأخطل نصرانيا ، واراد جرير ان امه كانت تدفع عنه الجزية وتأخذ الفلس من نواب السلطان وتجعله في عنقه كالبراءة له (٣).

ومن ذلك قولهم : ابن سيئة البنات ، وهو ذم .... وقيل : هي الخرقاء التي تفسد كل ماتصنع ، قال :

---

(١) اللسان (ثأد)

(٢) المرصع ١١٢

(٣) المصدر السابق ١٧٩

زعم ابن سيئة البنان بأنني
لذم لآخذ اربعاً بالاشقر (١)

واللذم : الحريص .

ومنه ايضا: ابن نافخ كيره، وهو سب وذم وكأنه جعله حدادا ، قال جرير:

لعلك ترجو يا ابن نافخ كيره
قروماً شبا انيابها لم يفلل

اقول : وفي هذا اشارة إلى ان « القين» اي الحداد وكثير غيره من اصحاب الحرف كالحائك ونحوه كانوا ممن لايحظون بقدر واحترام لدى العرب ، وفي هذا النبز اشارة تاريخية مفيدة . واجتزىء بهذا القدر من هذه الفوائد التي تنصرف إلى السب والذم (٢) .

ولنعرض لمواد اخرى مختلفة فنقول:

الاحلام وهي بنات الليل وبنات الكرى.

والاراء وهي بنات الافكار وبنات الفكر.

والارض ام آدم، وام صبار، وام عبيد، وام كفات، وابن خلاوة.

وقولهم: ابن خلاوة، للارض التي لاحشيش فيها، وهذا من الخلال.

اما (ام كفات) فهي اشارة الى الآية الكريمة: «الم نجعل الارض كفاتا»(٣).

ودلالة : ام آدم معروفة ، ولكني لاادرى ماوجه ام صبار وام عبيد.

والجوع: ابو جهاد، وابو غمرة ،وابو مالك، وكونه ابا جهاد معروف اما ابو غمرة وابو مالك فلم يتجه لي فيه شيء.

والحرب: ام صبار، وام صبورة، وام قسطل، وام قشعم، وابن القسطل.

والجن :بنو زوبعة وبنو غزوان وبنو هنام، فكأن للجن عالما خاصا عندهم كما هي الحال عند الاناسي.

---

(١) المصدر السابق

(٢) ولقد استبعدنا الشتم الفاضح .

(٣) سورة المرسلات الآية (٢٥) .

وللشياطين جملة كنى هي ابو شغفل، ابو لبيني، ابن شفنتاق. ونحن ازاء الفاظ مستغلقة وذلك لمناسبتها لموضوع عالم مجهول.

ولليل جملة الفاظ اخرى هي: أبو جمع، وهو معروف وام معمر وابن ثمير (وهو القمر) وابن جمير (وهو المظلم)، وابن سمير (وهو الذي يسمر فيه).

وللهموم والافكار قولهم: بنات الصدر، وبنات الضمير، وبنات الفكر، وبنات الفؤاد، وبنات النفس وبنو الاشراط: كواكب على اثر برج الحوت منها الشرطان، وهما المنزلة الاولى من منازل القمر.

ومن هذا الباب مما يتصل بعلم الفلك القديم قولهم: ابن إلاهة وهو ضوء الشمس وهو الصبح ايضا وهذه الكلمة تشير الى جاهلية العرب وكيف كانت الشمس معبودة إلاهة.

وقد تجد في هذا الكتاب مادة «شعبية» كقولهم: بنات الابل ويريدون بها البعر»

قلت ان هذا من التصور الشعبي على اني اود ان اقول: ان مادة الكتاب عامة تقسم بما يسمى التطور الشعبي وهو اضافة الابوة والامومة والبنوة الى هذه الشخوص وهذه الافكار وهذه الرسوم والعادات.

وقولهم: بنات الابل للبعير يذكرني بما حدثني به صديق جزائري من ان المرء قد يسمع في الجزائر من يسمى «البيض» اولاد دجاج، وهذا من التصور الشعبي.

وفي الختام أخلص إلى أني اتيت على ما في هذا السفر الجميل فأبنت فوائده، ووقفت عليها وقفات نافعة.

رحم الله مجد الدين بن الاثير وجزاه عن العلم واهله اوفى الجزاء.

جامعة الموصل
كلية الآداب

بحوث
ندوة أبناء الأثير

المنعقدة بين ٢٧/٣ - ١/٤/١٩٨٢

فهرس الكتاب

بحوث من الندوة نشرت في مكان آخر

٢ ــ المغرب في كتاب الكامل

الدكتور عبدالقادر زمامة

المغرب

٣ ــ لباب الانساب لابن الاثير ومعطياته الاجتماعية

الدكتور معن خليل عمر

المغرب

بحث ورد الى الندوة متأخرا

مع المرصع

الدكتور إبراهيم السامرائي

العراق/بغداد

of all, Ibn al-Athir himself became sad, stopped the treatment and asked his Brother to send the doctor off after paying his fees. When his brothers and other family members asked the reason for this strange decision of Ibn al-Athir, he replied: "As long as lam paralysed and unable to move, the notable scholars and men of learning shall continue frequenting my abode and I will be benefitted by their learning and scholar ship. But no sooner will I get cured than these eminent personalities shall stop visiting me and I shall have to go to their own places instead, for search of knowledge". "During my illness", he continues, "a number of scholars are gathered to gether at one place, but after I get recovered, I myself shall have to visit these scholars individually. Consequently, there will be no collective gathering of men of learning". I, therefore, prefer to remain handicapped and be benefitted by the knowledge of profound scholars than to be cured of my illness and be deprived of their scholarship".

Ibn al-Athir insisted upon this decision so much that the brothers had to clear the account of the physician and let him go with many thanks. (of. Ibn Khallikan, *op. cit.*, p. 290).

59. Subki, *op. cit.*, p. 154.
60. *Ibid.*; Dhahabi, *Kitab Duwal al-Islam*, Hyderabad, 1365 A.H; p. 84; Tashkuprazade, *op. cit.*, p. 17.
61. Dhahabi, *op. cit.*, p. 84.
62. Ibn Taghri Bardi, *op. cit.*, p. 199.
63. Ibrahim Zaki Khurshid, et *al*, *op. cit.*, p. 83.
64. Yaqut, *op. cit.*, p. 239.

48. Kuhhala, *op. cit.*, p. 174.

49. 'Abd al-Qadir al-Arnawut (ed) *Jami' al-Usul* of Ibn al-Athir al-Jazari, vol. i, (Introduction) Cairo, 1389/ 1969, p. 12.

50. *Ibid.*; Yaqut, *op. cit.*, p. 239.

51. 'Abd al-Qadir al-Arnawut (ed), *op. cit.*, p. 12; Yaqut, *op. cit.* p. 239; It was in the honour of this official that Ibn al-Athir had composed panegyric verses: (of.Yaqut Alyan Sarkis, *op. cit.*, p. 34; Ibn Taghri Bardi, *op. cit.*, p. 199)

52. Ibrahim Zaki Khurshid *et al*, *Da' irat al-Ma' arif al-Islamiya* (*tr*), vol. i, Cairo, 1352/ 1933, p. 82; Yaqut, *op. cit.*, p. 239...

53. 'Abd. al-Qadir Arnawut, *op. cit.*, p. 12; Yaqut, *op. cit.*, p. 239.

54. 'Abd al-Qadir Arnawut, *op. cit.*, p. 12; Yaqut, *op. cit.*, p. 239.

55. Subki, *op. cit.*, p. 154.

56. Bustani, *op. cit.*, p. 370.

57. Ibn Kathir, *op. cit'*, p. 54; Yaqut, *op. cit.*, p. 239.

58. The story goes as follows:

It is reported on the authority of his brother that when his hands and feed became paralysed and his disease (Paralysis) was declared incurable by all the local physicians, a doctor from *Maghrib* examined him took him under his treatment, and assured his family members that he would get cured in due course of time. After afew days, clear signs of recovery did appear and his hands and feet started moving. The whole family became naturally happy. But to much astonishment

32. Subki, *op. cit.* p., 153.

33. Yaqit, *op. cit.*, p. 241; Tashkuprazade, *op. cit.*, p. 17.

34. Suyuti, *op. cit.*, p. 386; Haji Khalifa, *op. cit.*, p. 219; Subkı, *op. cit.*, p 154; Yaqut, *op. cit.*, p. 241.

35. Subki, *op. cit.*, p. 154: Yusuf Alyan Sarkis, *op. cit.*, p. 34f; Yaqut, *op. cit.*, p. 241.

36. Yaqut, *op. cit.*, p. 241f. n. i; Baghdadi, *Idah al–Maknun fi dh–Dhayl' Ala Kashf az–Zunun*, vol. ii, Istanbul, 1362 A.H, p. 468F.

37. *Urdu Da' ira Ma' arif Islamiya*, *op. cit.*, p. 418f.

38. Suyuti, *op. cit.*, p. 386; Ibn al–'Imad, *op. cit.*, p. 23; Yaqut *op. cit.*, 0. 241.

39. Yaqut *op. cit.*, p. 241; Ibn Taghri Bardi, *An–Nujum az–Zahira fi muluk Misr wa'l–Gahira*, vol. vi, Cairo, p. 198; Kuhhala, *op. cit.*, p. 174; Haji Khalifa, *op, cit.*, p. 236; Yaqut, *op. cit.*, p. 241.

40. Subki, *op. cit.*, p. 154.

41. *Ibid.*; Kuhhala, *op. cit.*, p. 174; Ibn Taghri Bardi, *op. cit.*, p. 198.

42. Ibn al–'Imad, *op. cit.*, p. 23;' Abd al–Hayy, *op. cit.*, p. 35; Ibn Taghri Bardi, *op. cit.*, p. 198.

43. Yaqut, *op. cit.*, p. 241.

44. Ibn Kaṯhir, *op. cit.*, p. 54; Yaqut, *op. cit.*, p. 240.

45. Bustani, (ed) *K. Da' irat al–Ma' arif*. vol. i, Beirut, 1876, p. 370; Yusuf Alyan Sarkis, *op. cit.*, p. 34; Ibn Taghri Bardi, *op. cit.*, p. 199.

46. Yaqut, *op. cit.*, p. 240f.

47. Ibn Taghri Bardi, *op. cit.*, p. 198; Kuhhala, *op. cit.*, p. 174.

perform it, it is sufficient or equivalent to all having performed it.

16. Yaqut, *op.cit.*, p. 241; Ibn Kathir, *op.cit.*, p.54.

17. *Hadith* has been used here in its strict sense, meaning the prophatic tradition related by the companion (*Sahabi*).

18. By *Athar* is meant the tradition related by a successor (Tabi'i).

19. 'Abd al-Hayy, *At-Ta'liqat as-Saniyya' ala l-Fawa'id al Bahiyya fi Tarajim al-Hanafiyya, Karachi, 1393 A.H.p.35.*

20. Haji Khalifa, *Kashf az-Zunun' an Asama l Kutub wa l-funum,*. vol. i, Istambul, 1360 A.H. p.537.

21. *Ibid.*, p.536.

22. *Ibid.*, p. 537.

23. *Ibid.*

24. *Ibid.*

25. *Ibid.*, p. 536.

26. *Ibid.*, p. 537.

27. Kuhhala, *op. cit.*, p. 174; Ibn al' Imad, *op. cit.*, p. 23; Tashkoprazade, *op. cit.*, p. 17; Ibn kathir, *op. cit.*, p. 54; Yaqut *op. cit.*, p. 241.

28. Yusuf Alyan Sarkis, *MuJam al-Matbu' at al-'Arabiya wa'l Mu'arraba, Cairo,* 1346/1928, p. 34.

29. Haji Khalifa, *op. cit.*, p.256.

30. Yaqut, op. cit., p. 241; Haji Khalifa, *op. cit.*, vol. i, p. 182; Ibn al 'Imad, *op. cit.*, p. 23.

31. Yaqut, *op. cit.*, p. 241; Ibn al-Imad, *op. cit.*, p. 23; Ibn Kathir, *op. cit.*, P. 54; Subki, *op. cit.*, p. 153.

iii, Cairo, 1367/1948, P. 289 (No. 524); Kuhhala, Umar Kida, *Mujam al-Muwallifin, Tarajim Musannif al-Kutub al-Arabiyya,* vol. viii, Damascus, 1378/1959, P. 174.

5 Jazira ibn Umar is a locality on the upper part of Musal on the river Tigris (of Ibn Khallikan, *op.cit.,* p. 291; Izz ad-Din Ibn al-Athir, *Al-Lubab fi tahdhib al-Ansab,* vol. i, Beirut, n.d., p. 277). It is named after 'Jazira' because it was sorrounded by River Tigris. It was built by Abd al-Aziz b. Umar of Barqaid. (of. Bustani, *K. Da' irat al-Maarif,* vol.i,Beirut,1876,p.77),According to Yaqut al-Hamavi, the contemporary of Ibn al-Athir, Jazira Ibn Umar is situated at a distance of 3 miles from the upper part of Musal. (of. Yaqut, *op. cit.* vol. vi, p. 238).

6 Tash Kuprazade, *Miftah as-Saada wa Misbah as-Siyada,,* vol. ii, Hyderabad, 1329 A, H., p. 17; Yaqut, *op.cit.,* p. 238.

7 Ibn al'Imad, *Shadharat adh-Dhahab,* vol.v, Cairo, 1351 A.H. p. 22.

8. Ibn Kathir, *al-Bidaya wa'n Nihaya,* vol. xiii, Cairo, 1358 A.H.P. 54.

9. Suyuti, *Bughyat al- Wu at fi Tabaqat al-Lughwiyin wa'n Nuhat,* Cairo, 1326 A.H. p.385.; Yaqut, *op.cit.,* p.238.

10. Tashkuparazade, *op.cit.,* p. 17.

11. Subki, *Tabaqat ash-Shafi iyat al-Kubra*, vol.v, Cairo, n.d, p. 153.

12. *Ibid.*, Suyuti, *opicit;* p.385.

13. Subki, *op.cit.*, p.153.

14. *Ibid*

15. Technically, *Fard Kifaya* is a command which is imperative (*Fard*) upon all Muslims but which if few persons

References and Notes

1. Abu's Sa'adat al-Mubarak b.'Abi'l Karam Muhammad b.'Abd al-Karim b.Abd al-Wahid ash-shaybani, popularly known as Ibn al-Athir al-Jazari, nick-named as Majd ad-Din (d.606 A.H). It is this very scholar with whose life and works the present paper deals. (of. *Infra* pp. 1-9).

2. Izzad-Din Abu'l Hasan' Ali b.Muhammad Ibn al-Athir (d. 630 A.H). is the author of the celebrated works like *Al-kamil fi't Tarikh*, dealing with the events upto 628 A.H, and *Usd al-Ghaba fi Ma'rifat as-Sahaba*, containing the biographies of no less than seven thousand five hundred persons (of. *Urdu Da'ira Ma'arif Islamia*, vol.i, fascicule, vii, Lahore, p. 418)

3. Diya ad-Din Abu'l Fatah Nars Allah Ibn al-Athir (d. 637 A.H), *Salah ad-Din the Vazier of Al-Malik al-Afdal, the son of Sultan was well known for lucidity of his style and was appointed Chief Secretary of *Diwan Insha* of the prince Nasir ad-Din, Muhammad. Hos book entitled "*Al- Mathal as- Sa'ir fi Adab al- Katib wa'sh- Sha'ir*" is an authoritative literary work on speech and eloquence. (of. *Da'ira Ma'arif Islamia, op.cit.*, p. 418). Another standard literary work of the author is *al-Murassa'* which has been wrongly ascribed to his elder brother Majd ad-Din under the title "*Al-Muvassa' fi'l Aba wa l'Ummahat*" (of. *Ibid.*; Yaqut, *Irshad al-Arib ila ma' rifat al-Adib*, popularly known as *Mu jam al-Udaba, Wa Tabaqatal- Udaba*'ed. Margoliuth, 2nd ed. vol. vi, Cairo, 1930, p. 241f.

4 Ibn Khallikan, *Wafayat al-Ayan wa Anba' Abna' az-Zaman*, ed, Muhammad Muhiy ad-Din Abd al-Hamid, vol.

Baghdad we find him narrating Ahadith and writing books in Musal. In fact he had devoted the major part of his life in disseminating knowledge. He himself says: I remained in pursuit of' *ilm* througbhout my life. *qad khadamtu'al–ihm'Umri*)(64).

Although Ibn al – Athir wrote on various branches of knowledge, yet he devoted himself mainly to Prophetic traditions. He is, therefor, reckoned among the eminent traditionists of the Seventh century A.H.

In sum, we can say that by rendering unforgetable services to knowledge in general and *hadith* in particular, Ibn al Athir al– Muhaddith earned an everlasting fame.

Lu' lu to Ibn al-Athir offering the latter the post of a minister, but when Majd ad-Din declined it he himself called at his house and persuaded him to accept the same. But Majd ad-Din in the most polite manner expressed his inability to accept this responsible position (54).

At his old age, Ibn al-Athir was afflicted with a chronic disease which paralysed his hands and feet. As a result of this he could neither write nor walk and stayed all the time at his house (55). He employed, therefore, scribes who helped him in writing his works. It was during this period of his life that his house had become the rendezvous of scholars and intellectuals (56). Ibn al-Athir, being fully devoted to learning and scholarship made full use of the knowledge of the scholars frequenting his house. The fact that he whole heartedly devoted to the pursuit of knowledge is evident from the fact that in later years he declined the post of a minister and preferred a quiet life of a simple scholar over a high position in the government (57). Moreover, the strange ancedote about his serious illness from which he refused to be cured (58) is another proof of his love and devotion to knowledge. Moreover, we find that he had built a *Ribat* in one of the villages of Musal which was frequented by the *Sufis* and elites of his time. He named the *Ribat* as 'Qasr-e- Harb' and gave it away along with his own home at Musal as endowments (59).

Shaykh Maj ad– Din died in 606 A.H. (60) at the age of 62 (61) at Musal and was buried in the *Ribat* of Darb ad– Durj. (62)

It is belived that most, if not all, of Ibn al – Athir's works were written during the period he was confined to his house due to paralysis (63), for it is in these days that he found much time to devote for his tudies. But this dose not seems to be true for even during his young age, soon after his return from

Secretary which Ibn al-Athir hold was considered as one of the highest positions in the Government. It, therfore, aroused jealosies in the hearts of other courtiers who levelled baseless charges against him where upon he was put into prison. Later, however, when provednot guilty, he was released and was reinstated to his post. He held this office till the death of Izz ad-Din Mas' ud but after the latter's death he resigned from this post.

Even before coming to Musal Majd ad-Din held various high positions at Jazira ibn 'Umar, his birth Place. To take for example, he became Chief of the Court of Justice of Jazira Ibn Umar (49). Similarly, he was appointed Incharge of the Treasury by Sayf ad-Din al-Ghazi b.Mawdud b.Zengi (50).

On arrival at Musal, he associated himself first with Vazier Jalal ad-Din Abi l' Hasan 'Ali b.Jamal ad-Din Muhammad b.Mansur al-Isbahani, and then with Mujahid ad-Din b.Qaymaz who received him with great honour. After Mujahid's death in 589 A.H.

H remaine associated with his successors Atabek 'Izz ad-Din Mas ud b. Mawdud (51) and Nur ad-Din Arsalan Shah (52). The latter held him with such high regard that during Ibn al-Athir's old age when he was stricken with chronic paralysis, he used to call at his house personally seeking administrative advices from him. (53)

Although Ibn al-Atir, al-Muhaddith, in his early life, remained attached with the court life, yet in later years he dissociated himself from all official positions. He was in fact, by nature, averse to accepting any position in the court. Thus we see that after the death of 'Izz ad-Din b.Mas ud, when his son and successor, Arsalan Shah offered him his original post, he refused to accept it. It is reported that Arsalan Shah, first sent his Vazier

Although Majd ad– Din was basically a prose writer, yet he is reported to have composed few verses also. According to his own statement he was incapable of writing poetry in the beginning and could compose few lines only after long persuation by his grammer teacher Sa'id b. ad– Dahhan. He describes that while he ,was studying Arabic with his teacher the latter asked him to compose some poetry but he could not do so. After the teacher,s death, he once saw him in his dreams and found him persuading him so much that he did compose few rhymes which were liked by his teacher. It is reported that he got up the next moruing and composed twenty couplets (44).

In addition to this, he is reported to have composed the following four lines *extempore* when amule over which Atabek, the ruler of Musal, was riding stumbled:

إن زلّت البغلة مِنْ تحته   فإنّ في زلتها عذرا

حمّلها مِنّ علمه شاهقا   ومن ندى راحته بحرا (45)

His brother after quoting few more lines omposed by Ibn al–Athir, gave the final remark about his poetry:

"كان أخي قليل الشعر لم يكن به تالك العنا" (46)

meaning "My brother composed only few verses. He cared little for it".

As to the events of his life Majd ad – Din was held in high esteem by the officials of the government who sought administrative advices From him even after his retirement (47). It is reported that he began his early career as a scribe, writing letters for the princes (48). Later, he was appointed as Chief Secretary in the,Court of Amir Qaymaz b. Al–Khadim az–Zayni writing letters to the monarchs of the world. This office of the

4) *Kitab al-Insaf fi'l Jami' bayn al-Kashf wa l-Kashshaf*: (30) Awork on exegesis based on *Tafsir Tha' labi* and *Tafsir Zamakhshari*.

5) *Kitab ash-Shafi fi Sharh Musnad al-Imam ash-Shafi' i*: (31) A commentary on the *Musnad* of al-Shafi'i explaining the uncommon and difficult words and expounding the legal rules occuring in the book.

6) *Kitab al-Mustafa wa'l Mukhtar fi'l ad' iya wa'l adhkar*: (32)

7) *Kitab al-Mukhtar fi manaqib al-Akhyar* (33).

8) *Al-Bahir fi'l-Furuq*: A work on grammar (34).

9) *Kitab al Aba' wa'l Ummahat wa'l Banin wa'l banat wa'l adhwa wa' dhdhawat* (35): Yaqut and others have maintained that this book is also known as *Kitab al-Murassa* (36). According to others, it is an independent work of his brother named Diya ad-Din Ibn al-Athir (37). The Fact, however remains,that they are one and the book.

10) *Tahdhib fusul b. ad-- Dahhan* (38): A work on philo- logy.

11) *Kitab al-Badi' fi sharh al- Fusul* (39): The book, dealing with philology, has been written in unique style and its chapters have been arranged on an unprecedented pattern.

12) *Sharh Gharib al-Tiwal* (40):A work dealing with explanations of less common words.

13) Anthology of letters (*Diwan Rasa,il*) (41).

14) Abook on the art of writing (*Kitab fi sun'at al-kitabat* (42).

15) An epistle on Mathematics (al- Hisab) (43) .

Looking at the list of Ibn al- Athir,s works given above one can easily say that Majd ad- Din excelled in various branches of knowledge including *Fiqh*, *'Ilm al- Usul*, *Hadith*, *Nahw* and *Lugha*.

Hadith, described various categories of unreliable narrators (*ruwat*) and explained different kinds of *Ahadith* like *Munqati'*, *Mawquf*, *Mu'dal* etc.

It is on account of these significant characteristics that *Jami' al-Usul* has become a reference book on the science of *Hadith* . A number of compendiums and commentaries have been pre-pared, therefore, out of this glorious work of Ibn al – Athir. The notables among these are as under:

i) *'Tashil Tario al- Wusul ila al-Ahadith az-Zaida'ala Jami' al-Usul'* by Nasir b.al-Ashraf (20).

ii) *Tajrid al-Wusul* by Sharaf ad-Din Hibat Allah b.'Abd ar-Rahim b.al-Barzi al-Hamawi (d.738 A.H.) (21).

iii) *Tahdhib al-Usul* by Shaykh Salah ad-Din Khalil b.Kaykaldi al-'Alla'i (d.761 A.H.) (22).

iv) *Mukhtasar* by Shaykh Majd ad-Din Abi Tahir Muhammad b.Yaqub al-Fayrozabadi (d.817 A. H.) (23).

v) *Taysir al- Wusul ila Jami' al- Usul* by Shaykh' Abd ar-Rahman b.'Ali, known as Ibn ad-Dayba ash-Shaybani (d. 950 A.H.) (24).

vi) *Mukhtasar* by Abu Jafar Muhammad al-Maruzi (25).

vii) *Mukhtasar* by Shaykh Ahmad b.Rizq Allah al-Ansari al-Hanafi (26).

In addition to the above mentioned reference book on *Hadith* the following are the other major works of Ibn al-At-hir:

2) *An-Nihaya fi Gharib al-Hadith* (27). A book (arranged in alphabetical order) dealing with explanation of uncommon and difficult words occuring in *Hadith* works. The book is also known as *An-Nihaya' l Athiriya fi'l lughat al-Hadi thiya*(28).

3) *Al-Banin wa l Banat min Rijal al-Ahadith* (29): As Its title suggests, the book deals with the biographies and characters of the narrators of *Ahadith*.

with the long chains of narrators and limiting it only to the first reporter, Ibn al-Athir, like his predecessor Razin, made *Hadith* study easy and accessible to common man.

But the main contribution of Ibn al-Athir lies in the fact that unlike Razin, he arranged the traditions in his *Jami' al-Usul*, according to subject matter. This is a very significant improvement upon the earlier *Hadith* works, for with this device, the relevant tradition of a given subject could now be easily traced in the cannonical works.

Ibn al-Athir not only arranged the traditions according to subject matter but also pointed out the exact corpus of *Hadith* where this tradition occure. For this purpose he uses abbreviations such as 'خ' for Bukhari is *Sahih*, , for Muslim's *Sahih* and 'b' for Maliks *Muwatta* and so on. In case the *hadith* is found in all the *Sihah* books, the abbreviations of all the books are given at the begining of the particular hadith.

Ibn al-Athir was not contented with marely pointing out the subject with which a particular *hadith* dealt but also tried to explain its meaning. With this view in mind, he explained on a separate page the difficult and less common words occuring in the *hadith* and gave explanatory notes on the difficult *Ahadith*.

Ibn al-Athir rightly considered *hadith* a complete discipline and on independent branch of knowledge. He, therefore, laid down rules for the systemic study of the subject in 'Preface' to his "Jami al-Usul". Simi arly, realising fully well the importance of *Asma' ar-Rijal* Ibn al-Athir added a supplement in his *Jami' al-Usul* giving therein the biographical notes on the narrators (*ruwat*) of *Ahadith*. (19)

In addition to all this, Ibn al-Athir, in his *Jami' al-Usul*, gave an historical account of the writing and compilation of

was his significant contribution to the *Hadith* literature. In his writings on these subjects, Ibn al-Athir explained in unequivocal terms the importance of the study of *Hadith*, calling it *Fard Kifaya* (15) and laid down principles of criticism of the reported traditoins and explained the technical terms (*mustalahat*) and different modes of taking up traditions (*tahammul al-hadith*). His monumental work on this subject the "*Jami al-Usul li-ahadith ar-Rasul*"is a living testimony to the fact that he was wholly devoted to *Hadith* study.

Ibn al-Athir is said to have employed scribes and scholars for preservation of his knowledge. With the help of these associates, Ibn al-Athir compiled a score of books the notable anong them are as under:

1) *Jami al–Usul li–Ahadith ar–Raoul* (16).

This can be considered as the masterpiece of all the writings of Ibn al–Athir. Compiled on the pattern, but an improvement upon *Kitab at–Tajrid* of Razin (d. 525 A.H.), *Jami' al–Usul* is a significant contribution to the vast literature of *Hadith*. The book incorporates the traditions of the *Muwatta* of Malik, *Sahihayn* of Bukhari and Muslim, the *Lunans* of Abu Da'ud and An–Nasa'i and the *Jami'* of Tirmidhi. As was done by his predecessor Ranin,.

Ibn al–Athir, in this book, omitted from the *Isnad*, the names of long chain of narrators and retained, instead, only the names of the first narrator i.e. the name of the companion (*Sahabi*) in the case of *Hadith* (17) and the name of the successor (*Tabi'i*) in the case of *Athar* (18). This alone could have been a positive contribution to the study of *Hadith* for it helped the general reader know a prophetic tradition without spending his time in reading out the names of all the narrators. By doing away

and *Fiqh* from the local teachers he moved toMusal in 565 A.H.(6) It was here that he perfected his knowledge (*atcana Ulumahu*) (7) of *Fiqh* and *Hadith* and wrote useful books. (8)

Ibn al-Athir was devoted mainly to philology and religi ous studies. He studied these subjects from reputed scholars of the time. Thus he learnt Arabic grammar from Nasih ad-Din Abi Muhammad Sa id b. ad-Dahhan, the well known grammar-ian of Bagbdad, Abu Bakr Muhammad b.Sa' dun Al-Maghribi al -Qurtubi, Abu l-Hazm Makki b.ar-Rayyan and Ibn Shubbah al-Maksi An-Nahwi (9). In the main, however, he was devoted to the religious studies particularly *Hadith*. At first he freque nted the literary sittings of the reputed Hadith scholars of his native town and heard the traditions from them (10). Later, he came to Musal and attended the literary circles of Hadith scholars of this city. Among the Hadith scholars of Musal from whom Ibn al-Athir heard the prophotic traditions included Abu l-Fadl b.al-Tusi, the Khatib of Musal, and Yahya b.Sa' dun al-Qurtubi (11) . Having acquired the *Ahadith* from the local scholars, Ibn al-Athir went to Baghdad and heard the traditi-ons from Abu l–Qasim Sahid b.al–Khall, Ibn Kulayb aud Abd al-Wahab b. Sukayna (12). Thereafter, he returned back to Musal and began narrating and dictating *Hadith* here. Among the students who heard from him and narrated *Abadith* on his authority included his own son and Shahab al-Fusi and others(13).

Ibn al-Athir not only narrated and dictated *Ahadith* to his students but he at times used *Ijaza* method of transmitting traditions. Thius it is reported that one Fakhr ad-Din b.an–Najjari narrated from Ibn al-Athir after obtaining *Ijaza* from him (14).

Apart from narrating and dictating traditions Ibn al-Athir wrote books and monograms on the science of *Hadith*. This

"IBN AL-ATHIR AL-MUHADDITH" — HIS LIFE AND WORKS

by

Prof. Dr. Imtiaz Ahmad

Dean, Faculty of Islamic Studies, University of Karachi, Karachi, Pakistan.

(A paper read in the "Abna' l-Athir Collnqiun" held in the College of Arts, University of Musal, Musal, Iraq, w. e.f. 27. 3. 82-31. 3. 82)

Rarely does it happen that all the sons of a father find a distinctive place in the pages of history on account of their erudition and scholarship. But this has come true in the case of a fortunate father named Muhammad b.Muhammad 'Abd al-Karim Ibn alathir, a high official of the Zangids of Musal. Ibn al-Athir's all the three sons namely Majd ad-Din, 'Izz ad-Din and Diya 'd-Din were reputed scholars and historians of their time. Although they are all known by the common name of "Ibn al-Athir", yet we can, for our own convenience, distinguish them, according to their fields of specialisation as Ibn al-Athir al-Muhaddith (1), Ibn al-Athir al-Muwarrikn (2), and Ibn al-Athir al-Adeeb (3) respectively. Being a student of *Hadith*, I have chosen Ibn al-Athir al-Muhaddith, as the topic of my discussuion today. In this paper I have tried to give a brief but critical account of the life and works of our celebrated scholar.

Majd ad-Din Ibn al-Athir al-Jazari was born in 544 A.H/ 1149 A. C. (4) at Jazira Ibn 'Umar, (5) where he received his early education. Having studied *Tafsir*, *Hadith*, Arabic grammar

and *Fiqh* from the local teachers he moved toMusal in 565 A.H.(6) It was here that he perfected his knowledge (*atcana Ulumahu*) (7) of *Fiqh* and *Hadith* and wrote useful books. (8)

Ibn al-Athir was devoted mainly to philology and religi ous studies. He studied these subjects from reputed scholars of the time. Thus he learnt Arabic grammar from Nasih ad-Din Abi Muhammad Sa id b. ad-Dahhan, the well known grammar-ian of Bagbdad, Abu Bakr Muhammad b.Sa' dun Al-Maghribi al -Qurtubi, Abu l-Hazm Makki b.ar-Rayyan and Ibn Shubbah al-Maksi An-Nahwi (9). In the main, however, he was devoted to the religious studies particularly *Hadith*. At first he freque nted the literary sittings of the reputed Hadith scholars of his native town and heard the traditions from them (10). Later, he came to Musal and attended the literary circles of Hadith scholars of this city. Among the Hadith scholars of Musal from whom Ibn al-Athir heard the prophotic traditions included Abu l-Fadl b.al-Tusi, the Khatib of Musal, and Yahya b.Sa' dun al-Qurtubi (11) . Having acquired the *Ahadith* from the local scholars, Ibn al-Athir went to Baghdad and heard the traditi-ons from Abu l–Qasim Sahid b.al–Khall, Ibn Kulayb aud Abd al-Wahab b. Sukayna (12). Thereafter, he returned back to Musal and began narrating and dictating *Hadith* here. Among the students who heard from him and narrated *Abadith* on his authority included his own son and Shahab al-Fusi and others(13).

Ibn al-Athir not only narrated and dictated *Ahadith* to his students but he at times used *Ijaza* method of transmitting traditions. Thius it is reported that one Fakhr ad-Din b.an–Najjari narrated from Ibn al-Athir after obtaining *Ijaza* from him (14).

Apart from narrating and dictating traditions Ibn al-Athir wrote books and monograms on the science of *Hadith*. This

"IBN AL-ATHIR AL-MUHADDITH" — HIS LIFE AND WORKS

by

Prof. Dr. Imtiaz Ahmad

Dean, Faculty of Islamic Studies, University of Karachi, Karachi, Pakistan.

(A paper read in the "Abna' l-Athir Collnqiun " held in the College of Arts, University of Musal, Musal, Iraq, w. e.f. 27. 3. 82-31. 3. 82)

Rarely does it happen that all the sons of a father find a distinctive place in the pages of history on account of their erudition and scholarship. But this has come true in the case of a fortunate father named Muhammad b.Muhammad 'Abd al-Karim Ibn alathir, a high official of the Zangids of Musal. Ibn al-Athir's all the three sons namely Majd ad-Din, 'Izz ad-Din and Diya 'd-Din were reputed scholars and historians of their time. Although they are all known by the common name of "Ibn al-Athir", yet we can, for our own convenience, distinguish them, according to their fields of specialisation as Ibn al-Athir al-Muhaddith (1), Ibn al-Athir al-Muwarrikn (2), and Ibn al-Athir al-Adeeb (3) respectively. Being a student of *Hadith*, I have chosen Ibn al-Athir al-Muhaddith, as the topic of my discussuion today. In this paper I have tried to give a brief but critical account of the life and works of our celebrated scholar.

Majd ad-Din Ibn al-Athir al-Jazari was born in 544 A.H/ 1149 A. C. (4) at Jazira Ibn 'Umar, (5) where he received his early education. Having studied *Tafsir*, *Hadith*, Arabic grammar

University Of Mosul
College Of Arts

Abna' Al-Athir Symposium

27 March – 1 St April

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد [٧٢٧] لسنة ١٩٨٣

طبع بمطابع جامعة الموصل
مديرية مطبعة الجامعة